



وليم فوكس الضبيب والحنف

جمها وقدّم لها

بربر
وليم



Bibliotheca Alexandrina



0155795

الصَّخْبُ وَالْعُفْمُ

وليس فوكسر
الحائز على جائزة نوبل للآداب

ترجمته وقدم له

جبرا إبراهيم جبرا

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

جميع الحقوق محفوظة

**المؤسسة العربية
للدراسات والنشر**

سابقة مرجع الكاوثون، ساقية الجسور، ص ١٠٧٩، ١٠٨٠
مطبعة موكيال، بيروت، ص ١١٨١٦، بيروت

الطبعة الثالثة ١٩٨٣

الصحف والعنف

دراسة بقلم جبرا ابراهيم جبرا

« غداً ، وغداً ، وغداً ،
وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً إثر يوم
حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب ،
وإذا كل أمامنا قد أنارت للحمقى المساكين
الطريق إلى الموت والتراب . الا انطفئي ، يا شمعة وجيزة !
ما الحياة إلا ظل يمشي ، ممثل مسكين
يتبختر ويستشيط ساعته على المسرح ،
ثم لا يسمعه أحد : إنها حكاية
يحكيها معتوه ، ملوها الصحف والعنف ،
ولا تعني أيّ شيء . »

(مكث لشكبير)

١

عندما منح الكاتب الامريكي وليم فوكنر جائزة

نوبل للأدب عام ١٩٥٠ . كان عمره ثلاثاً وخمسين سنة . وكان قد قضى أكثر من ربع قرن بكتابة الروايات ، وأنجز منها عدداً كبيراً . وهي ليست بالكتب اليسيرة القراءة . بل ان أكثر القراء كانوا يجدون باديئ الأمر في أسلوب فوكنر الطويل الجمل ، المركب الصور ، المعقد المنى ، المليء بالكلمات المزدوجة الصياغة ، اشارة إلى ضرب من الفوضى الذهنية والعاطفية في المؤلف ، وعائقاً لهم عن تذوق فنه . ولكن فوكنر ظل منزوياً في بلدة صغيرة في احدى الولايات الجنوبية (اكسفورد ، مسيسيبي) ، منصرفاً عن المعارك الأدبية إلى كتابته واسلوبه . وقد خلق اسطورة بعيدة الأصول ، منتشرة الفروع ، تضيف اليها كل رواية يكتبها تفصيلاً جديداً واتساعاً جديداً . وكان رائده في ايجاد هذه الأسطورة الخلاقة ان يصور ما يدعوه الامريكيون « الجنوب » : وهو يتألف من الولايات التي انتعشت على زراعة القطن واستخدمت الزنوج رقيقاً إلى ان اندلعت نيران الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، فخسر الجنوب الحرب ، وألغى الرق ، وغزا الشمال الجنوب بوسائل شتى وتغيرت معالم الحياة فيه .

وهذا التغير ، بما فيه من انحطاط أو سمو ، من شهامة أو حقارة ، وبما سبقه وتلاه من جرائم وصراع وهتك عرض ، هو موضوع فوكنر . و « الشرف والاباء » كلمتان تترددان في أكثر كتبه . الشرف والاباء والحب والشجاعة ، وقد أحاطت بها قوى الفساد والجريمة والمادية والجشع والخسة . فإن فوكنر يرى في قصة الجنوب مصغراً لما حلّ بالعالم من فوضى خلقية وانحلال اجتماعي ، ويرى في ذلك مأساة كونية . وقد قيل ان فوكنر لا ينتقي من المواضيع إلا ما كان قبيحاً أو مرعباً ، كأنه بذلك يغذي الغرائز الدنيا في القراء . وهذا في الواقع عكس ما يرمي اليه . لقد أراد ان يجابه مشكلة الشر ، ويتفحصها من كل جانب ،

(*) توفي فوكنر في ٦ تموز ١٩٦٢ وهو في الخامسة والستين من عمره .

لكي يرى فعالها في حياة الانسان . وهو لذلك لم يترك رذيلة أو جريمة لم يجد لها مكاناً في كتبه : كصور الاغتصاب والسلب والزنا بذوي الرحم ، والقتل والانتحار ، وقتل الأخوة ، وادمان المخدرات والمسكرات ، وسلب القبور ، وتزواج البيض والسود ، ومضاجعة الموتى ، والفحشاء والبغاء ، وقتل الجاهل للشخص ، والخيانة والأثانية ونكران الجميل . فهي كلها تصور مأساة « الجنوب » ، وبالتالي مأساة الانسان . وتنطلق كلها من قلم المؤلف عنيفة عاتية ، تعبر عن غضبه واشمئزازه . ولكنه يضع ازاءها الفضائل التي يراها آخذة في الزوال : الشهامة ، الشجاعة ، الحب ، الشرف ، الاباء ، الشفقة .

وقد وضع فوكنر لأسطوريته حدوداً جغرافية ، وأرقاماً للمساحة وعدد السكان ، وأوجد للمقاطعة عاصمة وقرى ، كلها من خلقه . وجعل هذه المقاطعة الخيالية في ولاية مسيسيبي ، واسمها « يوكناباتوفا » ، وعاصمتها « جفرسن » ، (وهذه تشبه كثيراً بلدة اكسفورد ، حيث يقطن المؤلف) . وأكثر السكان — عدا أصحاب الحوانيت والحرف — مزارعون أو حطابون ، وحاصلاتهم هي على الأغلب بالات القطن التي يشحنونها إلى مدينة ممفيس (وهذه حقيقية ، ويجعلها فوكنر مركزاً لكل ما يعتلج في المدن من فسق) . والبعض منهم يقيم في بيوت ضخمة ، هي بقايا عصر انقضى ، والبعض الآخر في منازل خشبية لا بأس بها . أما الأكثرية فمستأجرون ، وليست منازلهم بأفضل من منازل العبيد أيام ما قبل الحرب الأهلية .

ولكي يحسن القارئ فهم أي رواية من روايات فوكنر ، يجب ان يطلع مقدماً على موجز للأسطورة التي تجعل من الروايات أجزاء متواشجة . وفحواها ان « الجنوب القصي » Deep South كان يأهله قوم من الارستقراطيين ، كعشيرة سارتوريس ، وجماعة من النازحين الجدد ، أمثال الكولونيل ستين . وكلتا الجماعتين عازمة على انشاء نظام اجتماعي

دائم على الأراضي التي اغتصبوها من الهنود الحمر ، وذلك بتخليف نسل يحافظ على التقاليد الأوروبية ، وهي تقاليد الشرف والفروسية . على انه كانت في صلب خططهم خطيئة لازمة ، وهي الرق (إذ استحضروا الزنوج من أفريقيا بمئات الآلاف لهذا الغرض) . فوضع الرق لعنة على الأرض ، وسبب الحرب الأهلية ، فلما خسروها ، أرادوا استعادة خططهم بطرق أخرى . فلم يصيبوا الا نجاحاً جزئياً . وبمرور الزمن اكتشفوا ان بين ظهرانيهم اعداء جنوبيين وهم الطبقة الاستغلالية الجديدة ، أحفاد البيض الذين كانوا أيام الرق بلا أملاك أو أراض . وتتمثل هذه الطبقة في آل سنوبس ، وهي طبقة لا ضمير لها ولا وازع ، ولا غاية لها سوى الكسب المادي . واذ نشأ الصراع بين آل سارتوريس (الارستقراطيين) وآل سنوبس ، كانت الهزيمة قد كتبت على آل سارتوريس مقدماً ، بسبب تقاليدها التي تجعلها ترفع عن استعمال سلاح العدو المشين . ودفعاً لثمن هذا النصر ، كان على آل سنوبس أنفسهم ان يخدموا مدينة الشمال الآلية ، وهي مدينة — كما يراها فوكنر — واهية أخلاقياً ، وهي التي أفست في النهاية أهل الجنوب^١ .

فالوضع في روايات فوكنر مبني على ان الشمال مادي وآلي ، يعتمد على المدن الكبيرة التي تعيش فيها الملايين التي لا وجه لها ولا شخصية ، وان الجنوب زراعي يعتز شعبه بالشرف . وتيار الشمال الارعن يهدد بالقضاء على تقاليد الجنوب العريقة ، ولكنها تقاليد فيها كثير من البلى والوهم ، وتفوح منها رائحة الموت^٢ .

١ - انا مدين في هذا الملخص للملكم كاولي في مقدمته الممتازة لكتاب **The Portable**

. Faulkner

٢ - ويرمز فوكنر الى ذلك في الرواية التي شهرته فجأة ، وان تكن اقل قيمة من معظم كتبه الاخرى : « الحرم » **Sanctuary** . ففيها يفتصب رجل من الشمال فتاة عذراء من أهل الجنوب ، ولكنه عتِن (ويرمز بذلك الى الشلل في نفس الشمال) فيقفضي وطره منها باستعمال عرنوس الذرة . ولكن الفتاة بعد ذلك تلتهب شبقاً ، فكأنها بذلك تمثل انهيار القيم في الجنوب .

« الصخب والعنف » ، أول رواية نشرها فوكنر عن قصة الجنوب هذه . وكان قد كتب قبلها رواية « سارتوريس » ، ولكنه نشرها فيما بعد . وقبل هذين الكتابين أمل المؤلف أن يحظى بالشهرة في روايتين أخريين ، ولكن دون جدوى ، لأنهما كانتا عاديتين . أما أول ما نشر من كتب فهو ديوان من الشعر عنوانه « الظبي المرمرى » ، شديد التأثير بالشعر الرومانسي ، لم يلتفت اليه آنئذ أحد . وهذا يدل على ان فوكنر (ككثير من الروائيين ومن جملتهم بلزاك) بدأ حياته الأدبية شاعراً . ولما تحول إلى النثر بقيت الروح الشاعرية في كل ما يكتب . فنثره مشحون بالصور الشعرية والالفاظ غير المتوقعة ، مذكراً القارئ أحياناً بثروة شكسبير اللفظية .

« فالصخب والعنف » كتاب فوكنر الخامس . وقد شغل به زهاء ثلاث سنوات ، وكان عمره عند نشره (١٩٢٩) اثنتين وثلاثين سنة . وفي الحال التفت النقاد اليه ، ورأوا في كتابه رواية رائعة البناء والاسلوب ، سماها البعض « رواية الروائيين » . غير أن القارئ يحتاج في تذوقها وتخطي صعوباتها إلى حساسية فنية مرهفة ، وأناة شديدة . فكان الكتاب نصراً أدبياً لصاحبه ، وإن لم يكن نصراً مادياً^١ .

والآن وقد كتب فوكنر حوالي الثلاثين كتاباً ، واتضح خطته فيها ، نجد ان « الصخب والعنف » مازال أحسن ما كتب^٢ . وقد يضع البعض رواية « نور في آب » Light in August (١٩٣١) في المرتبة العليا ليسر تناولها ووضوحها ، غير ان التركيب الفني في « الصخب والعنف » ما زال في جماله وبراعته معجزة من معجزات الخيال .

١ - ولكن اختلفت الحال مع فوكنر في النهاية، فبيع في السنوات الاخيرة من رواياته الكثيرة عشرات الملايين من النسخ .

٢ - سئل فوكنر قبيل وفاته عن أحب كتبه الى نفسه ، فقال : « الصخب والعنف » .

والكتاب ، من نواح كثيرة ، تبدو فيه الاتجاهات الاسلوبية والشكلية التي شاعت بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ . وهي فترة من أهم الفترات وأخصبها في تاريخ الرواية ، لا لظهور عدد من الروائيين الكبار فيها فحسب ، بل لكثرة التجارب ، ونجاح الكثير منها ، في فن القصة . فهي الفترة التي لمع فيها شعراء مثل ت. س. اليوت وإزرا باوند ، وكلاهما يجمع بين الشعر والنقد ، وكلاهما واسع العلم ، عقلائي ، وكلاهما اثر في تغيير أشكال الادب لا في الشعر فقط بل في النثر أيضاً . وهي الفترة التي غدت فيها نظريات فرويد ويونغ في اللاوعي حافزاً على معالجة مشاكل النفس الخفية ، بحيث يتغلغل المؤلف نُزلاً في طوايا الشخصية ويكتشف طبقات الوعي السفلى ، إلى ان يبلغ القرارة التي ترسبت فيها تجارب الحياة وذكرياتها وأحلامها . وهي الفترة التي ظهرت فيها السريالية ، مستمدة قوتها من نظريات اللاوعي ومن « الكتابة السحرية » لشعراء كان لهم تأثير عظيم ، أمثال رامبو ولافورغ وغيتوم ابو لينير (الذي نحت كلمة « السرياليزم ») . وإلى هذا وذاك ، ظهرت روايتان مهمتان في هذه الفترة أثرتا في معظم ما كتب فيما بعد ، وهما : « البحث عن الزمن الضائع » لمارسل بروست ، و « يوليسيز » بلخمس جويس . وكلتا الروائيتين تعتمدان استشارة الذكرى والتداعي ، ولكن لكل اسلوبها . فبينما تعتمد الأولى السرد المسهب الدقيق ، تعتمد الثانية استخراج ما في النفس من تجمعات الحوادث والخواطر لا سرداً بل دفقاً ، عن طريق المونولوج الداخلي . والمونولوج الداخلي يعتمد على التداعي ، والرموز المتواترة ، والصور المترددة . وانتشرت بين الادباء عادة ، من الصعب ردها إلى أصلها ، وهي ان يبني الكاتب قصيدته أو قصته على اسطورة قديمة في لباس حديث ، أو ان يدخل في كتاباته حوادث تعود في الواقع إلى مراسم بدائية كمراسم الخصب ودفن الموتى (كنتيجة لانتشار النظريات الانثروبولوجية التي فصلها السرجيمس فريزر في كتابه « الغصن الذهبي »)

أو أن يبنى الحوادث على عبارة في كتاب لأرسطو أو مقطوعة لشكسبير ،
أو أن يجمع كل ذلك معاً في كتاب واحد ، كما فعل جيمس جويس في
« يوليسيز » . ولم يستخدم هذه الأساليب الكتاب العقلانيون فحسب، أمثال
ت. س. اليوت (مثلاً : قصيدته « الأرض اليباب ») وجيمس جويس ،
بل استخدمها أيضاً السرياليون : أمثال كوكتو وغيره .

ويدو أن فوكنر الشاب ، وقد ستم الدراسة الجامعية (فتركها دون
الحصول على شهادة) ، وحاول نظم الشعر ، وتسكع ما شاء له التسكع
في نيو اورلينز ، والحلي اللاتيني في باريس ، وبلدته الصغيرة اكسفورد
(مسيسيبي) ، كان يتشرب هذه التأثيرات على مهل . وبروي المحدثون
كيف كان يتمشى في شوارع اكسفورد في تلك الأيام مفلساً ، حافياً ،
غير حليق الذقن ، يجلس القرفصاء في مدخل أحد الدكاكين حاملاً
المجلات ويقرأ ، أو يستمع إلى حديث الناس وثرثرة الزوج ، واسطورة
الجنوب تتبلور في ذهنه .

ولما جعل يكتب « الصخب والعنف » كان قد هضم تأثيرات فترته ،
بحيث استطاع أن يجعل منها عدة لكتابة عجيبة . فالكتاب يعتمد على
المونولوج الداخلي ، وتأثير جيمس جويس واضح ، ولكنه تأثير خلاق
لا محطّم ، والقصة في خطوطها العريضة توسيع وتمثيل لعبارة مشهورة
من مأساة « مكبث » ، وكل شخص من أشخاصها الثلاثة المهمين
(وهم اخوة) يعبر عن إحدى الشخصيات اللاواعية التي اسماها فرويد :
الهو id ، الأنا ego ، والأنا الأعلى super-ego ، والاخت وابنتها
تمثلان الليبدو Libido - أي الطاقة الجنسية .

هذه عدة فوكنر . ولكنها وسيلة لا غاية . وسوف يتوقف نجاحه
على مقدار ما أصاب من غايته . وغايته هي أن يصور انحلال أسرة
آل كمبسن ' Compson ، ضمن إطار الانحلال العام في « الجنوب » .

١ - مؤسس الأسرة هو الكولونيل ستين وهي أيضاً طريقة التقاليد مثل أسرته .

وعليه ان يجعل من ذلك شيئاً فنياً ، مؤثراً . وهذا بالضبط ما نجح في انجازه .

٣

حين يبدأ الكتاب نجد ان معظم الحوادث قد حدثت . ولن يعود اليها المؤلف إلا مستذكراً هنا وهناك ، كأن القارئ يعرفها ، وما على المؤلف إلا أن يرى اثرها ووقوعها في نفس احد الابطال ، ملقياً عليها كل مرة ضوءاً جديداً . بل إن الحوادث نفسها تكاد تكون لاخطورة لها إذا قيست بما يحيط بها من ظروف وما تخلف من وقع . والصعوبة في قراءة الكتاب تبدو في عدم معرفة القارئ للحوادث التي يشير اليها المؤلف كأنها معلومة لدى القارئ . وهو في الواقع لن يستوفي معرفتها إلا حين ينهي الكتاب . وعليه حينئذ ان يعيد قراءة الرواية من جديد ليستمتع بها المتعة الكاملة . سولعل هذا هو السبب في ان فوكنر ، بعد نشره الرواية بستة عشر عاماً كتب لها ملحقاً — يوضح في الطباعات الحديثة كمقدمة كما فعلنا في ترجمتنا هذه — يشرح فيه الحوادث المهمة في الكتاب بإيجاز ، ويصف أفراد آل كمبسن واحداً واحداً (راجعاً بتاريخهم حوالي مئتي سنة إلى الوراء) ويوضح مكانهم في القصة . وإذ بهذا الملحق قطعة رائعة جديدة هي ولا شك من صلب الكتاب ، وتلقي عليه نوراً جديداً ، فهو يستمر في تاريخ أفراد القصة حتى سنة ١٩٤٥ — بينما ينتهي الكتاب يوم ٨ نيسان ١٩٢٨ . فكان أشخاص الكتاب فعلاً أحياء يرزقون .

الرواية قصة اخوة ثلاثة هم كوتنن **Quentin** ، وجاسن **Jason** ، وبنجامين (أو بنجي) **Benjy** ، واختهم كاندس (أو كادي) **Candace** ، وابنتها كوتنن (وسميت باسم خالها بعد انتحاره) . وقد كتبت على شكل سمفونية في اربعة أقسام ، كل قسم من الأقسام

الثلاثة الاولى يرويه احد الاخوة بالدور ، كل على طريقته ، والقسم الاخير يرويه المؤلف ، فيأتي الترتيب هكذا :

- ١ - بنجي : بتاريخ ٧ نيسان ١٩٢٨ .
- ٢ - كونتن : » ٢ حزيران ١٩١٠ .
- ٣ - جاسن : » ٦ نيسان ١٩٢٨ .
- ٤ - المؤلف : » ٨ نيسان ١٩٢٨ .

انها سمفونية مروعة بجمالها ومأساتها، تتكرر فيها الاشارة الى الحوادث نفسها ، كأن كل حادثة « موتيف » في السمفونية تعزفها كل مرة آلة مختلفة . ومن بدئها حتى النهاية يتردد فيها بكاء بنجي المعتوه ، كأنه نوح على الحياة وهي تتدهور، كأنه « صوت كل بؤس لا صوت له » يرتفع فوق الصخب والعنف .

وكل قسم يختلف كل الاختلاف عن الاقسام الاخرى ، للاختلاف الشديد بين الاخوة : فبنجي معتوه يسمع ولكن لا ينطق ولا يستطيع الا الصراخ والعويل . وهو حين يروي الحوادث لا يستطيع ان يرتبها ترتيباً زمنياً . وما حدث قبل عشرين سنة ، وما حدث اليوم ، كلاهما متساوي الاهمية في سرده ، متساوي الوضوح . وكل شيء يذكره يبدو كأنه يراه لأول مرة ، بكل ما فيه من جدّة وبراعة . انها حكاية يقصها معتوه ..

وكونتن - في ١٩١٠ ، لا في ١٩٢٨ كما في المقطع السابق - طالب في هارفرد ، مفرط الحساسية ، شديد التعاقب بشرف الاسرة . وجاسن - ونعود الى ١٩٢٨ - فظّ ، شرس ، سادي ، اناني ، يبغني من الحياة النجاح وتجميع الثروة ، عن أي طريق . وكل منهم يشير الى الحوادث نفسها على الاغلب ، ناظراً اليها من زاويته . وخلاصة هذه الحوادث هي : ان اسرة كمبسن (المقيمة في دار كبيرة في مدينة جفرسن ، وفي

خدمتها عدد من الزوج، أهمهم الخادمة دلزي (تحاول التمسك بالتقاليد
الارستقراطية عبثاً . فالاب ، وهو بليغ الكلام ، يعتكف على مطالعة
الكتب الكلاسيكية ومعاقرة الويسكي ، ينشد فيها نسيان تيار الحياة
الجديدة ؛ والام « سيدة » شديدة الكبرياء والترفع ، ولكنها دائمة
المرض تقضي أكثر أوقاتها في الفراش مصرة على منزلتها الاجتماعية ،
ولا تثق الا بابنها جاسن، وهو الذي يسلب مالها دون وعي منها لاغراضه
الشخصية . تبيع الاسرة قطعة ثمينة من أراضيتها لارسال كونتن الى
هارفرد ، وهو يحب اخته كاندس حباً شديداً ، ولكنه يتألم جداً عندما
يعلم انها عشقت رجلاً غريباً وضاجعته . فلا يستطيع ان يتحمل فكرة
فقدانها العفاف ، وما في ذلك من وصم لشرف آل كمبسن ، فيدعي
امام ابيه انه هو الذي ضاجعها ! ثم تتزوج اخته وهو في هارفرد، وبعد
ذلك بمدة قصيرة ، حال انتهاء السنة الدراسية الاولى ، ينتحر غرقاً
في نهر تشارلز في كمبردج ، ماساشوستس ، وذلك يوم ٢ حزيران
سنة ١٩١٠ . اما اخته كاندس ، فيكتشف زوجها انها حامل من رجل
آخر ، فيطلقها . وتضع بنتاً تسميها « كونتن » احياء للذكرى اخيها،
وتهجر اهلها وتنتقل من رجل الى آخر وتسوء سمعتها (وقد اخذت
الاسرة ابنتها كونتن لتربيتها) ، الى ان نسمع أخيراً انها في سنة ١٩٤٣
عشيقة لجنرال الماني في باريس .

وفي هذه الاثناء كانت كاندس ترسل اول كل شهر مقداراً من
النقود ليصرف على ابنتها، ولكن جاسن - وقد كان يكرهها ويشاكسها،
يكره ويشاكس ابنتها أيضاً - يتسلم المال ، ويخفيه عن الفتاة كونتن
عدا عشرة دولارات كل شهر) ، ويجمعه في صندوق مخبأ في غرفته.
فتنشأ الفتاة تحت اضطهاد مستمر منه . وفي ليلة ٨ نيسان ١٩٢٨ تسلق
شجرة الاجاص التي تمس فروعها نافذة غرفة جاسن وتكسر الزجاج ،
وتقتحم الغرفة ، وتسرق المال (حوالي ٧ آلاف دولار) وتهرب به

مع عشيق لها من الممثلين في « السيرك » .
وطوال هذه السنين كان بنجي موضع عناية الخدم الزوج مع عطف شديد من دلزي. ولكن كاندس هي التي علق بها المعتوه المسكين على طريقته ، فقد كانت تلاعبه وتحنو عليه . وبعد ان اختفت كان كلما سمع اسمها يبكي وينوح ، وكلما اشم رائحة اوراق الشجر في المطر يتذكرها لانها كرائحة اخته . ويهاجم مرة فناة دون نجاح ، فيطلب جاسن الى أبيه ان يخصيه دون جدوى ، الى ان يموت الاب فيخصى بنجي ، ثم تموت الام ، فيضع جاسن اخاه في مستشفى المجانين (١٩٣٣) ويسرح الخادمة دلزي (وكان يكرهها) وأولادها ، ويبيع الدار لرجل يحولها الى نزل ، ولا يبقى من الاسرة شيء .

٤

هذه هي الحوادث الرئيسية ، ويحسن بالمرء ان يعرفها مقدماً قبل الشروع في الكتاب ، ولا سيما المقطع الأول منه .
فهذا الجزء ، الذي يقصه بنجي المعتوه ، متقطع ، قصير الجمل ، غير بادي الارتباط ، فجائي الانتقال بين فترات الزمن كأنها كلها موجودة آنياً معاً . والحوادث هنا أشبه بلعبة الـ jigsaw ، يضع القارئ اجزاءها في امكتنها ببطء الى ان يفرغ من الجزء فتكتمل الصورة . والقصة هنا لا تنمو بقدر ما تدور على نفسها او تتحرك في خطوط متوازية . فرى كاندس في صباها ، ونرى ابنتها الصبيبة ايضاً ، في نفس الصفحة . ولكن كاندس تحنو على بنجي ، في حين ان ابنتها شرسة تقسو عليه . ونرى جاسن رجلاً كاملاً ، ونراه ولداً ، وهو في كلتا الحالتين شكس مكروه .

بنجي هو الانسان الاول . هو « الهو » في سيكولوجية فرويد . فيه البدائية وفيه البراءة المطلقة . وهو لا يفهم ماذا يجري حوله . انه مجموعة

أحاسيس فقط : بل ان حواس الشم والسمع واللمس قوية جداً هنا . فهو « يسمع السطح » (لان المطر يسقط عليه) ، ويشمّ الليل ، ويريد لمس النار لانه يجب نور اللهب . يقول فوكنر : « ما أحب بنجي الا اشياء ثلاثة : المرعى الذي بيع لارسال كونتن الى هارفرد ودفع نفقات زواج كاندس ، واخته كاندس ، ووهج النار . » وكلما فاح او صرخ ، اعطاه الولد الزنجي زهرة ليحملها فيسكت .

هذه هي الحركة الاولى من السمفونية : قصيرة النغمات ، متقطعة ، تدور وتلتف على نفسها . ولكن جوها مفعم بأصوات الطبيعة وروائحها ، يخفق المطر وتراقص اللهب وبكاء بنجي ، والتجاذب والتناحر بين افراد عائلة تحوّم فوقها اشباح الموت .

فاذا جئنا الى الحركة الثانية، تغيّر الاسلوب ، وتغيّر الجو، وتغيّرت صفة الزمن . فالقاص هنا كونتن يوم ٢ حزيران ١٩١٠ . ويبدأ من ساعة نهوضه بعييد السابعة في غرفته بجامعة هارفرد، ويستمر حتى الثامنة مساء عندما يلقي بنفسه منتحراً في مياه نهر تشارلز . والجمل هنا تبدأ طويلة متداخلة متواصلة ، بعكس المقطع السابق . وكونتن ، وقد عزم على الانتحار ، يشعر بعبث الزمن ، وعبث الساعات التي تدق ثانية ثانية، دون معنى . ولعل فوكنر هنا يفصل قول مكبث :

« ... وكل غد يزحف بهذه الخطى الحقيرة يوماً اثر يوم .

حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب ،

واذا كل آماسينا قد أنارت للحمقى المساكين الطريق الى الموت والتراب » .

واول ما يذكر كونتن هو عن وعيه بآلة الزمن :

« عندما سقط ظل عارضة الشباك على الستائر ، كانت الساعة بين

السابعة والثامنة ، فقد افقت اذن في الوقت المطلوب ثانية ، وأنا أسمع

الساعة . كانت تلك ساعة جدي ، وعندما أهداني اياها أببي قال :

كونتن ، اني أعطيك ضريح الآمال والرغبات كلها . وانه لمن المناسب

ان تستخدمها حتى الالم لتكسب النهاية المنطقية الحمقاء لاختبارات الانسان جميعها ، وهي التي لن تنسجم وحاجاتك الشخصية أكثر مما انسجمت وحاجات جدك أو أبيه . اني اعطيك اياها لا لكي تذكر الزمن ، بل لكي تنساه بين آونة وأخرى ، فلا تنفق كل ما لك من نفس محاولاً ان تقهر الزمن . لأن ما من معركة ربّحها أحد ، قال أبي . لا بل ما من معركة حارب فيها أحد . فالميدان لا يكشف للمرء الا عن حماقته ويأسه، وما النصر الا وهم من أوهم الفلاسفة والمجانين.» ثم يقوم ويكسر عقربي الساعة ، ولكنها تستمر في التكتكة : تحصى الزمن ولا تشير اليه ، في آن واحد . ويضعها في جيبه .

وهذا المقطع ، من أوله إلى نهايته ، يتحرك تحت ظل الساعة . فبينما كان الزمن في مقطع بنجي موجوداً كله آنياً لا ترتيب فيه ، هنا يسمع كوتنن دقات ساعات المدينة ربعاً ربعاً ، وتظل ساعته المكسورة العقربين تدق في جيبه — وقد بطل كل ما فيها من معنى .

والفكرة الملحاح في نفس كوتنن هي كيف ضيعت اخته كاندس بكارتها مع رجل يحتقره ، وكيف انها قبل شهرين تزوجت من رجل آخر غني يكرهه . فيتمنى لو استطاع هو ان يضاجعها لكي يحفظها لنفسه ، فيحفظ الأسرة من التفكك وفساد الدم . وهذا ما يقوله فوكنر في « الملحق » ، ملخصاً بعبارة رائعة شخصية كوتنن المأسوية :

« ما عشق جسد أخته ، بل عشق فكرة ما عن شرف آل كمبسن ، وهو الشرف المحمول مقللاً ومؤقتاً على غشاء بكارتها النحيف الدقيق ، كمن يريد ان يوازن مصغراً للكرة الأرضية الشاسعة على أنف فقمة مدربة . وما عشق فكرة الزنا بالأخت ، وذلك ما لن يقترفه، بل فكرة دينية عن العقاب الأبدي لخطيئة كتلك . وبذلك يستطيع هو ، عوضاً عن الله ، ان يقحم نفسه واخته في الجحيم ، فيحرسها هناك الى الأبد ، ويبقيها سليمة الى الأبد وسط النيران الأزلية . ولكنه عشق الموت أكثر

من أي شيء آخر، ولم يعشق الا الموت . فعشق وعاش متقصداً ومتوقفاً الموت ، كمن يعشق جسد حبيبته الطري الموالي المستسلم ولكنه يحجم عنه متقصداً ، الى ان يعجز عن تحمل المنع لا الاحجام ، فيلقى ويقذف بنفسه ، هاجراً كل شيء ، غارقاً في النهر ... »

ويخرج كوثن من غرفته ويذهب في سيارة نحو بوسطن ، بمحاذاة النهر مدة ، وهو يستذكر ما حدث له ولاخته . والمعجزة الكتابية هنا هي في الطريقة التي يعرض فيها المؤلف أحياناً ثلاث طبقات من الوعي معاً ، ويحمل القارئ ، زمنياً ، جيئة وارتداداً بينها ، ويبقيه دوماً على أكثر من مستوى زمني واحد ، في طفرات تجعل للحدث الآتي متوازيات من الامامي الماضيات تتواشج به عن مغزى أو عبث . فكوثن اذ يتمشى يلقي فتاة ايطالية صغيرة لا تتكلم الانكليزية ، فيشتري لها خبزاً وكعكاً ، ويساعدها في البحث عن بيتها . وفي النهاية يهاجمه أخوها متهماً اياه بمحاولة اختطافها . ولكننا في الوقت عينه نجد أنفسنا داخل ذهن كوثن وهو يتذكر كآلته باخته وغضبه على فسقها بتفصيل مترع بالاحاسيس . وخلال هذه الذكرى نطلع على مشهد آخر عنيف له وهو يحاول معانقة فتاة اسمها ناتالي في الطين والمطر ينهمر . لست أعتقد ان في الادب المعاصر قطعة من « سيل الوعي » كتبت بهذه البراعة وهذا السحر . ولا ريب ان بين هذه الاجزاء الثلاثة ارتباطات خفية من الرغبة والسخرية . اذ يقترن غضبه على اخته وتعلقه بها بشهوته لناتالي، مع كل ما في الطين من رمز الى المصاعب والقذارة . وما يكاد يساعده فتاة صغيرة مساعدة بريئة ، حتى ينصب على رأسه غضب اخيها وقد أخطأ القصد ، بينما لم يخطيء هو القصد في غضبه على عشيق اخته .

وفي خلال هذا المقطع يتبدى لنا رمز قوي آخر هو زهر العسل ، الذي لا يستطيع كوثن ان ينساه (كما لا يستطيع ان ينسى الساعة) ، لانه رمز لكل ما يشتهيه ويكرهه في كاندس . فهناك مشهد يتذكره عن

عن محاولته واخته الانتحار معاً ، واقلاعهما عن ذلك ، ثم محاولته الفاشلة لقتل عشيقها (وتختلط هذه الذكري ، فيما بعد ، بمحاولته ضرب صديق له يلقاه بعد حادثة الفتاة الايطالية) . واجو مشحون بشذا زهر العسل ، ومن اليسير ان نرى انه اضحى رمزاً لكاندس نفسها ١ :

« عندها جعلتُ ابكي ولمسني يدها ثانية وجعلت ابكي ووجهي على قيصها الرطب ثم استلقت على ظهرها وانطلقت نظراتها بمحاذاة رأسي نحو السماء فرأيت مداراً من البياض تحت بؤبؤ عينيها وفتحت سكينتي . أتذكرين يوم ماتت جدتي وجلست انت في الماء بسروالك .

نعم .

ووضعتُ رأس سكينتي على حنجرتها .

لن تستغرق إلا ثانية ثانية فقط ثم اطعن حنجرتي ، اطعن حنجرتي

بعدها .

لا بأس أتستطيع ان تطعن حنجرتك بنفسك .

نعم فالشفرة طويلة لا بد ان بنجني قد نام الآن .

نعم .

لن تستغرق إلا ثانية وسأحاول ألا أوملك .

حسناً .

أغمضي عينيك .

لا اذا وضعتها هكذا عليك ان تضغط بعزم أشد .

المسيها بيدك .

واكنها لم تتحرك وكانت عيناها مفتوحتين باتساع تنظران بمحاذاة

رأسي الى السماء .

كاندس أتذكرين كيف جعلت دلزي تصيح بك لأن ثيابك السفلى

١ - من عادة المؤلف ان يهمل في سرد الذكريات ليوحى بسيولتها وتداخلها بعضها في

بعض ، وهي ظاهرة اسلوبية بارزة في هذه الرواية .

اتسخت بالطين .

لا تبك .

لست ابكي يا كاندس .

ادفعها الا تريد ان تدفعها .

أتريديني ان ادفعها .

نعم ادفعها .

المسيها بيدك

لا تبك مسكين كونتن .

ولكنني لم استطع الكف عن البكاء فأمسكت برأسي عند صدرها
الصلب الرطب وجعلت اسمع قلبها ينبض بثبات وبطء وما عاد يضرب
كالمطرقة والماء يثرثر بين اشجار الصفصاف في الظلام والتوت ذراعي
وكتفي تحتي .

ما هذا ما هذا الذي تفعله .

واجتمعت عضلاتها فجلست منتصباً .

سكيني لقد اسقطتها » .

ويستمر تذكره كيف قاما وحاول ان يمنعها عن الذهاب لمقابلة عشيقها
وهي تطلب اليه ان يعود الى البيت :

« وتساقط زهر العسل في رذاذ لئثر رذاذ واستطعت ان اسمع الزيزان

ترقبنا في دائرة حولنا .. »

واخيراً يعود في اتجاه البيت بين الشجر وهو يسمع الزيزان والضفادع

ولا يستطيع نسيان زهر العسل :

« وركضت على الحشيش الاغبر بين الزيزان ورائحة زهر العسل

تشند وتشند وكذلك رائحة الماء ثم جعلت ارى الماء في لون زهر العسل

الاغبر وارتميت على الضفة ووجهي لصق الارض لكي لا اشم زهر

العسل فلم أشمه ثم بقيت ملقى هناك اشعر بالارض تحترق ثيابي واصغي

الى الماء ... » .

وبعد ان يفرغ من هذه الذكريات ، وهو ما زال يتمشى عودةً نحو الجامعة ، ندرك ان زهر العسل والماء قد أصبحا عنده شيئاً واحداً . ولذلك حالما يرى النهر ثانية يقول :

« هنا رأيت النهر لآخر مرة هذا الصباح ... وجعلت اشعر بوجود مياه وراء الاصيل ، ورائحة . عندما كانت الازهار تتفتح في الربيع ويهيم المطر ينتشر الشدا في كل مكان ... فاذا ما أمطرت السماء بدأت الرائحة بالتسرب الى الدار عند الاصيل، وعند الاصيل اما ان يشد المطر او ان في وهج الاصيل شيئاً يجعل الشدا حينئذ أقوى رائحة الى ان أجدني مستلقياً على فراشي وانا اقول متى ستكف ، متى ستكف . واذا دخل الهواء من الباب حمل رائحة الماء كنفس رطب مستمر . وكنت احياناً انوّم نفسي وانا اعيد واكرر ذلك الى ان اختلط زهر العسل به وأسمى كل ذلك يرمز الى الليل والقلق ... »

وهكذا يختلط زهر العسل والماء وكاندس، فيرمز الواحد الى الآخر . واذا انتحر غرقاً فكانه انتحر بالشدا وبذلك الخطيئة المريعة التي يتصور انه اقترفها . واذا اقترن كل ذلك بغضبه على تزعزع الاسرة وتلويد شرفها ، اضحى انتحاره نهاية محتومة ، لانها تعبر عن تلك النزعات كلها معاً . والى هذا وذاك تبقى الساعة تهذر بالثواني ، ولا تدل على الزمن ، وقد أضحى الزمن عبثاً مؤلماً لم يأت إلا بالموت والانحلال .

٥

وما نكاد نطفر زمناً الى ٦ نيسان ١٩٢٨ ، لنبدأ المقطع الثالث من السمفونية ، حتى يجابهنا جاسن بقوله رأساً : « عاهرة يوماً ، عاهرة كل يوم . هذا ما اقوله انا . » فنعلم اننا مع رجل هو نقيض اخيه كونتن . فاذا كان كونتن هو « الانا الاعلى » الذي تتمثل فيه تقاليد

الاسرة ، فان جاسن هو « الانا » - بأقبح مظاهره . ففيه الغطرسة النامية عن حقد ، وهو الرجل المتكالب على النجاح المادي مهما تطلب ذلك من خسة . فهو يختلس مال امه الواثقة به ، ويسرق النقود التي ترسلها كاندس شهرياً لتربية ابنتها كوتن سبعة عشر عاماً متوالياً . ومجمل ما يتصف به من اخلاق تقليدية هو نغمته على غراميات الفتاة الناشئة كوتن (وهي التي يعنيه بقوله : عاهرة يوماً ...) ، فراقبها سرّاً ويلاحقها « من اجل امي » كما كان يراقب في صباه امها كاندس . ومع هذا فان عشيقته مومس في مفيش . ويتصف جاسن بكل الرياء المعروف عن الذين يخشون على مكانتهم الاجتماعية من « كلام الناس » ، فيرفض مقابلة اخته كاندس في دكانه علناً ، لأن سيرتها قد ساءت ، ولكنه يقاضيهامئة دولار ليريمها ابنتها الصغيرة دقيقة واحدة ! وهو سادي ، يصرّ على خصي اخيه المعتوه (لأن المسكين تطاول على فتاة دون وعي بما يفعل) ، الى ان يخصيه فعلاً ثم يضعه في مستشفى للمجانين ، رغم انه لا يؤذي أحداً ويجد سلوى بمرافقة الخدم الزوج . ويطلب جاسن الى امه بأن تأذن له بجلد الفتاة كوتن . وللحقارة التي في نفسه يحقد على الخدم الزوج الابرياء . وقد حصل مرة على تذكريتين للسيرك الذي قدم الى بلدة جفرسن ، ولكنه لم يستطع الذهاب . وكان الخادم الصبي « لستر » طيلة اليوم يترجى هذا وذاك للحصول على ثمن تذكرة للذهاب الى السيرك . ولكن جاسن يحرق أمام الصبي كلتا التذكريتين واحدة واحدة ، ولا يعطيه احدهما رغم توسلانه ...

فجاسن يمثل قوى التصدع الناشئة عن الاسرة العريقة نفسها . كما تمثلها كاندس في شكل آخر بانطلاقها الجنسي ، وكما يمثلها الاب بتهربه من الواقع ، وكوتن بعشقه للموت . ولكن ليس من الصعب ان نحكم من هو الذي قد بلغ الخضيض بالفعل !
والزمن عنصر هام من عناصر هذا المقطع أيضاً . ولكنه هو الآخر

يختلف عن الزمن عند كونتن أو عند بنجي . فالزمن عند جاسن هو زمن التقويم (الرزنامة) : هو تواريخ الدفع والقبض، ولا تدق الساعة الا لتدل على أوقات الاكل ، وفتح الدكان او اغلاقها . فالزمن عنده هو الزمن كما يعرفه التاجر ، ولا مغزى آخر له البتة . بل ان كل شيء عند جاسن لا قيمة له الا من ناحية الربح او الخسارة . فهو مغضب على انتحار كونتن لأنه انتحر بعد ان بيعت قطعة الأرض لدفع نفقات تعليمه في هارفرد ، وبالتالي لم يستطع هو (جاسن) ان يدرس في جامعة . وعندما يموت ابوه ويدفن يلاحظ ان اخته (وقد جاءت لتحضر دفن أبيها محجة لثلاثينيتها أهل البلدة) قد احضرت كمية كبيرة من الزهور ، وللحال ، يقول « انها تساوي خمسين دولاراً » .

ولذلك فمن المناسب ان تكون الحادثة المركزية التي تتفرع عنها الحوادث الاخرى والذكريات (وأغلبها يشير الى الحوادث التي عرفناها) ، هي الاختلاس : كيف يتسلم جاسن صكاً من كاندس ، بمبلغ مئتي دولار لينفقها على الفتاة كونتن ، وكيف جاءته كونتن الى الدكان تطالبه بشيء من النقود ، فيدعي انه لم يتسلم من امها إلا عشرة دولارات يعطيها اياها، فتشتمه لأنها لا تصدقه . ثم يراها بعد الظهر مع احد ممثلي السيرك في سيارة، فيلحق بها في سيارته ولكنه يفقد أثرها . وبعد سحب الفلوس يزور صكاً بنفس المبلغ ويأخذه الى امه ، وهذه — وهي السيدة الشريفة التي تتألم لسوء سيرة ابنتها كاندس — ترفض ان تصرف على حفيدتها اجور الفحشاء ، ويتظاهر جاسن بالموافقة (كما يفعل كل شهر) ويحضر لها معولاً تحرق فيه الصك المزور ارضاء لضميرها ! وينتهي المقطع في الليل بدخول جاسن غرفته التي يقفل بابها بحيطه شديدة ، ويخرج الصندوق المخبأ الذي يجمع فيه الدولارات المسروقة ، فيعدها ثانية ، ثم يعيدها الى مكانها ، وهو يردد « عاهرة يوماً ، عاهرة كل يوم » ويمتني نفسه بأنه سيزر يهود نيويورك كلهم في الحصافة المالية .

ويتبدل الاسلوب في الحال حين تبدأ الحركة الرابعة من الكتاب بصباح اليوم الثامن من نيسان - فكل مقطع يبدأ صباحاً وينتهي مساء - ويقصها المؤلف ، فنسمع صوته لأول مرة : « طلع الفجر قاحلاً قارس البرد ... » ويصف لنا طلوعه على الخادمة الزنجية دلزي ، وهي التي نشاهدها في المقاطع السابقة تعمل باستمرار على راحة كل فرد في الاسرة ، تعرفهم جميعاً خيراً مما يعرف بعضهم بعضاً وتحنو عليهم بعطف رؤوم - ولا سيما المستضعفين منهم .

وفي الفقرات الاولى يصفها المؤلف : يصف وقفاتها وثيابها وهي تفتح الباب ، ثم يأتي الى جسمها فيجعل منها ما يشبه القديسة في هذا الوصف الذي يجمع بين الدقة والشاعرية :

« كانت امرأة ضخمة فيما مضى ، ولكن هيكلها الآن ينتصب ، يكسوه إهاب واسع غير محشو ، يشتد ثنائية عند بطنها ... كأن العضل ولفائف اللحم كانت يوماً شجاعة او جليداً اتت عليها الايام والسنون ، حتى لم يبق إلا الهيكل العظمي الذي لا يقهر ، منتصباً كالخرائب او المعالم فوق الاحشاء الوسنة التي لا تشق ، ويعلو جميع ذلك وجه متداع يوحى للرائي بأن عظامه خارج اللحم ، يرتفع امام النهار المنذع بتعبير في القسما ت قدرى . »

فدلزي تختلف عن الآخرين لأنها مثال التحمل والصبر والعطف ، وإذا كانت الاسرة في طريقها الى الانحلال والاضمحلال فإن الزنوج - وهم ليسوا إلا خداماً - هم الذين يبقون و«يجالدون» . ما أشد الفرق بين دلزي وبين سيدتها « مسز كمبس » - تلك السيدة العلية ابداء ، المصرة ابداء على أنها من كرام القوم ، وقطعة القماش المخضلة بالكافور دوماً على جبينها تلطف عنها الألم .

لعل هذا المقطع ما وجد إلا من اجل دلزي . الا ان الحادثة المهمة هنا هي اكتشاف جاسن ان الفتاة كونتن قد تسلفت شجرة الاجاص

ودخلت منها الى غرفته بعد ان كسرت زجاج النافذة ، وسرقت (أو استردت) مالها ، وهربت مع ممثل السيرك . فيجن جاسن ، ويخرج للبحث عن كونتن ويبدو انه سيقتلها اذا وجدها . ولكنه لا يعثر لها على اثر (ولا نعرف شيئاً عنها بعد ذلك) ، بل انه لحقه يتعدى على جزار بريء اثناء البحث، فيكاد هذا يقتله لو لم ينقذه بعض الواقفين هناك. اما دلزي فانها في الصباح الباكر ، قبل الذهاب الى الكنيسة، تقبع في المطبخ وقد سمعت ضوضاء جاسن عندما اكتشف امر كونتن . واذا المؤلف يذكرنا بالزمن مرة أخرى :

« وراحت الساعة تدق ، تك تك ، تك تك ، في وقار وعمق ، كأن ذلك نبض البيت المتداعي نفسه ... فأخذ بنجني يثن ... »
وبعد ذلك تذهب الى كنيسة الزنوج وتأخذ معها ابنها وبنجي، لتسمع الموعدة ، واليوم هو أحد العيد الكبير ، يوم بعث المسيح . وهناك ، وقد هزت مشاعرها كلمات الواعظ الرهيبة عن الموت والقيامة، «تدحرجت دمعتان على خديها المهدمين، وهما تدخلان وتخرجان من ملاين التجاعيد، تجاعيد التضحية ونكران الذات والزمن...».

ويفرغ الواعظ من خطبته ، وتخرج دلزي من الكنيسة برفقة بنجي وابنها « فروني » :

« لم تنبس دلزي بشيء ، ولم يرتعش وجهها والدموع تجري في مجاريها الهابطة الملتوية ، ومشيت مرفوعة الرأس دون ان تحاول مسح دموعها .

فقال فروني : « لماذا لا تكفين عن ذلك يا اماء ، وهؤلاء الناس يرقبوننا ؟ وبعد لحظات سنمر بالقوم البيض . »

فقالت دلزي : « لقد رأيت البداية والنهاية . لا عليك . »

— اية بداية-واية نهاية ؟

فقالت دلزي : « لا عليك . لقد رأيت البداية ، وها انا الآن

ارى النهاية . »

واذ يصرخ بنجي وينوح من جديد حين يبلغون البيت ، تحض دلزي ابنها على أخذه في عربة الى المقبرة ليشاهد قبر اخيه المنتحر . فيفعل ابنها ذلك ويعطيه زهرة ليحملها فيهدأ . ولكن جاسن يرى العربة في ميدان المدينة - وقد عاد خائباً من بحثه عن الفتاة الآبقة - فيستشيط غضباً ، ويوقف العربة ، ويصفع الصبي ويلطم بنجي ، ويأمرهما بالعودة الى البيت ، فيعودان وبنجي ينوح والزهرة مبتورة الساق في يده من لطمة اخيه .

ويتردد في الذهن صدى كلمات دلزي بعد الذي شاهدته من صخب وعنف في بيت آل كمبسن، وكأنها كلمات الكورس في المآسي الاغريقية :
« لقد رأيت البداية والنهاية . »

جبرا ابراهيم جبرا

مرحلتان

١

لما كان اهم ما يشغل فوكنر في هذه الرواية ، من حيث الطريقة ، هو سرد الاحداث على عدة مستويات من الزمن والوعي ، فقد لجأ الى بضع وسائل طباعية تسعفه في أدائه المعقد . ونود هنا ان نلقت النظر الى اثنتين منها ، لكي نيسر على القارئ الدخول في جو الكتاب .

أما الوسيلة الاولى ، وهي بارزة جداً ، فهي استعمال الحرف المائل (*italics*) باللغة الانجليزية ، كلما تحول السرد فجأة ، ولو كان ذلك في وسط الجملة ، من الحاضر الى الماضي ، او من الماضي الى ما قبله ، او من القول الواعي الى القول اللاواعي ، او من الحدث الجاري الى الحدث المتذكر . وفي الترجمة جعلنا الحرف الاسود يقوم مقام الحرف المائل في الاصل .

ويستخدم هذا الحرف ايضاً كفاصل بين الفكرة والفكرة اثناء التداعي ، ولا سيما في المقطع الاول ، حيث تتوالى الحوادث والافكار والاقوال وتتراكم بما يشبه حبات العقد المنشور ، على غير نظام ظاهر . ولكن الذي ينظمها كلها اخيراً هو سيطرة المؤلف على طريقته في تصوير الزمن

وانصياح الكيان الانساني له .

أما الوسيلة الثانية ، فهي استعمال الترقيم او اهماله ، وفق حاجة المؤلف . فكلما انتقل الفعل من الحدث المباشر في سير القصة الى الحدث المستذكر الذي اصبح انسياً ذهنياً (بعد ان كان تسلسلاً جسدياً) ، انعدم الترقيم ، لان الترقيم يوحى بالفواصل المنطقية، وفي الذكرى - كما يريد المؤلف هنا - تتداخل الافعال والاقوال دونما فاصل او ناظم منطقي . ورغم ان المترجم لا يود فضح البواطن كلها التي في هذه الرواية ، لكي يتيح للقارئ لذة الخوض فيها واستكشافها على طريقته، فانه يود بوجه خاص ان يلفت النظر الى الحوار المستذكر ، في أواخر المقطع الثاني ، بين كونن وابيه وطريقة المؤلف في عرضه باستعمال ما يشبه الملاحظات التي قد يدونها المرء في دفتر مذكراته : هو : ، انا : ، ولكن دون ترقيم ومع اضافة مستمرة لحرف العطف توكيداً على الانسياح الذهني :

وهو وأنا وهلم جرا .

٢

قد تلبس اسماء افراد اسرة كمبسن على القارئ العربي . ولذا فاننا ندرجها فيما يلي ايضاحاً لما قد يبدو فيها من تعقيد الاصل الذي حافظنا عليه في الترجمة .

جاسن (او السيد كمبسن) : الاب . وكذلك الابن الثاني

كونن : الابن الاكبر . وكذلك ابنة

اخته . وقد سميت باسمه لانها ولدت بُعِيد انتحاره .

كاندس (او كادي) : اخت كونن، لا يسميها باسمها

الكامل الا امها . اما الآخرون

فيسمونها بمصغرّ التحب من
اسمها : كادي .

بنجامين :

سمي في الاصل «موري» ، باسم
خاله ، غير أنه دعي بـ «بنجامين»
عندما ادرکوا انه معتوه . لا
تسميه باسمه هذا الا امّه . أما
الآخرون فاما ان يسمّوه بمصغرّ
التحب : بنجي (وكل الذين
يعطفون عليه يدعونه كذلك) ،
أو بمصغرّ آخر هو اقتضاب
بنجامين : « بن » . وأخوه
جاسن والمؤلف يدعوانه بهذا
الاسم المقتضب .

كارولايين :

الأم . وهي بالطبع المسز كمبس .
وقد آثرنا ابقاء الاسم الاخير
على صيغته الاصلية عوضاً عن
ترجمته الى « السيدة كمبس » .

ج . ١٠ ج

ماحق

كمبسن

١٦٩٩ - ١٩٤٥

ايكيموتب : ملك امريكي مسلوب ، سماه أخوه بالتبني ، احد فرسان فرنسا ، « لوم » l'Homme (ويدعى احياناً « دي لوم ») ، ولو لم يولد متأخراً لكان من ألمع تلك الكوكبة للألاءة من الاوغاد الفوارس الذين كانوا قادة جيوش نابوليون ، وقد ترجم اللقب من لغة الشيكاسو * ، ومعناه « الرجل » ، وهذه الترجمة خطأ بها ايكيموتب ، وهو نفسه من ذوي النكتة والخيال والحنكة في الحكم على الخلق الشخصي بما ذلك خلقه هو ، فجعلها بالانجليزية « دوم » Doom (القضاء المحتوم) . وقد وهب من اراضيه الفسيحة السليبة ميلاً مربعاً كاملاً من تربة شمال المسيسي العذراء ، زواياه كزوايا مائدة القمار (وكانت أشد مشجرة اذ كانت تلك ايام ما قبل ١٨٣٣ حين تهاوت النجوم ، وجفرسن مسيسي لا تعدو كونها بناء طويلاً واحداً من الاحطاب يمتد

* احدى قبائل الهنود الحمر . (المترجم)

دونما خطة بطابقه الأوحد وجدرانها المربعة الصدوع بالطين يسكن فيها
الوكيل الشيكاسو وبها مخزنه التجاري البسيط) وهبه حفيد أحد اللاجئين
الاسكوتلنديين ، وكان هذا اللاجيء قد فقد ميراثه لمؤازرته ملكاً كان
هو بدوره قد مُخلع وُسلب . وهذا لقاء بعض الحق في المسير بأمان ،
بالوسيلة التي يرتأها هو وقومه ، مترجلين او راكبين شريطة ان تكون
الخيول من الشيكاسو ، نحو القلوات الغربية التي ستدعى بعد ذلك
او كلاهما : دون ان يعلم احد حينئذ شيئاً عن النفط .

جاكسن : من كبار الآباء البيض ، يتقلد سيفاً . (مبارز قديم ،
ضرغام ، شرس ، أشعث ، قديد ، كثير الشجار ، طويل البقاء ، لا يفنى ، وضع
مصلحة الأمة فوق البيت الأبيض وجعل صالح حزبه الجديد فوق كليهما ،
وجعل فوقها جميعاً ، لا شرف زوجته ، بل مبدأ ضرورة الدفاع عن
الشرف سواء أتمّ الدفاع عنه او لم يتم ، لان الدفاع عنه تمّ سواء اكان
ام لم يكن .) وقد دوّن الهبة وختمها ووقعها بيده في خيمته الذهبية
في « واسي تاون » ، دون ان يعلم شيئاً عن النفط ايضاً : لكي يظهر
المشرّدون من احفاد هذا المسلوب يوماً راكبين ، وقد استلقوا على
ظهورهم من السكر في روعة من البحران ، فوق مثنى عظامهم الترابي ،
في عربات جنائزية وسيارات اطفائية حمراء اللون صنعت خصيصاً .

هؤلاء كانوا من آل كمبسن :

كونتن مكلانحن : ابن طبّاع من اهل غلاسجو ، تيمّ فربّاه اهل
أمه في جبال بيرث . هرب من « كلودن مور » الى « كارولينا »
وهو لا يملك الا سيفاً وعباءة اسكوتلندية يرتديها في النهار ويلتحفها في
الليل . في الثمانين من عمره ، وبعد ان حارب مرة ملكاً انجليزياً وخرج
من الحرب خاسراً ، رفض ان يلدغ من جحر مرتين فهرب ثانية في
احدى ليالي عام ١٧٧٩ حاملاً معه حفيده الطفل وعباءته (اما السيف
فكان قد اختفى كما اختفى معه ابنه — أبو حفيده — من احد فيالق تارلتون

في احدى ساحات القتال في جورجيا قبل ذلك بسنة) لاجئاً الى كنتاكي ، حيث كان جار له يدعى « بون » قد انشأ مستعمرة .

شارل ستيفارت : هُدر دمه وحجزت املاكه اسماً ورتبةً في فيلقه البريطاني . وفي احد مستنقعات جورجيا هجره جيشه المترجع ظناً منه بأنه قد مات ، وهجره كذلك الجيش الامريكي الزاحف ، وكان كلا الجيشين مخطئاً . فقد كان لما يزل يحمل سيفه الاسكوتلاندي حتى عندما راح يسير على ساقه الخشبية التي صنعها بنفسه الى ان لحق بأبيه وابنه بعد ذلك باربعة سنوات في هروودسبرغ ، كنتاكي ، وسرعان ما دفن اباه وبدأ عهداً من حياته كان فيه شخصية مفصومة وهو يحاول ان يكون المعلم الذي حسب انه يريد ان يكونه ، الى ان تخلّى عن التعليم في النهاية وأصبح المقامر الذي كانه في الواقع ، والذي كانه كل فرد من آل كمبسن دون ان يعوا ، شريطة ان تكون فاتحة اللعب رهيبة وامكانية الحسran كبيرة . أفلح اخيراً في المجازفة لا بحياته فحسب بل بضمأن عائلته وكرامة الاسم الذي سيخلفه لأحفاده ، بانخراطه في الاتحاد الذي رئسه رجل من معارفه يدعى ولكنسن (الذي امتاز بالكثير من الموهبة والنفوذ والعقل والسطوة) والذي اعد مؤامرة لفصل وادي المسيسي بمرمته عن الولايات المتحدة لربطه باسبانيا . فر عندما انفجرت الفقاعة (التي كان الكل يعلم انها ستنفجر فيما عدا معلماً من آل كمبسن) ، وكان فريداً في كونه المتآمر الوحيد الذي اضطر الى الفرار من بلده : وذلك لا هرباً من انتقام وقصاص الحكومة التي حاول تمزيقها ، بل هرباً من الاشمزاز العنيف الذي اعترى رفاقه الاتحاديين الذين أُجئوا في طلب السلامة . وهو لم يُطرد من الولايات المتحدة ، بل ما جرّده من الوطن الا لسانه ، فلم يكن طرده نتيجة للخيانة بل لكثرة ما تشدق بشأنها ، حارقاً وراءه كل جسر كلاماً قبل ان يبلغ مكاناً يبني فيه جسره التالي : ولذا لم يكن الحاكم العسكري او حتى السلطة المدنية ، بل شركاؤه في المؤامرة

هم الذين شرعوا بحركة للقذف به من كنتاكي والولايات المتحدة ، بل والعالم كله ، هذا لو هم افلحوا في إلقاء القبض عليه . وقد هرب ليلاً ، طبقاً للتقليد العائلي ، وهو يحمل ابنه وسيفه القديم وعباءته الاسكوتلندية .

جاسن ليكورغس : هو الذي مضى مندفعاً — ربما — باسمه الرنان الذي أطلقه عليه ابوه الجريء الساخر المتمرر الخشبي الساق والذي قد يكون ما زال يعتقد في دخيلته ان ما ينشده هو ان يكون معلماً للكلاسيكيات ، قاصداً « ناثن تريس » في احدى ايام ١٨١١ بزواج من المسدسات الجميلة وُخرج ضامر على فرس نحيلة الخصر ولكنها متينة الكواحل استطاعت ان تقطع اول شوطين (١) في اقل من نصف دقيقة ولم تقل سرعتها عن ذلك كثيراً في الشوطين الثانيين ، وهذا كل ما هنالك . غير انه كان كافياً . وهو الذي بلغ وكالة الشيكاسو في اوكاتوبا (وكانت عام ١٨٦٠ ما تزال تدعى « جفرسن القديمة ») ولم يتخط ذلك . وفي مدى ستة اشهر غدا كاتباً لدى صاحب الوكالة ، وفي مدى اثني عشر شهراً غدا شريكاً له ، فكان هو الكاتب رسمياً الا انه في الواقع صاحب نصف ما اضحى دكاناً كبيراً مزدهراً بارباح الفرس في سباقاتها مع خيل فتيان ايكيموتب التي كان سليل كمبسن يعنى بجعلها لا تتعدى ربع ميل او ثلاثة اشواط على الاكثر ؛ وفي العام التالي كان ايكيموتب هو صاحب الفرس الصغيرة وغدا جاسن كمبسن صاحب الميل المربع الكامل من الارض التي يقدر لها ان تحتل يوماً القلب من مدينة جفرسن ، وكانت آنئذ مشجرة كما بقيت مشجرة بعد ذلك بعشرين سنة وان تكن قد تحولت فغدت بستاناً اكثر منها غابة ، بما فيها من مساكن العبيد والاسطبلات وحدائق المطابخ والمروج الصغيرة المهندسة والماشي والسقائف التي خططها ذلك المعاري نفسه الذي بنى البيت بمدخله المعمد وأثاثه

١ - الشوط هنا $\frac{1}{8}$ ميل . (المترجم)

الذي أُجلب بالمركب البخاري من فرنسا ونيو اورلينز ، والميل المربع غير المنقوص عام ١٨٤٠ وقد اخذت تحيط به لا القرية البيضاء الصغيرة المسماة جفرسن فحسب بل ناحية بيضاء بكاملها، اذ ان احفاد ايكيموتب وقومه كانوا في مدى بضعة سنوات قد زالوا ، وما عاد من تبقى منهم يعيش على الحرب والصيد بل طفقوا يعيشون كالقوم البيض - مزارعين كسالى او متسكعين ، هنا وهناك ، ومالكين لما جعلوا هم ايضاً يسمونه بالمزارع يملكون فيها عبيداً كسالى ، ويزيدون على البيض بعض الشيء قذارة وكسلا وقسوة - حتى كاد الدم الأهوج نفسه يتلاشى في النهاية ، فلا يُرى الا نادراً في شكل أنف لوجه زنجي يركب عربة قطن ، او وجه عامل ابيض من عمال مناشر الخطب ، او صياد ، او موقد نار في قاطرة) ، وقد كان اذ ذلك يعرف بـ « مُملك آل كمبسن » ، اذ اضحي مكاناً لاثقاً لنسل الامراء والساسة والقادة العسكريين والأساقفة ، انتقاماً لآل كمبسن الذين فسدوا كل ما كانوا يملكون في كلودن وكارولينا وكنتاكي ، ثم عرف بعد ذلك بدار الحاکم ، لانه مع مرور الزمن انسل حاكماً بالفعل - دعي ايضاً باسم جده النازح من كاودن كوتنن مكلانن - وبقي يعرف بقصر الحاكم القديم حتى بعد ان أنسل (عام ١٨٦١) جنرالاً - (وقد سماه بذلك كل من في البلدة والناحية باتفاق مسبق ، كأنهم كانوا يعلمون مسبقاً ان الحاكم القديم هو آخر رجل من سلالة كمبسن لن يخفق في شيء ينشده سوى طول العمر او الانتحار) - هو البريغادير جاسن ليكورغس الثاني ، الذي اخفق في شيلوح عام ٦٢ ، واخفق ثانية بصورة اخف في رساكا عام ٦٤ ، والذي رهن الميل المربع ، الذي ما زال غير منقوص ، لأول مرة لدى تاجر متجول من « نيو انجلاند » عام ٦٦ ، بعد ان احرق الجنرال الاتحادى سميث البلدة القديمة واقامت البلدة الجديدة ، التي سيعمرها على مر الزمن اغلبية من احفاد سنوبس لا كمبسن ، تفتت عليها ثم تقضم

المزيد من اجزائها اذ قضى البريغادير الفاشل السنين الاربعين التالية وهو يبيع اجزاء منها ليُبقي الرهن على ما تبقى منها . الى ان جاء يوم في عام ١٩٠٠ توفاه الله وهو في سرير عسكري في نعيم للقنص وصيد الاسماك عند أسافل نهر تالاهاتشي حيث امضى معظم ايامه الاخيرة .

والآن غدا كل شيء - حتى الحاكم القديم - منسيا ؛ وما تبقى من المبل المربع القديم صار يعرف «مكان كمبسن» لا غير - حيث اختنقت بالاعشاب آثار المروج والمماشي المتهافة ، وحالت ألوان البيت من زمن بعيد واخذت أعمدة مدخله تتفّلع وتتقشّر حيث كان جاسن الثالث (الذي هُييء للمحامة وكان له بالفعل مكتب في الطابق العلوي يطل على « الميدان » وقد دفنت في اضابيره المغبرة عدة من اقدم اسماء الناحية - هولستن وستين - ، وغرينير وبوشام وكولدفيلد - وهي تحول سنة بعد اخرى في متاهات لا قرار لها من الاوراق والوثائق : ومن يدري اي حلم كان يساور قلب ابيه الازلي ، وقد اكمل ثالث تجسّداته الثلاثة - اولها تجسّده ابنا لسياسي شهيم لامع ، وثانيها تجسّده قائد معركة لفئة من كرام الشجعان ، وثالثها تجسّده رجلاً محظوظاً اشبه بمزيج من دانيال بون وروبنصن كروزو ، رجلاً لم يعد الى مراهقته لانه في الواقع ما تخطاها قط - من ان مكتب المحامة ذاك قد يصبح ثانية غرفة الانتظار المؤدية الى قصر الحاكم والأبهة القديمة) يجلس طوال النهار وبين يديه زجاجة وسكي ونثار من كتب هوراس وفيه وكتاتس بصفحاتها المطوية الزوايا ، ويؤلف (فيما زعموا) مدائح ستيرية لاذعة عن الاموات والاحياء من بني بلده ، وهو الذي باع البقية الاخيرة من ارضه ، فيما عدا القطعة التي حوت البيت والحديقة الخلفية والاسطبلات المتداعية وبيت خدم واحداً تقيم فيه عائلة دلري ، لناد للغولف لقاء مبلغ دفع نقداً لكي يهيء زفافاً جميلاً لابنته كاندس في شهر نيسان وييسّر لابنه كونتن اتمام سنة واحدة في جامعة هارفرد ينتحر بعدها في حزيران

اللاحق عام ١٩١٠ ، وصار يعرف باسم مكان كمبسن القديم وآل كمبسن ما زالوا مقيمين فيه حتى عشية ذلك اليوم من ربيع عام ١٩٢٨ عندما قامت حفيدة حفيد حفيد الحاكم القديم ، وهي فتاة ضالة ذات مصير محتوم في السابعة عشرة من عمرها بسلب آخر من آخر قريب ذكر عاقل تبقى لها (عمها جاسن الرابع) ، إذ سرقت خزينته السرية وانزلت نازلة على احد مزاريب البيت لتهرب مع عامل في سيرك متنقل ، وظلّ المكان يعرف باسم مكان كمبسن القديم بعد ان اختفت عنه آخر آثار آل كمبسن كلية عمدة طويلة : بعد ان ماتت الأم المترملة وادع جاسن الرابع ، اذ ما عاد يخشى دلزي ، اخاه المعتوه بنجامين في مستشفى مجاذيب الولاية في جاكسن وباع البيت لقرويّ حوّله الى "نزل" يؤمّه المحلّفون وباعة الخيل والبغال ، وبقي يعرف باسم مكان كمبسن القديم حتى بعد ان تلاشى النزل (وتلاه ملعب الغولف ايضاً) وعاد الميل المربع القديم كاملاً غير منقوص ثانية حين تحول الى صف تلو صف من منازل صغيرة قيّمة نصف مدنية هزيلة البناء مكتظة بمن فيها لكل منها مالك خاص .

وهؤلاء :

كونتن الثالث : الذي ما عشق جسد اخته ، بل عشق فكرة ما عن شرف آل كمبسن وهو الشرف المحمول (وما أعلمه بذلك !) مقلّقلًا ومؤقتًا على غشاء بكارتها النحيف الدقيق ، كمن يريد ان يوازن مصغراً للكرة الارضية الشاسعة على أنف فقمة مدربة . وهو الذي ما عشق فكرة الزنى بالأخت ، فذلك امر لا يقترفه ابداً ، بل تعشق فكرة « برسبتيرية » عن العقاب الأبدي لخطيئة كتلك . وبذلك يستطيع هو ، عوضاً عن الله ، ان يقحم نفسه وأخته في الجحيم ، فيحرسها هناك الى الأبد ، ويبقيها سليمة الى الابد وسط النيران الازلية . ولكنه عشق الموت ولم يعشق الا الموت اكثر من اي شيء آخر ، فعشق وعاش متقصداً

ومتوقفاً الموت ، كمن يعيش جسد حبيبته الطري الموالى المستسلم ولكن يحجم عنه مقتصداً ، الى ان يعجز عن تحمل المنع لا الإحجام ، فيلقي بنفسه ، هاجراً كل شيء ، غارقاً في النهر . لقد انتحر في كمبردج ماساشوستس ، في حزيران ١٩١٠ ، بعد زفاف اخته بشهرين ، منتظراً أولاً اتمام سنته الدراسية لكي يكون قد جنى كامل قيمة ما دفع مقدماً من رسوم لا لأنه كان يحمل طيَّ إهابه اجداده القدامى الذين عاشوا في كلودن وكارولينا وكنتاكي ، بل لأن القطعة المتبقية من ميل كمبسن القديم التي بيعت لسداد نفقات زفاف اخته ودراسته سنة في هارفرد كانت الشيء الوحيد الذي كان له ، باستثناء اخته تلك ومشهد النار في موقد عريض كان اخوه الأصغر المعتوه منذ الولادة يحبه .

كاندس (كادي) : مصيرها محتوم وهي تعلم ذلك ، وقد قبلت بقضائها المحتوم دون أن تبحث عنه او تفر منه . أحبت أخاها رغماً عنه ، ولم تحبه لشخصه فحسب ، بل أحبت فيه ذلك النبيّ المرير والحَكَم الذي لا تشيه قوة أو رشوة عن حكمه على ما كان يعتبره شرف الأسرة وقضاءها المحتوم ، إذ حسب انه يحب فيها - وهو في الواقع يمقت - ما يعده وعاءً واهياً مقصياً عليه بحمل كبرياء الاسرة واداة تلوث ستجلب عليها العار . وليس هذا فحسب ، فقد أحبته لا بالرغم من عجزه عن الحب بل بدافع ذلك العجز ، مقتنعة بأنه يقدر فوق كل شيء لا جسدها بل البكارة التي جُعِلت في عهدها والتي لم تعلق هي عليها اية قيمة : تلك الشئناجة اللحمية الواهية التي لم تكن في نظرها اكثر قيمة من زائدة معدنية علمت بمسار . كانت تعلم ان أخاها أحب الموت اكثر من اي شيء آخر ولم تتغير ، بل ما كانت لتعبأ لو هي ناولته السم الرمزي (ولعلها بقصدها واصرارها على الزواج انما فعلت ذلك) . كانت حاملاً لشهرين من رجل آخر ، وسمت الجنين ذكراً كان ام انثى ، « كوتن » باسم أخيها الذي كانت تعلم (مثلاً يعلم هو) بأنه لا يفترق عن

الميت بشيء، عندما تزوجت (١٩١٠) شاباً مقبولاً جداً من اهل انديانا التقت مع أمها به في عطلة لها صيف العام السابق في « فرنش ليك ». طلقها ١٩١١ . تزوجت ١٩٢٠ من منتج سينائي صغير ، هوليوود كاليفورنيا . طلقها باتفاق بينهما في المكسيك ١٩٢٥ . اختفت في باريس ايام الاحتلال الالماني ١٩٤٠ ، وهي ما زالت جميلة ، ولعلها كانت ثرية ايضاً ، اذ كانت تبدو أصغر من عمرها الحقيقي ، وهو الثامن والأربعون ، خمس عشرة سنة ، ولم يسمع أحد عنها شيئاً بعد ذلك . ولكن كانت ثمة امرأة في جفرسن ، أمينة مكتبة الناحية ، وهي امرأة في حجم الفأر ولونه لم تتزوج قط، درست في مدارس البلدة في الصف نفسه الذي درست فيه كاندس كمبسن ثم قضت بقية حياتها وهي تحاول ان تمنع كتباً مثل « عنبر الى الأبد » بتجسدهاته المتلاحقة الرتيبة و«جيرغن» و «طوم جونز» من الوقوع في أيدي تلاميذ المدارس الثانوية الذين كانوا يطالونها دون عناء من رفوفها الخلفية حيث كانت هي مضطرة الى الصعود على صندوق لكي تحفيها عنهم . في أحد أيام ١٩٤٣ ، بعد اسبوع من الخبال يقارب التفتت والانهار كان الناس فيه كلما دخلوا المكتبة يرونها دائماً وهي تسرع في اغلاق درجها ثم تدبر المفتاح فيه (حتى باتت ربات الأسر من زوجات المصرفيين والاطباء والمحامين ، وقد درس بعضهن في صفها أيام الدراسة الثانوية ، فكن يجئن ويذهبن عصر كل يوم ومعهن نسخ من « عنبر الى الابد » وكتب « ثورن سميث » ملفوفة بحذر في جرائد ممفيس وجاكسن لئلا يراها أحد، يعتقدن أنها على شفا المرض وربما فقدان العقل) . اغلقت باب المكتبة وأقفلته في منتصف العصر ، وقد شدت على حقيبة يدها تحت إبطها وفي خديها ، العديمي اللون عادة ، بقعتان محمومتان من التصميم ، وذهبت إلى دكان تجهيزات المزارعين حيث كان جاسن الرابع قد بدأ كاتباً وهو الآن صاحب المحل بصفته تاجراً للقطن ، واستمرت في خطوها خلال ذلك

الكهف العتيم الذي لا يدخله إلا الرجال - وهو كهف تزدهم على أرضه وجدرانہ وتندلى من سقفه المحارث والأقراص وأطواق السلاسل والمذاوي واللحم المقدد والأرسان والأحذية الرخيصة والدقيق والدبس ، وهو عتيم لأن ما يحتويه من بضائع لم يكن يعرض بل يحجب ، لأن الذين يجهزون فلاحي المسيسي ، أو الزوج منهم على الأقل ، لقاء سهم في الغلال كانوا يرفضون ، الى ان يحين وقت جمع الغلال وتقدير قيمتها ، أن يروهم ما قد يذكرهم بحاجاتهم ، فيجهزونهم لقاء الطلب المعين بما لا بد لهم من احتياجه - وقد اخذت أمينة المكتبة طريقها إلى مملكة جاسن الخاصة به في المؤخرة: وهي حظيرة مسيجة مكتظة بالرفوف والفتحات المرقمة المليئة بايصالات الحلج ودفاتر الحساب، ونماذج القطن المكسوة بالغبار والندف والخيوط تفوح منها رائحة هي مزيج من الجبن والنفط ودهان عدة الخيل والموقد الحديدي الضخم الذي ظل لمئة سنة خلت هدفاً لتافلي التبغ الممضوغ. وتقدمت من الحاجز العالي المنحدر الذي يقف وراءه جاسن ، وبغير أن تنظر ثانية الى الرجال المرتدين ثياب العمل الذين توقفوا بهدوء عن الكلام بل حتى عن المضغ ، دخولها ، وفي شيء من إغماء اليأس فتحت حقيبتها وأخرجت منها شيئاً وضعته منشوراً على الحاجز ووقفت راجفة لاهثة . اذراح جاسن يحدق به - صورة ، صورة فوتوغرافية ملونة يظهر أنها قُصت من مجلة سيارة - صورة تفيض ترفاً وثراءً وضياءً شمس - في خلفيتها مشهد كانبييري من الجبال والنخيل والسرو والبحر ، وسيارة رياضية مكشوفة قوية ثمينة تتألا بالكُروم، ووجه المرأة الحاسرة الرأس مؤطر بإيشارب ثمين ومعطف من جلد الفقمة ، وجه جميل لا يُعرف له عمر ، قرير رخي كتبت عليه اللعنة ، وبجانبيها رجل ضامر وسيم في سن الكهولة في زي جنرال ألماني بشاراته وشرايطه - والعانس الفأرية الحجم واللون راجفة رابعة لجرأتها ، تحماتي عبر الصورة في وجه ذلك العازب العقيم الذي انتهت

به تلك السلالة الطويلة من الرجال الذين ما خلوا يوماً من الكرامة والشمم حتى بعد أن جعلوا يفشلون بالمروعة وغدا الشمم فيهم في أكثره غروراً وشفقة على الذات : من ذلك المهاجر الذي اضطر إلى الفرار من مسقط رأسه وهو يكاد لا يحمل شيئاً سوى حياته، والذي أبى رغماً عن ذلك ، الرضا بالهزيمة ، إلى الرجل الذي قامر بحياته وطيب سمعته مرتين وخسر مرتين ورفض القبول بذلك أيضاً ، وذلك الرجل الذي لم يكن لديه من عدة سوى ربع حصان صغير بارع ولكنه انتقم به لأبيه وجدّه السليبيين وربح اماره ، وذلك الحاكم الشهم الأملعي والقائد العسكري الذي غامر ، على الرغم من اخفاقه في قيادة فئة من كرام الشجعان في المعركة بحياته أيضاً في ما اخفق فيه ، الى ذلك المثقف المخمور الذي باع آخر ما تبقى من ميراثه لا ليشتري خمرأ بل ليهب واحداً من أبنائه على الأقل فرصة في الحياة هي ، في رأيه ، خير الفرص .

قالت أمينة المكتبة همساً : « انها كادي ! يجب ان نلقها ! » فقال جاسن : « اي والله ، انها كادي . » ثم جعل يضحك . ووقف في مكانه يضحك فوق الصورة ، فوق الوجه الجميل القدير الذي تجعد وانثى بسبب اقامته اسبوعاً في درج المنضدة وحقية اليد . وأدركت أمينة المكتبة سبب ضحكها، وهو الذي ما خاطبته الا بـ « السيد كمبس » لاثنتين وثلاثين سنة، منذ ذلك اليوم من عام ١٩١١ عندما أتت كاندس، وقد لفظها زوجها ، بابنتها الطفلة الى البيت وتركتها هناك ورحلت في القطار التالي وما عادت قط ثانية ، وحدثت الطاهية الزبجيّة دلزي ، وكذلك أمينة المكتبة ، غريزياً بأن جاسن كان على نحو ما يستغل حياة الطفلة وعدم شرعيتها لأكراه الأم، لا على البقاء بعيدة عن جفرسن بقية حياتها وحسب، بل على تعيينه القوام الوحيد بلا منازع على النقود التي ترسلها لإعالة ابنتها ، وابت ان تكلمه ابدأ منذ ذلك اليوم عام ١٩٢٨ عندما زلقت الالينة على المزراب ونزلت عليه وهربت مع عامل السيرك.

وصرخت : « جاسن ! يجب ان نلقها ! جاسن ! جاسن ! »
 وظلت في صراخها حتى عندما التقط الصورة بين الابهام والسبابة
 ورمى بها عبر الحاجز في اتجاهها .
 قال : « أهذه كاندس ؟ لا تضحكيني ! هذه العاهرة لم تبلغ الثلاثين
 بعد . والاخرى الآن في الخمسين . »

وكانت المكتبة ما تزال مقفلة طوال النهار التالي ايضاً حين ذهبت
 الامينة في الساعة الثالثة بعد الظهر ، خائرة القوى مجرحة القدم ولكن
 شديدة العزم وهي لما تزل تشد حقيبة اليد تحت ابطها ، وولجت
 فناءً صغيراً منظماً في حي الزوج من ممفيس ، وصعدت درج البيت الصغير
 المنظم وقرعت الجرس وفُتح الباب وظهرت امرأة سوداء في مثل عمرها
 تنظر اليها بهدوء . « ألت فروني ؟ » قالت امينة المكتبة : « ألا
 تذكريني ؟ - مليسه ميك ، من جفرسن - »

قالت الزنجية : « نعم . تفضلي وادخلي . تريدان ان تري امي . »
 ودخلت الغرفة ، وهي غرفة نوم زنجية عجوز مرتبة ولكن مزدحمة ،
 تفوح منها رائحة الشيوخ والعجائز والزوج الهرمين ، حيث كانت الام
 قد اقتعدت كرسيها هزازاً قرب الموقد وفيه ، رغم حذيران ، نار
 تنقد - امرأة كانت ضخمة فيما مضى ، في خمام نظيف حائل اللون
 وعمامة ناصعة حول رأسها فوق عينين عمشاورين تكادان ، فيما يبدو ، لا
 تبصران - ووضعت القصاصة المتشعبة الحواف في اليدين السوداوين اللتين
 كانتا ، كأيدي النساء المتحدرات من عرقها ، ما تزالان مرنتين رهيفتي
 الشكل كما كانتا وهي في الثلاثين او العشرين او حتى السابعة عشرة من
 عمرها .

قالت امينة المكتبة : « انها كادي ! انها هي ! دلزي ، دلزي ! »
 فقالت الزنجية : « ماذا قال هو ؟ » وعلمت امينة المكتبة من الذي
 تعنيه ب « هو » ، ولم تعجب لمعرفة الزنجية العجوز بأنها (اعني امينة

المكتبة) ستعرف من الذي تعنيه ب « هو » ، كما لم تعجب لمعرفة الزنجية العجوز في الحال بأنها قد ابتدأت بعرض الصورة على جاسن .
وصاحت : « ألا تعلمين ماذا قال ؟ عندما أدرك أنها في خطر ، قال أنها هي ، وكان حرياً بأن يقولها حتى لو لم تكن لديّ صورة اريه اياها . ولكنه حالما أدرك ان أحداً ما ، كائناً من يكون ، وليكن أنا ، يريد انقاذها ، يحاول انقاذها ، قال أنها ليست هي . ولكنها هي بعينها ! انظري اليها ! »
« انظري الى عيني » ، قالت الزنجية . « كيف لي ان أرى هذه الصورة ؟ »

فصاحت الامينة : « نادي فروني ! فستعرف عليها ! » غير ان العجوز كانت قد بدأت بطي القصاصه الى تجعيداتا القديمة ، ثم ناولتها اياها .

وقالت : « لم يبق في عينيّ خير . لا استطيع رؤيتها . » وهذا كل ما هناك . في السادسة كانت أمينة المكتبة تصارع في شق طريقها خلال محطة الباص المزدهمة ، والحقيبة مشدودة تحت احد ابطيها والنصف الخاص بالإياب من تذكرة الذهاب والإياب في اليد الأخرى ، وانجرفت الى الرصيف الهادر على ذلك المدّ اليومي من بعض المدنيين الكهول والعديد من الجنود والبحارة الداهيين في سبيلهم الى الاجازة او الموت، ورفيقاتهم من الفتيات الشريكات اللواتي كن لستين خلتا يعشن من يوم الى يوم في عربات سكك الحديد والقنادق ان كن محظوظات ، وفي الحافلات والباصات والمحطات والمداخل الكبرى وغرف الاستراحة العامة ان لم يكن محظوظات ، لا يتوقفن الا لإسقاط مواليدهن في مستوصفات الاحسان او مراكز الشرطة ثم يستأنفن السير مرة أخرى . وصارعت الامينة في شق طريقها الى داخل الباص ، وهي أضال من هناك بحيث لم تكن قدمها تمس ارض السيارة الا فيما ندر، حتى نهض

أحدهم (رجل يلبس الخاكي لم تستطع ان تراه لانها كانت قد شرعت بالبكاء) والتقطها جسدياً ووضعها على مقعد قرب النافذة ، حيث كان بوسعها وهي بعد مترعة العينين بالدموع ان تسرح النظر الى المدينة الهاربة وهي تمر بها خطوطاً خطوطاً ثم تحتجب وراءها فتبلغ بيتها عما قريب ، آمنة في جفرسن حيث الحياة تضطرم بكل ما يستعصي على الفهم من عاطفة وهياج وحزن وعنف وأس ، اما هنا فانك في الساعة السادسة تستطيع ان تغلق عليها الغلافين فتتمكن حتى يد طفل لا وزن لها من وضعها ثانية بين قومها العديمي الملامح على الرفوف الازلية الهاجعة وتدير المفتاح في القفل عليها طوال الليل الخالي من الأحلام . وفكرت وهي تبكي بهدوء : اجل هذا هو الواقع ، لم ترد ان تراها لتعلم ما اذا كانت كادي ام غيرها ، لانها تعلم ان كادي لا تريد ان تنقذ ، وليس لديها بعد اي شيء يستحق الانقاذ ، ولا شيء لديها يستحق الضياع تستطيع اضعاعه .

جاسن الرابع : اول عاقل من آل كمبسن منذ ما قبل كـلـودن ولذا فإنه (وقد ظل اعزب فلم ينجب) ، آخرهم . منطقي عقلاني ممالك النفس بل وفيلسوف من الضرب الروائي القديم : لا يعير الله اي تفكير مطلقاً ولا يحسب حساباً الا للشرطة ، ولذا فإنه لا يخشى ولا يهاب الا تلك المرأة الزنجية ، عدوته اللدود منذ الولادة وعدوته المميته منذ ذلك اليوم عام ١٩١١ عندما حدثت ، بعلمها بالغيب ، بأنه على نحو ما يستغل عدم شرعية ابنة اخته الطفلة لابتزاز المال من امها ، وهي الزنجية التي كانت تطبخ ما يأكله من طعام . دفع عن نفسه وافلح مع افراد آل كمبسن ، وليس ذلك فحسب بل افلح ايضاً في منافسته آل سنوبس الذين سيطروا على البلدة الصغيرة في اوائل القرن حين جعل آل كمبسن وآل سـرـتـوريس واشباههم يتلاشون منها (لم يكن واحداً من آل سنوبس

بل هو جاسن كمبسن نفسه الذي قام حالما توفيت امه - وكانت ابنة
 اخته قد سبق وانزلت على المزارب واختفت فلم يبق للدلي اي من
 العَصَوَيْن تلوح بها فوق رأسه - بتسليم اخيه الأصغر المعتوه لرعاية
 الدولة مخلياً البيت القديم بعد ان جزأ الغرف الفسيحة الرائعة الى ما دعاه
 بالشقق، وباع المكان كله لرفيقي فأنشا فيه نزلًا) ، ولم يكن ذلك بالأمر
 العسير لأنه كان يرى ان بقية أهل البلدة والدنيا ، بل والجنس البشري كله
 باستثناء نفسه ، ما هم الا افراد من آل كمبسن ، يعجز المرء عن فهمهم
 ولكنه لا يعجز عن التنبؤ بأنهم ليسوا في حال من الأحوال اهلاً للثقة .
 وهو الذي ، بعد ان أنفقت النقود كلها التي حصلت من بيع المريع
 على زفاف اخته ودراسة اخيه في هارفرد ، استخدم مدخراته الشحيحة
 من اجوره الزهيدة ككاتب في مخزن ، في الحاق نفسه بمدرسة في ممفيس
 حيث تعلم تصنيف القطن ، وهذا انشأ له عملاً تولى به ، عقب موت
 ابيه المخمور ، شؤون العائلة المتهافتة في البيت المتهافت ، متعهداً اخاه
 المعتوه من اجل امهما ، مضحياً بالملذات التي هي لاعزب في الثلاثين حق
 عادل بل حاجة لازمة ، كما تستطيع امه المضي في الحياة التي ألفتها فيما
 مضى ؛ يفعل ذلك لا لأنه كان يحب امه بل لأنه (وهو الرجل العاقل
 ابداً) كان يخشى الطاهية الزنجية التي عجز عن اكرامها على ترك البيت
 حتى بعد ان توقف عن دفع اجورها الاسبوعية . وهو الذي ، رغم هذا
 كله ، تمكن من توفير ما يقرب ثلاثة آلاف دولار (٢٨٤٠ دولاراً
 و ٥٠ سنتاً كما صرح ليلة سرقتها ابنة اخته) جمعها فلساً شحيحاً
 على فلاس ، ودرهماً أليماً على درهم ، ولم يحفظ ذخيره ذاك في مصرف
 ما لأن المصرفي في نظره ليس الا فرداً آخر من آل كمبسن ، بل خبأه
 في درج مقفول بمنضدة في غرفة نومه حيث كان يرتب ويغير فراشه
 بنفسه اذ كان يُبقي جاب غرفة نومه مقفولاً الا اذا عبر منه . وهو
 الذي ، بعد محاولة عشواء مخففة من اخيه المعتوه على طفلة
 عابرة ، نصب نفسه وصياً على المعتوه دون ان يطع امه على

ذلك ، وهكذا استطاع ان يخلصي المسكين حتى قبل ان تدرك الأم انه قد خرج من البيت ، وعقب موتها عام ١٩٣٣ استطاع ان يحرر نفسه الى الأبد لا من اخيه المعتوه وبيته فحسب بل من المرأة الزنجية ايضاً ، وانتقل الى مكتب ذي غرفتين في اعلى السلم فوق دكان التجهيز، كان يحوي دفاتر حساب القطن ونماذجه ، حوله الى غرفة نوم ومطبخ وحمام . وفي آخر الأسبوع كانت تُرى داخلية خارجة امرأة بدنية عادية دمثة لطيفة الوجه نحاسية الشعر فارقت الشباب ، ترتدي قبعات كبيرة ومعطف فرو مزيف (اَبَّان الموسم) ، ويراهما الناس معاً ، صاحبتنا تاجر القطن الكهل والمرأة التي يسمونها ، ببساطة ، صديقتها من ممفيس ، في دار السبنا المحلية عشية السبت وصباح الاحد ويرونها يصعدان درج الشقة حاملين أكياس الورق من لدن البقال وقد حوت الأربعة والبيض والبرتقال وعلب الحساء ، اشبه بمن يعيش حياة زوجية عائلية أليفة ، الى ان يُقلَّتها باص ساعة المغرب عائدة الى ممفيس . لقد انتعق الآن واصبح حرّاً . فكان يقول : « في عام ١٨٦٥ حرر ابراهام لنكولن الزوج من آل كمبسن . وفي عام ١٩٣٣ حرر جاسن كمبسن آل كمبسن من الزوج . »

بنجامين : سُمِّي لدى ولادته « موري » ، باسم خاله الوحيد الذي كان شاباً عزباً وسيماً شديد الخيلاء والبخثرة بغير عمل ، يكاد يستدين المال من كل من يلقاه ، حتى من دلزي نفسها، رغم أنها زنجية، معللاً ذلك لها وهو يسحب يده من جيبه بأنها في نظره لا تفرق عن فرد من افراد عائلة أخته ، وليس ذلك فحسب بل انها لتعتبر في نظر اي انسان في أي مكان سيدة ذات حسب ونسب . عندما ادركت أمه في النهاية حقيقة امره أصرت وهي تلدرف الدمع على تغيير اسمه ، فسماه أخوه كوتن من جديد بنجامين (« بنيامين، أصغر ابائنا ، باعوه في مصر ») .

وهو الذي ما أحب قط الا أشياء ثلاثة : المرعى الذي يبيع لدفع نفقات زفاف كاندس وارسال كونتن الى هارفرد ، وأخته كاندس ، ووهج النار . ولم يفقد ايأ منها لأنه ما استطاع ان يتذكر اخته فما تذكر الا فقدانها ؛ اما وهج النار فكان له شيئاً متألثاً كالاستغراق في النوم ؛ وكان المرعى بعد ان يبيع أفضل له منه قبل البيع لأنه يستطيع الآن مع « تي بي » ان يتتبع بمحاذاة السياج الى ما لا نهاية الحركات التي لا يعنيه انها أناسٌ يضربون بعضي الغولف ، ويقتادهم « تي بي » الى مجاميع من الحشيش او الاعشاب حيث تبرز فجأة في يد « تي بي » كريات بيضاء تنافس بل وتقهر ما لم يكن يعلم انه الجاذبية والقوانين الثابتة كلها عندما تطلق من اليد نحو الأرضية الحشيشية أو جدار بيت الدخان او الممشى الكنكريتي . خُصي ١٩١٣ . اودع في مستشفى مجانين الولاية في جاكسن ١٩٣٣ . ومرة اخرى لم يفقد شيئاً لأنه ، كما هو شأنه مع اخته ، لم يتذكر المرعى بل تذكر فقدانها فقط ، وبقي وهج النار لديه في لآلاء النوم .

كونتن : الأخيرة . ابنة كاندس . حرمت الأب قبل ميلادها بتسعة أشهر ، وحرمت الاسم عند ميلادها وقد كتب عليها الا تتزوج لحظة قررت البويضة المنشقة جنسها . وهي التي تعلقت يوم كانت في السابعة عشرة من عمرها ، وفي الذكرى الخامسة والتسعين بعد الألف والثمانئة لليوم السابق لقيام سيدنا المسيح ، تعلقت بمزrab خارجة من نافذة الغرفة التي كان خالها قد حبسها فيها ظهراً ، مندفعة نحو النافذة المقفلة لغرفة نومه الحالية المقفلة وكسرت لوحاً من الزجاج واقتحمت النافذة، وبمحراك خالها كسرت قفل درج المنضدة وفتحته وأخذت النقود (ولم تكن ٢٨٤٠ دولاراً و ٥٠ سنتاً فقط ، بل كانت حوالي سبعة آلاف دولار ، وهذا هو سر حنق جاسن ، ذلك الغضب الأحمر الذي لا يطاق ، الذي حدا

به الى الظن في تلك الليلة وفي فترات أخرى (اذ جعل يعاوده عنيفاً دون هواده لخمس سنوات طوال) انه سيحطمه بغتة ، سيقتله فوراً كأنه رصاصة او صاعقة : وأنه ، رغم انه لم يسلب ثلاثة آلاف دولار حقيرة فحسب بل حوالي سبعة آلاف ، لا يستطيع أن يفصح عن ذلك لأحد ، ولأنه قد سلب سبعة آلاف دولار بدلاً من ثلاثة آلاف فقط لم يكن قط ليتاح له أن يلقي تأييداً وتبريراً - فهو لا يريد عطفاً - من آخرين ساء حظهم فابتلوا بأخت عاهرة وابنة اخت عاهرة أيضاً ، ولم يكن زيادة على ذلك بمستطيع اللجوء حتى الى الشرطة ؛ ولأنه فقد اربعة آلاف دولار لم تكن ملكه جميعاً لم يكن بوسعه أن يستعيد الآلاف الثلاثة التي كانت ملكاً خالصاً له اذ كانت الأربعة آلاف دولار الأولى ملكاً مشروعاً لابنة اخته بصفتها جزءاً من النقود التي كانت ترسلها امها للعناية بها واعالتها طوال السنوات الست عشرة الماضية ، وليس ذلك فحسب، بل ان النقود لم تكن موجودة رسمياً ، لأنه سجلها رسمياً كمبالغ مصروفة ومستهلكة في التقارير السنوية التي كان يقدمها لحاكم المقاطعة بصفته وصيتها والقوام الشرعي عليها : فهو اذن لم يسلب سرقاته وحسب بل مدخراته أيضاً ، وما سلبته اياها الا ضحيته ؛ لقد سلب الأربعة آلاف دولار التي جازف بالسجن من أجل تجميعها، وكذلك الآلاف الثلاثة التي جمعها بالحرمان والتضحية ، درهماً على درهم، طوال مدة تقارب العشرين عاماً : وسالبتة لم تكن ضحيته فقط بل كانت أيضاً طفلة ارتكبت فعلتها بضربة واحدة ، دون سابق تصميم او خطة ، دون ان تعلم، أو يعينها ان تعلم، مقدار ما سوف تجد عندما تكسر القفل وتفتح الدرج ؛ ولا يستطيع الى هذا كله أن يلجأ الى الشرطة طلباً للعون : وهو الذي كان يحترم الشرطة دائماً ، فلا يسبب لهم ازعاجاً ، ويدفع لسنين طويلة ما يستحق عليه من ضرائب تسمح لهم بأن يعيشوا في خمول ساديّ طفيلي ؛ وليس ذلك فحسب ، بل انه لم يجرؤ على مطاردة الفتاة

بنفسه لأنه قد يمسك بها فتفضحه ، بحيث لم تبق له وسيلة يلجأ إليها الا حلاً باطلاً جعل يؤرقه ويقلبه في عرقه في الليالي لستين وثلاث بل وأربع بعد هذا الحادث ، حين كان ينبغي له ان ينسى : وهو أن يمسك بها على حين غرة ، مفاجئاً إياها في الظلام، قبل أن تنفق النقود كلها ، فيقتلها قبل ان يتاح لها ان تفتح فاهها . وانزلت على المزارب نفسه في عتمة الغسق وهربت برفقة عامل السيرك الذي كان مداناً فيما سبق لزواجه من اثنتين . وهكذا اختفت ، فهما تكن الحرفة التي قد ادركتها فانها لم تكن لتأتي في سيارة « مرسيديس » مطلية بالكروميوم ؛ ومهما التقط لها من صور فانها لن تحوي جنرالاً من اركان الجيش . وهذا كل ما هنالك . أما هؤلاء الآخرون فلم يكونوا من آل كمبسن . لقد كانوا سوداً :

« تي بي » : هو الذي كان في شارع بيل في ممفيس يلبس الثياب الجميلة الزاهية الرخيصة الجاسية التي خاطها خصيصاً له اصحاب المتاجر التي ما انصفت يوماً عاملاً في شيكاغو ونيويورك .

فروني : هي التي تزوجت احد حمّالي الدرجة الأولى من سكة الحديد وذهبت الى مدينة سانت لويس للعيش فيها ثم عادت الى ممفيس لتفتح بيتاً لأُمها لان دلزي رفضت ان تذهب الى ما هو ابعد من ذلك .

لستر : رجل ، عمره ١٤ سنة . لم يستطع ان يعنى عناية تامة بجمعه في ضعف عمره وثلاثة اضعاف حجمه وبقية الأذى فحسب ، بل استطاع ان يسليه ايضاً طول الوقت .

دلزي :

لقد تحمّلوا وبقوا .

نيسان

٧

١٩٢٨

من خلال السياج ، بين فسحات الزهور المثنية ، كنت أراهم يضربون . كانوا يقتربون من العلكم ومشيتُ انا بمحاذاة السياج . كان لستر يبحث في العشب قرب شجرة الورد . رفعوا العلم من مكانه ، وراحوا يضربون . ثم اعادوا العلم الى مكانه وذهبوا الى المستوى ، فضرب احدهم ، ثم ضرب الآخر . ثم ابتعدوا ، ومشيت بمحاذاة السياج . وجاء لستر من شجرة الورد ومشينا بمحاذاة السياج ، فتوقفوا وتوقفنا ونظرت من خلال السياج بينما راح لستر يبحث في العشب .

« هات يا كادي * . » وضرب . وابتعدوا عبر المرعى . فتمسكت بالسياج وجعلت ارقبهم وهم يبتعدون .

وقال لستر : « اسمعوه يا عالم . اليس عجباً انك في الثالثة والثلاثين

* ال « كادي » هو الولد الذي يحمل عصي الفولف للاعبين . اما لبنجي فالكلمة اسم اخته التي يحبها ولا يستطيع الكف عن حنينه اليها وبالتالي بكائه عليها . (المترجم)

من عمرك ، وتستمر على هذا النحو . بعد ان ذهبتُ طيلة الطريق الى البلدة واشتريت لك كعكة . كفك انيناً . الا تريد ان تساعدني في البحث عن ربع الدولار ذلك لكي استطيع الذهاب الى السيرك هذه الليلة . « كانوا يضربون قليلاً ، عبر المرعى . مشيت بمحاذاة السياج الى حيث كان العلم يرفرف على الحشيش البراق والاشجار .

وقال لستر : « هيا . لقد بحثنا هناك . لن يأتوا الآن ثانية . فلننزل الى الغدير لنبحث عن الربع قبل ان يلقاه الزوج . »

كان احمر يرفرف على المرعى . وكان عصفور يميل ويترنح عليه . فضرب لستر . ورفرف العلم على الحشيش البراق والاشجار . وتمسكت اذا بالسياج .

قال لستر : « كفك انيناً ، هل استطيع ان اجبرهم على المجيء اذا ما رفضوا ؟ اذا لم تسكت لن تقيم لك ماما حفلة لعيد ميلادك . أتعلم ما الذي سأفعله اذا لم تسكت ؟ سأكل تلك الكعكة كلها . وآكل الشموع ايضاً . نعم . آكل الثلاثة والثلاثين شمعة كلها . هيا ، لننزل الى الغدير . لا بد ان اجد ربعي . وقد نجد بعض تلك الكرات . أترى . ها هم هناك . هناك بعيداً . اترى . « جاء الى السياج و اشار بذراعه . « اتراهم انهم لن يعودوا الى هنا هيا . » مشينا بمحاذاة السياج وبلغنا سياج الحديقة ، حيث كان ظلانا . كان ظلي أعلى من ظل لستر على السياج . ذهبنا الى المكان المكسور ودخنا منه .

قال لستر : « انتظر لحظة . عاققتُ ثيابك بذلك المسمار مرة اخرى . الا تستطيع ان تزحف خلال هذه الفتحة دون ان تعلق ثيابك بالمسار . » تركتني كادي وزحفنا خلال الفتحة . قال خالي موري يجب الا يرانا احد ، اذن علينا ان ننحني جداً ، قالت كادي . انحن يا بنجي . هكذا ، اترى . فانحنينا جداً وقطعنا الحديقة ، حيث كانت الزهور

تصرّ وتخشخش اذ تمسنا . كانت الأرض صلبة . تسلّقنا السياج ، حيث كانت الخنازير تشخر وتنخر . فقالت كادي ، يخيل اليّ انها حزينة لأن واحداً منها قد ذُبح اليوم . كانت الأرض صلبة ، مخصوطة عقداً .

قالت كادي ، أبق يدك في جيبيك ، وإلا فانهما تتجمدان . اتريد ان تتجمد يدك يوم عيد الميلاد .

قال فيرش : « البرد قارس في الخارج . يجب ألاّ تخرج الى العراء . »

فقلت امي : « ما الأمر الآن »

قال فيرش : « يريد ان يخرج الى العراء . »

فقال خالي موري : « دعه يخرج . »

قالت أمي : « البرد قارس . خير له ان يبقى في الداخل . بنجامين

كفّ عن ذلك . »

قال خالي موري : « لن يؤذيه الخروج . »

وقالت امي : « اسمع يا بنجامين . اذا لم تكن عاقلاً ، ارسلتك

الى المطبخ . »

فقال فيرش : « ماما تقول لا تجعلوه يدخل المطبخ اليوم . اذ عليها

ان تنهي طبخها الكثير . »

قال خالي موري : « دعيه يذهب يا كارولان . ستمرضين قلقاً

عليه . »

فقلت امي : « اعرف ذلك . اني لأتساءل احياناً . اهو حكم الله

علي . »

فقال خالي موري : « أعرف ، أعرف . يجب ان تحافظي على

قوتك . سأهتيء لك كأساً من « التودي » . »

قالت امي : « لن يزيد الا من اضطرابي . الا تعرف ذلك . »

قال خالي موري : « بل انه يحسنّ حالك . لفلفه جيداً ، يا ولد ، وأخرجه لمدة ما . »

ثم ذهب خالي موري . وذهب فيرش .
قالت امي : « بالله اسكت . ها نحن نحاول ان نخرجك باسرع ما نستطيع . لا اريدك ان تمرض . »

ألبسني فيرش نعلاً اضافياً فوق حذائي ومعطفاً وأخذنا قبعتي وخرجنا .
وكان خالي موري يضع الزجاجة مكانها في البوفيه في غرفة الطعام .
قال خالي موري : « أخرجه لنصف ساعة ، يا ولد ، وأبقه في صحن الدار . »

فقال فيرش : « نعم يا سيدي . نحن لا نسمح له ابداً بالابتعاد عن المكان . »

خرجنا . وكانت الشمس باردة وبرّاقة .

قال فيرش : « الى اين انت متوجه ، اتظن انك ذاهب الى البلدة ؟ »
مشينا خلال الاوراق المخشخشة . وكانت البوابة باردة . فقال فيرش :
« خير لك ان تبقي يديك في جيبيك . ما الذي ستفعله اذا تجمدتا على الباب ، لماذا لم تنتظرهم في البيت . » أدخل يدي في جيبي . وسمعته يخشخش بين الاوراق . شمت البرد . وكانت البوابة باردة .
هذا بندق . واه . انظر الى اعلى تلك الشجرة . انظر الى هذا السنجاب ، بنجي . »

لم استطع ان احسّ البوابة قط ، ولكنني استطعت ان اشمّ البرد البراق .

« خير لك ان تضع يديك في جيبيك . »
كانت كادي تمشي . ثم جعلت تركض وحقيقية كتبها تقفز وتتأرجح وراءها .

وقالت كادي : « هالو ، بنجي . » وفتحت البوابة ودخلت

وانحنى عليّ . كانت رائحة كادي كرائحة اوراق الشجر . وقالت :
« اجئت لتستقبلني . اجئت لتستقبل كادي . لماذا تركته يعرض يديه
لهذا البرد يا فيرش . »

فقال فيرش : « قلت له ان يقيها في جيبه . ولكنه يصبر على
التمسك بهذه البوابة . »

« اجئت لتستقبل كادي » قالت وهي تفرك يديّ . « ماذا لديك ؟
ما الذي تريد ان تقوله لكادي . » كانت رائحة كادي كرائحة الشجر
وكرائحتهما حين تقول لنا نائمان .

قال لستر ، ما الذي تبكيه ؟ نستطيع ان نتفرج عليهم ثانية عندما
نعود الى الغدير . هاك . هاك . زهرة « جمسن » . اعطاني الزهرة .
مشينا خلال السياج ، الى قطعة الأرض .

قالت كادي : « ماذا لديك . ما الذي تريد ان تقوله لكادي .
هل هم الذين اخرجوه يا فيرش . »

فقال فيرش : « لقد عجزوا عن ابقائه في البيت . وبقي مصرّاً حتّى
سمحوا له بالخروج فجاء رأساً الى هنا ، ليتطلع من خلال البوابة . »
وقالت كادي : « ما الأمر . هل ظننت ان عيد الميلاد يكون
حين اعود الى البيت من المدرسة . اهذا ما ظننته . عيد الميلاد يقع
بعد غد . سانتا كلوز ، بنجي ، سانتا كلوز . هيّا ، لتركض الى
البيت وندفأ . » واخذت بيدي وركضنا خلال الاوراق البراقة المهسهسة .
وصعدنا الدرج راكضين من البرد البراق الى البرد المعتم . وكان خالي
موري يعيد الزجاجة الى مكانها في البوفيه ، ونادى كادي . فقالت
كادي :

« خذه الى قرب النار يا فيرش . اذهب مع فيرش ، وسآتي بعد
دقيقة . »

فقصدنا المدفأة . وقالت امي :

« ايشعر ببرد يا فيرش . »

« لا . » قال فيرش .

فقلت امي : « انزع عنه المعطف والنعل الاضافي . كم مرة قلت لك الا تدخله البيت قبل ان ينزع نعله الاضافي . »

قال فيرش : « نعم ، سيدتي . هس ، لا تتحرك . » ونزع نعليّ وفك ازرار معطفي . فقلت كادي :

« انتظر يا فيرش . أماه ، الا تسمحين له بالخروج ثانية . اريد له ان يرافقني . »

قال خالي موري : « الافضل ان تركيه هنا . حسبه خروج اليوم . » قالت امي . « اعتقد ان الافضل لكليكما ألا تخرجا . فدلزي تقول ان البرد في ازدياد . »

قالت كادي : « اوه ، ماما »

وقال موري : « كلام فارغ . لقد قضت اليوم كله في المدرسة . انها بحاجة الى الهواء النقي . هيّا اركضي يا كاندس . » فقلت كادي : « دعيه يأتي ، يا أماه ارجوك . وإلا بكى كما تعلمين . »

فقلت امي : « اذن لماذا ذكرت الموضوع امامه . لماذا دخلت هنا . لتعطيه عذرا لافلاقي من جديد . كفك خروجاً اليوم . اعتقد ان من الافضل ان تجلسي هنا وتلاعبيه . »

قال خالي موري : « دعيهما يخرجان ، يا كارولان . لن يؤذيها القليل من البرد . وتذكري ، ان عليك ان تحافظي على قوتك . »

فقلت امي : « أعرف . ما من احد يدري كم اخشى عيد الميلاد . ما من احد يدري . فأنا لست من اولئك النسوة اللواتي يستطعن تحمل الاشياء . لشد ما أتمنى ، من اجل جاسن والاطفال ، لو كنت اقوى مما انا . »

« عليك ان تفعلي ما بوسعك ولا تسمحي لهم بافلاقك . » قال خالي موري ذلك واردف : « والآن ، انصرفا كلاكما . ولكن لا تتأخرا في الخارج . والا قلقت ماما عليكما . »

فقال كادي : « نعم ، خالي . هيّا ، بنجي . سنخرج مرة اخرى . » ثم زررت معطفي ومشينا نحو الباب.

فقال امي : « استأخذين هذا الطفل دون نعليه الاضافيين . اتريدن ان تُمرّضيه وبيتنا مليء بالضيوف . »

فقال كادي : « لقد نسيت . حسبته لابساً نعليه . »

وعدنا . وقالت امي : « يجب ان تفكّري . » وقال فيرش : « والآن ، لا تتحرك . » والبسني النعلين الاضافيين . « سأموت يوماً ما ، وعليك حينئذ ان تفكّري عنه . » وقال فيرش ، « والآن ، اخبط برجلك الأرض . » « تعال قبل ماما يا بنجامين . »

اخذني كادي الى كرسيّ امي ، فأخذت امي وجهي بين يديها ثم ضمتني اليها .

وقالت : « طفلي المسكين . » ثم خلّطني . « اعطني به يا محبوبتي ، انتِ وفيرش . »

قالت كادي « نعم » وخرجنا ، فقالت :

« لا حاجة بك الى الذهاب يا فيرش . سأبقيه معي قليلاً . »

فقال فيرش : « لا بأس . فانا لن اخرج في هذا البرد للمتعة . »

ثم ذهب ، ووقفنا في المدخل وركعت كادي واحتوتني بذراعيها والصقت وجهها البارد البرّاق بوجهي وكانت رائحتها كرائحة الاشجار .

« انت لست طفلاً مسكيناً . لا . فلديك كادي . أليست كادي عندك . »

قال لستر ، ألن تكف عن هذا الأنين والنشيج . الا تخجل من نفسك ، اذ تصدر عنك هذه الاصوات . ومررنا ببيت العربة ، حيث رأينا العربة . وكانت لها عجلة جديدة .

« ادخل ، ادخل ، واجلس بلا حركة حتى تأتي امك . » قالت دلزي ذلك . ودفعني إلى داخل العربة . وأمسك تي بي بالعنان.وقالت دلزي : « والله لا أدري لماذا لا يشتري جاسن عربة جديدة . فهذه العربة ستغدو حطاماً تحتكم يوماً من الأيام . انظروا الى هذه العجلات.» وخرجت أمي وقد اسدلت نقابها على وجهها . ومعها زهور .

قالت : « اين رسكوس . »

فقالت دلزي : « لِيُـرِحْ رسكوس ذراعيه اليوم.يوسع تي بي أن يسوق ، ولا بأس بسياقته . »

قالت امي:«أخاف . أو لا تستطيعون كلكم أن تهبثوا لي سائقاً للعربة مرة واحدة في الاسبوع ؟ يعلم الله أنني لا أطلب الكثير . »

قالت دلزي : « انت تعلمين كما أعلم انا ان الروماتيزم اثقل وطأة على رسكوس من أن يفعل أكثر مما ينبغي يا سيدة كارولان . فهيا تعالي واصعدي الآن . تي بي لا يقل عن رسكوس مهارة في السياقة.» قالت امي : « أخاف أن اصعد ، ومعني الطفل . »

فارتفعت دلزي الدرجات وقالت : « اتسمين هذا طفلاً . » وأخذت بذراع أمي . « انه رجل بحجم تي بي . هيا اصعدي ، ان كنت ذاهبة . »

قالت امي : « أخاف . » ونزلنا الدرج ودلزي تساعد أمي. فقالت امي : « لعل هذا هو الافضل لنا كلنا . »

قالت دلزي : « عيب والله ان تقولي ذلك . الا تعلمين أن الذي قد يجعل « كويني » تسرع في ركضها يجب ان يكون أكثر من مجرد زنجي في الثامنة عشرة من عمره . وهي اكبر سنًا منه ومن بنجي معاً . وانت يا تي بي ، افتح اذنك واسمعي . إياك أن تحاول ان تتسابق بكويني . فاذا لم تسق وفق مشيئة السيدة كارولان فسأسلط رسكوس عليك . وهو ليس مشغولاً جداً بحيث يرفض ذلك . »

قال تي بي : « نعم . »
 « أنا أعرف ان امرأ ما سيقع . » قالت امي . « كفى يا بنجامين . »
 « أعطه زهرة يحملها . هذا ما يريد . » قالت دلزي ذلك ،
 ومدة يدها .

فقلت امي : « لا ، لا . ستعثرينها كلها . »
 قالت دلزي : « امسكي به . سأخرج له واحدة . » وناولتني
 زهرة ثم ارتدت يدها عني .
 قالت دلزي : « اذهبي ، هيا ، قبل ان تراك كونتن فتريد الذهاب
 أيضاً . »

قالت امي : « اين هي . »
 — « ذهبت الى المنزل للتعلم مع لستر . هيا يا تي بي . سق العربى
 كما قال لك رسكوس . »

فقال تي بي : « نعم ، حاضر . تحركي يا كويني . »
 وقالت امي : « كونتن . لا تدعيها تخرج »
 قالت دلزي : « طبعاً طبعاً . »
 راحت العربى ترتج وتفضض على الطريق الخاصة . وقالت امي
 « أخشى ان أذهب وأترك كونتن . الأفضل الا أذهب يا تي بي . »
 عبرنا البوابة فما عادت العربى ترتج . وضرب تي بي كويني بالسوط .
 قالت امي : « انت يا تي بي . »
 فقال تي بي : « عليّ ان أحركها . سأنشطها الى ان نعود الى
 العنبر . »

قالت امي : « استدر وعُد . أنا أخشى ان اذهب واترك كونتن . »
 قال تي بي : « لا أستطيع الاستدارة هنا . » ثم اتسع الطريق .
 قالت امي : « الا تستطيع الاستدارة هنا . »
 قال تي بي : « طيب . » وبدأنا نستدير .

فقلت امي وهي تمسك بي : « أنت يا تي بي . »
« لا بد من ان أستدير على شكل ما . هاي ، كويني . » ووقفنا .

قالت امي : « ستقبلنا . »

قال تي بي : « ما الذي تريدان ان تفعلني اذن . »

قالت أمي : « انت تخيفني عندما تحاول ان تستدير . »

قال تي بي : « ترحضي يا كويني . » وسرنا .

وقالت امي : « انا أعرف ان دلزي ستجعل امرأ ما يقع لكونتن
وانا غائبة . يجب ان نسرع في العودة . »

قال تي بي : « تحركي يا كويني . » وضرب كويني بالسوط .

« انت يا تي بي . » قالت امي وهي تمسك بي . كنت أسمع

حوافر كويني ، وراحت الأشكال البراقة تنزلق ناعمة نظيمة من على

الجانبين وظلالها تنساب على ظهر كويني . واستمرت كذلك أشبه بأعالي

العجلات البراقة . ثم توقفت تلك التي على احد الجانبين عند العمود

الابيض الطويل حيث وقف الجندي . اما على الجانب الآخر فقد استمرت

في انزلاقها ناعمة نظيمة ، ولكن بسرعة اقل .

قال جاسن : « ماذا تريدان . » وكانت يداه في جيبه ووراء

اذنه قلم .

قالت امي : « اننا ذاهبون الى المقبرة . »

فقال جاسن : « لا بأس . هل حاولت أن أمنعكم . أهذا كل ما

أردته مني ، ان تخبريني بذلك . »

قالت امي : « ادري بأنك لن تأتي معنا . ولكن لو اتيت لازددت

اطمئناناً . »

قال جاسن : « وممّ انت خائفة . لن يؤذيك ابي او كونتن . »

فوضعت امي منديلها تحت نقابها، وقال جاسن : « كفك يا اماه .

اتريدان ان تجعلي هذا الأبله الكريه يشرع بالعياط وسط الميدان . سق

يا تي بي . »

قال تي بي : « تحركي يا كويني . »

وقالت امي : « هذا حكم الله عليّ . ولكنني راحلة انا ايضاً عما

قريب . »

قال جاسن : « اسمعي . »

فقال تي بي : « هاي . »

قال جاسن : « يريد خالي موري ان يسحب خمسين دولاراً على

حسابك . ما الذي تنوين ان تفعلي بخصوص ذلك . »

قالت امي : « ولماذا تسألني . كلمتي غير مسموعة ، ولذا فلا ينبغي

احاول الا ازعجك انت أو دلزي . سأرحل عن هذه الدنيا عما قريب .

ثم يأتي دورك . »

قال جاسن : « امشي يا تي بي . »

فقال تي بي : « تحركي يا كويني . » وراحت الأشكال تسيل :

وبدت تلك التي على الجانب الآخر من جديد ، براقّة سريعة ناعمة ،

شبيهة باللحظة التي تقول فيها كادي اننا سننام .

قال لستر : تبكي كالطفل الصغير . الا نخجل . دخلنا العنبر ،

وكانت الحظائر كلها مفتوحة . وقال لستر : لا مهرة منقطة لديك

للكوب . كانت الارض يابسة مترّبة . وكان السقف يتساقط . والثقب

المائلة ملأى بصفرة دوّارة . لماذا تريد الذهاب من هناك . اتريد ان

تطيح برأسك احدى تلك الكرات .

قالت كادي : « أبقى يديك في جيبيك . والا تجمدا . أتريد

ان تجمد يداك يوم عيد الميلاد ؟ »

مشينا حول العنبر . وكانت البقرة الكبيرة والبقرة الصغيرة واقفتين

بالباب ، وكنا نستطيع ان نسمع برنّس وكويني وفانسي تحبّط الأرض

داخل العنبر . وقالت كادي : « لو لم يكن البرد قارساً لركبنا فانسي .

ولكننا لن نستطيع ان نبقى على ظهرها في هذا البرد . « ثم رأينا الغدير حيث كان الدخان يُنفث . فقالت كادي : « ذلك هو المكان حيث يذبحون الخنزير . نستطيع ان نمرّ به عند عودتنا ونراهم . » ونزلنا التل . قالت كادي : « أتريد ان تحمل الرسالة ؟ هاكها . » وأخرجت الرسالة من جيها ووضعتها في جبي . « انها هدية لعيد الميلاد ، يريد خالي موري أن يفاجئ بها المسز باترسن . وعلينا ان نسلمها إياها دون ان ندع احداً يرانا . والآن ، لا تخرج يدك من جيبيك . » ثم بلغنا الغدير .

قالت كادي : « لقد تجمد كل شيء . انظر . » وكسرت أعلى الماء وأمسكت بقطعة منه امام وجهي . « جليد . وهذا دليل على شدة البرد . » أعانني على العبور وصعدنا التل . « يجب الا نخبر حتى ماما وبابا . اتدري ما اظن بها ؟ اخالها تحمل مفاجأة لماما وبابا والسيد باترسن جميعاً ، لأن السيد باترسن ارسل اليك بعض الحلوى . اتذكر يوم ارسل اليك السيد باترسن بعض الحلوى في الصيف الماضي . » كان ثمة سياج . وكانت الدالية يابسة والريح تخشخش فيها .

قالت كادي : « لست أرى لماذا لم يرسل خالي موري ، فيرش . إن فيرش كتوم . » وكانت المسز باترسن تنظر من الشباك . فقالت كادي : « انتظر هنا . انتظر هنا ولا تتقدم . سأرجع بعد دقيقة . اعطني الرسالة . » وأخرجت الرسالة من جبي . « أبقِ يدك في جيبيك . » ثم تسلقت السياج والرسالة في يدها ومشت بين الزهور البنية المخشخة . وجاءت المسز باترسن الى الباب وفتحته ووقفت هناك . كان السيد باترسن يكسّر حطباً وسط الزهور الخضراء . توقف عن التكسير ونظر إلي . وجاءت المسز باترسن عبر الحديقة راكضة . فلما رأيت عينيها جعلت ابكي . وقالت : يا معتوه ، قلت له الا يرسلك بمفردك أبداً ثانية . اعطني إياها بسرعة . وهول السيد باترسن وفي

يده المعزقة ، واتكأت المسز باترسن على السياج وقد مدت يدها عالياً .
كانت تحاول تسلق السياج . وقالت اعطني اياها ، اعطني اياها .وتسلق
السيد باترسن السياج ، وأخذ الرسالة . وعلق ثوب المسز باترسن بالسياج .
ورأيت عينيها ثانية ونزلت التل راكضاً .

قال لستر : « ليس هناك إلا بيوت نحن في سبيلنا إلى الغدير . »
كانوا في الغدير يغسلون الثياب . وكانت امرأة منهم تغني . جعلت
اشم الثياب المرفرفة ، والدخان يهبّ فوق الغدير .
قال لستر : « إبقى هنا . لا شأن لك معهم هناك . هؤلاء القوم قد
ضربوك ، لا شك . »

— « ماذا يريد أن يفعل . »

فقال لستر : « لا يعرف ماذا يريد ان يفعل . فهو يظن أنه يريد
ان يذهب هناك حيث هم يضربون تلك الكرة . اقعد مكانك والعب
بزهرة الجمسن . وإذا كان لا بد لك من ان تنظر الى شيء ، فانفّ
الى اولئك الأطفال الذين يلعبون في الغدير . عجيب . لماذا لا تحسر
التصرف كبقية القوم . » فجلست على الضفة ، حيث كانوا يغسلون
الثياب ، والدخان يتصاعد أزرق اللون .

قال لستر : « أرايتم رُبْعاً هنا يا جماعة . »

— « أي ربع . »

قال لستر : « الربع الذي كان معي هذا الصباح ، فقدته في مكان
ما . لقد سقط من هذا الثقب في جيبي . واذا انا لم أجده تعذّر عليّ
الذهاب الى السيرك هذه الليلة . »

— « من أين حصلت ربعاً ، يا ولد . اوجدته في جيب أحد القوم
البيض اذ غافلتهم . »

فقال لستر : « حصلتّه حيث يكون التحصيل . وفي المكان الذي
جاءت منه أرباع كثيرة . ولكن يجب ان اجد هذا الربع . »

أما وجدتموه بعد ؟ »

— « انا لن أبحث عن ربع لأحد . فلديّ شغلي الشاغل . »

قال لستر : « هيا بربك . ساعدني في البحث عنه . »

— « انتظن انه يعرف الربع لو رآه . »

قال لستر : « ولكنه يستطيع ان يساعدني في البحث . كلكم ذاهبون

الى السيرك هذه الليلة . »

— « لا تحدثني عن السيرك . فحالما افرغ من هذا الطشت سأكون

مرهقة بحيث لا أستطيع رفع يدي لأفعل أي شيء . »

قال لستر : « اراهن انك ستكونين هناك . واراهن انك ذهبت

هناك ليلة البارحة . واراهن انكم جميعاً ستكونون هناك حالما تفتتح

تلك الخيمة . »

— « سيكون هناك ما يكفي من الزنوج دون ان أذهب انا . كما حدث

البارحة . »

— « نقود الزنوج لا تختلف عن نقود البيض ، ها . »

— « يعطي البيض الزنجي نقوداً لانهم يعرفون أنهم سيسترجعونها

حالما يطرق المكان رجل أبيض ومعه فرقة موسيقية ، فيعود الزنجي

ويشتغل من جديد . »

— « اليس هناك من أحد يدفعك الى حضور هذا السيرك . »

— « لا حتى الآن . لم افكر في الأمر ، في الواقع . »

— « ماذا لديك ضد القوم البيض . »

— « لا شيء لدي ضدهم . فانا اذهب في سبيلي وأدع البيض يذهبون

في سبيلهم . هذا ولا يهمني هذا السيرك . »

— « في السيرك رجل يستطيع ان يعزف نغماً على منشار . انه يعزف

عائيه كما لو كان بانجو . »

قال لستر : « لقد ذهبت انت البارحة ، أما انا فسأذهب اليوم ،

إذا استطعت ان اجد اين اضعت ذلك الربع . »

— « ستأخذه معك ، أليس كذلك . »

فقال لستر : « انا . اتظن انه يجب ان يكون معي اينما ذهبت .

لقد حان له ان يشرع في العياط . »

— « وماذا تفعل عندما يشرع في العياط . »

قال لستر : « اجلده . » ثم قعد ورفع ثيابه . وراحوا يلعبون

في الغدير .

قال لستر : « أوجدتم اية كرات يا جماعة . »

— « كلامك كبير جداً . والله خير لك ألا تسمعك جدتك وانت

تنكلم على هذا النحو . »

توغل لستر في الغدير حيث كانوا يلعبون . ثم اخذ يبحث في الماء ،

بمحاذاة الضفة .

« كان الربع معي حين اتيت هنا هذا الصباح . » قال لستر .

— « اين فقدته . »

— « من هذا الثقب هنا في جيبي . » واستمروا يبحثون في الغدير .

ثم انتصبوا كلهم فجأة وتوقفوا ، وبعد ذلك اخذوا يتراشقون بالماء

ويتعاركون في الغدير . وقد التقطها لستر ، فجلسوا القرفصاء في الماء

وهم يصعدون عيونهم في التل من بين الشجيرات .

قال لستر : « اين هم . »

— « لا نستطيع ان نراهم بعد . »

وضعها لستر في جيبه . ونزلوا التل .

— « هل اتيكم كرة هنا . »

— « لا بد انها سقطت في الماء . ألم يرها احد منكم او يسمعها

تسقط يا اولاد . »

فقال لستر : « لم اسمع شيئاً يسقط هنا . ولكني سمعت شيئاً يضرب

تلك الشجرة في المرتفع هناك . ولا ادري في اي اتجاه ذهبت . »
انعموا النظر في الغدير .

— « عجيب . انظروا بمحاذاة الغدير . لقد سقطت هنا . ولقد
رأيتها . »

فنظروا بمحاذاة الغدير . ثم عادوا فصعدوا التل .

قال الولد : « هل اخذت تلك الكرة . »

قال لستر : « وماذا اريد بها . انا لم أر اية كرة . »

دخل الولد الماء . وخاض فيه . ثم التفت ونظر الى لستر ثانية .
واستمر نُزلاً في الغدير .

وقال الرجل وهو في اعلى التل : « يا كادي . فخرج الولد
من الماء وصعد التل .

وقال لستر : « والآن ، اسمعوه يا عالم . بالله اسكت . »
— « وما الذي يبكيه . »

فقال لستر : « الله اعلم . من عادته ان يشرع فيه فجأة . منذ
الصباح وهو على هذه الحال . لعل ذلك سببه ان اليوم عيد ميلاده . »
— « وما عمره . »

قال لستر : « ثلاث وثلاثون سنة . لقد اكمل الثلاث والثلاثين
هذا الصباح . »

— « تقصد ان عمره ظل ثلاث سنوات مدة ثلاثين سنة . »

قال لستر : « هذا ما تقوله امي . انا لا ادري . ولكننا على كل
حال سنجعل في الكعكة ثلاثاً وثلاثين شمعة . وهي كعكة صغيرة تكاد
لا تتسع للشموع . كفى بكاء . عد الى هنا . » ثم اتى وامسك بذراعي ،
وقال : « يا معتوه . أتريد لي ان اجلدك . »

— « اراهن انك ستفعلها . »

— « لقد فعلتها . اسكت . ألم اقل لك يجب الا تصعد الى هناك .

سيطيرون رأسك باحدى تلك الكرات . هيا . » وسحبني الى الخلف .
 « اقمعد . » فقمعدت ونزع لستر حذائي وشمّر عن ساقى . « والآن ،
 ادخل في هذا الماء واللعب وحاول ان تكف عن هذا النشيج والأنين . »
 فسكتُ ودخلت الماء وجاء رسكوس وقال تعالوا الى العشاء وقالت
 كادي :

لم يحن وقت العشاء بعد . لن أجيء .
 كانت مبلة . كنا نلعب في الغدير فقرفصت كادي وتبلّل ثوبها
 وقال فيرش :

« ستجلدك امك لانك بللت ثيابك . »
 فقالت كادي : « لن تفعل شيئاً من ذلك القبيل . »
 فقال كونتن : « وكيف عرفت ذلك . »
 قالت كادي : « لا يهملك كيف عرفت . كيف عرفت انت . »
 قال كونتن : « هي قالت . وفضلاً عن ذلك ، فأنا اكبر منك . »
 قالت كادي : « عمري سبع سنوات . أنا اعرف . »
 قال كونتن : « انا اكبر من ذلك . فأنا اذهب الى المدرسة . اليس
 كذلك يا فيرش . »

فقالت كادي : « سأذهب الى المدرسة في العام المقبل ، عندما يحين
 موعدها . اليس كذلك يا فيرش . »
 فقال فيرش : « تعرفين انها تجلدك كلها بللت ثوبك . »
 فقالت كادي : « ثوبي ليس مبلاً . » ووقفت في الماء ونظرت الى
 ثوبها ، ثم قالت : « سأنزعه ، فينشف . »
 قال كونتن : « لن تجرؤي . »
 قالت كادي : « سأجرؤ . »
 قال كونتن : « افضل لك ألا تنزعيه . »
 فاتجهت كادي نحو فيرش وادارت ظهرها ، وقالت :

« فك الأزارار . »

قال كونتن : « إياك يا فيرش . »

قال فيرش : « إنه ليس ثوبي . »

فقلت كادي : « فك الأزارار يا فيرش ، وإلا أخبرت دلازي بما فعلته أمس . » ففك فيرش الأزارار .

قال كونتن : « ويل لك لو نزع ثوبك . » اما كادي فانها نزع ثوبها وألقت به الى الضفة . وعندها لم يبق عليها إلا قيصها الداخلي وسرواها ، وصفعها كونتن فزلقت وسقطت في الماء . وعندما نهضت أخذت ترشق كونتن بالماء ، وكونتن يراشقه بها . وقد تراشق بعضه علي وعلى فيرش والتقطني فيرش ووضعني على الضفة . وقال إنه سوف يثي بكادي وكونتن ، فأخذ كونتن وكادي يرشقان فيرش بالماء فتواري خلف شجيرة .

وقال فيرش : « سأخبر ماما بما فعلنا . »

فتسلى كونتن الضفة وحاول الإمساك بفيرش ، غير ان فيرش هرب راكضاً ولم يستطع كونتن . وعندما عاد كونتن توقف فيرش وصاح بأنه سيثي بها . فأجابته كادي بأنها سيسمحان له بالعودة اذا لم يش بها . فوافق فيرش وسمحا له بالعودة .

قال كونتن : « أراضية انت الآن . قد تجلدنا ماما كلينا الآن . »

قلت كادي : « لا يهمني ذلك فسأهرب . »

قال كونتن : « اجل ستهربين . »

قلت كادي : « سأهرب ولن اعود ابداً . » فجعلت ابكي . فاستدارت كادي نحوي وقالت : « هس . » فسكت . ثم راحا يلعبان في الغدير . وكان جاسن يلعب ايضاً . كان يلعب وحده على مسافة منا في الغدير . ودار فيرش حول الشجيرة وجاءني وحملني الى الماء ثانية . كانت مؤخرة كادي مبتلة مطيئة ، وجعلت ابكي وجاءت

وقرّفت في الماء .

وقالت : « هس ، هس . لن اهرب . » فسكت . وكانت رائحة كادي كرائحة الأشجار في المطر .

قال لستر ، ما بك . الا تستطيع ان تكف عن هذا الانين وتلعب في الغدير مثل الناس .

لماذا لا تأخذه الى البيت . الم يوصوك بألا تخرجه من المكان . فقال لستر ، ما زال يظن ان هذا المرعى ملك لهم . لا أحد يستطيع ان يرى هذا المكان من البيت ، على كل حال .

نحن نستطيع . والناس لا يروك لهم النظر الى معنوه . انه يجلب الشؤم . جاء رسكوس وقال تعالوا الى العشاء وقالت كادي لم يحن وقت العشاء .

قال رسكوس : « بل حان . دلزي تقول لكم جميعاً تعالوا الى البيت . جىء بهم يا فيرش . » ثم صعد التل حيث كانت البقرة تخور قال كونتن : « ربما جفت ثيابنا في طريقنا الى البيت . » فقالت كادي : « كلها غلطتك . ارجو ان تجلدنا ماما . » ولبست ثوبها وزرّره لها فيرش .

قال فيرش : « لن يعلموا انكما تبلتما . لا يبدو ذلك عليكما . إلا اذا وشينا بكما أنا وجاسن . »

قالت كادي : « أتشي يا جاسن . »

قال جاسن : « أشي ؟ بمن ؟ »

قال كونتن : « لن يشي . اليس كذلك يا جاسن . »

قالت كادي : « اراهنك انه سيشي بنا . سيخبر ماما . »

قال كونتن : « لن يستطيع . فإنها مريضة . واذا ابطأنا السير

ماظلمت الدنيا فلا يروننا . »

قالت كادي : « رؤيتهم ايانا او عدمها لا تهمني . وسأخبرهم

بنفسي . إحمله الى رأس التل يا فيرش . »
 قال كوتن : « لن يشي بنا جاسن . اتذكر القوس والسهم اللذين
 صنعتها لك ، يا جاسن . »
 قال جاسن : « انكسرا . »
 قالت كادي : « ليقل ما يشاء . لن يهمني . إحمل موري الى رأس
 التل يا فيرش . » ففرص فيرش وركبت على ظهره .
 قال لستر ، سأراكم جميعاً في السيرك هذه الليلة . هيا يا جباة . لا بد
 من ان نجد ذلك الربيع .
 قال كوتن : « اذا ابطأنا السير ، فستكون الدنيا قد اظلمت حين
 نصل البيت . »

قالت كادي : « لن أبطيء السير . » وصعدنا التل ، إلا ان كوتن
 لم ينج . وكان لا يزال في الغدير عندما بلغنا الموضع الذي نستطيع
 منه ان نشم رائحة الخنازير . لقد كانت تشخر وتشمشم في الجرن الذي
 في الزاوية . ولحق بنا جاسن ويداه في جيبه . وكان رسكوس يحلب
 البقرة في مدخل العنبر .

وخرجت البقرات من العنبر وهي تقفز .
 قال تي بي : « هيا . صبح ثانية . سوف اصبح انا ايضاً .
 هووي . » وركل كوتن تي بي مرة اخرى . لقد ركله موقعاً اياه
 في الجرن حيث تأكل الخنازير وبقسي تي بي هناك ، وهو يقول :
 « يا الله . كاد يقتلني . رأيت ذلك الرجل الأبيض كيف ركلني في
 تلك المرة . هووي . »

لم اكن ابكي ، ولكنني عجزت عن التوقف . لم اكن ابكي ولكن
 الأرض لم تكن ثابتة ، وعندها جعلت ابكي . وظلت الأرض تنحدر
 والبقرات تصعد التل . وحاول تي بي النهوض . فوقع ثانية واخذت
 البقرات تنزل التل . وامسك كوتن بذراعي ومشينا نحو العنبر . ثم لم

يكن العنبر هناك وكان علينا ان ننتظر الى ان عاد . ولم اره يعود .
عاد من خلفنا ووضعني كونتن في الجرن حيث كانت البقرات تأكل .
فتشبث به ، واذا به هو ايضاً يتعد فتشبث به . ونزلت البقرات التل
مرة اخرى عبر الباب . وعجزت عن التوقف . وصعد كونتن وتي بي
التل وهما يتشاجران . كان تي بي يتدحرج على التل وجره كونتن الى
اعلى التل . وضرب كونتن تي بي . وعجزت عن التوقف .

قال كونتن : « انتصب . ابق هنا . لا تتزحزح من هنا حتى اعود . »
قال تي بي : « انا وبنجي سنعود الى العرس . هووي . »

فضرب كونتن تي بي مرة اخرى . ثم جعل يخط تي بي بالحائط ،
وتي بي يضحك . وكلما خبطه كونتن بالحائط حاول ان يقول « هووي » ،
فلا يستطيع ان يقوها لشدة ضحكه . وكففت عن البكاء ولكنني عجزت
عن التوقف . وسقط تي بي عليّ وابتعد باب العنبر عنا ، ونزل التل
واخذ تي بي يتشاجر وحده وسقط ثانية . وكان لا يزال يضحك
وعجزت عن التوقف ، وحاولت الوقوف فوقعت ، وعجزت عن التوقف .
وقال فيرش :

« لقد فعلتها والله . اي والله فعلتها . كف عن ذلك العياط .

كان تي بي لا يزال يقهقه . وهوى على الباب وهو يقهقه . وقار

« هووي . انا وبنجي سنعود الى العرس . »

قال فيرش : « هس . اين حصلت عليه . »

قال تي بي : « من القبو . هووي . »

قال فيرش : « هس ، هس . في اي مكان من القبو . »

قال تي بي : « اينما شئت . » وضحك ثانية . « اكثر من مئة

زجاجة هناك . اكثر من مليون . انتبه ايها الزنجي ، سأصيح . »

قال كونتن : « ارفعه . »

فرفعني فيرش .

قال كونتن : « اشرب هذا يا بنجي . » كان الكوب حاراً

« اسكت ، واشربه . »

فقال تي بي : « دعني اشربه أنا ، يا سيد كونتن . »
قال فيرش : « سدّ فلك انت . وإلا مزق بدنك السيد كونتن . »
قال كونتن : « امسك به يا فيرش . »

فأمسكوا بي واذا بشيء حار يجري على ذقني وقيصي . وقال كونتن
« اشرب » . وأمسكوا برأسي . كان جوفي حاراً ، وبدأت من جديد .
كانت بطني تصيح ، وكان شيء ما يعمل في جوفي وبكيت أكثر ،
وأمسكوا بي الى أن انقطع ذلك الشيء . ثم سكت . ولكنه كان ما
يزال يدور ويدور ، ثم بدأت الأشكال . « افتح الحظيرة يا فيرش . »
تباطأوا . « افرش تلك الأكياس الفارغة على الأرض . » اخذوا يسرعون .
« والآن ، ارفع قدميه . » وساروا ، ناعمين يتوهجون . وسمعت تي بي
يقهقه . وذهبت بصحبته صاعداً التل .

في أعلى التل وضعني فيرش على الأرض . وصاح وهو ينظر الى
اسفل التل « تعال هنا يا كونتن . » اما كونتن فكان ما يزال واقفاً
هناك قرب الغدير . ثم عبر الظلال حيث الغدير .

وقالت كادي : « ليق البوّال هناك . » واخذت بيدي ومررنا
بالعبر وعبرنا البوابة . وعلى الممشى القرميدي رأينا ضفدعاً اقعّت في
الوسط . وخطت كادي فوقها وسحبني وراءها . وقالت :

« هيا ، يا موري . »

وبقيت مقعّة هناك الى ان نخسها جاسن بأصبع رجله .
فقال فيرش : « ستسبب لك خالاً على جسمك . » ثم قفزت
الضفدع وابتعدت .

قالت كادي : « هيا ، يا موري . »

قال فيرش : « لديهم ضيوف الليلة . »

قالت كادي : « وكيف عرفت . »

قال فيرش : « لأن تلك الأنوار مضاءة كلها . في كل نافذة نور . »
 قالت كادي : « بوسعنا ان نضيء الأنوار كلها ان شئنا دون ان
 يكون ثمة ضيوف . »

قال فيرش : « اراهنك على انهم ضيوف . فخير لكم كلكم ان
 تدخلوا من الخلف وتصعدوا الدرج تسللاً . »
 قالت كادي : « لا ابالي . سأدخل رأساً الى الصالون حيث يجلسون . »
 قال فيرش : « اراهنك على ان اباك سيجلدك لو انت فعلت ذلك . »
 قالت كادي : « لا ابالي . سأدخل الصالون . وسأتوجه رأساً الى
 غرفة الطعام واتناول عشاءي . »

قال فيرش : « واين ستجلسين . »
 قالت كادي : « سأجلس في كرسي ماما، انها تأكل في فراشها . »
 وقال جاسن : « انا جوعان . » وسبقنا وراح يركض في الممشى
 وكانت يده في جيبه ووقع . فذهب اليه فيرش وانفضه . وقال :
 « لو ابقيت يديك خارج جيبك لبقيت واقفاً على قدميك . فأنت
 لن تستطيع ان تخرجها بسرعة لتمنع نفسك من السقوط ، لأنك سمين
 كان ابي واقفاً قرب درج المطبخ . »

قال : « اين كونتن . »
 فقال فيرش : « انه قادم في الممشى . » وكان كونتن قادماً ببطء،
 وقيصه لطخة بيضاء .

قال ابي : « آه . » وسقط ضوء السلم عليه .
 وقال جاسن : « تراشق كادي وكونتن بالماء . »

وانتظرنا .

فقال ابي : « صحيح ؟ » ولما جاء كونتن قال ابي : « لكم
 ان تتناولوا العشاء في المطبخ هذه الليلة . » وكف عن الكلام ورفعني ، ووقع
 نور السلم علي انا ايضاً ، وارسلت بصري نزلاً الى كادي وجاسن

وكونتن وفيرش . ثم اتجه ابي نحو السلم وقال : « ولكن عليكم بالهدوء . »
 قالت كادي : « لم الهدوء يا أبي ، اعندنا ضيوف . »

قال ابي : « نعم . »

فقال فيرش : « ألم اقل لك ان هناك ضيوفاً . »

قالت كادي : « ابدأ . انا الذي قلت لدينا ضيوف . »

قال ابي : « صه . » فسكتوا ، وفتح ابي الباب وعبرنا الشرفة
 الخلفية ودخلنا المطبخ حيث وجدنا دلزي . ووضعني ابي في الكرسي
 ودفعني الى المائدة ، وعليها العشاء ، وقد تصاعد البخار منه .

قال ابي : « والآن ، اطيعوا دلزي . ويا دلزي ، لا تدعيهم
 يضجّون اكثر مما ينبغي . »

قالت دلزي : « حسناً يا سيدي . » وابتعد ابي . ثم قال وهو
 خلفنا : « اطيعوا دلزي ، أفهمتم . »

وانحنيت بوجهي فوق طعام العشاء ، فانتشر بخاره على وجهي .

وقالت كادي : « ابي ، ليطيعوني انا هذه الليلة . »

فقال جاسن : « لن اطيعك . بل سأطيع دلزي . »

قالت كادي : « بل عليك باطاعتي ، اذا أمر بابا بذلك . ابي

دعهم يطيعوني . »

قال جاسن : « ابدأ . لن اسمع لك كلاماً . »

فقال ابي : « صه . اذن استمعوا لكادي ، كلم . ويا دلزي ،

دعيهم عندما يفرغون يصعدون السلم الخلفي . »

قالت دلزي : « نعم ، سيدي . »

وقالت كادي : « رأيت . عليك ان تستمع لما ا قوله الآن . »

قالت دلزي : « اسكتوا . عليكم بالهدوء هذه الليلة . »

فهمست كادي : « ولماذا الهدوء هذه الليلة . »

قالت دلزي : « لا عليك . ستعلمين عندما يشاء ربك . » احضرت

قصعتي ، فارتفع منها البخار ودغدغ وجهي . وقالت دلزي : تعال هنا يا فيرش . »

قالت كادي : « ومتى سيشاء ربي . »
فقال كونتن : « اليوم هو الأحد . الا تعلمين شيئاً . »
فقالت دلزي : « ش ش ش . لم يأمركم السيد جاسن بالهدوء . هيا ، كلوا عشاءكم . وانت يا فيرش . احضر له ملعقة . » ودخلت يد فيرش بالملعقة في القمصة . وجاءت الملعقة الى في . ودغدغ البخار باطن في . ثم توقفنا عن الأكل وجعل بعضنا ينظر الى بعض ، وعندها سمعناها ثانية ، وجعلت ابكي .

« ماذا كان ذلك . » قالت كادي . ووضعت يدها على يدي .
قال كونتن : « تلك كانت امي . » وارتفعت الملعقة واكلت ، ثم بكيت من جديد .

قالت كادي : « صه . » غير انني لم اسكت وجاءت ولفّت ذراعها حولي . وذهبت دلزي واغلقت كلا البابين فما عدنا نسمعها .

وقالت كادي : « صه ، صه . » فسكتُ واكلت . لم يك
كونتن يأكل ، اما جاسن فكان يأكل .

قال كونتن : « تلك كانت امي . » ونهض .
فقالت دلزي : « اجلس مكانك . عندهم ضيوف ، وانت في هذه الثياب الموحلة . وانت يا كادي . اجلسي مكانك وانهي اكلك . »
قال كونتن : « لقد كانت تبكي . »

قالت كادي : « بل كان احدهم يغني . أليس كذلك ، يا دلزي . »
قالت دلزي : « انصرفوا الى طعامكم ، كما امركم ابوكم . ستعلمون عندما يشاء ربكم . » فعادت كادي الى كرسيها . وقالت :

« اما قلت لكم إنها حفلة . »
وقال فيرش : « لقد أكل كل ذلك »

فقلت دلزي : « ناوولي قصعته . » وابتعدت القصعة عني .
 قالت كادي : « يا دلزي . كونتن لا يأكل عشاءه . اليس عليه
 ان يستمع لكلامي ؟ »
 قالت دلزي : « كل عشاءك ، يا كونتن . عليكم كلکم ان تنتهوا
 وتخرجوا من مطبخي . »
 قال كونتن : « لا اريد مزيداً . »
 قالت كادي : « يجب ان تأكله عندما آمرک بذلك . اليس كذلك
 يا دلزي . »
 تصاعد بخار القصعة الى وجهي ، وغست يد فيرش فيها الملعقة
 ودغدغ البخار باطن في .
 قال كونتن : « لا اريد عشاء بعد . كيف يستطيعون ان يقيموا
 حفلة وأمي مريضة . »
 قالت كادي : « سيقيمون الحفلة في الطابق الأسفل . وبوسعك
 ان تنزل الى صحن السلم وتتفرج عليها . وهذا ما سأفعله انا عندما
 ألبس منامتي . »
 قال كونتن : « كانت امي تبكي . الم تكن تبكي ، يا
 دلزي . »
 فقلت دلزي : « دوخنني والله يا ولد بالاسئلة . وعليّ ان اهتبيء
 العشاء هؤلاء المدعوين كلهم حالما تنتهون من أكلکم . »
 وبعد قليل انتهى حتى جاسن من أكله ، وأخذ يبكي .
 فقلت دلزي : « والآن ، عليك ان تهجع . »
 قالت كادي : « انه يبكي كل ليلة منذ ان مرضت امي وما عاد
 ينام معها . طفل بكاء . »
 قال جاسن : « سأشي بکم . »
 واستمرّ في بكائه . فقلت كادي : « لقد وشيت بنا وانتهيت . »

ولم يبق لديك شيء تقوله عنا . »

وقالت دلزي : « عليكم كلكم ان تذهبوا الى فراشكم . » وجاءت ورفعتني عن الكرسي ثم انزلتني ومسحت وجهي ويدي بخرقه دافئة . « فيرش ، استطيع ان تصعد بهم السلم الخلفي بهدوء . وانت يا جاسن . كنفاك بكاء . »

قالت كادي - « لم يحن الوقت للنوم بعد . » « فنحن لا نأوي لفراشنا في مثل هذا الوقت المبكر ابدأ . »

فقالت دلزي : « ولكنكم ستأوون لفراشكم مبكرين هذه الليلة . لقد قال ابوك اصعدوا وناموا حالما تنتهون من العشاء . ألم تسمعيه . »

قالت كادي : « ولكنه قال عليكم ان تستمعوا لكلامي . »

قال جاسن : « لن استمع لكلامك انا . »

قالت كادي : « بل يجب عليك ان تستمع . هيا . عليك ان تصدع بما آمر به »

فقالت دلزي : « فيرش ، اسكتهم . ستلزمون الهدوء كلكم ، أليس كذلك . »

وقالت كادي : « ولماذا نلزم الهدوء هذه الليلة . »

قالت دلزي : « أملك متوعةكة . والآن ، اذهبوا كلكم مع

فيرش . »

وقال كونتن : « قلت لكم ان امي تبكي . » ثم حملني فيرش وفتح الباب المؤدي الى الشرفة الخلفية . فخرجنا وأغلق فيرش الباب .

وجعأت اتشمّم فيرش وأحسّه . « الزموا الهدوء ، كلكم . لن نصعد الدرج بعد . لقد امر السيد جاسن ان نصعد رأساً ، وأمر بأن تطيعوني .

لن استمع لكلامك . قال عليكم كلكم ان تسمعوا مني . ألم يقل ذلك يا كونتن . » كنت أحسّ رأس فيرش ، وأسمعنا . « ألم يقل ذلك

يا فيرش . نعم ، صحيح . اذن فانا اقول لنخرج الى العراء قليلاً .
هيا بنا . » وفتح فيرش الباب وخرجنا .
ونزلنا الدرج .

قالت كادي : « اعتقد ان الافضل لنا ان ننزل الى بيت فيرش ،
فنلزم الهدوء . » وانزلني فيرش من على صدره وأخذت كادي بيدي
ومشينا في المشى الهرميدي .

قالت كادي : « هيا بنا . لقد راح ذلك الضفدع . طفر الى
الحديقة . ربما رأينا ضفدعاً آخر . » وجاء رسكوس بدلاء الحليب .
ومرّ بنا . اما كونتن فلم يرافقنا . لقد جالس على درجات المطبخ .
ونزلنا الى بيت فيرش . وطاب لي ان اشم بيت فيرش . كانت فيه نار وقد
جلس تي بي القرفصاء في قيصه امامها يحركها فتلهب وتتوهج .
ثم نهضت وألبسني تي بي وذهبتنا الى المطبخ وأكلنا . كانت دلزي
تغني فشرعت بالبكاء فكفت . وقالت :
« أبقوه بعيداً عن البيت . »

فقال تي بي : « لا نستطيع ان نذهب في هذه الطريق . »
ولعبنا في الغدير .

وقال تي بي : « لا نستطيع ان نذهب هناك . الا تعلم ان ماما
قالت ذلك . »

كانت دلزي تغني في المطبخ فشرعت بالبكاء .

فقال تي بي : « هس . هيا بنا . لنذهب الى العنبر . »

كان رسكوس في العنبر يحلب البقرات . كان يحلب باحدى يديه
ويثن . وجلست بعض العصافير على عتبة العنبر ترنو اليه . وهبط
احدها ليأكل مع البقرات . وجعلت ارقب رسكوس بينما راح تي بي
يعلف كريني وبرنس . وكان العجل في زريبة الخنازير يحك ببوزه
السلك ، وينخور .

قال رسكوس : « يا تي بي . » فقال تي بي نعم ، وهو في العنبر . ورفعت فانسي رأسها فوق الباب لأن تي بي لم يكن قد علفها بعد . وقال رسكوس : « أسرع وأنجز شغلك هناك . فعليك ان تحلب هذه البقرات . ما عدت اقوى على استعمال يدي اليمنى . » فجاء تي بي وطفق يحلب . وقال :

« لماذا لا تراجع الطبيب . »

— « لا يستطيع الطبيب ان يفعل شيئاً ، في هذا المكان . » قال رسكوس .

قال تي بي : « واي عاة في هذا المكان . »

قال رسكوس : « هذا المكان مشؤوم . 'عدو' بذلك العجل الى مكانه حالما تنتهي . »

هذا المكان مشؤوم ، قالها رسكوس ، كانت النار تعلو وتهبط خلفه وخلف فيرش ، وتزاق على وجهه ووجه فيرش . وانتهت دلزي من وضعي في الفراش . وكانت رائحة الفراش كرائحة تي بي فطابت لي . قالت دلزي : « ماذا تعرف عن ذلك . اي رؤيا رأيت . »

قال رسكوس : « لست بحاجة الى رؤيا . أليس علامة ذلك هذا النائم في الفراش . الم تكن العلامة قائمة هنا ليراها الناس جميعاً طوال السنين الخمس عشرة هذه . »

فقالت دلزي : « افترض ان ذلك صحيح . هل كان في ذلك اذى لك او لعائلتك . فهذا فيرش يشتغل ، وفروني تزوجت فما عادت عالة عليك ، وتي بي قد كبر ليأخذ مكانك عندما يكون الروماتيزم قد نال منك . »

قال رسكوس : « اثنان ليبيّا نداء ربهما حتى الآن . وسيلحق بهما واحد آخر . لقد رأيت العلامة ، ورأيتها انت ايضاً . » فقال تي بي : « سمعت يوماً ينبع تلك الليلة . ورفض دان ان

يأتي ليتعشى أيضاً . رفض ان يتخطى العنبر . وأخذ يعيط حالما هبط
الظلام . وقد سمعه فيرش . »

قالت دلزي : « سيلحق بهما أكثر من واحد آخر . ولكن أرني
إنساناً لن يموت . تبارك يسوع . »

فقال رسكوس : « ليس الموت كل ما هناك . »

قالت دلزي : « أعرف ما الذي يدور في ذهنك . ولن يكون في
ذكرك ذلك الاسم الا الشؤم ، الا اذا كنت ستساخره كلها انخرط في
البكاء . »

قال رسكوس . « هذا المكان مشؤوم . وقد أدركت ذلك أول
الأمر ، وعندما غيروا اسمه لم يبق لدي أي شك . »

قالت دلزي : « كفاك لغواً . » ومدت عليّ الأغطية . وكانت
رائحتها كرائحة تي بي . « اسكتوا كلكم الى ان ينام . »

قال رسكوس : « لقد رأيت العلامة . »

قالت دلزي : « علامة قيام تي بي بكل أعمالك عنك . »
خلده يا تي بي وكونتن الى البيت وليلبوا مع لستر حيث تستطيع
فروني ان تُعفى بهما ، ثم اذهب وساعد اباك .

انتهينا من الأكل . فحمل تي بي كونتن ونزلنا الى بيت تي بي .
فرأينا لستر يلعب بالتراب . فوضع تي بي كونتن على الأرض وجعلت
هي أيضاً تلعب بالتراب . وكان لدى لستر بعض البكرات فتعارك هو
وكونتن وأخذت كونتن البكرات . فبكى لستر وجاءت فروني وأعطت
لستر علبة من الصفيح ليلعب بها ، ثم أخذت أنا البكرات فعاركتني
كونتن وبكيت .

قالت فروني : « هس ، ألا تفعل من نفسك ، فتأخذ لعبة
طفلة . » وأخذت البكرات مني وأعادتني إلى كونتن . وقالت : « هس .
هس . اسكت . »

وقالت فروني : « هس . أتريد من يجلدك ؟ أهذا ما تريده ؟ »
ثم حملت لستر وكونتن . « تعال هنا . » وذهبا الى العنبر . ورأينا
تي بي يحلب البقرة . ورسكوس جالس على الصندوق .
قال رسكوس : « ما به الآن . »

قالت فروني : « يجب ان تبقيه هنا . لقد عاد الى مشجرة هذين
الطفلين ثانية ، آخذاً اللعَبَ منها . لابقَ هنا مع تي بي ، ها ، وحاول
ان تسكت قليلاً . »

وقال رسكوس : « نظّف ضرعها جيداً . لقد جلبت تلك البقرة
الفتية الى أن جفت في الشتاء الماضي . فاذا جلبت هذه أيضاً حتى
الجفاف لم يتبق لنا من حليب . »
كانت دلزي تغني .

قال تي بي : « هناك ، لا . ألا تعلم ان ماما قالت لا تذهبوا
هناك . »
كانوا يغنون .

قال تي بي : « هيا بنا . لنذهب ونلعب مع كونتن ولستر. هيا . »
كان كونتن ولستر يلعبان في التراب أمام بيت تي بي . وفي البيت
نار تعلق وتهبط ، ورسكوس بسواده جالس لإزاءها .
قال رسكوس : « وهذه هي الثالثة ، والحمد لله . قلت لك منذ
سنتين ، هذا المكان مشؤوم . »

قالت دلزي وهي تترع ثيابي : « لماذا لا تتراح عنه اذن ؟
عيرتَ هذا المكان بالشؤم حتى جعل فيرش يفكر بمفيس . ألا
يكفيك ذلك . »

قال رسكوس : « هذا إن كان ذلك هو كل ما سيراه فيرش
من شؤم . »

ودخلت فروني فسألته دلزي :

« هل فرغتم . »

قالت فروني : « تي بي سينتهي بعد لحظة . والسيدة كارولان تريدك ان تضعي كوتن في فراشها »

قالت دلزي : « سأتي بأسرع ما استطيع أما آن لها ان تعلم أن ليست لي اجنحة . »

قال رسكوس : « هذا ما أقوله لك . مشؤوم هو المكان الذي عمتعون فيه عن التلفظ باسم إحدى بناتهم . »

قالت دلزي : « هس . أتريد له ان يبدأ . »

قال رسكوس : « ويربون طفلة دون ان يُعلموها باسم امها . »

قالت دلزي : « لا تقلق نفسك بها . لقد ربيتهم جميعاً ، وأظني استطيع ان اربي واحدة أخرى . فاسكت الآن . ودعه ينام ان كان سينام . »

قالت فروني : « لقد تلفظ باسم . انه لا يعرف اسم أحد . »

قالت دلزي : « اذكريه تَرَي إن كان يعرف ام لا . اذكريه وهو نائم أراهن انه يسمعك . »

قال رسكوس : « انه يعرف أكثر مما يحسب الناس بكثير . لقد عرف أن ساعتهم قد دنت . ولو كان مستطيعاً ان يتكلم لأخبرك متى تأتي ساعته . او ساعتك . او ساعتي . »

فقالت فروني : « ماما ، أخرجي لستر من ذاك الفراش . فهذا الولد يسحره . »

قالت دلزي : « اسكتي . أليس ثمة عقل في رأسك . لماذا تصغين الى رسكوس . هيا يا بنجي ، الى فراشك . »

دفعني دلزي واضطجعت في الفراش وكان لستر قد سبقني إليه ، وغرق في النوم . ثم أخذت دلزي قطعة طويلة من الخشب ووضعتها بيني وبين لستر ، وقالت : « نم على جنبك . لستر صغير وانت لا تريد

أن تؤذيه . »

قال تي بي ، لا تستطيع الذهاب الآن . انتظر .
ونظرنا إلى الناحية الأخرى من ركن البيت وجعلنا نرقب العربات
وهي تبتعد .

قال تي بي : « والآن هيا » . وحمل كونتن وركضنا إلى زاوية
السياج وتفرجنا عليهم وهم يمرون . قال تي بي : « ها هو يضرب .
اترى تلك التي فيها زجاج . انظر إليه . انه يقترب من الهدف اتراه . »
قال لستر ، تعال ، سأخذ هذه الكرة الى البيت ولن أضيعها .
العفو ، مولانا ، لن تأخذها انت . فلو رأها هؤلاء الرجال اذا رأوها
معك لقالوا بانك سرقتها . اسكت ، أف . لن تأخذها . وما شأنك بها .
اتستطيع ان تلعب بالكرة .

كان تي بي وفروني يلعبان في التراب قرب الباب ، وقد وضع
تي بي بعض اليراعات في زجاجة .

قالت فروني : « كيف خرجتم كلكم من الخلف . »
قالت كادي : « عندنا ضيوف . وقد قال أبي ان على البقية هذه
الليلة ان يطيعوني اذن عليكما أنت وتي بي أيضاً ان تطيعاني . »
قال جاسن : « أنا لن أطيعك . وليس ضرورياً ان يطيعك تي بي
وفروني بالتالي . »

قالت كادي : « سيطيعان لو أنا أمرتهما . ولكن قد لا آمرهما . »
قالت فروني : « تي بي لا يطيع أحداً . هل بدأوا الجنازة . »
قال جاسن : « أية جنازة ؟ »
قال فيرش : « ألم تطلب اليك ماما ألا تخبرهم . »
قالت فروني : « حيث ينوحون . لقد ناحوا يومين كاملين على
مسس بيولا كلاي . »

كانوا ينوحون في بيت دلزي . وكانت دلزي تنوح . وكلما ناجت

دلزي قال لستر ، هس ، فنسكت ، وعندها شرعتُ انا بالبكاء وصاح
الكلب « بلو » من تحت سلّم المطبخ . ثم كفت دلزي عن النواح
وكففنا .

قالت كادي : « اوه ، هؤلاء ززوج سود . أما الأناس البيض
فلا يقيمون الجنائز . »

قال فيرش : « أوصتنا ماما بألا نخبرهم يا فروني . »

قالت كادي : « نخبرونهم بماذا . »

ناحت دلزي ، واذا بلغت المكان جعلت ابكي وصاح « بلو » من
تحت السلم . وقالت فروني من النافذة يا لستر خذهم الى العنبر . لا
استطيع ان انجز الطبخ مع كل هذا الضجيج . وذلك الكلب ايضاً .
اخرجهم من هنا .

فقال لستر ، لن اذهب هناك . قد ألقى ابي هناك . لقد رأيته
ليلة البارحة في منامي ، وهو يلوح بذراعيه في العنبر .
قالت فروني : « ولم لا بربك . فالبيض ايضاً يموتون . أو ليست
جدتك ميّنة كأبي زنجي ميت . »

قالت كادي : « الكلاب ميّنة . وعندما سقطت نانسي في الخندق
رماها رسكوس بالرصاص وحطّت عليها الصقور وعرتها . »

برزت العظام مستديرة الى ضوء القمر من جوف الخندق ، والدوالي
الداكنة في الخندق الأسود ، كأعما بعض الأشكال قد توقفت . ثم
توقفوا كلهم وأظلمت الدنيا ، وعندما توقفت لأبدأ من جديد سمعت
امي وأقداماً تهرول مبتعدة عني ، وشممت رائحتها . ثم جاءت الغرفة ،
ولكن عيني أغمضت ، ولم أتوقف . وشممت رائحتها . وهياً تي بي
ثياب النوم .

وقال : « ش ش ش . »

غير انني كنت أشم رائحتها . ورفعي تي بي وألبسني ثيابي على

عجل .

قال : « اسكت يا بنجي . اننا ذاهبون إلى بيتنا . وانت تريد الذهاب إلى بيتنا ، حيث نجد فروني ، ها . ش ش ش . »
شدّ سير حذائي وألبسني قبعتي وخرجنا . وكان في المدخل ضوء ، وعبر المدخل سمعنا صوت أمي .

قال تي بي : « هس ، بنجي . سنخرج بعد لحظة . »
ثم انفتح باب واشتدت رائحتها في أنفي ، وبرز رأس . لم يكن رأس أبي ، فقد كان أبي مريضاً .
— « أبوسعك ان تخرج به من البيت . »

قال تي بي . « هذا ما سأفعله . » وصعدت دلزي الدرج .
وقالت : « هس . خذه إلى بيتنا يا تي بي . ستهيء له فروني فراشاً . واعتنوا به جميعكم . اهدأ يا بنجي . واذهب مع تي بي . »
وراحت إلى حيث كنا نستطيع ان نسمع صوت امي .
« الأفضل ان تبقى هنا . » لم يكن المتكلم أبي . وأغلق الباب ، ولكنني كنت ما أزال أشم رائحتها .
ونزلنا السلم . وكان السلم ينحدر إلى الظلام ، وأخذ تي بي بيدي ، وخرجنا من الباب ، من الظلام . ووجدنا دان جالساً في الحوش الخلفي وهو يولول .

قال تي بي : « لقد اشمّ رائحتها . أهكذا اكتشفت أمرها . »
ونزلنا السلم ، حيث وجدنا ظلالنا .
وقال تي بي : « نسيت معطفك . كان ينبغي أن تلبسه . ولكنني لن أعود . »
وعاط دان .

فقال تي بي : « اسكت . » وتحركت ظلالنا ، الا ان ظل دان لم يتحرك الا ليولول كلما تحرك .

قال تي بي : « لا يمكنني ان آخذك الى البيت وأنت تولول على هذا النحو . كان صوتك قبيحاً بما فيه الكفاية قبل ان يغدو كصوت الضفدع . هيا . »

مشينا الممشى القرميدي بطوله ، بصحبة ظلالنا . وكانت رائحة زريبة الخنازير كرائحة الخنازير نفسها . ووقفت البقرة في الحقل تنظر الينا وهي تجتر . ودان يولول .

قال تي بي : « ستوقظ المدينة كلها . ألن تسكت . »
ورأينا فانسى تأكل قرب الغدير . ولما بلغنا هناك سطع القمر على الماء .
قال تي بي : « لا ، لا ، لا ، مولانا . هذا المكان قريب جداً . لا نستطيع التريث هنا . هيا بنا . والآن ، انظر الى حالك . لقد بللت ساقك كلها . هيا ، هيا . » وكان دان يعيط .
وطلع الخندق من بين العشب الأغصان . وبرزت العظام من بين الدوالي السوداء .

وقال تي بي : « والآن ، ولول واصرخ الى ان تزهق روحك . امامك الليل بطوله ومرعى بعشرين فدانا تولول فيها . »
اضطجع تي بي في الخندق ، وجلست أنا ارقب العظام حيث راحت الصقور تأكل نانسي ، وهي ترفرف منطلقة من الخندق سوداء بطيئة ثقيلة .

قال لستر ، كانت معي عندما جئنا هنا من قبل . وأريتك اياها .
ألم ترها . اخرجتها من جيبي هنا وأريتك اياها .
قالت كادي : « اتعتقد ان الصقور ستعري جدتي ؟ انت مجنون . »
قال جاسن : « انت بواله . » وشرع يبيكي .
قالت كادي : « انت جحش . » وبكى جاسن ، ويداه في جيبه .
قال فيرش : « جاسن سيصبح غنياً . انه لا يني عن ادخار نقوده . »
وبكى جاسن .

قالت كادي : « أترى . لقد أبكىته . هس ، جاسن . كيف تستطيع الصقور الدخول الى حيث توجد جدتي . سيمنعها عنها بابا . أسمح أنت لصقر بتعريتك . اسكت . »

فسكت جاسن ، وقال : « قالت فروني ان تلك جنازة . »
فقلت كادي : « كذب . انها حفلة . فروني لا تعرف شيئاً عن ذلك . يا تي بي ، انه يريد يراعاتك فدهه يمسك بالزجاجة قليلاً . »
وناولني تي بي زجاجة الفراشات .

قالت كادي : « اراهنكم اننا لو ذهبنا الى نافذة الصالون لرأينا شيئاً ما . وحينئذ تصدقوني . »

قالت فروني : « اعرف ما الذي هناك . لا حاجة بي الى أن أراه . »
قال فيرش : « خير لك أن تخوسي ، يا فروني . ستجلك ماما . »
قالت كادي : « ما الأمر . »

قالت فروني : « الذي أعرفه أعرفه . »
قالت كادي : « هيا بنا لنذهب الى مقدمة البيت . »
وبدأنا بالاتجاه نحوه .

وقالت فروني : « تي بي يريد يراعاته . »
فقلت كادي : « دعه يمسك بها فترة أخرى ، يا تي بي سنعيدها اليك . »

قالت فروني : « لم يمسكها أحد منكم . »
فقلت كادي : « لو قلت ان بوسعكما انت وتي بي المجيء معنا ، فهل تسمحان بابقائها معه ؟ »
قالت فروني : « وهل قال أحد ان علينا ، أنا وتي بي ، ان نطيعك . »

قالت كادي : « واذا قلت انكما في حيلٍ من ذلك ، فهل تسمحان بابقائها معه ؟ »

قالت فروني : « حسناً . اتركها معه يا تي بي . ودعينا نذهب
لنراهم يندبون . »
قالت كادي : « انهم لا يندبون . قلت لك انها حفلة . يا فيرش ،
فكيف يندبون . »

قال فيرش : « ما دمنا واقفين هنا ، فلن نعرف الحقيقة . »
قالت كادي : « هيا بنا . فروني وتي بي في حِلٍّ من ان يطيعاني
أما الباقون فلا . الأفضل ان تحمله يا فيرش . لقد بدأت الدنيا تُظلم . »
فحمل فيرش وانعطفنا حول المطبخ .
عندما انعطفنا عند الزاوية رأينا الاضواء تصعد الطريق . وعاد تي بي
الى باب القبو وفتحه .

قال تي بي : اتعرف ما الذي هناك ، ماء الصودا . لقد رأيت
السيد جاسن يصعد من هنا وكلتا يديه مليئة بها . انتظر هنا لحظة .
وذهب تي بي وتطلع من باب المطبخ . فقالت دلزي ، ما الذي
تتلصص عليه . اين بنجي .

فقال : انه في الخارج ، هنا .

قالت دلزي : اذهب واعتنِ به . وابقِه خارج المنزل .

فقال تي بي : نعم ، ماما . هل بدأوا .

فقالت دلزي : اذهب وأبعد ذلك الولد عن الانظار . حسبي ما لديّ

من شغل .

زحفت أفعى خارجة من تحت البيت . وقال جاسن انه لا يخاف
الأفاعي وقالت كادي بل يخافها أما هي فلا تخافها وقال فيرش انها
كليهما يخافان الأفاعي فقالت كادي ان لا تحدثوا ضجيجاً كما قال ابي .

قال تي بي لا حاجة بك الى الشروع بالولولة .

اتريد شيئاً من هذا الشراب .

دغدغ الشراب انفي وعيني .

وقال تي بي ، ان كنت لا تشربه ، فعليّ به . حسناً هاكه .
لنأخذ زجاجة اخرى ما دام احد ما لا يزعجنا . ولكن ، اهدأ يا
بنجي .

وقفنا تحت الشجرة قرب نافذة الصالون . وأنزلني فيرش عنه واضعاً
ايادي على العشب البليل . وكان الطقس بارداً . والنوافذ تشع أضواء .
وقالت كادي : « ان امي في تلك الغرفة وهي أبداً طريحة الفراش .
وعندما تشفى سندهب في سفرة معاً . »

قالت فروني : « ما أعرفه أعرفه . »

كانت الأشجار غناء ، وكذلك كان العشب .

قالت كادي : « والغرفة التالية هي الغرفة التي نمكث فيها اذ نمرض
بالحصبة اين تحصّبان انتِ وتي بي ، يا فروني . »
قالت فروني : « مخصّب حيثما نكون . »

قالت كادي : « لم يبدأوا بعد . »

قال تي بي ، انهم يتهيأون للبدء . قف هنا ولا تتزحزح الى ان
احضر ذلك الصندوق لكي نستطيع به ان نطال النافذة . لحظة . لنكمل
شرب هذا الشراب انه يجعلني اشعر في داخلي كبوم الشقوق .

شربنا الشراب ودفع تي بي بالزجاجة من خلال المشبك إلى مانتحت
البيت ، وذهب . كنت أسمعهم في الصالون وتشبّثت بالحائط بأصابعي
المفتوحة . وجرّ تي بي الصندوق ، ووقع ، فأخذ يضحك . وبقي
مُلقيّ هناك يضحك ووجهه في العشب . ثم نهض وجرّ الصندوق إلى
ما تحت النافذة ، محاولاً ألاّ يضحك .

قال تي بي : « أخشى ان اصبح . اصعدي انتِ وانظري ان كانوا
قد بدأوا . »

قالت كادي : « لم يبدأوا لأن الفرقة الموسيقية لم تأتِ بعد . »

قالت فروني : « ولكنهم لم يأتوا بفرقة موسيقية . »
 قالت كادي : « وكيف عرفت . »
 قالت فروني : « ما أعرفه أعرفه . »
 قالت كادي : « انت لا تعرفين شيئاً . » وذهبت الى الشجرة وقالت :
 « ارفعني يا فيرش . »
 قالت فروني : « ألم يقل لك أبوك ان تبتعدي عن هذه الشجرة . »
 قالت كادي : « كان ذلك من زمان . ولا بد انه قد نسي الموضوع .
 وفضلاً عن ذلك ، لقد أمركم والدي باطاعتي الليلة . ألم يقل ان عليكم
 ان تطيعوني الليلة . »
 قال جاسن : « لن اطيعك أنا . ولن يستمع اليك فروني
 وني بي أيضاً . »
 قالت كادي : « ارفعني يا فيرش . »
 قال فيرش : « حسناً انت التي ستُجلدين ، لا أنا . » وذهب
 ورفع كادي بين اوراق الشجرة ، الى أول فرع فيها . ونظرنا الى مؤخر
 سرواها الملوث بالطين ثم لم نعد نستطيع رؤيتها . وسمعنا الشجرة تهسهس
 وهي تعلو وتنخفض .
 وقال فيرش : « أُنذرك السيد جاسن بأنه سيجلدك اذا ما كسرت
 تلك الشجرة . »
 فقال جاسن : « وسوف أشي بها أيضاً . »
 ثم توقفت الشجرة عن الهسهسة والحركة . فنظرنا الى الاغصان
 الساكنة .
 وهمست فروني : « ما الذي ترين . »
 رأيتهن . ثم رأيت كادي ، والزهود في شعرها ، في نقاب طويل
 كريح ساطعة . كادي كادي .
 قال تي بي : « هس ، سيسمعونك . انزل بسرعة . » وسحبني . كادي .

وتشبَّهتُ بالحائط بأصابعي المفتوحة . كادي . وسحبني تي بي .
وقال : « هس . هس . تعال هنا بسرعة » . وجرتني معه . كادي .
صه ، يا بنجي . أتريدهم أن يسمعوك . هيتا بنا . لنشرب المزيد من
ذلك الشراب ، ثم نعود الى هنا لو انت سكت . لنذهب ونأخذ زجاجة
أخرى ، والا عطنا كلانا . بإمكاننا ان نقول ان دان هو الذي شربها .
السيد كونتن يتباهى دائماً بشطارة كلبه ، وبإمكاننا ان نقول انه كلب
شراب أيضاً . »

هبط ضوء القمر على درجات القبو . وشربنا المزيد من الشراب .
قال تي بي : « اتعرف ما الذي أتمناه ؟ أتمنى لو يدخل دب باب
القبو هذا . أتعرف ما انا فاعل حينذاك ؟ سأذهب اليه وأقبله وأبصق
في عينه . ناولني تلك الزجاجة لأسد في قبل ان اعيط . »
وسقط تي بي ، وأخذ يضحك ، وقفز باب القبو وضوء القمر
مبتعدين عني وضربني شيء ما .

قال تي بي محاولاً ألا يضحك : « اسكت . يا الله ، سيسمعوننا .
أنهض . أنهض يا بنجي . أسرع . » وراح يخط ويقهقه وحاولت ان
أنهض . وصعدت الدرجاتُ التل ركضاً في ضوء القمر ، وسقط تي بي
على التل ، في وسط ضوء القمر ، وجريت ازاء السياج وجرى تي بي
ورائي وهو يقول : « اسكت اسكت . » ثم سقط بين الزهور مقهقهاً
وركضتُ وارطمتُ بالصندوق . ولكن عندما حاولتُ التسلق عليه تقلقل
من تحتي فوقعت واصيب رأسي من الخلف وحدثت حنجرتي صوتاً .
ثم احدثت الصوت ثانية واقلعت عن محاولة النهوض ، وحدثت الصوت
مرة اخرى فشرعتُ بالبكاء . غير ان حنجرتي ظلت تحدث الصوت وما
عدت أعرف أنا أبكي ام لا ، وسقط تي بي عليّ ، مقهقهاً ، وظلت
حنجرتي تحدث الصوت وركل كونتن تي بي وضمتني كادي بذراعيها
ونقابها الساطع ، وما عدت اشم الاشجار ، وشرعت بالبكاء .

قالت كادي ، بنجي بنجي . وضمتني بذراعيها من جديد ولكنني ابتعدت عنها . وقالت : « ما بك يا بنجي . أهى هذه القبعة التي تزعجك . » ونزعت قبعتها وجاءت اليّ ثانية ، وابتعدتُ عنها .

وقالت : « بنجي . ما الأمر . ما الذي فعلته كادي . » قال جاسن : « انه لا يحب فستانك هذا الذي تتغاوين به . تحسبن انك قد كبرت ، أليس كذلك . وتحسبن انك أفضل الناس جميعاً ، أليس كذلك . متغاوية . »

قالت كادي : « سُدِّ فمك ، ايها الوحش الصغير القذر. بنجي . » قال جاسن : « أألنك الآن في الرابعة عشرة تحسبن انك قد كبرت ، أليس كذلك . تحسبن نفسك شيئاً . أليس كذلك . »

قالت كادي : « هس ، يا بنجي . سترعج امي . » غير انني لم اسكت ، وعندما ذهبت غني تبعْتُها ، ووقفتُ على الدرج وانتظرت ، فوقفت انا أيضاً .

فقالت كادي : « ما الأمر ، يا بنجي . قل لكادي ماذا تريد ، فتفعله . حاول . »

وقالت امي : « كاندس . »

قالت كادي : « نعم ، ماما . »

قالت أمي : « لماذا تشاكسينه . أحضره الى هنا . »

وذهبنا الى غرفة امي ، حيث وجدناها تستلقي والمرض على فراش واحد وقد وضعت خرقة على رأسها .

قالت امي : « ماذا بك يا بنجامين . »

قالت كادي : « بنجي . » وجاءت مرة اخرى، ولكنني ابتعدت .

فقالت امي : « لا بد انك أصبته بأذى . لماذا لا تركينه وشأنه ،

فأنعم بشيء من الراحة . اعطيه الصندوق ثم ارجوك ان تذهبي وتركيه وشأنه . »

وجلبت كادي الصندوق ووضعتة على الأرض وفتحته . واذا هو مليء بالنجوم . اذا سكنتُ سكنتُ ، واذا تحركتُ لمعتُ وشعشتُ . وسكتُ .

ثم سمعتُ كادي تمشي ، فبدأتُ من جديد .
فقلت امي : « بنجامين . تعال هنا . » ولكنني مشيت نحو الباب .
فقلت امي : « انت يا بنجامين . »

قال ابي : « والآن ، ما الامر . اين ذاهب انت . »
قالت امي : « خذه الى اسفل واعهد الى احد بالاعتناء به ، يا جاسن . ألا تعلم انني مريضة . ومع ذلك فانك .. »
واغلق ابي الباب وراءنا .

نادى ابي : « تي بي »
فرد تي بي من اسفل الدرج : « سيدي . »
قال ابي : « سيأتي بنجي اليك . اذهب مع تي بي . »
وذهبت الى باب الحمام . وسمعت الماء .
صاح تي بي من اسفل الدرج : « بنجي »
سمعت الماء ، فجعلت اصغي اليه .
صاح تي بي من اسفل الدرج : « بنجي »
واصغيت الى الماء .

ولم استطع سماع الماء ، وفتحت كادي الباب .
وقالت : « يا بنجي . » ونظرتُ اليّ ومشيت وضممتي بذراعيها .
وقالت : « أوجدتُ كادي ثانية . أظننت ان كادي قد هربت ؟ »
وكانت رائحة كادي كالشجر .

ذهبنا الى غرفة كادي ، وجلست هي امام المرأة . ثم أوقفت يديها ونظرت اليّ .

وقالت : « ما السذي دهاك يا بنجي . بالله لا تبك . لن تذهب

كادي . انظر الى هذه . » ورفعت الزجاجاة وفتحت سدادتها وأدنتها من أنفي . « طيبة . شَم . زكية . »

ابتعدت عنها ولم اكف ، وامسكت الزجاجاة بيدها وهي تنظر إليّ . ثم وضعت الزجاجاة وجاءت إليّ وضممتني بذراعيها وقالت : « آه . اهذا اذن ما تريد . كنت تحاول أن تقولها لكادي ، ولم تستطع ان تقولها . اردت ان تقولها ، ولكنك لم تستطع ، أليس كذلك . طبعاً لن تفعلها كادي . طبعاً لن تفعلها كادي. انتظر ريثما أرتدي ملابسني . » وارتدت كادي ملابسها وأخذت الزجاجاة ونزلنا معاً إلى المطبخ .

قالت كادي : « دلزي . لقد جاءك بنجي بهدية. » وانحنى ووضع الزجاجاة في يدي . « ناولها لدلزي . » وأمسكت كادي بيدي ومدتها وأخذت دلزي الزجاجاة .

وقالت دلزي : « بارك الله فيك ، يا طفلي المحبوب . اتعطي دلزي زجاجة عطر . انظر يا رسكوس ، انظر . » كانت رائحة كادي كالشجر .

قالت دلزي : « بس ، بس . لقد كبرت ، ولا يليق بك أن تنام مع الآخرين . انت ولد كبير الآن . عمرك ثلاث عشرة سنة . ففي سنك يجب ان تنام وحده في غرفة خالك موري . » كان خالي موري مريضاً . عينه مريضة ، وفه . وكان فيرش يحمل اليه عشاءه على طبق .

قال ابي « يقول موري انه سيرمي هذا النذل بالرصاص . وقلت له من الافضل الا يذكر الامر لباترسن مقدماً . » وراح يشرب . قالت أمي : « جاسن . »

قال كوئنن : « يرمي من ، يا أبي ، ولماذا يرميه خالي موري بالرصاص . »

قال ابي : « لأنه لم يستطع ان يتحمل نكتة صغيرة . »
 قالت أمي : « جاسن . كيف يهون عليك ذلك . انك والله لتستطيع
 ان تجلس في كرسيك وترى موري وهم يقتلونه بالرصاص في كمين ،
 وتضحك . »

قال ابي : « اذن ، خيرٌ لموري ان يبتعد عن الكمين . »
 قال كونتن : « يرمي من ، بابا . من هو الذي يريد خالي ان يرميه . »
 قال ابي : « لا أحد . فأنا لا مسدس لدي . »
 وأخذت أمي تبكي : « اذا كنت تستكثر على موري طعامك الذي
 يأكله ، فلم لا تبدي رجولتك وتذكر له ذلك وجهاً لوجه . أمّا أن
 تسخر منه أمام الاطفال ، وراء ظهره . »
 قال ابي : « انا لا أسخر منه ، طبعاً . إني معجب بموري ، وهو
 عزيز عليّ من حيث حسّي بالسمو العنصري . وما كنت لاستبدل موري
 بثوري حراثة . أو تعلم لماذا يا كونتن . »
 قال كونتن : « لا يا أبي . »

قال أبي : « Et ego in arcadia ، لقد نسيت اللفظة اللاتينية بمعنى
 « تبّ » . لا ، لا . إنني امزح . » وجرع ، ثم وضع الكأس وذهب
 ووضع يده على كتف امي .

قالت امي : « ليس في الامر نكتة . فأهلي لا يقلّون عن اهلك
 محتدّاً وشرفاً نسب . ولكن ، لمجرد أن موري غليل الجسم . »
 فقال أبي : « بالطبع . ان السقم هو السبب الأول للحياة . يخلقها
 المرض ، في العفن والفساد ، ليدفع بها الى التفسخ والانحلال . فيرش . »
 قال فيرش من وراء مقعدي : « سيدي . »

— « نخذ القارورة واملأها . »

قالت أمي : « وقل لدلزي ان تعالي واصعدي بنجامين الى فراشه . »
 قالت دلزي : « انت ولد كبير . ولقد سئمت كادي النوم معك . »

والآن ، اسكت ، لكي تنام . » ابتعدت الغرفة ، ولكنني لم اسكت ، وعادت الغرفة وأتت دلزي وجلست على الفراش وهي تنظر إليّ .

قالت دلزي : « ان تكون ولدأ عاقلاً فتسكت ، ها . لا ، لن تكون . إذن أستطيع ان تنتظر لحظة . »

وذهبت . لم يكن في الباب شيء . واذا فيه كادي .

قالت كادي : « صه . ها قد جئت . »

فسكتْ وقلبت دلزي غطاء الفراش واندست كادي بين الغطاء والبطانية ولم تنزع عنها « الروب » .

وقالت : « والآن ، ها انذا هنا . » وجاءت دلزي ببطانية نشرتها عليها وأدخلت حوافها تحت الفراش .

قالت دلزي : « سينام في لحظة . لن اطفىء النور في غرفتك . »

قالت كادي : « حسناً . » ووضعت رأسها لصق رأسي على المخذة .

ثم قالت : « تصبحين على خير ، يا دلزي . »

قالت دلزي : « تصبحين على خير ، يا حبيبي . » واسودت الغرفة .

وكانت رائحة كادي كالشجر .

رفعنا أنظارنا الى الشجرة حيث كانت كادي .

فهمست فروني : « ما الذي تراه ، يا فيرش . »

قالت كادي وهي على الشجرة ش ش ش وقالت دلزي :

« تعالوا هنا . » وجاءت من حول منهطف البيت . « لماذا لم تصعدوا الى فوق ، كما قال أبوكم ، بدلاً من التسلل الى الخارج من وراء ظهري .

اين كادي وكونتن . »

قال جاسن : « قلت لها ألاّ تتساق تلك الشجرة . سأشي بها والله . »

قالت دلزي : « من على الشجرة . اية شجرة . » وجاءت ورفعت بصرها الى الشجرة ، ونادت : « كادي . » فجعلت أغصان الشجرة تضطرب من جديد .

قالت دلزي : « انت يا شيطانة . انزلي من هناك . »
 قالت كادي : « هس ، ألا تعلمين ان أبي أمرنا بالهدوء . »
 وتدلّت ساقها أمام أعيننا ورفعت دلزي يديها وحملتها من على الشجرة .
 قالت دلزي : « أما عندك عقل ، فتسمح لهم بالمجيء هنا . »
 ورد فيرش : « ما قدرتُ عليها . »
 قالت دلزي : « ما الذي تفعلونه هنا . من طلب منكم ان تأتوا الى البيت . »

قالت فروني : « هي التي طلبت الينا . »
 قالت دلزي : « ومن قال ان عليكم ان تطيعوها . هيا بكم ، الى البيت . » فذهب فروني وتي بي . وعجزنا عن رؤيتها وهما يبتعدان .
 قالت دلزي : « أهنا في هذا العراء وفي منتصف الليل . » وحلّني وذهبنا الى المطبخ .
 قالت دلزي : « تتسللون من وراء ظهري ، وانتم تعلمون ان اوان نومكم قد فات . »
 قالت كادي : « ش ش ش يا دلزي . لا ترفعي صوتك . علينا بالهدوء . »

قالت دلزي : « اذن سدي فمك انت واهدأي . اين كونتن . »
 قالت كادي : « لقد غضب كونتن لان طاعتي قد فرضت عليه فرضاً هذه الليلة . وهو لم يرجع بعد زجاجة اليراعات الى تي بي . »
 قالت دلزي : « أتصور ان تي بي يستطيع الحياة بدونها . فيرش ، اذهب وابحث عن كونتن . لقد قال رسكوس انه رآه ذاهباً في اتجاه العنبر . » وذهب فيرش ، ولم نعد نراه .
 قالت كادي : « انهم لا يفعلون شيئاً هناك . مجرد جلوس على الكراسي ينظرون ، لا أكثر ولا أقل . »

قالت دلزي : « وهم ليسوا بحاجة الى معونة منكم ليفعلوا ذلك . »
ومشينا حول المطبخ .

قال لستر ، اين تريد الذهاب . اتريد ان تعود لتتفرج عليهم وهم
يضربون الكرة مرة اخرى . لقد انتهينا من البحث عنها هنا . اسمع .
انتظر دقيقة . انتظر هنا ريثما اعود واجلب تلك الكرة . لقد خطرت
ببالي فكرة .

كان المطبخ مظلماً . وكانت الأشجار سوداء على السماء . وجاء دان
يخبط خبطاً من تحت الدرج وجعل يمضغ كاحلي . ومشيت حول المطبخ ،
حيث كان القمر . وجاء دان وهو يخبط ودخل في القمر .

وقال تي بي بي في المنزل : « بنجي . »

لم تكن شجرة الورد قرب نافذة الصالون مظلمة ، غير ان الاشجار
الكثيفة كانت مظلمة . وكان العشب يثرثر في ضوء القمر حيث راح ظلي
يمشي على العشب .

قال تي بي بي في المنزل : « انت يا بنجي . اين اختفيت . تريد
التسلل . أنا عارف . »

عاد لستر وقال ، انتظر . اسمع . لا تذهب هناك . الآنسة كوتن
وحبيها هناك في الأرجوحة . تعال وامش من هذه الناحية . تعال هنا ،
يا بنجي .

كان ما تحت الاشجار مظلماً . ورفض دان المجيء ، وبقي في ضوء
القمر . ثم رأيت الأرجوحة وشرعت بالبكاء .

قال لستر ، لا تقترب من هناك ، يا بنجي . الا تعلم ان الآنسة
كوتن ستغضب عليك .

كان في الأرجوحة اثنان ، ثم واحد . وجاءت كادي تهرول ،
بيضاء في الظلام .

وقالت : « كيف خرجت خفية . اين فيرش . »

واحاطني بذراعيها وسكتُ وتشبثُ بفستانها وحاولت ان اسحبها بعيداً .

قالت كادي : « ما الذي تريده يا بنجي . » ثم صاحت : « تي بي . »

فنهض الشخص الذي في الأرجوحة وتقدم منا . وبكيت وشددت ثوب كادي .

قالت كادي : « بنجي . ما هذا إلا شارلي . ألا تعرف شارلي . »
قال شارلي : « اين عبْدُهُ الاسود . لماذا يدعونه يسرح طليقاً . »
قالت كادي : « صه، بنجي . انصرف يا شارلي . انه لا يحبك . »
وانصرف شارلي وسكت . وسحبت فستان كادي .

قالت كادي : « بنجي ، يا بنجي . ألن تدعني أبقى هنا فترة للتحدث الى شارلي . »

قال شارلي : « نادي ذلك العبد الاسود . »

ثم عاد . فاشتد بكائي وسحبت فستان كادي .

قالت كادي : « انصرف يا شارلي . » فجاء شارلي ووضع يديه على كادي . فزاد بكائي ، وجعلت أعيط .

قالت كادي : « لا ، لا ، لا ، لا . »

قال شارلي : « انه لا يستطيع الكلام يا كادي . »

قالت كادي : « أجُننت . » وأخذت تتنفس بسرعة . « ولكنه يبصر .

لا ، لا ، لا . » وجعلت كادي تكافح . وكلاهما يتنفسان بسرعة .

« أرجوك ، أرجوك » همست كادي .

قال شارلي : « اصرفيه . »

قالت كادي : « سأصرفه . خلّني . »

قال شارلي : « ألن تصرفيه . »

قالت كادي : « بلى . خلّني . » وذهب شارلي . وقالت كادي :

« كفى . لقد ذهب . » فسكت . وصار بوسعي ان اسمعها وأحس نبض صدرها .

وقالت : « يجب أن آخذه الى البيت . » وأخذت بيدي . ثم همست : « لاني قادمة . »

قال شارلي : « انتظري . نادي الزنجي . »

قالت كادي : « لا ، سأعود . هيا بنا يا بنجي . »

فهمس شارلي بصوت عال : « كادي . » ومشينا . « الافضل لك ان نعودي . أتعودين . » وجعلنا أنا وكادي نركض وصاح شارلي « كادي . » وركضنا إلى ضوء القمر ، في اتجاه المطبخ .

ونادى شارلي : « كادي . »

وبقينا انا وكادي نركض . وصعدنا ركضاً درجات المطبخ إلى الشرفة ، وركعت كادي في الظلام وأمسكت بي . وجعلت اسمع وأحس صدرها . وقالت : « لن افعلها . لن افعلها ثانية ، أبداً . بنجي ، بنجي . » وأخذت تبكي ، فبكيت ، وتعانقنا . وقالت : « هس . لن افعلها ثانية . » فسكت ، ونهضت كادي ودخلنا المطبخ وأشعلنا الضوء وتناولت كادي صابونة المطبخ وغسلت فيها عند المغسلة غسلاً عنيفاً . وكانت رائحة كادي كالشجر .

قال لستر قلت لك وأعدت القول ان ابتعد عن ذلك المكان . وجلسا منتصبين في الأرجوحة ، بسرعة . وقد وضعت كوتن يدها على شعرها . وكان رباطه أحمر .

وقالت كوتن ، يا أبله يا معتوه . والله سأخبر دلزي بأنك تدعه يتبعني اينما ذهب . وسأجعلها تجلدك جلدة لا تنساها عمرك كله .

قال لستر : « لم استطع إيقافه هيا بنا ، يا بنجي . »

قالت كوتن : « تستطيع ذلك طبعاً ولكنك لم تحاول . لانكما تتعقباني . هل ارسلتكما جدتي لكي تتجسسا عليّ . » وقفزت من على الأرجوحة .

« اذا لم تأخذ هذه اللحظة وتُبقيهِ بعيداً عني ، فسأجعل جاسن يجلدك . »
قال لستر : « أنا لا اقدر عليه حاولي انت ان ترغبيه ، ان كنت
تظنين انك تستطيعين . »

قالت كونتن : « لإخرس . أَلن تصرفه ؟ »
قال : « آه ، دعيه يبقِ . » وكان رباطه أحمر ، والشمس حراء
عليه . « عينك عليّ يا رجل . » وأشعل عود كبريت ووضعه في فمه .
ثم أخرجه من فمه وهو ما زال يشتعل . وقال : « اتريد ان تجرب . »
فدنت منه . وقال : « افتح فمك . » ففتحت في . ولكن كونتن
ضربت عود الكبريت بيدها ، فسقط .

قالت كونتن : « لعنك الله . أتريد له ان يبكي . ألا تعلم انه سيظل
يولول طيلة النهار . سأخبر دلزي عنك . » وراحت تركض .

فقال : « اسمعي ، يا فتاة . اسمعي . ارجعي . لن اداعبه . »
وركضت كونتن حتى بلغت البيت . ودارت حول المطبخ .

وقال : « اذن ، أفسدت الأمور ، يا رجل . »

فقال لستر : « لأنه لا يفهم ما تقول . فهو أصمّ وابكم . »

قال : « صحيح . منذ متى . »

قال لستر : « منذ ثلاثة وثلاثين عاماً ، لقد ولد في مثل هذا
اليوم . لقد ولد معتوهاً . هل انت احد اعضاء جماعة السيرك . »

— « لماذا . »

— « لاني لا اتذكر انني رأيتك في هذه الاماكن من قبل . »

— « حسناً . وماذا تريد . »

— « لا شيء . سأذهب الى السيرك هذه الليلة . »

نظر اليّ .

وقال لستر : « هل انت الرجل الذي يعزف نغمًا على المنشار . »

— « ستكلفك مغرفة الجواب ربع دولار . » قال ذلك ثم نظر

اليّ . « لماذا لا يسجنونه في غرفة ما . لماذا جئت به الى هنا . »
 قال لستر : « ليس ذلك من شأني . انا لا اقوى عليه . كلّ ما
 هناك هو انني جئت هنا ابحث عن ربعٍ فقدته ، لكي استطيع الذهاب
 الى السيرك الليلة . ولكن يظهر الآن انني لن أنجح في الذهاب . »
 وجعل لستر يتأمل في الأرض ، ثم قال : « أليس لديك ربع زائد . »
 قال : « كلا . ليس لديّ ربع زائد . »

قال لستر : « اذن لا بد لي من ان اجد الربع الآخر . » ووضع
 يده في جيبه ، وقال : « اولا تريد ان تشتري كرة غولف . »
 — « كرة ماذا . »

قال لستر : « كرة غولف ، ولا اريد لقاءها الا ربعاً . »
 — « وما الفائدة منها . ما الذي افعله بها ؟ »

قال : « حسبت انها تفيدك . تعال هنا يا رأس البغل . تعال هنا
 وتفرج عليها وهم يضربون تلك الكرة . هاك . هاك شيئاً تلعب به
 بالاضافة الى زهرة « الجمسن » تلك . » والتقطها لستر واعطاني اياها .
 وكانت برّاقة .

— « اين حصلت عليها . » قال ذلك ، وهو يمشي ورباطه يبدو
 احمر في ضوء الشمس .

قال لستر : « وجدتها تحت هذه الشجيرة . فظننت لبرهة انها الربع
 الذي فقدته . »

وجاء واخذها .

قال لستر : « هس ، سيعيدها عندما يفرغ من النظر اليها . »

— « آغنيس مايل بكسي . » قال ذلك وتطلع الى البيت .

قال لستر : « هس ، انه ينوي اعادتها . »

واعطاني اياها ، فسكتُ .

— « من جاء لرؤيتها الليلة الماضية . »

قال لستر : « لا ادري . انهم يأتون كل ليلة . وهي تستطيع النزول من على تلك الشجرة . وانا لا أتعب آثارهم . »

— « أقسم ان احدهم قد خلف اثرأ وراءه . » قال ذلك ونظر الى البيت . ثم ذهب واضطجع في الارجوحة ، وقال . « انصرف . لا تزعجني . »

قال لستر : « تعال هنا . يكفيك ما سببت من فوضى . لا بد ان الآنسة كونتن قد انتهت من الوشاية بك . »

ودهبنا الى السياج ونظرنا من خلال فسحات الزهور المتشبة . وراح لستر يبحث في العشب .

وقال : « كان معي وانا واقف هنا . » ورأيت العلم يرفرف والشمس تنحدر على العشب الفسيح .

وقال لستر : « سيأتي آخرون عما قريب . هناك الآن جماعة ، ولكنها ذاهبة . تعال وساعدني في البحث عنه . »

وجعلنا نمشي بمحاذاة السياج .

قال لستر : « هس ، كيف أجعلهم يأتون الى هذه الناحية ، وهم لا يأتون . انتظر . سيأتي بعضهم بعد لحظات . انظر هناك . أترى ؟ انهم قادمون . »

ومشيت بمحاذاة السياج ، إلى البوابة ، حيث كانت الفتيات يمررن ، حاملات حقائب كتبهن . « اسمع يا بنجي . » قال لستر . « عد الى هنا . » ما الفائدة من تطلعك من خلال البوابة ، قال تي بي . لقد رحلت كادي وابتعدت في رحيلها . تزوجت وغادرتك . ما الذي ترجوه من التشبث بالبوابة والبكاء والعيول . انها لا تستطيع أن تسمعك . وقالت أمي ، ما الذي يريده يا تي بي . الا تستطيع ان تلاعبه وتهده .

فقال تي بي ، يريد ان ينزل الى هناك لينظر من خلال البوابة .

قالت امي : لن أسمح له ، الدنيا ماطرة . وعليك ان تلاعبه وتهديه .
أنت يا بنجامين .

قال تي بي : لن يهدئه شيء فهو يظن انه اذا نزل الى البوابة ،
عادت كادي اليه .

كلام فارغ ، قالت امي .

سمعتهم يتحدثون . وخرجت من الباب فما عدت اسمعهم ، ونزلت
الى البوابة ، حيث كانت الفتيات يمررن حاملات حقائب كتبهن . كن
ينظرن اليّ ، مسرعات في سيرهن ، ورؤوسهن تستدير نحوي . وحاولت
ان اقول ، غير انهن تابعن السير ، وسرت بمحاذاة السياج محاولاً أن
اقول ، فزدن من سرعتهم . ثم جعلن يركضن وبلغت زاوية السياج
ولم يكن لي مجال للمزيد من السير ، وتشبثت بالسياج ، متطلعاً وراءهن
ومحاولاً ان اقول .

قال تي بي : « انت يا بنجي . ما الذي تفعله ، بعد أن خرجت
متسللاً . الا تعلم ان دلزي ستجلك ؟ »

قال تي بي : « ما الذي ترجوه من عويلك ونشيجك من خلال
السياج ؟ لقد افزعت اولئك الفتيات انظر اليهن ، وهن يمشين على الجانب
الآخر من الشارع . »

قال ابي : كيف خرج ؟ هل تركت البوابة دون ازلاج عندهما
دخلت يا جاسن ؟

قال جاسن : طبعاً لا ، ألا تعلم اني أعقل من ان افعل ذلك .
اتحسب اني كنت اريد وقوع شيء كهذا . الله يعلم ان في هذه الاسرة
من السوء ما يكفيها . وقد كان بوسعي ان أقولها لك طيلة الوقت .
ينخل إلي انك سترسله الآن الى جاكسن . إلا اذا سبقتك المسز بيرجس
باطلاق النار عليه .

قال أبي : اسكت .

وقال جاسن : كان بوسعي أن أقولها لك طيلة الوقت .

كان الباب مفتوحاً عندما لمستهُ ، فأمسكت به في الأصيل . لم اكن ابكي ، وحاولت أن اكفّ ، وانا ارقب الفتيات قادماتٍ في الأصيل .
لم اكن أبكي .

— « ها هو . »

ووقفن .

— « انه لا يستطيع الخروج . وهو ، على كلٍ ، لن يؤدي أحداً . هيا . »

— « انا خائفة . خائفة . سأقطع الشارع . »

— « انه لا يستطيع الخروج . »

لم اكن أبكي .

— « لا تكوني قطعةً خوافة . امشي . »

وتقدّ من في الأصيل . لم اكن أبكي ، وأمسكت بالبوابة . وتقدّ من ببطء .

— « انا خائفة . »

— « لن يؤذيك . اني أمرّ بهذا المكان كل يوم . كل ما هنالك

انه يركض بمحاذاة السياج . »

وتقدمن . وفتحت الباب ، فتوقفن واستدرن . كنت احاول ان اقول

شيئاً ، وامسكت بها محاولاً ان اقله ، فزعتُ وانا احاول ان اقول

واحاول وجعلت الاشكال البراقة تتوقف وحاولتُ ان اخرج . وحاولتُ

ان أزيلها عن وجهي ، غير ان الاشكال البراقة جعلت تتحرك من جديد .

وترقى التل حيث وقعتُ عني ، وحاولتُ ان ابكي . ولكنني عندما

شهقت لم استطع ان ازفر ثانية لأبكي ، وحاولت ألاّ اقع من التل

ووقعتُ من على التل في وسط الاشكال البراقة الدوامة .

قال لستر ، اترى يا معنوه . ها هي ذي جماعة قادمة . فكفّ

عن الشئخ والاني .

اقبلوا صوب العلم . فحمله بعيداً ، وضربت الجماعة اللاعبة ضربتها ،

ثم وضع العلم مكانه .

قال لستر : « يا سيد . »

فالتفت احد الجماعة وقال : « نعم . »

— « أتشتري كرة غولف . »

— « دعني اراها . » قال ذلك واقبل نحو السياج ومدّ لستر له الكرة في يده خلال السياج .

فقال : « من اين لك هذه . »

قال لستر : « وجدتها . »

قال : « اعلم ذلك . ولكن اين . أفي كيس الغولف الذي يخص

احدهم ؟ »

قال لستر : « وجدتها هنا في فناء الدار . اعطيك اياها بربع . »

قال : « وما الذي يجعلك تظن انها كرتك . »

قال لستر : « لأنني وجدتها . »

قال : « اذن ابحث لك عن اخرى . » ووضعها في جيبه ومشى .

قال لستر : « لا بد لي من ان اذهب الى السيرك الليلة . »

قال : « صحيح . » وذهب إلى المستوى وقال : « اليّ يا كادي . »

وضرب .

وقال لستر : « انت والله مشكلة . تولول عندما لا تراهم ، وتولول

عندما تراهم . لماذا لا تسكت . ألا تحسب ان الناس يملّون الاصغاء

اليك طيلة الوقت . هاك . لقد اسقطت زهرة الجمسن . » التقطها

وناولني اياها . « انت بحاجة الى زهرة جديدة . فهذه قد استهلكت : »

ووقفنا عند السياج نرقبهم .

قال لستر : « ذلك الرجل الابيض صعب المعشر . رأيته يأخذ

كرتي . » وتحركوا ، فتحركنا بمحاذاة السياج وبلغنا الحديقة ولم يبق

لنا مجال للمزيد . فأمسكت بالسياج وتطلعت من بين فسحات الزهور .

وانصرفوا .

قال لستر : « لا عذر لك في البكاء الآن . اسكت . فأنا الذي
لديّ ما ابكي عليه ، لا انت . اسمع . لماذا لا تمسك بهذه الزهرة ،
والآن رحت تولول من اجلها بعد لحظة . » وناولني الزهرة . « اين
ذاهب انت الآن . »

كان ظلانا على العشب . وقد ادركنا الاشجار قبلنا . وكان ظلي
الأسبق اليها . ثم وصلنا نحن اليها ، واذا ظلانا قد اختفيا . كان في
الزجاجة زهرة . فوضعت الزهرة فيها .

وقال لستر : « ألسنت رجلاً بالغاً ، وتلعب بزهرتين في زجاجة .
أتعلم ما الذي سيفعلونه بك عندما تموت السيدة كارولايين . سيرسلونك
الى جاكسن ، حيث ينبغي ان تكون . هذا ما يقوله المستر جاسن .
حيث تمسك بالقضبان ليل نهار مع بقية المجانين وتبكي ويسيل لعابك
على هواك . أبروق لك ذلك . »

ثم قذف لستر بالزهرتين بيده وقال : « هذا ما سيفعلونه بك كلما
بدأت بالعياط . »

فحاولت ان ألتقط الزهرتين ، ولكن لستر التقطهما ، وابتعدتا عني .
فجعلت ابكي .

قال لستر : « عطّ ، عطّ . أتريد ما تعيط من اجله . طيب ،
اذن خذها . » وهمس : « كادي . كادي . عطّ ، هلمّ عطّ .
كادي . »

نادت دلزي من المطبخ : « لستر
وعادت الزهرتان . »

قال لستر : « صه . هاك الزهرتين . انظر . ها هما في مكانهما
كما من قبل . والآن ، اسكت . »
قالت دلزي : « انت يا لستر . »

قال لستر : « نعم . نحن قادمان . خربطت الدنيا . انهض . » وشدني من ذراعي فنهضت . وخرجنا من بين الشجر . واختفى ظلانا .
 قال لستر : « هس . انظر الى هؤلاء الناس كلهم وهم يرقبونك . هس »
 قالت دلزي : « تعال به هنا . » ونزلت الدرج .
 وقالت : « ما الذي فعلت به . »
 قال لستر : « لا شيء . فجأة ، بدأ يعيط . »
 قالت دلزي : « كذاب . لقد فعلت به شيئاً . اين كنتما . »
 قال لستر : « هناك تحت اشجار الارز . »
 قالت دلزي : « وأغضبت كورتن أيضاً . لماذا لا تبقى بعيداً عنها .
 ألا تعرف انها لا تريد ان تراه في كل مكان تذهب اليه . »
 قال لستر : « لديها قدر ما لدي من وقت للعناية به . أخالي هو أم خالها ؟ »

قالت دلزي : « لا تجادلني ، يا عبداً أسود . »
 قال لستر : « ما فعلت به شيئاً والله . كان يلعب هناك ، واذا هو فجأة يصيح ويعيط . »
 قالت دلزي : « هل كنت تعيث بمقبرته . »
 قال لستر : « والله ما وضعت يدي على مقبرته . »
 — « لا تكذب عليّ ، يا ولد . » وصعدنا الدرج الى المطبخ .
 وفتحت دلزي باب الموقد وجرت لي كرسيّاً فجلست عليه وأمسكت عن البكاء .

قالت دلزي : لماذا أترتها ، لماذا لم تبقه بعيداً عن ذلك المكان .
 كان يتأمل النار ، لا اكثر ولا اقل ، قالت كادي . وكانت امي تذكر له اسمه الجديد . لم نقصد قط ان نثيرها .
 فقالت دلزي ، صدقت . ولكن ، هو في طرف من البيت وهي في الطرف الآخر . دعي اغراضي وشأنها . ولا تلمسي شيئاً الى ان اعود .

قالت دلزي : « الا تحجل من نفسك ، فتكايده . » ووضعت الكعكة على المائدة .

قال لستر : « انا لم اكايده . كان يلعب بتلك الزجاجاة المملأى بالأعشاب ، وفجأة بدأ بالعياط . وقد سمعته انت . »

سألت دلزي : « الم تفعل شيئاً بزهوره . »
قال لستر : « لم أضع يدي على مقبرته . مالي ولألاعيه . كل ما هناك هو اني كنت ابحث عن ذلك الربع . »

قالت دلزي : « فقدته ، اليس كذلك . » وأشعلت الشموع المغروسة في الكعكة . وكان بعضها صغيراً ، وبعضها كبيراً مجزأ اجزاء صغيرة .
« قلت لك اذهب وخبئه . والآن ، اتصور انك تريدني ان احصل لك على ربع آخر من فروني . »

قال لستر : « لا بد لي من الذهاب الى السيرك ، وُجد بنجي أم لم يوجد . اني أرفض ان اتعبه طيلة النهار ثم طيلة الليل أيضاً . »
— « ستفعل كل ما يشاء هو ان تفعل ، يا عبداً اسود . »
قال لستر : « الا افعل ذلك دائماً ؟ الست دائماً افعل ما يشاء . أنست ، يا بنجي ؟ »

قالت دلزي : « اذن ، استمر في ذلك . كيف تأتي به هنا وهو يبيكي ، وتثيرها هي ايضاً . تعالوا وكلوا هذه الكعكة قبل ان يأتي جاسن . فأنا لا أريد له ان يثب علي من اجل كعكة اشتريتها بنقودي . وانا اصنع الكعكة هنا ، وهو يحصي علي كل بيضة تدخل هذا المطبخ . دعه وشأنه الآن ، الا اذا كنت لا تريد الذهاب الى السيرك الليلة . »
ودهبت دلزي .

قال لستر : « انت لا تستطيع ان تطفىء الشموع . انظر الي وانا اطفئها . » وانحنى ونفخ خديه . وراحت الشموع . وشرعت بالبكاء .
فقال لستر : « هس . انظر الى النار ريثما اقطع الكعكة . »

جعلت اسمع الساعة ، واسمع كادي واقفة خلفي ، واسمع السقف .
السما ما زالت تمطر ، قالت كادي . اكروه المطر . اكروه كل شيء .
ثم استقر رأسها في حضني واذا هي تبكي وقد امسكت بي ، فجعلت
ابكي . ثم نظرت الى النار ثانية وتحركت الاشكال الناعمة البراقة ثانية .
وانا اسمع الساعة والسقف وكادي .

اكلت بعض الكعك . وجاءت يد لستر واخذت قطعة اخرى .
وجعلت اسمعه يأكل . ونظرت الى النار .
سلك طويلاً وقع على عرض كفتي . ذهب الى الباب ، وبعد ذلك
اختفت النار . وبدأت بالبكاء .

قال لستر : « والآن ، علام العياط . انظر هناك . » كانت النار
هناك . فسكت . فعاد يقول : « ألا تستطيع الجلوس والتأمل في النار
هادئاً صامتاً كما اوصتكم امك . الا تحجل من نفسك . هاك قطعة
اخرى من الكعك . »

قالت دلزي : « ما الذي فعلت له الآن . أما تستطيع ان تتركه
وشأنه ابدأ . »

قال لستر : « انما كنت احاول ان اسكنه كي لا يزعج السيدة
كارولالين . ولكن شيئاً ما جعله يبكي من جديد . »

قالت دلزي : « وانا اعرف ما هو اسم ذلك الشيء . سأجعل فيرش
يتناولك بالعصا عندما يعود الى البيت . فأنت تتعمد ابكاه . كنت تفعلها
طيلة النهار . هل انزلته الى الغدير . »

قال لستر : « كلا . كنا هنا في هذا الحوش طيلة النهار ، كما
قلت . »

وامتدت يده طلباً لقطعة اخرى من الكعك . فضرته دلزي على يده .
وقالت : « مدّها ثانية اقطعها من اصلها بسكين الجزّار هذه . اقسم
انه لم يحظَ بقطعة واحدة بعد . »

قال لستر : « بل انه اكل حتى الآن قطعتين ، اي قدر ما اكلت انا . اسأليه . »

قالت دلزي : « مدّ يدك . مدّ يدك لترى . »

قالت دلزي : اي والله صحيح . اتصور ان الدور الآن دوري للبكاء . وأتصور ان موري سيسمح لي انا ايضاً بالبكاء عليه لفترة ما .
قالت كادي : ان اسمه الآن هو بنجي .

قالت دلزي : وكيف يكون ذلك ، هل استهلك الاسم الذي ولد به .
قالت كادي : اسم بنجامين قد ورد في التوراة ، وهذا الاسم خير له من موري .

قالت دلزي : وكيف يكون ذلك .

قالت كادي : امي تقول انه خير له .

قالت دلزي : هه ، لن يسعفه الاسم في شيء . لا ولن يؤذيه .
والناس انما يستجلبون الشؤم بتغيير الاسماء . لقد كان اسمي دلزي منذ مدة تسبق ما استطيع تذكره بكثير وسيبقى دلزي حتى بعد ان ينساني الناس بأمد طويل .

قالت كادي : ولكن كيف سيعرفون انه دلزي اذا كان قد نسي منذ امد طويل ، يا دلزي .

قالت دلزي : سيكون مكتوباً في الكتاب يا حبيبي .

قالت كادي : اتستطيعين ان تقرأيه .

قالت دلزي : لن احتاج الى ذلك ، سيقرواونه لي ، وما علي إلا ان أقول : إني هنا .

وقع السلك الطويل على عرض كتفي ، وراحت النار . وبدأت ابكي . وتشاجر لستر ودلزي .

قالت دلزي : « رأيتك ، والله رأيتك . » وجرت لستر من الزاوية وهي تهزّه . « أتقول لا شيء يزعجه . انتظر الى ان يعود ابوك الى

البيت . يا ليتني كنت شابة كسابق عهدي ، لفصلت هاتين الاذنين عن رأسك . ويخطر لي الآن والله ان اسجنك في ذلك القبو واقفل الباب عليك وامنعك من الذهاب الى ذلك السيرك هذه الليلة . اي والله . »

قال لستر : « آخ ، ماما . آخ ، ماما . »

ومددت يدي الى حيث كانت النار .

قالت دلزي : « رُدّه . رده عن النار . »

وارتدت يدي ووضعتها في في وامسكت بي دلزي . وانا ما زلت اسمع الساعة من خلال صوتي . ومدت دلزي يدها وراءها وضربت لستر على رأسه . وصوتي يرتفع كل مرة .

قالت دلزي : « احضر الصودا . » واخرجت يدي من في . واشتد ارتفاع صوتي عندئذ وحاولت يدي الرجوع الى في ، غير ان دلزي امسكت بها . وارفع صوتي . ورشت الصودا على يدي .

وقالت : « اذهب الى غرفة المؤونة وشقّ قطعة من تلك الحرقّة المعلقة على المسمار . هس ، هس . أتريد ان تجعل امك تمرض مرة اخرى . اسمع . تفرج على النار . ودلزي ستوقف الألم الذي في يدك في دقيقة . تفرج على النار . » وفتحت باب الموقد ، ونظرت الى النار غير ان يدي لم تكفّ عن الشعور بالألم وانا لم اكفّ . وكانت يدي تحاول ان تذهب الى في ولكن دلزي امسكت بها .

ولفت القماشه حولها . وقالت امي :

« والآن ، ما الامر . الا تستطيع حتى ان امرض براحة . أينبغي عليّ ان انهض من فراشي لأنزل اليه، وهناك زنجيان بالغان يعتنيان به؟ » قالت دلزي : « انه بخير الآن . وسيكفّ بعد لحظة . لقد حرق يده قليلاً ، لا غير . »

قالت امي : « زنجيان بالغان موكلان به . ومع ذلك تعودون به الى البيت وهو يبكي ويصرخ . انكم تحرّكونه عن قصد ، لانكم تعلمون

انني مريضة . » واتت ووقفت بقربي . وقالت : « اسكت . حالا .
هل اعددت له تلك الكعكة ؟ »

قالت دلزي : « لقد اشتريتها . فهي لم تخرج قط من غرفة مؤونة
جاسن . لقد رتبت له عيد ميلاد . »

قالت امي : « اتريدن له ان يتسمم بكعكة السوق الرخيصة تلك .
أهذا ما تحاولين ان تفعليه . ألن تتاح لي دقيقة من الراحة والهدوء . »
قالت دلزي : « اصعدي الى غرفتك واضطجعي . سيتوقف ألمه بعد
برهة ، فيسكت . استمعي اليّ . »

قالت امي : « واتركه هنا بينكم لتعرّضوه لأذى آخر . وكيف
يسعني ان اضطجع في غرفتي وهو يولول هنا . بنجامين ، اسكت
حالا . »

قالت دلزي : « ليس لدينا مكان آخر نأخذه اليه . وليست لدينا
الغرفة التي كانت لنا . وهو لا يستطيع ان يبقى خارجاً في فناء الدار
بيكي حيث يراه الجيران كلهم . »

قالت امي : « اعرف ، اعرف . كلها غلطتي . سأرحل عنكم
قريباً ، فتسير الامور بينكم وبين جاسن على نحو افضل . » واخذت
تبكي .

قالت دلزي : « كفي عن هذا البكاء يا هذه . مستحطمين نفسك
ثانية . اصعدي الى غرفتك . سيأخذه لستر الى المكتبة ريثما اهبط
عشاءه . »

وخرجت دلزي وامي .

وقال لستر : « اسكت . اسكت . اتريد ان احرق لك يدك الاخرى .

انت لم تتأذّ ، فاسكت . »

قالت دلزي : « هاك . كفالك بكاء . » واعطتني الخفّ ، فسكت .

وقالت : « خذه الى المكتبة . واذا سمعت صوته مرة اخرى ، جلدتك

والله بنفسى . »

ذهبنا الى المكتبة . واشعل لستر الضوء ، فاسودت النوافذ ، وبان المكان الطويل المظلم الذي على الحائط فذهبت ولمسته . كان يشبه الباب ، غير انه لم يكن باباً .

وجاءت النار خلفي وذهبت الى النار وجلست على الارض ممسكاً بالخف . وارتفعت النار . وتسقلت الى الوسادة التي في كرسي امي . قال لستر : « اسكت . الا تستطيع التوقف ، ولو للحظة . ها قد اشعلت لك ناراً ، ولكنك لا تفضل حتى بالنظر اليها . »

قالت كادي ، اسمك بنجي . اسمع . بنجي . بنجي .

قالت امي ، لا تقولي ذلك له . تعالي به هنا .

فرفعتني كادي من تحت الإبطين ، وقالت :

انهض يا مو - اقصد يا بنجي .

قالت امي ، لا تحاولي ان تحمليه . الا تستطيعين ان تقتاديه اليّ . ايعسر هذا على تفكيرك .

قالت كادي ، استطيع ان احمله . « دعيني احمله يا دلزي . »

قالت دلزي : « أتستطيعين ان تحمليه وانت بحجم البندقة . البرغوث

كبير عليك . فاذهبي وحافظي على الهدوء كما امرك السيد جاسن . »

وفي اعلى الدرج بان نور . كان ابي هناك في قيصه ، وكانت

نظرتة تقول : « هس . » فهمست كادي :

« هل ماما مريضة ؟ »

وضعتني فيرش عنه ودخلنا غرفة امي . كان فيها نار . تعلو وتهبط

على الجدران . وفي المرواة كانت نار اخرى . وجعلت اشم المرض .

كان رأس امي معصباً بقماشة . كان شعرها على الوسادة ، والنار لا

تبلغها ، غير انها كانت تلتصع على يدها حيث كانت خواتمها تراقص .

قالت كادي : « تعال وقل لماما تصبحين على خير . » فذهبنا الى

فراشها . وخرجت النار من المرأة . ونهض أبي عن الفراش ورفعني ووضعت أمني يدها على رأسي .

قالت أمني وعيناها مغمضتان : « ما الساعة ؟ »

قال أبي : « الساعة إلا عشر دقائق . »

قالت أمني : « لم يحن بعد وقت نومه . سيفيق لدى طلوع الفجر ، وأنا لن أستطيع تحمل يوم آخر كهذا اليوم . »

قال أبي : « هدئي من روعك . » ولمس وجه أمني .

قالت أمني : « أنا أعرف أنني لست إلا عبثاً عليك . ولكنني راحلة عن قريب . وعندها ستخلص مما أسببه لك من عناء . »

قال أبي : « هس . سأخذه الى تحت . » ورفعني . « هيا بنا ، يا غلام . لننزل الى الاسفل قليلا . ولكن علينا بالهدوء بعض الوقت لأن كونتن منهمك في دروسه . »

وذهبت كادي وانحنت بوجهها فوق الفراش ودخلت يد أمني ضوء النار ، وتراقصت خواتمها على ظهر كادي .

قال أبي : « ماما مريضة . ستضعك دلزي في فراشك . اين كونتن ؟ »

قالت دلزي : ذهب فيرش ليأتي به .

وقف أبي يرمقنا ونحن نمر . وسمعنا أمني في غرفتها.وقالت كادي :

« هس . » وكان جاسن لا يزال يصعد الدرج . ويداه في جيبه .

قال أبي : « عليكم ان تكونوا عاقلين ، كلكم ، هذه الليلة . ولا تحدثوا اي ضجيج ، لكي لا تقلقوا راحة امكم . »

قالت كادي : « لن نحدث اي ضجيج . لا نحدث اي ضجيج يا جاسن . » ومشينا على رؤوس أصابعنا .

كنا نسمع سطح البيت . وكنت ارى النار في المرأة ايضاً . ورفعني كادي ثانية .

وقالت : « هيا بنا الآن . وبعد ذلك لك ان تعود الى النار . هس . »

فقلت امي : « كاندس . »

قالت كادي : « هس يا بنجي . ماما تريدك لدقيقة . كن ولدأ عاقلاً . ثم تستطيع ان تعود ، يا بنجي . »

وانزلني كادي وسكت .

— « دعيه هنا ، ماما . وعندما ينتهي من النظر الى النار ، فلك ان تخبريه ان شئت . »

قالت امي : « كاندس . » فالتحت كادي ورفعتني .

وترنحنا معاً . وقالت امي : « كاندس . »

قالت كادي : « هس . ما زلتَ تستطيع ان تراها . هس . »

قالت امي : « تعالي به هنا . انه اكبر من ان تحمله انت . كفتي عن المحاولة ، والا آذيت ظهرك . ما من امرأة في اسرتنا الا وفاخرت الدنيا بقوامها . اتريدن ان تشبهي الغسالات بقوامك . »

قالت كادي : « انا لا أجده ثقيلاً عليّ . اني استطيع ان احمله . »

قالت امي : « حسناً اذن . انا لا أريد أحداً ان يحمله . ابن خمس سنين . لا ، لا . لا تضعيه في حضني . ليقف على قدميه . »

قالت كادي : « اذا أمسكت به ، سكت . هس . ستعود بعد لحظة . هاك . هذه وسادتك انظر . »

قالت امي : « لا يا كاندس . »

قالت كادي : « دعيه ينظر اليها، يهدأ . قف دقيقة الى ان انزعها .

هاك ، بنجي ، أترى . »

ونظرت اليها وسكت .

قالت امي : « انت تبالغين في معاملته على هواه . وكذلك ابوك .

ولا تعلمين انني انا التي سأدفع الثمن فيما بعد . لقد دلت ابوك جاسن وافسده على هذا النحو ، ثم استغرقه الافلاخ عن دلاله ستين كاملتين ، وليست لدي شخصياً تلك القوة لاعادة مثل تلك التجربة مع بنجامين . »

قالت كادي : « لا حاجة الى ازعاج نفسك به . اذ يلذ لي ان اعنى به . أليس كذلك يا بنجي . »

فقلت امي : « كاندس . قلت لك ألا تدعيه بينجي . حسنا أن ابالك أصرّ على تسميتك بذلك اللقب السخيف* ، ولذا فاني لن أرضى باطلاق اي لقب عليه . الألقاب سوقية . ولا يستخدمها إلا العوام . بنجامين . »

وقالت امي : « انظر إليّ . »
ثم قالت : « بنجامين . » وأخذت وجهي بين راحتها وأدارته صوب وجهها .

وقالت : « بنجامين . يا كاندس ، خذي تلك الوسادة منه . »
قالت كاندس : « سيكي . »
قالت امي : « خذي تلك الوسادة منه ، كما قلت لك . يجب ان يتعلم الطاعة . »
وابتعدت الوسادة .

قالت كادي : « هس يا بنجي . »
قالت امي : « اذهبي انت واجلسي هناك . بنجامين . »
وأمسكت بوجهي ازاء وجهها .

وقالت : « كفّ عن البكاء . كفّ عن البكاء . »
غير انني لم اكفّ فضممتني امي في ذراعيها وجعلت تبكي وبكيتُ .
ثم عادت الوسادة ، وأمسكت بها كادي فوق رأس امي . وسحبت امي الى الوراء في الكرسيّ واتكأت امي باكيةً على الوسادة الحمراء المبهفراء .
قالت كادي : « هس . ماما . اصعدي الى غرفتك واضطجعي لتستريح في مرضك . سأذهب لآتي بدلزي . » واقتادتني الى النار ونظرت إلى الاشكال الناعمة الوهاجة . وجعلت اسمع الار ويطح البيت .

* تقصد تصنيف « كاندس » الى « كادي » . (المترجم)

وحاني أبي . وكانت رائحته كالமطر .
 وقال : « يا بنجي ، هل كنت اليوم ولداً عاقلاً . »
 وكان جاسن وكادي يتشاجران في المرأة .
 قال أبي : « اسمعي يا كادي . »
 وتشاجرا ، ثم أخذ جاسن يبيكي .
 قال أبي : « كادي . » وجاسن يبيكي . وقد توقف عن الشجار ،
 ولكننا رأينا كادي ما تزال تتشاجر في المرأة وانزلني أبي ودخل المرأة
 وتشاجر هو أيضاً . فرفع كادي ، وهي تصارع . وجاسن مطروح على
 الأرض يبيكي . وفي يده مقصّ . وأمسلت أبي بكادي .
 قالت كادي : « لقد قطع دُمى بنجي كلها . وسأشق حلقة . »
 قال أبي : « كاندس . »
 قالت كادي وهي تصارع ، وأبي ممسك بها : « سأشق حلقة . سأشق
 حلقة . » وركلت جاسن . فتدحرج إلى الزاوية ، خارجاً من المرأة .
 وأتى أبي بكادي إلى النار . فكانوا كلهم خارج المرأة . ولم يبقَ فيها
 إلا النار . وكأنما نار في باب .
 قال أبي : « كفى ، كفى . اتريدن لأملك ان تمرض في غرفتها . »
 فكفّت كادي وقالت : « لقد قطع كل الدُمى التي صنعناها أنا
 وموري وبنجي . لأنه حقير . »
 قال جاسن : « لم أقطعها . » وقد اعتدل في جلسته ، وهو يبيكي .
 « لم أعرف أنها له . ظننتها جرائد قديمة . »
 قالت كادي : « لا بد أنك عرفت . ولكنك قطعتها . »
 قال أبي : « هس ، جاسن . »
 وقالت كادي : « سأصنع لك دُمى أخرى غداً . سنصنع دُمى كثيرة .
 هاك الوسادة . انظر إليها . »
 دخل جاسن .

قال لستر : قلت لك الف مرة اسكت .

قال جاسن : ما الأمر الآن ؟

قال لستر : « انه يرهق نفسه . لقد ظلّ على هذه الحال طيلة النهار . »

قال جاسن : « اذن لماذا لا تدعه وشأنه . واذا عجزت عن إسكاته فعليك ان تأخذه الى المطبخ . اما نحن فلا نستطيع ان نحصر أنفسنا في غرفة واحدة كما تفعل امي . »

قال لستر : «ولكن جدتي تقول لا تدخلوه المطبخ حتى اهيبء العشاء.»
قال جاسن : « اذن لابعه واسكته . أأعمل النهار بطوله ثم أعود الى داري لأجدها داراً للمجانين . » وفتح الصحيفة وراح يقرأها .

قالت كادي ، انظر الى النار والمرأة والوسادة ايضاً ، لا ضرورة لانتظارك حتى العشاء لكي تنظر الى الوسادة . وجعلنا نسمع سطح البيت . ونسمع جاسن ايضاً يعيط ويصرخ من وراء الجدار .
قالت دلزي : « تعال يا جاسن . هل تركته وحده . »

قال لستر : « نعم . »

قالت دلزي : « اين كونتن . كاد العشاء يحضر . »

قال لستر : « لا ادري . لم أرها . »

فخرجت دلزي وقالت في البهو : « كونتن . يا كونتن . لقد حضر العشاء . »

جعلنا نسمع سطح البيت . وكانت رائحة كونتن كالطر ، ايضاً .
وقال ، ماذا فعل جاسن .

قالت كادي ، قطع دُمى بنجي كلها .

فقال كونتن ، اوصت ماما ألا ندعوه بنجي . وجلس على البساط معنا . وقال ، ليتها لا تمطر . اننا لا نستطيع ان نفعل شيئاً في المطر .
وقالت كادي ، كنت تتشاجر . اليس كذلك .

فقال كونتن ، شجار بسيط .

قالت كادي ، انه ظاهر عليك . وسلاحظه ابي .

فقال كونتن ، لا ابالي . ليتها لا تمطر .

قالت كونتن : « ألم تقل دلزي ان العشاء قد حضر . »

قال لستر : « نعم . » ونظر جاسن الى كونتن . ثم عاد الى قراءة

صحيفته . ثم دخلت كونتن . وقال لستر : « تقول انه كاد يحضر . »

وظفرت كونتن الى كرسي امي . فقال لستر :

« سيد جاسن . »

قال جاسن . « ماذا . »

قال لستر : « اعطني ربعا . »

قال جاسن : « لماذا . »

قال لستر : « لكي اذهب الى السيرك الليلة . »

قال جاسن : « ألم تقل دلزي انها ستأخذ لك ربعا من فروني . »

قال لستر : « اخذت ربعا منها . ولكنني فقدته . وقد بحثنا انا

وبنجي عنه طيلة النهار . اسأله . »

قال جاسن : « اذن استدن ربعا منه . اما انا فعلي ان اشتغل لقاء

ربعي . » واخذ يقرأ الصحيفة . وتأملت كونتن النار . وكانت النار في

عينها وعلى فيها . وكان فيها أحمر .

قال لستر : « حاولت ان ابعده عن ذلك المكان . »

قالت كونتن : « اخرس . » فنظر اليها جاسن .

وقال : « ما الذي قلت لك بأنني سأفعله إن انا رأيتك ثانية مع

غلام السيرك ذلك . » وبقيت كونتن تتأمل النار . « أسمعت ما قلت . »

قالت كونتن : « نعم ، سمعت . لماذا لا تنفذ قولك اذن . »

قال جاسن : « طيب . اطمئني . »

قالت كونتن : « انا مطمئنة . » وعاد جاسن الى قراءة الصحيفة

أخرى .

جعلت اسمع سطح البيت . ومال أبني الى الامام ونظر الى كونتن .
وقال ، هالو . من الذي غلب .

قال كونتن : « لا أحد . أوقفنا المعلمون . »

قال أبني : « من كان . أخبرني ، أرجوك . »

قال كونتن : « ما همّتي . كان كبيراً مثلي . »

قال أبني : « حسناً . هلاًّ أخبرني بالسبب . »

قال كونتن : « لا شيء . قال انه سيضع ضفدعاً في منضدتها ،
لن تجرؤ على ضربه . »

قال أبني : « اوه . هي . وبعد ذلك . »

قال كونتن : « نعم يا أبني . وبعد ذلك ضربته . »

كنا نسمع سطح البيت والنار ونشيجاً خارج الباب .

قال أبني : « ومن اين له ان يحصل على ضفدع في تشرين الثاني . »

قال كونتن : « لا ادري . »

كنا نسمعهم .

قال أبني : « جاسن . » واخذنا نسمع صوت جاسن .

قال أبني : « جاسن . تعال هنا ، كفافك بكاء . »

قال أبني : « كفافك بكاء . اتريد ان اجلدك مرة اخرى . » وحمل

جاسن وأجلسه في الكرسي بقربه . وجاسن ينشج . وسمعنا النصار

لح البيت . وارتفع نشيج جاسن قليلاً .

قال أبني : « مرة أخرى ؟ » وسمعنا النار وسطح البيت .

قالت دلزي ، طيب . تعالوا الآن الى العشاء .

كانت رائحة فيرش كالطر . وكانت رائحته ككلب ايضاً . وكنا

مع النا وسطح البيت .

وسمعنا كادي تسرع بالمشي . ووقف أبني وامي بالباب ، الذي مرّت

به كادي ، مسرعة ، دون ان تنظر منه . كانت تسرع بالمشي .

قالت امي : « كاندس . » فتوقفت كادي عن المشي .

قالت كادي : « نعم ، ماما . »

قال ابي : « اسكتي يا كارولان . »

قالت امي : « تعالي هنا . »

قال ابي : « اسكتي يا كارولان . دعيها وشأنها . »

جاءت كادي الى الباب ووقفت عنده ، تنظر الى ابي وأمي . وطارت عيناها لي ، ثم غي . فأخذت أبكي . وارتفع صوتي ونهضت . ودخلت كادي ووقفت وظهرها الى الحائط ، وهي تنظر لي . واقتربت منها ، باكياء ، فتشجعت لاصقة بالحائط ورأيت عينيها وارتفع صوت بكائي وجذبت فستانها . فدت يدها ولكنني شددت ثوبها . وسالت عيناها .

قال فيرش، اسمك الآن بنجامين . اندري كيف اصبحت اسمك الآن بنجامين . سيجعلون منك لبناً أزرق . ومما تقول في سالف الأيام غير جدك اسم احد الزوج ، واصبح قسيساً ، فلما نظروا اليه، وجدوا انه لبان أزرق ايضاً . ولم يكن لبناً أزرق من قبل . وعندما نظرت اليه امرأة حامل وجهاً لوجه في ضوء القمر ، والقمر بدر ، ولد ابنها لبناً أزرق ايضاً . وفي إحدى الاماسي ، وقد انتشر في المكان زهاء عشرة اطفال من اللبان الأزرق يلعبون ، لم يعد الى البيت . ثم عثر عليه صيادو القنفاذ في الغابة ، مفترساً حتى العظم . اتعلم من الذي افترسه . اطفال اللبان الأزرق هؤلاء افترسوه .

كنا في البهو . وكادي ما زالت تنظر الي . ويدها على فمها . فرأيت عينيها وبكيت . ثم صعدنا الدرج . ووقفت ثانية ، لصق الحائط ، وهي تنظر لي . وفتحت باب غرفتها ، غير أنني جذبت فستانها وذهبنا الى الحمام ووقفت لصق الباب تنظر لي . ثم غطت وجهها بذراعها ودافعتها

* اللبان : الملك .

وأنا ابكي .

قال جاسن : ما الذي تفعل له . لماذا لا تتركه وشأنه .
قال لستر : انا لم امسه . لقد ظل طيلة النهار على هذه الحال يلزمه جلد .
فقالت كونتن : ينبغي ان نرسله الى جاكسن ، فكيف يستطيع احد ان يعيش في بيت كهذا .

قال جاسن : إذا لم يرق لك ، فالأفضل ان تخرجي منه .
قالت كونتن : سأخرج منه ، اطمئن .

قال فيرش : « انسحب الى الورا قليلاً » ، لكي يستطيع ان اجفف ساقي . « ودفعني الى الورا قليلاً » . « إياك ان تبدأ بالعياط . ما زال بوسعك ان تراها . وهذا كل ما عليك ان تفعل . فأنت لم تضطر الى الخروج في المطر مثلي . لقد ولدت محظوظاً وانت لا تعلم . » واستلقى على ظهره امام النار .

قال فيرش : « اتدري كيف اصبح اسمك الآن بنجامين . املك فخورة بك جداً . هذا ما تقوله ماما . »
قال فيرش : « إهدأ ودعني اجفف ساقي . وإلا فأنت تعلم ما انا فاعل . سأسلخ قفالك . »

كنّا نسمع النار وسطح البيت وفيرش .
ونفض فيرش على عجل وجرّ ساقيه . وقال ابي : « لا بأس يا فيرش . »

قالت كادي : « سأطعمه أنا هذه الليلة . فهو يبكي احياناً عندما يطعمه فيرش . »

قالت دلزي : « خذ هذا الطبق الى فوق ثم ارجع بسرعة واطعم بنجي . »

قالت كادي : « ألا تريد ان تطعمك كادي . »
قالت كونتن ، امن الضروري ان يضع ذلك الخفّ القدر على

المائدة . لماذا لا تطعمونه في المطبخ . كأننا نأكل مع خنزير .
قال جاسن ، ان كنت لا ترضين عن طريقة اكلنا ، فخير لك الا
تقربي هذه المائدة .

تصاعد البخار من رسكوس . كان جالساً أمام الطبخا، وباب الفرن
مفتوح وقد وضع رسكوس قدميه فيه . وتصاعد البخار من الطبق .
ووضعت كادي المعلقة في في بسهولة . وكان في داخل الصحن بقعة
سوداء .

قالت دلزي ، لا ، لا . لن يزعجكم ثانية ابداً .
وانخفضت المحتويات عن العلامة . ثم فرغ الطبق ، وراح . وقالت
كادي : « انه جائع هذه الليلة . » وعاد الطبق . وما عدت ارى البقعة
فيه . ثم رأيتها . وقالت كادي : « انه ميت جوعاً هذه الليلة . انظري
كم أكل . »

قالت كونتن ، اجل سيفعلها . كلكم ترسلونه للتجسس علي . اني
اكره هذا البيت . وسأهرب .

قال رسكوس : « سيستمر المطر طيلة الليل . »
لقد هربت مدةً طويلةً ، فما تجاوز بك موعد الاكل .
قالت كونتن ، سترى كيف سأهرب .

قالت دلزي : « لا ادري ما انا فاعلة . لقد اشتدّ الألم في وركي
الآن بحيث اكاد لا استطيع الحركة . وما ذلك الا من صعود هذا الدرج
وهبوطه طيلة المساء . »

قال جاسن ، لن ادهش . لا والله ، لن ادهش لاي فعل تفعلينه .
والقت كونتن بفرطتها على المائدة .

قالت دلزي ، لا تقل ذلك يا جاسن . وذهبت واحاطت كونتن
بذراعتها . اجلسي يا حبيبتي . وليخجل من نفسه ، اذ يرمي بوجهك
ما هو ليس ذنباً من ذنوبك .

قال رسكوس : « هل حَرِدَتْ مرة أخرى . »

قالت دلزي : « اسكت . »

دفعت كونتن بدلزي عنها . ونظرت الى جاسن . وفمها احمر . وتناولت كأس مائها ورفعت ذراعها وهي تنظر الى جاسن . فأمسكت دلزي بذراعها . وتعاركا . وانكسرت الكأس على المائدة وسال الماء عليها . وركضت كونتن .

قالت كادي : « مرضت امي من جديد . »

قالت دلزي : « اي والله . طقس كهذا قد يُمْرِض اي انسان .

متى ستفرغ من اكلك يا ولد . »

قالت كونتن ، لعنك الله . لعنك الله . سمعناها تركض على

الدرج . وذهبنا الى المكتبة .

واعطتني كادي الوسادة ، وجعلت اتأمل الوسادة والمرأة والنار .

قال ابي : « علينا بالهدوء اثناء انهبك كونتن بدروسه . ما الذي

تفعله يا جاسن . »

قال جاسن : « لا شيء . »

— « ما رأيك اذن في ان تأتي هنا لتفعله . »

فخرج جاسن من الزاوية .

فقال ابي : « ما الذي تمضغه . »

قال جاسن : « لا شيء . »

فقالت كادي : « انه يمضغ ورقاً مرة أخرى . »

قال ابي : « تعال هنا يا جاسن . »

فنفخ جاسن في النار . فأزّت ، واستقامت ، واسودّت . ثم تحولت

الى رمادية ، ثم راحب . وكان ابي وكادي وجاسن يجلسون في كرسي

امي . وعينا جاسن مغمضتان من الورم وفه يتحرك ، كمن يتذوق .

ورأس كادي على كتف أبي . كان شعرها كالنار وفي عينيها نقط

صغيرة من النار ، وذهبت فرفغني ابي الى الكرسي ايضاً ، واحتضنتني كادي . وكانت رائحتها كالشجر .

كانت رائحتها كالشجر . كانت الزاوية مظلمة ، ولكن كان بوسعي ان ارى النافذة . جلست هناك القرفصاء والخف في يدي . لم يكن بوسعي ان اراه ، غير ان يدي كانتا تريانه وجعلت اسمع الليل وهو يقدم ، ويداي تريان الخف دون ان استطيع ان اراه انا ، غير ان يدي تريان الخف ، وجلست هناك القرفصاء وانا اسمع قدوم الظلام . قال لستر ، أهذا انت هنا . انظر ما عندي . واراني اياه . أتعلم اين حصلته . الآنسة كوتن اعطتني اياه . كنت اعلم انهم لن يبقوني في الخارج . ما الذي تفعله في هذا المكان . لقد ظننت انك تسلت الى الخارج . ألم تشبع ايناً وريلاً اليوم ، فجئت تخفي في هذه الغرفة المهجورة لتتم وتدمدم . هيا معي الى فراشك ، لكي استطيع الوصول هناك قبل البداية . أتخسب انني سألاعبك طيلة هذه الليلة . ستجد اني قد ذهبت حالماً تنفخ تلك الابواق .

لم نذهب الى غرفتنا .

قالت كادي : « هذه هي الغرفة التي ننام فيها اذ نمرض بالحصبة . ما الداعي الى نومنا هنا الليلة . »

قالت دلزي : « ولماذا يهيك اين تنامون . وأغلقت الباب وجلست وأخذت تنزع ثيابي . فبدأ جاسن يبكي . فقالت دلزي : « هس . » قال جاسن : « اريد ان انام مع ماما . » قالت كادي : « ولكنها مريضة . لك ان تنام معها عندما تشفى . أليس كذلك يا دلزي ؟ »

فسكت جاسن ، فقالت دلزي : « هس ، هس . »

قالت كادي : « مناماتنا هنسا . ولوازمنا كلها . كأننا انتقلنا الى بيت آخر . »

قالت دلزي : « فالبسوها إذن . فكي ازرار جاسن . »

ففكت كادي ازرار جاسن ، فجعل ييكي .

قالت دلزي : « أتريد ان تُجلد . » فسكت جاسن .

نادت امي وهي في البهو « كونتن »

ماذا ، قالت كونتن من وراء الجدار . وسمعنا امي تقفل الباب .

وتطلعت من الباب فدخلت وانحنت فوق الفراش وقبلتني على الجبين .

وقالت امي ، بعد ان تضعه في الفراش ، اذهب الى دلزي واسألها

ان كان ثمة اعتراض على تهيئة قرية ماء حار لي . وقل لها ان كان لها

اعتراض على ذلك فاني سأحاول ان اقضي الليلة بدونها . قل لها اني

أريد ان أعرف جوابها .

فقال لستر ، نعم . هيا . انزع بنطلونك .

دخل كونتن وفيرش ، وقد أشاح كونتن بوجهه . قالت كادي :

« ما الذي ييكيك . »

قالت دلزي : « هس . هيا ، انزعوا ثيابكم كالكم . أما انت يا فيرش ،

فتستطيع ان تذهب الى البيت . »

نزعْتُ ثيابي ونظرت إلى نفسي ، فجعلت أبكي . فقال لستر ، صه .

من العبث ان تبحث عنهم . لقد راحوا . وإذا بقيت على هذه الحال

فلن نقيم لك حفلة عيد ميلاد أخرى . ألبسني ثوبي ، فسكتُ ، ثم

وقف لستر ووجهه نحو النافذة . ثم ذهب إلى النافذة وتطلع منها إلى

الخارج . وعاد إليّ وأخذ بذراعي ، وقال ، ها هي قادمة . أسكت .

فذهبنا إلى النافذة ونظرنا منها . فرأيناها تخرج من نافذة كونتن وتتعلق

بالشجرة . ورقبنا الشجرة وهي تهتز . وسرى الاهتزاز سَفْلاً في الشجرة

ثم خرجت ورأيناها تبتعد على العشب . ثم ما عدنا نستطيع رؤيتها . فقال لستر ،

هيا بنا . لحظة . أسمع الابواق . عليك بالفراش قبل أن أتناولك برجلي .

كان هناك سريران . استلقى كونتن على السرير الآخر ، وأدار

وجهه نحو الجدار . ووضعت دلزي جاسن الى جانبه . ونزعت كادي فستانها .

قالت دلزي : « انظري الى سروالك . احمدي الله على ان امك لم ترك . »

قال جاسن : « لقد وشيت بها وانتهيت . »

قالت دلزي : « لا شك انك فعلت . »

قالت كادي « اترى ماذا جنيت بذلك ، يا نمام . »

قال جاسن : « ماذا جنيت . »

قالت دلزي : « لماذا لا تلبسين منامتك . » وذهبت لتعين كادي على

خلع قميصها وسروالها ، وقالت : « انظري الى نفسك . » وطوت

السروال وجعلت تفرك به مؤخرة كادي ، وقالت : « لقد نفذ الطين

الى جسمك . ولكنك لن تنالي حماماً هذه الليلة . » ثم ألبست كادي

منامتها وقفزت كادي الى فراشها وذهبت دلزي الى الباب ووقفت ويسدها

على الضوء . وقالت : « عليكم بالهدوء جميعاً ، أسمعون . »

قالت كادي : « حسناً . لن تدخل علينا ماما الليلة . ولذا فعليكم

ان تستمروا في إطاعتي . »

قالت دلزي : « نعم . والآن ناموا . »

قالت كادي : « ماما مريضة . هي وبابا ، كلاهما مريض . »

قالت دلزي : « هس . ناموا ، ناموا . »

واسودت الغرفة ، فيما عدا الباب . ثم اسودت الباب . وقالت كادي :

« صه يا موري ، » واضعة يدها على . فبقيت ساكتاً . وصرنا نسمع

انفسنا . وجعلنا نسمع الظلام .

ثم راح الظلام ، ونظر أبي إلينا . نظر الى كونتن وجاسن ، ثم

جاء وقبل كادي ووضع يده على رأسي .

فقالت كادي : « هل ماما مريضة جداً . »

قال أبي : « كلا . استحسنين العناية بموري . »

قالت كادي : « نعم . »

وذهب ابي الى الباب ونظر إلينا ثانية . وبعد ذلك عاد الظلام ، ووقف أبي أسودّ في الباب ، ثم اسودّ الباب ثانية . فأمسكت بي كادي وجعلت اسمع الجميع ، واسمع الظلام واخذت اشم شيئاً ما . ثم جعلت ارى النوافذ ، حيث كانت الأشجار تتّغين ، وبعدها بدأ الظلام بالزوال في أشكال وهاجة ناعمة ، شأنه دائماً ، حتى حين كنت اغرق في النوم كما تقول كادي .

هزيران

٢
١٩١٠

عندما سقط ظلّ عارضة الشبّاك على الستائر ، كانت الساعة ما بين السابعة والثامنة ، لقد أفقت اذن في الوقت المطلوب ثانية ، وأنا اسمع الساعة . كانت تلك ساعة جدي ، وعندما أهداني اياها ابي قال : كونتن ، اني اعطيك ضريح الآمال والرغبات كلها . وانه لمن المناسب الى حد العذاب ان تستخدمها لتكسب النهاية المنطقية الحمقاء لاختبارات الانسان جميعها ، وهي التي لن تنسجم وحاجاتك الشخصية اكثر مما انسجمت وحاجات جدك أو ابيه. اني اعطيك اياها لا لكي تذكر الزمن ، بل لكي تنساه بين آونة وأخرى ، فلا تنفق كل ما لك من نفّس محاولاً ان تقهر الزمن . لأن ما من معركة ربّحها احد ، قال ابي . لا بل ما من معركة حارب فيها احد . فالميدان لا يكشف للمرء الا عن حماقته ويأسه ، وما النصر الا وهم من اوهام الفلاسفة والمجانين . كانت الساعة مسندة الى صندوق الياقة ، وبقيت مستلقياً اصغي اليها.

اي ، اسمعها . فأنا لا أحسب ان احداً يصغي الى الساعة عن قصد . وهل بك حاجة الى ذلك ؟ انك لتستطيع ان تغفل عن صوتها مدةً طويلة ، واذا هي في ثانية من (التكنكة) تخلق في الذهن استعراضاً طويلاً متسلسلاً متلاًشياً للزمن الذي فاتك ان تسمعه . وكما قال ابي لكأنك ترى المسيح يمشي على مدى أشعة الضوء المديدة الموحشة . وكذلك مار فرنسيس ، ذلك القديس البار الذي كان يقول ايها المنية يا اختي الصغيرة ، دون ان تكون له اخت .

من خلال الجدار سمعت رفّاص سرير « شريف » ، ثم نعليه وهما يشحطان على الارض . فنهضت وذهبت الى منضدة الزينة وتحسست بيدي صفحتها وأصبت الساعة ، فقلبتها على وجهها وعدت الى الفراش . غير ان ظل العارضة ما زال هناك ، وكنت قد تعلمت ان استدل به على الوقت بدقة تحدد حتى الدقيقة ، بحيث اضطر الى ان ادير له ظهري وانا أحس ان لي عيوناً كعيون الحيوانات التي كانت في مؤخر رؤوسها حين كان قذالها فوقها ، تحكّ وتضطرب . فالعادات التي تأسف لها دائماً هي عادات الكسل والخمول . ابي قال ذلك . وقال ان المسيح لم يُصلب : انما استهلكته قرعة دوايب صغيرة . ولم تكن له اخت .

وهكذا، حالما ادركت انني لا استطيع ان اراه ، جعلت أتساءل عن الوقت . وقد قال ابي ان التكهن المستمر بشأن وضع عقربين آليين على ميناء اعتباطي هو من دلائل وظيفة الذهن ليس الا افرازا، كالعرق . هكذا قال ابي . وانا اقول له : « لا بأس . » واعجب . ثم اعجب . لو كانت السماء غائمة لنظرت الى النافذة متأملاً ما قاله في عادات الكسل والخمول . قائلاً لنفسي سيطيب لهم في « نيو لندن » ان يظل الطقس كذلك . ولم لا يظل . شهر العرائس ، الصوت اللاهث برطلعت راكضة من المرأة ، من العطر المكوّم . ورود . ورود . السيد جاسن رتشموند كمبسن وعقيلته يعلنان زواج - ورود .

لسن عذارى كبعض الزهور . قلتُ زنت باحدى محارمي ، يا ابي .
ورود . ماكرة وهادئة باسمه . اذا التحقت بهارفرد لسنة واحدة ،
ولم تذهب لرؤية سباق الزوارق ، فينبغي ان يعيدوا إليك بعض الرسوم .
فليأخذها جاسن . دعه يقضي سنة في هارفرد .

وقف شريف في الباب وهو يلبس ياقته ، ونظّارته تتألق وردية
كانما قد غسلها بوجهه . « اتغيب عن محاضرة هذا الصباح ؟ »

— « أتأخرنا كل هذا التأخر ؟ »

فنظر الى ساعته وقال : « بقي على موعد قرع الجرس دقيقتان . »

— « لم أعلم اننا تأخرنا كل هذا التأخر . »

كان ما زال ينظر الى الساعة ، وفه يتكور . وقلت : « عليّ أن
اهرول . لا أستطيع ان اغيب عن محاضرة اخرى . وقد قال لي العميد
في الاسبوع الماضي - » وأعاد الساعة الى نجيبه . فأمسكت عن الكلام .
— « الأفضل ان تلبس سروالك وتركض . » قال ذلك وخرج .

نهضت وذرعت الغرفة وأنا اصغي اليه من خلال الجدار . فدخل غرفة
الجلوس في اتجاه الباب وقال : « ألم تنهياً بعد ؟ »

— « لا . اسرع انت . سأصل في الوقت المحدد . »

وخرج . انغلق الباب . وابتعد وقع قدميه في الرواق . ثم جعلت
اسمع الساعة من جديد . فأقلعت عن ذرع الغرفة ، وذهبت الى النافذة
وفتحت الستائر لأرقبهم وهم يركضون الى الكنيسة ، هم هم اذ يعاركون
اردانهم الفضفاضة وهي اذ تعلق وتهبط ، حاملين الكتب نفسها ومرتدين
الياقات المرفرفة نفسها منجرفين كالأسلاب على فيض الماء ، و« سيود » .
هذا الذي دعا شريف بزوجي . دعه وشأنه ، قال شريف ، فإن كان
كل ما لديه من عقل لا يستحثة الا على مطاردة الرخيصات القذرات ،
فما همنا ؟ في « الجنوب » يتناوبك الحجل ان كنت ذا عذرة . والصبيّة
والرجال كلهم يكذبون بشأن ذلك . لأن البكارة أقلّ شأناً في نظر

النساء ، هكذا قال ابي . وقال أيضاً ان الرجال هم الذين اخترعوا البكارة ، لا النساء . وقد قال أباي إنها كالموت : مجرد حالة يبقى فيها الآخرون ، فقلت ، ولكن ان تعتقد بأنها لا تهم ، فقال: هذا ما يحزننا من اي أمر مهما يكن ، لا البكارة وحدها ، فقلت : ولم لم يتفق ان أكون أنا الذي فقدت البكارة لا هي ، فقال : ذلك هو السبب في ان هذا أمر محزن أيضاً ؛ ما من شيء يستحق حتى التبديل والتغيير ، وقال شريف ان كان كل ما لديه من عقل لا يستحقه الا على مطاردة الرخيصات القذرات وقلت له : هل كانت لك أخت قط ؟ تكلم . تكلم .

كان « سبود » في وسطهم كالسلحفاة في طريق يعج بأوراق ميتة تجرفها الريح ، يمشي وياقته حول أذنيه مشيته الوثيدة المألوفة . كان طالباً في الصف المنتهي ، من أبناء كارولينا الجنوبية . وكان من دأب النادي الذي ينتمي اليه ان يتباهى بأنه لم يركض قط ذهاباً الى الكنيسة وانه لم يصلها يوماً في الوقت المحدد وانه لم يغيب يوماً طوال السنوات الأربع ولم يبلغ قط الكنيسة او المحاضرة الأولى لابساً قيصاً على ظهره أو جورباً على قدمه . فهو في حوالي الساعة العاشرة يأتي الى مطعم «طومبسن» فيتناول قدحين من القهوة ، ويجلس ثم يخرج جوربيه من جيبه وينزع خذايه ويلبسها ريثما تبرد القهوة . ولدى الظهر تراه لابساً قيصاً وياقة كغيره من الطلاب . فكان الآخرون يعمرون به راكضين ، غير انه لم يسرع في خطوه قط . وبعد لحظات كان الفناء خالياً .

هبط عصفور عبر نور الشمس وحط على عتبة النافذة، ورفع رأسه الي . كانت عينه مستديرة براقية . وكان يرقبني أولاً بعين ، واذا هو يرقبني بالآخرى ، وحنجرته تضخ بأسرع من أي نبض . وبدأت الساعة تدق . فألق العصفور عن نقل عينيه وراح يرقبني في ثبات بالعين نفسها الى ان انتهت الدقات الرنانة ، كأنه كان يصغي اليها هو أيضاً . ثم

رف عن العتبه وطار .

ومرت برهة قبل ان تكفّ الدقة الأخيرة عن الرنين . وبقيت في الهواء محسوسةً أكثر منها مسموعة مدة طويلة . كأنما الأجراس كلها التي دقت فيما مضى بقيت ترنّ في أشعة الضوء الطويلة المحتضرة والمسيح ومار فرنسيس يتحدث عن أخته لأنها لو كانت مجرد السقوط إلى الجحيم ، لو كانت ذاك وانتهت . انتهت . لو كانت الأمور تنهي نفسها بنفسها . وما من أحد آخر سواها وسواي . لو أننا استطعنا ان نأتي إثمًا مريعاً . فيهربوا جميعاً من الجحيم إلّا أنا . قلت لقد زنت باحدى المحارم يا أبني أنا الذي فعلتها لا « دالتن ايمز » . وعندما وضع دالتن ايمز . دالتن ايمز . دالتن ايمز . عندما وضع المسدس في يدي لم أفعلها . والسبب في احكامي هو انه سوف يكون هو هناك وكذلك هي وكذلك أنا . دالتن ايمز . دالتن ايمز . دالتن ايمز . لو أننا استطعنا أن نأتي إثمًا مريعاً . فقال أبني : وذلك أيضاً امر محزن ، فالناس لا يستطيعون أن يأتوا إثمًا على ذلك القدر من الروح بل انهم لا يستطيعون أبداً أن يأتوا إثمًا مريعاً جداً فهم غداة الغد لا يذكرون ما كان مريعاً اليوم ، فقلت يستطيع المرء ان يتنصل من كل شيء فقال : أيسطيع حقاً . ولسوف انظر إلى القرار وأرى عظامي المغممة والماء العميق كالريح ، كسقف من الريح ، ولن يستطيعوا بعد زمن طويل أن يتبينوا حتى العظام على الرمال البكر الموحشة . حتى يوم يقول الله « قوموا » لن يطفو إلى السطح إلّا المكواة . ليس الأمر ان تدرك ان لا شيء ثمة يسعفك — لا الدين ولا الكبرياء ولا أي شيء آخر بل ان تدرك أنك لست بحاجة الى أي عون . دالتن ايمز . دالتن ايمز . دالتن ايمز . لو انني كنت أمه مستلقية معرّضة الجسد ترفع نفسها ضاحكة ، امسك بأبيه بيدي محجماً ، رائياً ، ناظراً إياه يموت قبل ان يحيا . وقفت في الباب دقيقة .

ذهبت الى منضدة الزينة وتناولت الساعة ، ووجهها لما يزل الى أسفل .

وقرعت بلّورها على زاوية المنضدة وأمسكت بحطام الزجاج في كف يدي وأفرغتسه في المنفضة ثم نزعت العقربين ووضعتهما في المنفضة . وبقيت الساعة تدق . وجعلتُ وجهها إلى فوق ، لأرى الميناء الفارغ بما وراءه من دواليب دقيقة تتكتك ، غير عارف ما أفعل غير ذلك . والمسيح يمشي على بحيرة الجليل وواشنطن يرفض ان يكذب . لقد عاد أبني مرة من معرض سان لويس ومعه تميمة لجاسن : منظار صغير تحدّق فيه بعين واحدة فترى ناطحة سحاب ، ودولاب هواء أشبه بالعنكبوت ، وشلالات نياغارا على رأس دبوس . رأيت لطخة حمراء على الميناء . فأخذ ابهامي يتألم . فوضعت الساعة من يدي وذهبت الى غرفة شريف وجلبت اليود وصبغت به الجرح . وأخرجت بقية قطع الزجاج من الحواف بالمنشفة .

أخرجت طقمين من الثياب الداخلية، مع الجوارب والقمصان والياقات والأربطة ، وحزمتها في حقيبتَي الكبرى . لقد وضعت فيها كل شيء فيما عدا بدلتَي الجديدة واخرى قديمة وزوجي أحذية وقبعتين، وكتبي . وحملت الكتب إلى غرفة الجلوس وكوّمتها على المنضدة ، تلك الكتب التي كنت احضرتها معي من البيت وتلك التي قال أبني كان السيد يُعرف فيما مضى بكتبه ؛ أما اليوم فيعرف بالكتب التي لم يُعِدّها لاصحابها وأقفلت الحقيبة وعنونتها . ودقّت الساعة في ريع دورتها . فتوقفت وأصغيت الى أن تلاشى الرنين .

استحسّمتُ وحلقت . وقد آلم الماء اصبعي قليلاً ، فصبغته ثانية . ثم ارتديت بدلتَي الجديدة ولبست ساعتِي وحزمت البدلة الأخرى والملحقات وآلة الخلاقة والفرش في حقيبتَي اليدوية ، ولففت مفتاح حقيبتَي الكبرى في ورقة وضعتها في غلاف كتب عليه عنوان أبني ، وكتبت الرسالتين المقتضبتين وجعلتُ كلاهما في غلافها .

لم يكن الظل قد انقشع كله عن شرفة المدخل ، فوقفت داخل الباب

أرقب الظل يتحرك . فهو يكاد يتحرك مرثياً ، زاحفاً الى الخلف الى ما هو داخل الباب ، دافعاً بالظل الى داخل الباب . غير انها كانت قد بدأت بالركض عندما سمعته . وفي المرات كانت تركض قبل ان أدرك ما هو . بسرعة ، وقد رفعت أذياها على ذراعها خارجة من المرأة كسحابة ، ونقابها يدوم في لَمَعٍ مستطيلة وكعباها هشان منطلقان ، قابضة على ثوبها لصق كتفها باليد الأخرى ، خارجة من المرأة . الروائح الورود الورود الصوت الذي ضوَّتْ أنفاسه في أرجاء جنة عدن . ثم عبرت الشرفة ولم أستطع سماع كعبيها ثم اقتحمت ضوء القمر أشبه بسحابة ، وظل نقابها العائم يجري عبر العشب ، الى وسط الجئير . وانطلقت من ثوبها ، ممسكة بنقاب الزفاف ، الى وسط الجئير حيث تي بي في الندى الله الله الشراب وبنجي تحت الصندوق يجار . كان لابي درع فضي في شكل ٧ على صدره الراكض .

قال شريف : « لم تأتِ الى المحاضرة ... ما هذا ، أعرس أم جنازة ؟ »

قلت : « لم أستطع . »

— « وكيف تستطيع بكل هذا الهدام والتزويق . ما الأمر ؟ أظننت ان اليوم الأحد ؟ »

فقلت : « لست احسب ان الشرطة ستعتقلني لانني ارتديت بدليتي الجديدة ذات مرة . »

— « كنت افكر في طلاب « الميدان » . هل جعلت تأنف من حضور المحاضرات أيضاً ؟ »

— « اريد ان آكل أولاً . » كان الظل قد انقشع عن الشرفة . فخطوت الى ضوء الشمس ، لاجد ظلي ثانية . ونزلت الدرجات وهو على عقبي . ودق نصف الساعة . ثم توقفت الرنات وتلاشت .

* ميدان هارفرد ، وهو القلب من مدينة كبردج ، ماساشوست . (المترجم)

لم يكن « الشمساس » في دائرة البريد أيضاً . ألصقت الطوابع على الغلافين ، وحولت أحدهما الى ابني ووضعت رسالة شريف في جيبي الداخلي ، ثم تذكرت متى رأيت الشمساس لآخر مرة . كان ذلك يوم منح الاوسمة ، وقد ارتدى بزّة « جيش الجمهورية الاعظم » ، وسط العرض العسكري . فلو انتظرت بعض الشيء عند أي منعطف لرأيت في اي عرض عسكري قادم . فالعرض السابق جرى يوم عيد ميلاد كولومبس او غاريبالدي او غيرهما . لقد كان في فرقة « كناسي الشوارع » ، يلبس قبة كالمدخنة ، ويحمل علماً ايطالياً طوله بوصتان ، وهو يدخن سيجاراً بين المكائس والمكاف . غير ان آخر عرض له كان عرض « جيش الجمهورية الأعظم » ، لأن شريف قال اذ ذاك :

« اليك به ! أنظر كيف جنى جدك على ذلك الزنجي المسكين . »
فقلت : « نعم . ان بوسعه الآن ان يقضي اليوم تلو اليوم سائراً في الاستعراضات . ولولا ما جناه جدّي لكان عليه ان يشتغل كالقوم البيض . »

لم اره في أي مكان . الا انني لم اعرف قط زنجياً تراه عندما تريده ، حتى ولو كان من الذين يشتغلون ، ناهيك عن الذين ينعمون بخيرات الارض دونما شغل . جاءت احدى سيارات الباص ، فاستقلتها الى المدينة وذهبت الى مطعم باركر وتناولت فطوراً طيباً . وبينما كنت آكل سمعت الساعة تدق . فلا بد للمرء ، ولا ريب ، من ساعة واحدة على الأقل يفقد فيها شعوره بالوقت ، وهو الذي قضى زمناً أطول من التاريخ في محاولته الانسجام مع سيره الآلي .

عندما انتهيت من افطاري اشترت سيجاراً . قالت الفتاة ان الواحد من افضل انواع السيجار يباع بخمسين سنتاً ، فأخذت واحداً وأشعلته وخرجت الى الشارع . ووقفت هناك وسحبتُ نفَسَين ، ثم أمسكته بيدي ومشيت باتجاه المنعطف . فررتُ بنافذة ساعاتي ، ولكنني أشحت

عنها قبل ان يفوت الأوان . وعند المنعطف احاط بي اثنان من صباغي الأحذية ، كل من جانب ، يصيحان وينعقان ، كغرابين اسودين . فأعطيت احدهما السيجار والآخر عشرة سنتات . فتركاني وشأني ، وراح صاحب السيجار يحاول بيعه للآخر بالسنتات العشرة .

كانت هناك ساعة كبيرة ترتفع شاهقة في ضياء الشمس . فخطر لي ان المرء اذا ما أعرض عن فعل شيء ما ، دفعه جسده بالحيلة الى فعله ، وكأنه لا يعي . لقد جعلت اشعر بالعضلات في مؤخر عنقي ، ثم جعلت اسمع الساعة تتكثك في جيبي ، وبعد لحظات حبستُ عني الاصوات الاخرى جميعها غير مُبْتَقٍ إِلَّا على الساعة التي في جيبي . فاستدرت في الشارع ، عائداً الى النافذة . وكان الساعاتي يعمل على المنضدة خلف النافذة . وكان بادى الصلع . وفي عينه منظره انبوب معدني ممسمر في وجهه . ودخلت .

كان المكان يضج بالتكنكة ، كالزيزان بين حشائش أبلول، وسمعت ساعة كبيرة على الحائط فوق رأسه . فرفع رأسه نحوي ، وعينه كبيرة غائمة دافقة وراء النظرة . اخرجت ساعتي وناولته إياها .

— « لقد كسرت ساعتي . »

فقبلها في يده وقال : « اي والله لقد كسرتها . لا بد انك دست عليها . »

— « نعم يا سيدي . اوقعتها عن المنضدة ودست عليها في الظلام . ولكنها ما زالت تدور . »

فأعمل عدته في ظهرها وفتحها وسلط عليها عينه . « تبدو صالحة . ولكن لا استطيع التأكد حتى أفحصها . سأفحصها بعد الظهر . »
فقلت : « سأتي بها اليك فيما بعد . قل لي من فضلك ، هل بين هذه الساعات التي في النافذة ساعة مضبوطة . »

فأمسك بساعتي في كفه وصوت نحوي عينه الغائمة الدافقة .

فقلت : « لقد راهنت أحد الناس . ونسيت نظارتي هذا الصباح . »
قال : « لا بأس ، لا بأس . » ووضع الساعة عنه وقام نصف
قومة عن مقعده ونظر عبر الحاجز . ثم رفع عينه الى الجدار . « إنها لا - »
فقاطعته : « لا تقل لي ، ارجوك يا سيدي . ما عليك إلا أن
تخبرني ان كانت احداها مضبوطة . »

فنظر إليّ ثانية ، واستوى على مقعده ورفع منظرته إلى جيبه ،
فخلّفت حلقة حمراء حول عينه ، ولما زالت بان وجهه بتمامه كأنه عارٍ
أجرد . وقال : « ما الذي تحتفل به اليوم ؟ سباق الزوارق لن يكون
حتى الاسبوع القادم . ليس كذلك ؟ »

- « بلى يا سيدي . هذا احتفال خاص . عيد ميلاد . هل بين
ساعاتك ساعة مضبوطة . »

- « كلا . لأنها لم تنظّم وتضبط بعد . فان كنت تنوي شراء
احداها . »

- « كلا يا سيدي . لست بحاجة الى ساعة . ففي صالوننا ساعة
كبيرة . وسأصلح هذه . » ومددت يدي .

- « خير لك ان تبقىها لدي . »

- « سأعيدها فيما بعد . » فناولني الساعة ، ووضعتها في جيبى .
وما عدت اسمع صوتها بين اصوات الساعات الأخرى كلها . « شكراً
جزيلاً . أرجو الا اكون قد بددت وقتك . »

- « لا بأس . أحضرها عندما تريد . او ليس الأفضل ان تؤجل
احتفالك الى ان نكسب سباق الزوارق ؟ »

- « معقول جداً ، يا سيدي . »

وخرجت ، مغلقاً الباب على التكنكة . ولما ادرت وجهي نحو النافذة
رأيت يرقبني من وراء الحاجز . كان في النافذة حوالي عشر ساعات ،
عشرة أوقات مختلفة ، ولكل منها ما لساعتي دون عقاربها من تأكيد

جازم متناقض . الواحدة تناقض الاخرى . كنت اسمع ساعتي تتكتك في جببي ، وإن لم يكن ثمة من يستطيع رؤيتها ، وان لم يكن ثمة ما تستطيع قوله حتى لو ان احداً رآها .

وهكذا قلت لنفسي ان خذ تلك الساعة . لأن ابي قال ان الساعات تنحر الزمن . لقد قال ان الزمن ميّت لا محالة ما دام مفتتاً بدواليب صغيرة ؛ ولن تعود الحياة الى الزمن الا عندما تقف الساعة . كان العقربان ممتدين افقياً بانحراف طفيف ، أشبه بنورس يطعن الريح . وهما مثقلان بكل ما أسيت له كالهلال مثقلاً بالماء ؛ على حد قول الزوج . لقد عاد الساعاتي الى عمله ثانية مطأطء الرأس فوق منضدته ، والانبوب متمسر في وجهه . وشعره مفروق في الوسط ، ويمتد الفرق فيه الى البقعة الصلعاء ، كمستنقع مجفف في شهر كانون .

رأيت حانوت الادوات الحديدية عبر الشارع . لم اكن أدري انكم تشرون المكاوي بالرطل .

فقال الكاتب : « وزن هذه عشرة أرطال . » غير انها كانت اكبر حجماً مما توقعت . فأخذت اثنتين صغيرتين ، زنة كل منهما ستة ارطال ، لأنهما تبدوان أشبه بحذاءين مرزومين . وقد أحسست بهما ثقيلتين معاً ، غير انني تذكرت من جديد ما قاله أبي عن النهاية المنطقية الحمقاء لتجربة الانسان ، متأملاً في الفرصة الوحيدة التي اتاحت لي فيما يبدو لتطبيق ما تعلمته في هارفرد . قد افعل ذلك بنهاية السنة التالية ، قائلاً لنفسي لعل المرء يحتاج إلى سنتين من الدراسة الجامعية قبل ان يجيد فعل ذلك .

لقد كانتا ثقيلتين في الهواء . وجاءت الحافلة فركبتها ، دون ان أرى اللافتة التي في مقدمتها . كانت مليئة بالركاب ، وجلتهم ممن يبدو عليهم اليسار ، يقرأون الصحف . وكان المقعد الخالي الوحيد بالقرب من زنجي ، يلبس قبعة « دربي » وحذاءين مصبوغين ، وقد أمسك بعقب

الحافلة هذا ضرب من « الترام » وقد تكون واحدة من حافلات مقطورة معاً « المترجم »

سيجار مطلقاً . كنت اعتقد فيما مضى ان « الجنوبي » ينبغي عليه دائماً ان يكون شاعراً بوجود الزوج ، ظاناً ان « الشماليين » يتوقعون منه ذلك . فلما جئت الى الشرق* لأول مرة جعلت أردد لنفسي « عليك ألا تنسى ان تنظر اليهم كملونين لا كنزوح عبيد » ولو لم يتفق اني ما ألفت نفسي مع الكثير منهم ، لأضعت الكثير من الوقت والجهد قبل ان أعلم ان افضل الطرق في النظر الى الناس جميعاً ، البيض منهم والسود على السواء ، هي ان تنظر اليهم وفق نظرهم الى انفسهم ، ثم تدعهم وشأنهم . وكان عند ذلك ان ادركت ان الزنجي ليس شخصاً يقدر ما هو ضرب من السلوك ، كأنه الانعكاس المقابل للاناس البيض الذين يعيش بينهم . ولكنني حسبت بادية الامر ان لا بد لي ان افقد وجود الكثيرين منهم حولي إذ خلت ان الشماليين يخالوني افتقدهم، غير انني في الواقع لم افقد رسكوس ودلزي والآخرين حتى صباح ذلك اليوم في فرجينيا . أوقف القطار ، فأفقت ورفعت مظلة النافذة ونظرت إلى الخارج . كانت الحافلة تسد تقاطع السكة بالطريق ، حيث كان سياجان ابيضان ينحدران مع التل ثم ينأيان سَفْلاً كقرن لم يبق من هيكله إلا بعضه ، وكان هناك زنجي راكباً بغلاً وسط الاتحاديد المتصلبة ينتظر تحرك القطار . لم أعرف كم قضى في مكانه ذاك من وقت ، غير انه امتطى بغله كاسياً رأسه بقطعة من بطانية ، فكأنهما قد بُنِيا هناك مع السياج والطريق ، او مع التل ، كأنهما قد نحتا من التل نفسه، كلافنة أقيمت هناك تقول : انك بين أهلك من جديد . لم يكن تحته سرج ، فتدلّت قدماه حتى كادت ا تلامسان الارض . اما البغل فكان اشبه بالأرنب . ورفعت النافذة .

وقلت : « اسمع يا عم . هل هذه هي الطريق ؟ »

* يقصد بالشرق الساحل الشمال الشرقي من الولايات المتحدة، حيث توجد ولاية « نيو انجلند » ،
واهم مدنها بوسطن التي تقع بقرها مدينة كمبردج مقر جامعة هارفرد .
(المترجم)

— « ماذا يا سيدي ؟ » نظر اليّ ثم حلّ البطانية ونحّاهما عن اذنه .
قلت : « خذ هذا هدية لعيد الميلاد ! »

— « اي والله ان العيد قادم . لقد أمسكت بي ، اليس كذلك ؟ »
— « سأخلي سبيلك هذه المرة . » وسحبت سروالي من السرير الصغير المعلق وأخرجت منه ربع دولار . « ولكن خذ الحذر في المرة التالية . سأعود وأمر من هنا بعد رأس السنة بيومين ، فخذ اذ ذاك الحذر . »
وقدفت بالربع اليه من النافذة ، قائلاً : « اشترِ لك هدية لعيد الميلاد . »
فقال : « نعم يا سيدي . » وترجل والتقط الربع وفركه على ساقه .
« شكراً يا سيدي الشاب ، شكراً . » ثم بدأ القطار يتحرك . فأخرجت رأسي من النافذة الى الهواء البارد ، ونظرت الى الخلف . لقد ظل واقفاً هناك قرب بغله الضامر الشبيه بالارنب ، كلاهما رث ساكن غير نافذ الصبر . وانعطف القطار في المنحنى ، والقاطرة تنفث نفثات ثقيلة قصيرة ، وتلاشياً عن الانظار تلاشياً ناعماً ، وقد علتها سماء صبر رث لا يعرف الزمن ، هدأة سكونية لا تعرف القلق : انه ذلك المزيج من العجز الصبياني المنتهيء والأمانة المناقضة لنفسها ، وهو مزيج يحنو عليها ويدافع عنها ، مزيج يحب حباً يخرج على العقل ويسلبها على مهل ويراوغ المسؤولية والواجب بوسائل اجهر من أن تسمى حتى بالخديعة ولا يؤخذ في السلب او المراوغة الا بذلك الاعجاب التلقائي الصريح بالمنتصر ، الذي يحسّه المرء الكريم ازاء من يغلبه في مسابقة عادلة ، ويرافق ذلك كله تسامح ككف لا يتقاعس ازاء اطوار القوم البيض الغريبة كتسامح الجسد ازاء اطفال مزعجين ينضحون بكل ما لا يستطيع توقعه — وهو تسامح كنت قد نسيت . واذا جعل القطار ينساب خلال الفجوات الدافقة وازاء التلاع الصخرية حيث كانت الحركة مجرد صوت مكدود من النافثة والعجلات مرسلّة الانين والجبال الازلية تتلاشى في الفضاء الكثيف ، رحت طوال ذلك اليوم افكر بيتنا وبلدتنا ، بالمحطة الفقراء والطين والزئوج

واهل الريف يزدحم الميدان بهم شيئاً فشيئاً ، والمكان يعج بدمى القروذ والعربات والحلوى في الأكياس والشموع الكبيرة نائمة هنا وهناك ، فتتحرك أحشائي كما كانت تتحرك في المدرسة كلما دق الجرس .

لم اكن اشرع في العدّ حتى تدق الساعة ثلاثاً . ثم اروح اعد حتى الستين ، طاوياً احد اصابعي ومفكراً بالأصابع الأربع عشرة الأخرى التي تنتظر أن اطويها ، او الثلاث عشرة او الاثنتي عشرة او الثماني أو السبع ، الى أن أدرك على حين غرة الصمت والأذهان اليقظة ، فأقول : « نعم يا ست ؟ » فتقول الست لورا : « اسمك كونتن ، أليس كذلك ؟ » ويلي ذلك مزيد من الصمت والأذهان اليقظة القاسية والأيدي المتنفضة صمتاً . « قل لكونتن من اكتشف نهر الميسيسيبي ، يا هنري . » « دي سوتو . » ثم تذهب عني الأذهان ، وبعد برهة تساورني الخشيشة من انني تأخرت عن الآخرين فأسرع في العدّ وأطوي اصبعاً آخر ، ثم اخشى ان اكون بالغت في السرعة فأبطيء ، ثم أخاف وأسرع في العد مرة أخرى . وهكذا لم أفلح يوماً في الخروج متكافئاً مع الجرس ، وطوفان الأقدام التي سرعان ما تتحرك ، شاعراً بتراب الارض المشحطة ، والنهار كلوح زجاج أصابته ضربة حادة خفيفة ، فتتحرك أحشائي ، ساكناً في جلستي . متحركاً ساكناً في جلستي . وقفت في الباب دقيقة . بنجني يعيط . بنجامين ابن شيخوختي يعيط . كادي ! كادي ! سأهرب . فجعل يبكي فذهبت ولمسته . صه . لن أهرب . صه . فسكت . يا دلزي .

إنه يشم ما تريدين ان تقولي له عندما يريد . فلا حاجة به الى الاصغاء او الكلام .

أستطيع ان يشمّ هذا الاسم الجديد الذي أطلق عليه ؟ أستطيع أن يشمّ سوء الحظ . ولم يزعج نفسه بالخط ؟ لن يؤذيه الخط في قليل او كثير .

اذن لماذا غيّرُوا اسمه إن لم يكونوا يحاولون اسعاف حظه ؟

وقف القطار ، وسار ، ووقف ثانية . فرحت أرقب من النفاذة أعالي رؤوس السابلة تحت قبّعات القش التي ما حالت ألوانها بعد . ثم كان هناك في القطار نساء يحملن السلال ، وبدأ عدد الرجال المرتدين ثياب العمل يزيد على عدد الأحذية المصبوغة والياقات البيضاء .

لمس الزنجي ركبتي وقال : « العفو . » فدفعت ساقتي جانباً لأفسح له مجال المرور . وكنا الآن نسير بمحاذاة جدار أصمّ يرجع قرعة السيارة إليها ، إلى النساء الرافعات سلاخن على الرُكّاب ورجل ملوّث القبعة غرز في رباطها غليونه . ثم جعلت اشم رائحة ما ، وفي فجوة في الحائط لمحت برّيق ماء وساريتين ، ونورساً ساكناً في الفضاء ، كأنه قائم على سلك غير مرئي بين الساريتين ، وعندها رفعت يدي وتحسست من خلال سترتي الرسالتين اللتين كتبتُهما . وعندما وقف القطار ، نزلت منه .

كان الجسر مفتوحاً لأحد المراكب . وتجرّ المركب ساجبة تنخره على جانب من مقدمته ، والدخان يتصاعد منها ، أما المركب نفسه فكأنه ينساب دونما وسيلة تُرى . وكان يقف في مقدمة المركب رجل عار حتى الخصر يلفّ حبلاً ، وجسمه ملوّح بلون ورقة التبغ . وعند الدفّة رجل آخر يلبس قبة قش لا سقف لها . نفذت السفينة خلال الجسر منزلة تحت الأعمدة العارية كطيف في رابعة النهار ، وفوق المؤخرة تحوم نوارس ثلاثة كالدمى .

وعندما انغلق الجسر عبرته إلى الضفة الأخرى وانكأ على السياج المشرف على بيوت الزوارق . كانت العوامة مهجورة والابواب مغلقة . فالمجدفون في مثل هذا الحين يخرجون عصراً ، ويستريحون قبل ذلك . ظلّ الجسر ، وظل طبقات السياج ، وظلي مستلقياً على الماء — ما أسهل ما خدعته فما عاد يهجرني ! خمسون قدماً على الأقل ، فيا ليت

لديّ شيئاً أغمره به في الماء ممسكاً به الى ان يغرق ، وظلّ الطرد كحذاءين مرزومين مُلقى على الماء . يزعم الزوج ان ظل الغريق يتربّقه في الماء طيلة الوقت الى ان يغرق . كان يتألّق ويتلأّل ، كأنه يتنفس ، والعوامة بطيئة كالتنفس أيضاً ، والأسلاب نصف مغمورة ، تنساب أعقابها نحو البحر وكهوف البحر ومغاوره . إن وزن الماء الذي يحل محله كيت يساوي كيت وكيت . النهاية المنطقية الحتماء للتجربة الانسانية كلها ، ومكوانان مسطحتان تزن كلتاها ستة أرتال ، هما معاً أثقل من مكواة خياط فحمية واحدة . يا للتبذير الآثم ، كما تقول دلزي . لقد عرف بنجي ان جدتي ماتت . فبكى . لقد شمّ الواقعة . شمّها .

عادت الساحبة نزلاً باتجاه التيار وهي تقصّ الماء اسطوانات طويلة تتدحرج وتمزّج العوامة أخيراً بترجيع مرورها، وتترنح العوامة على الاسطوانة المتدحرجة ببقبةٍ وصريف طويل ناشز حينما انجر الباب وبرز رجلان يحملان قارباً صغيراً ، وضعاه في الماء ، وبعد برهة خرج جerald بلاند ومعه المجاذيف . كان يلبس سروالاً من الفلانلة، وسترة رمادية ، وقبعة قش صلبة . لقد قرأ هو أو قرأت أمّه ، ذات مرة في مكان ما أن الطلاب في اكسفورد يجذفون لابسين بنطلونات الفلانلة وقبعات القش الصلبة ، فكان ان اشترى لجيرالد في اوائل آذار من احدى السنين قارباً بمجذافين فغدا الى النهر بالفلانلة والقبعة الصلبة . ورغم أن جميع الذين كانوا في دور الزوارق هددوه باستدعاء الشرطة ، الا أنه استمرّ في تجذيفه . وقد جاءت أمّه في سيارة مكثّرة ، مرتدية بذلة من الفراء أشبه ببذلة مستكشف قطبي ، وودّعتّه في ربح سرعتها خمسة وعشرون ميلاً في الساعة ، في غمرة قطعٍ من كُتَل الجليد المنسابة كالحراف القدرة . ومنذ ذلك الحين آمنت بأن الله ليس رياضياً وسيداً مهذباً فحسب ، بل انه من ولاية كنتاكي أيضاً . ولما اقلع وابتعد حادت عن الطريق وانحدرت الى النهر ثانية وراحت تسوق سيارتها ببطء بموازاته . فقالوا

لو رأيتهما عندئذ لما حسبت ان الواحد منهما قد شاهد الآخر من قبل ابداً ، كأنهما ملك وملكة ، لا يتبادلان النظرات ، وهما منطلقان جنباً الى جنب عبر ولاية ماساشوسيتس في مدارين متوازيين ككوكبين في الفضاء .

جلس في قاربه ، وأخذ يجذّف . انه يجيد التجذيف الآن . ولا بد له من ذلك . فقد زعموا ان أمه حاولت ان تصرفه عن التجذيف ليفعل شيئاً آخر لا يفعله ، أو يعجز عن فعله بقية طلاب صفه ، غير انه ركب رأسه هذه المرة بعناد ان جاز لنا ان نصف بالعناد جلسته المتكررة تلك في أوضاع من سأم الأمراء ، بشعره الأصفر الجعد وعينيه البنفسجيتين وأهدابه الطويلة وملابسه النيويوركية ، وقد استرسلت أمه العزيزة في التحدث اليها عن خيول جرالد وزنوج جرالد ونساء جرالد . ولا ريب في ان الآباء والأزواج من أهل كنتاكي حمدوا الله وشكروه الف مرة عندما دفعت جرالد الى كمبردج . وقد كانت لها شقة في المدينة ، كما كانت لجرالد أيضاً شقة ، عدا غرفتيه في الكاية . وقد وافقت على معاشرته اياي لأنني ، على الاقل ، كشفت عن حس في غير هادف بضرورة نبل التصرف مدفوعاً بكوني قد ولدت جنوبي خط ماسن وديكسن ، وكان ثمة نفر آخر تتمتع جغرافيته بالمؤهلات المطلوبة (الحد الأدنى منها) . لقد غفرت له ذلك ، على الاقل . أو غضت النظر عنه . بيد انها منذ ان التقت بسبود خارجاً من الكنيسة وقال انها ليست من كرائم السيدات فكرائم السيدات لا يخرجن من بيوتهن في مثل تلك الساعة من الليل ، لم تستطع قط ان تغفر له ان له أسماء خمسة ، بما فيها لقب لإحدى أسر الدوقات الانجليزية . ويقيني انها عزت نفسها عندئذ باعتقادها بأن رجلاً ما من آل مينغولت او مورتيمار تمرد يوماً على اسرته وتورط مع ابنة حارس القصر . وذلك امر جد محتمل ، سواء أكان من اختراعها أم لم يكن . فلقد كان سبود بطل العالم في التسكع ، دون قيد أو شرط .

أضحى القارب الآن نقطة بعيدة ، والمجدافان يلتمعان في الشمس
بانظام ، كأن القارب يسيّر نفسه بالغمزات .

هل كانت لك أخت قط ؟ لا ، ولكن كلهن عواهر .

هل كانت لك أخت قط ؟ كانت لدقيقة . عواهر .

لا عاهرة وقفت في الباب دقيقة . دالتن إيمز . دالتن إيمز . قصان
دالتن . كنت دائماً أظنها من الخاكي ، من خاكي الجيش ، الى ان
وجدت انها من الحرير الصيني الثقيل أو من أجود اصناف الفلانلة لانها
تزيد من سمرة وجهه وزرقة عينيه . دالتن إيمز . لقد كاد يكون نبيل
المحتد . من اثاث المسرح . ورق مقوّى ، فإذا ما لمستّه - آه ، اسبست .
وليس بالبرونز تماماً . ولكن لن تراه في البيت .

تذكر ان كادي أيضاً امرأة . ولا بد لها من ان تفعل ما تفعل
لاسباب نسائية أيضاً .

لم لا تدّعينه إلى البيت يا كادي؟ لماذا تفعلين ما تفعله نساء الزوج
في المرعى والخندق والاحراش المظلمة متخفية عيفة ملتهبة في الاحراش
المظلمة .

وبعد مدة كنت أصغي الى ساعتي وجعلت أحسّ الرسالتين تخششان
خلال سترتي ، لصق السياج . وانكأت على السياج أرقب ظلي ، وكيف
خدعته . ومشيت بمحاذاة السياج ، غير ان بدلي أيضاً كانت قائمة
وبوسعي مسح يدي وأنا أرقب ظلي ، وكيف انني خدعته . ودخلت
طل رصيف المرفأ ثم سرت شرقاً .

هارفرد ابني الذي في هارفرد هارفرد ذلك الطفل الانمش
الوجه الذي التقته يوم العرض الرياضي حاملاً شرائط ملونة . متلصصاً
لصق السياج محاولاً ان يدعوها اليه بالصغير ، كالجرو . وإخفاقهم في
اغرائه بالدخول الى غرفة الطعام اعتقدت امي ان في حوزته تعويذة ما
سحرية سيسلطها عليها حالما يختلي بها . ولكن أي نذل كان مستلقياً

قرب الصندوق تحت النافذة منخرطاً في العويل بوسعه ان يأتي في سيارة «ليموزين» وفي عروته زهرة . هارفرد . يا كوتن هذا هربوت . ابني الذي في هارفرد . سيكون لك هربوت أخاً أكبر وقد وعد جاسن بوظيفة في المصرف .

يضجّ بالمرح ، لكأنه صنع من غشاء ملون ، كالسائرة . وجهه كله أسنان ، اسنان بيضاء بغير ابتسام . لقد سمعت به هناك . كله اسنان ولكن بغير ابتسام . هل ستسوقين أنت ؟
إركب يا كوتن .
هل ستسوقين أنت .

إنها سيارتها أأست فخوراً بأن أأحتك الصغيرة تملك أول سيارة في المدينة هدية من هربوت . مرّ زمن ولويس يعطيها دروساً كل صباح ألم تبلغك رسالتي يتشرف السيد جاسن ريتشموند كمبسن وعقيلته باعلان زواج كريمتهما كاندس من السيد سدني هربوت هد في الخامس والعشرين من نيسان عام ألف وتسعمئة وعشرة في جفرسن ميسيسي . يستقبلون المهنيين في منزلهم اعتباراً من اول آب رقم كذا وكذا شارع ساوث بند انديانا . وقال شريف ألن تفتح حتى الرسالة ؟ ثلاثة ايام . ثلاث مرات . السيد جاسن ريتشموند كمبسن وعقيلته . من الغرب جاء الفتى لوخنفار على متن جواده قبل اوانه ، أليس كذلك ؟
أنا من الجنوب . أأست مضحكاً .

أجل كنت اعلم انها في مكان ما من الريف .
أأست مضحكاً . خير لك لو تلتحق بالسيرك .
التحقتُ به . ألا ترى كيف اعميت عيني بسقاية براغيث الفيل .
ثلاث مرات فتيات الريف هؤلاء . يستحيل عليك حتى الحديث عنهن .
على كل ، لم يحقق بايرون امينته ، والحمد لله . على ألا تضرب رجلاً يلبس نظارة . ألن تفتح حتى الرسالة ؟ كانت ملقاة على المنضدة وشمعة

تحترق على كل زاوية من الغلاف وقد شُدت برباط زهريّ ملوّث وزهرتان اصطناعيتان . على ألا تضرب رجلاً يلبس نظارة .

قرويون مساكين لم يسبق لهم ان رأوا سيارة واكثرهم يزمرون ويزمرون كاندس اذن رفضت أن تنظر إليّ سيحيدون عن السبيل رفضت أن تنظر إليّ سيغضب أبوك ان أنت أصبت احدهم بأذى لا ريب في ضرورة اقتناء والدك لسيارة . اكاد آسف لمجيئك بها يا هربرت لقد تمتعت بها جداً . طبعاً هناك العربة ولكن كلما اردت الخروج بها وجدت أن السيد كمبسن قد أمر السّود بأن يقوموا بمهمة اجازف برأسي ان أنا عارضتها وهو يصر على أن رسكوس تحت تصرفي طيلة الوقت ولكنني اعلم معنى ذلك فما اكثر ما يسرف الناس بالوعود لا شيء الا ليرضوا ضمائرهم وهكذا ستعامل طفاتي الصغيرة يا هربرت ولكنني أعلم انك لن تفعل ان هربرت يدلّنا جميعاً يا كونتن لقد أفسدنا هل كتبتُ إليك أنه سيعيّن جاسن في وظيفة في مصرفه عندما ينتهي جاسن من دراسته الثانوية ولسوف يصبح جاسن مصرفياً ممتازاً فهو الوحيد بين ابنائي الذي يتمتع بحس عملي والفضل في ذلك يعود إليّ ، فهو يحمل خصائص أهلي أما الآخرون فكلهم كآل كمبسن جاسن هيأ الطحين . كانا يصنعان الطيارات الورقية على الشرفة الخلفية ويبيعانها الواحدة بخمسة سنتات ، هو وابن باترسن . وكان جاسن أمين الصندوق .

لم يكن في هذه الحافلة زوج ، والقبعات التي لم تكلاخ بعد تسيل مارة بنا تحت النافذة . سيذهب الى هارفرد . لقد بعنا مرعى بنجي كان مستلقياً على الأرض وهو يعيط . لقد بعنا مرعى بنجي لكي يتمكن كونتن من الذهاب إلى هارفرد أخ لك اخوك الصغير . عليك بسيارة لقد افادتك جداً ألا تظن ذلك يا كونتن ها أنا أدعوه يكونتن في أول لقاء فقد سمعت عنه الكثير من كاندس . ولم لا فأنا اريسد ان يكون اولادي اكثر من مجرد أصدقاء نعم

كاندس وكونتن اكثر من مجرد صديقين أبسي لقد فحشت لشد ما يؤسفني
 ألا أخ أو أخت لك لا أخت لا أخت لا أخت لك لا تسل كونتن
 فهو والسيد كمبسن يشهران بضرب من الالهانة كلما أتيح لي من القوة
 ما يكفيني للنزول والجلوس الى المائدة لاني أعيش على أعصابي الآن
 وسأدفع ثمن ذلك عندما ينتهي كل هذا وتأخذ أنت طفاتي الصغيرة مني
 كان لأختي الصغيرة لا . لو كنت استطيع أن أقول أماه . أماه .
 لا أظن ان السيد كمبسن يستطيع اللحاق بالسيارة إلا إذا استسلمت
 لمن براودني فأخذتك انت عوضاً عنها .

آه يا هربرت أنسمعين يا كاندس رفضت أن تنظر إلي زاوية الفك
 العنيدة الناعمة لا ترد الطرف ولكن لا تغاري فهو يتملق امرأة عجوزاً
 ابنة ناضجة متزوجة . لا استطيع التصديق .

كلام فارغ فانت تبدين فتية إنك اوفر شباباً من كاندس ، اللون
 في خديك كصبية . وجه لائم داعم رائحة من كافور ودموع صوت
 يبكي ويبدأ خافتاً وراء الباب المضاء بالشفق ومن زهر العسل شذا بلون
 الشفق . انزلوا من على درج مخزن السطح حقائب فارغة صوتهما كالتواييت
 الأرض المالحة . لم يلق الموت في الأرض المالحة .

قبعات كلحت ولا قبعات . لن استطيع بعد ثلاث سنوات ان ألبس
 قبعة مستحيل . في خبر كان . فهل سيكون ثمة قبعات يومئذ وأنا غير
 موجود ، ولا هارفرد كذلك . فهناك كما قال ابسي يتشبهت اسمي ما في
 الفكر بالقرميد الميت العتيق كما تشبهت المتسلقات الميتة . لا هارفرد يومئذ .
 بالنسبة إلي ، على كل حال . مرة اخرى . أعمق حزناً من قبل . مرة
 اخرى . اعمق الاحزان حزناً . مرة اخرى .

كان سهود مرتدياً قيصاً . صحيح إذن . حين أرى ظلي ثانية ، إن
 أنا لم انتبه ، وهو الذي خدعته وأغرقتة في الماء فسطاً ثانية ظلي الصلد
 الأصم . ولكن لا أخت . وما كنت لأفعلها . لن أسمح لأحد بالتجسس

على ابنتي ما كنت .

أنى لي أن اسيطر على أي منهم وقد علمتهم دائماً الا يحترموني
ورغباني أنا أعرف انك تزدري أهلي ولكن هل في ذلك ما يبرر تعليم
اولادي اولادي أنا التي شقيت في ولادتهم وتربيتهم ألا يحترموني جعلت
ادوس عظام ظلي على الكنكرت بعقبى الصليبين ثم إذا بي أسمع الساعة ،
ولست الرسالتين من خلال سرتي .

لن أسمح لاحد لا لك ولا لكونتن بالتجسس على إبنتي مهما ظننت
انها فعلت .

ولكنك على الاقل توافق على أن هناك ما يبرر مراقبتها .
ما كنت ما كنت . أعلم إنك لن تفعلها وما كنت لا تكلم بهذه
الحدة غير ان النساء لا تحترم الواحدة منهن الاخرى ولا تحترم نفسها .
ولكن لماذا فعلتُ وبدأت الدقات ترنّ حالما وطأتُ ظلي ، الا انها
اعلنت ربع الساعة . ولم تقع عيني على «الشماس» في اي اتجاه نظرت .
أكنتُ ، أكان بوسعي .

إنها لم تقصد ذلك فذلك طريقة النساء في كل ما يفعلن وما ذلك إلا
لأنها تحب كادي .

مصاييح الشارع تنحدر على التل ثم تصعد في اتجاه المدينة . ومشيت
على بطن ظلي . وبوسعي ان أمدّ يدي الى ما وراءه . شاعراً بأن أبي
خلفي فيما وراء ظلام الصيف وشهر آب المترع بالصرير مصاييح الشارع
أنا وأبي نحمي النساء بعضهن من بعض ومن أنفسهن نساؤنا هذه حال
النساء إنهن لا يتعلمن أيّ بَشَر نحن لقد فُطرن على خصب في الرية
عملي يؤتي بن الحين والحين غللا وهن في الغالب على حق إن بينهن
وبين الشر وشائج وقربى يزودنه بما ينقصه ويسجن أطرافه غريزاً
حوهن كأغطية الفراش ساعة سباتهن مخصبات له الدهن حتى يقضي
الشر وطره وُجد أم لم يوجد رأيتُه قادماً بين اثنين من طلاب السنة

الاولى . ولم يكن بعد قد استعاد نفسه من نشوة الاستعراض ، إذ حيّاني تحية ضابط رفيع الرتبة .

فوقفت وقلت : « اريد ان اراك لدقيقة . »

— « تراني انا ؟ لا بأس . سأراكم فيما بعد ايها الصاحب ، » قال ذلك ، واقفاً ومستديراً الى الوراء ؛ « كانت فرصة سعيدة للتحدث اليكم . » هذا هو « الشمس » بنصبه وفصبه . اسمعتهم يتحدثون عن الذين هم سيكولوجيون بالفطرة ؟ لقد قيل ان قطاراً ما لم يفتحه في مستهل العام الدراسي طوال اربعين سنة ، وان بوسعه ان يتبين ابناء الجنوب من النظرة الاولى . لم يخطيء يوماً في ذلك ، وإذا سمعك تتكلم ذكر لك من اية ولاية انت . وكان له زيّ خاص يستقبل فيه القطارات كأنه ، بكل ما فيه من رُقّسع ، من ثياب كوخ العم طوم .

فيقول وهو يأخذ حقائبك : « نعم يا سيدي . من هنا يا سيدي الشاب . عال ، عال . يا ولد ! تعال هنا وخذ هذه الحقائب . » وعندها ترى جبلاً زاحفاً من الامتعة يترنح في اتجاهك ، كاشفاً عن صبي ابيض يناهز الخامسة عشرة فيضيف اليه « الشمس » حقيبة اخرى كيفما اتفق ويسوقه امامه . « اياك ان تسقطها يا ولد . نعم يا سيدي الشاب . ما عليك إلا ان تعطي الزنجي الشيخ رقم غرفتك ، فتجد امتعتك فيها حالما تبلغها . »

ومنذ تلك اللحظة وحتى يُتمّ اخضاعك له تلقاه دوماً داخل غرفتك او خارجها ، موجوداً في كل مكان ، دائم الثرثرة ، ويتحول اسلوبه بالتدرّج ويغدو شمالياً كلما تحسن هندامه حتى تجد في النهاية ، اذ يكون قد عصرك واستنفد ضرعك وتكون انت قد ادركت ما تورطت فيه ، انه يناديك باسمك ، كوتن او اي اسم آخر ، وعندما تراه ثانية تُلفّيه لابساً بدلة مستعملة من محلات « بروكس » وقبعة تحمل إشارة احد نوادي جامعة « برنستون » اعطاه اياها احدهم فظل يردد جازماً دمثاً

انها جزء من حزام ابراهام لنكولن العسكري . وقبل اعوام اشاع البعض انه يوم ظهر في الجامعة لأول مرة - والله يعلم من اين جاء - كان خريج مدرسة اللاهوت . فلما ادرك معنى ذلك لذت له القصة حتى اخذ يروجها بنفسه ، الى ان جعل يعتقد ، ولا ريب ، انه خريج مدرسة اللاهوت فعلاً . مهما يكن من امر ، فإنه راح يروي النوادر السخيفة الطويلة عن ايام تلمذته ، متحدثاً دونما كلفة عن اساتذة راحلين مسمياً إياهم بأسمائهم الاولى ، ولم تكن هذه الاسماء عادة صحيحة . بيد انه كان للعديد من الطلاب الجدد السذج المستوحشين صديقاً وناصحاً ودليلاً . ويخيل اليّ انه بصغائر حيله واخاذه ونفاقه لم يزكم الانوف اكثر مما فعل غيره من البشر .

قال وهو يحدق فيّ من بقايا حالته العسكرية . « لم أرك لثلاثة أيام او اربعة . اكنت مريضاً ؟ »

- « كلا . اني بخير . كنت أدرس . ولكنني رأيتك . »

- « صحيح ؟ »

- « في الاستعراض قبل أيام . »

- « آه ، الاستعراض . تماماً . كنت فيه . انا لا اكرث لمثل

هذه الامور ، كما لا يخفى عليك ، ولكن الشباب يروق لهم ان ارافقهم ، القدامي منهم . فالسيدات يطلبن ظهور القدامي ، كما تعلم . وهل يرفض الكريم لمن طلباً ؟ »

فقلت : « ويوم عطلة المهاجرين ايضاً ؟ لعلك كنت يومها تستجيب الى طلب اتحاد النساء المسيحيات لمكافحة المسكرات ؟ »

- « يومها ؟ فعلت ذلك من اجل زوج ابنتي . إنه يريد ان يعمل عضواً في قوات المدينة . كنتأساً . وانا اقول له ان كل ما يعوزه هو مكينة ينام عليها . أرأيتني اذن ؟ »

- « نعم ، في المرتين . »

— « اقصد في بزتي . كيف بدوت ؟ »

— « رائعاً بل كنت أروع مظهراً من كل الآخرين . ينبغي ان يجعلوك جنرالاً ، يا شماس . »

فس ذراعي مساً خفيفاً وقد رقت يده وحفيت كما تفعل ايدي الزوج ، وقال : « اسمع . بيني وبينك فقط . اقول لك هذا لاننا ، انا وانت ، من جماعة واحدة ، في اليوم الابيض واليوم الاسود على السواء . » وانحنى نحوي قليلاً وهو سريع الكلام وعيناه زائغتان غني . « لديّ من وسطته في الامر . انتظر حتى السنة القادمة . انتظر . ثم انظر اين يكون مكاني من المسيرة . لا حاجة بي لان اخبرك كيف انوي ان اتدبر الامر . ما عليّ إلا ان اقول ، من يعيش يرّ يا صاح . » وهنا نظر إليّ وربت على كتفي وتأرجح الى الورا على عقبيه وهو يهزّ برأسه . « نعم يا سيدي . وهل كنت لانضم الى الديمقراطيين لغير غاية ؟ صهري موظف في المدينة ، وانا اي والله يا سيدي . ان كان مجرد الانضمام الى الديمقراطيين يهيء عملاً لابن الزانية هذا ... اما بخصوصي : فما عليك إلا ان تقف عند ذلك المنعطف بعد سنة واحدة اعتباراً من امس الاول ، لترى . »

« إن شاء الله . انك اهل لذلك يا شماس . والآن وقد تذكرت » واخرجت الرسالة من جيب . « خذ هذه الى غرفتي غداً واعطها لشريف . سيكون لديه ما يعطيك . ولكن لا تأخذها حتى الغد . تذكر . » فأخذ الرسالة وتفحصها . « إنها مغلقة . »

— « نعم . وقد كتبت في داخلها : غير صالحة للاستعمال حتى الغد . » فقال : « احم . » ونظر الى الغلاف وقد زمّ بشفتيه . « هل قلت ان لديه ما يعطيني إياه ؟ »

— « نعم . هدية أقدمها لك . »

نظر إليّ والغلاف ابيض في يده السوداء ، في الشمس . كانت عيناه

لَمَاعَتَيْنِ بَنِيَّتَيْنِ بِلَا قَرْحِيَّةٍ ، وَفَجْأَةً رَأَيْتُ فِيهِ رَسْكُوسَ يَرْقُبُنِي مِنْ وَرَاءِ
أَفَانِيزِ الْبَيْضِ الَّتِي يَتَظَاهَرُ بِهَا الشَّمْسُ مِنْ بَزَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَمِمَّا حَكَةٌ سِيَاسِيَّةٌ وَاسْلُوبُ
هَارْفَرْدِي ، عَدِيمَ الثَّقَةِ ، خَفِي النَّفْسِ ، عَيِي اللِّسَانِ ، عَمِيقِ الْإِسَى .
وَقَالَ : « أَرْجُو أَلَّا تَكُونَ هَذِهِ نَكْتَةً تَفْعَلُهَا بِزَنْجِيكَ الشَّيْخُ ؟ »

— « أَنْتَ تَقْدِرِي أَنْهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ . وَهَلْ نَكثَ بِكَ يَوْمًا رَجُلٌ
مِنَ الْجَنُوبِ ؟ »

— « صَدَقْتَ وَاللَّهِ . أَنَّهُمْ قَوْمٌ طَيِّبُونَ . وَلَكِنْ مِنْ الْمُسْتَحِيلِ الْعَيْشُ

مَعَهُمْ . »

فَقُلْتُ : « وَهَلْ جَرَبْتَ ذَلِكَ يَوْمًا ؟ » غَيْرَ أَنَّ رَسْكُوسَ اخْتَفَى .
وَعَادَ الشَّمْسُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الذَّاتِ الَّتِي لَقِّنَ نَفْسَهُ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ أَنَّ
يَتَابَسَّهَا أَمَامَ أَعْيُنِ الْعَالَمِ ، بِمَا فِيهَا مِنْ تَحْدَلْقٍ وَزَيْفٍ لَا يَبْلُغَانِ حَدَّ
الْخَشُونَةِ .

— « سَأُصَدِّعُ لِمَا تَرِيدُ يَا صَاحِبَ . »

— « لَيْسَ قَبْلَ الْغَدِ ، تَذَكَّرْ . »

— « أَكِيدُ . مَفْهُومٌ يَا صَاحِبَ . وَلَكِنْ — »

فَقُلْتُ : « آمَلْ . » وَارْسَلُ بِصَرِّهِ نَحْوِي ، كَرِيمَ النَّفْسِ ، عَمِيقَ
الْإِبْعَادِ . وَفَجْأَةً مَدَدَتْ لَهُ يَدِي وَتَصَافَحْنَا ، وَقَدْ أَشْهَدُ بِهِ الْوَقَارَ مِنْ
عُلَيَاءِ حَلْمِهِ الْعَسْكَرِيِّ الْبَلَدِيِّ . « أَنْتَ رَجُلٌ طَيِّبٌ يَا شَمْسُ . آمَلْ...
أَنْتَ كُنْتَ عَوْنًا لِلْكَثِيرِ مِنَ الشَّبَابِ ، هُنَا وَهَنَا . »

فَقَالَ : « لَقَدْ حَاوَلْتُ أَنْ أَعَامَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ كَمَا يُبْغِي . فَأَنَا لَا
أَضَعُ فَوَارِقَ اجْتِمَاعِيَّةٍ حَتْمِيَّةٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ . الْإِنْسَانُ فِي نَظَرِي إِنْسَانٌ أَيْنَمَا
وَجَدْتُهُ . »

— « أَرْجُو أَنْ تَجِدَ دَوْمًا مِنَ الْأَصْدِقَاءِ بَعْدَ مِنْ صَادَقْتَ . »

— « أَنَّهُمْ شَبَابٌ ، أُنْجَسِمُ مَعَهُمْ ، فَلَا يَنْسُونِي . » قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ
يَلُوحُّ بِالرَّسَالَةِ . ثُمَّ وَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ وَزَرَّ سِتْرَتَهُ . وَقَالَ : « أَيُّ وَاللَّهِ . »

ان لي اصدقاء طيبين . »

وبدأت الرنات مرة اخرى ، معلنة نصف الساعة . فوقفت في بطن ظلي واصغيت إلى الدقات متناسقةً وادعةً ونور الشمس ، بين الاوراق الصغيرة الرقيقة الساكنة . متناسقةً آمنةً خليةً البال فيها ما في الاجراس دوماً من رنة الخريف حتى إبان شهر العرائس . مستلقياً على الارض تحت النافذة وهو يعيط القى عليها نظرة واحدة فعرف . من افواه الاطفال . مصابيح الشوارع وتوقفت الرنات . وعدت ادراجي إلى دائرة البريد وانا اظأ ظلي مقحماً اياه في الرصيف . تنحدر التل ثم تصعد نحو المدينة كفوانيس علقت بعضها فوق بعض على جدار . وقال ابي إنها لحبها كادي تحب الناس لنقائصهم . وجلس خالي موري منفرج الساقين امام النار وعليه ان ينقل يده زمناً يؤمن له ان يبلغ شراب عيد الميلاد . واستمر جاسن في ركضه ووقع ويداه في جيبه وبقي ملقى هناك كالطير المنتوف الى ان اوقفه فيرش على قدميه . لم لا تبقي يديك خارج جيبك عندما تركض لكي تظل واقفاً على قدميك مديراً رأسه في المهد مديراً اياه عبر ظهره . وقالت كادي لجاسن ان فيرش يقول ان السبب في ان خالي موري لا يشتغل هو انه كان في طفولته يدير رأسه وهو في المهد . رأيت شريف آتياً يجر جر قدميه على الممشى ، بدين الجد ، ونظارته تتألق تحت الاوراق الجارية كبركتين صغيرتين .

« لقد اعطيت الشمس ورقة ببعض الاشياء . قد لا اكون في غرفتي بعد ظهر اليوم ، فإياك ان تعطيه شيئاً حتى صباح الغد . »
 « لا بأس . » ونظر اليّ . « بربك ما الذي تريد فعله اليوم ، وقد تهنّدت وتزينت وهمت على وجهك مطبقاً مراسيم اشبه بمقدمة مراسيم الارملة الهندية التي ستضحى بنفسها على قبر زوجها؟ هل ذهبت لمحاضرة علم النفس هذا الصباح ؟ »

« لن افعل شيئاً اليوم . حتى الغد . »

- « ما هذا الذي تحمله ؟ »
- « لا شيء . حذاء نعلته عند الاسكافي . لا شيء حتى الغد ،
اتسمع ؟ »
- « طيب ، طيب . وبالمناسبة ، هل اخذت رسالة لك كانت على
المنضدة هذا الصباح ؟ »
- « كلا . »
- « انها هناك . من سميراميس* اتى بها السائق قبل العاشرة . »
- « لا بأس . سأخذها . ترى ما الذي تريده الآن ؟ »
- « حفلة موسيقية اخرى ، فيما اظن . للآلات النحاسية . تمّي
تاتا جرال بلا ... ضربة اقوى على الطبل يا كونن ! احمد الله على
انني لست بجتهل . » وانصرف عني محتضناً كتاباً ، بدين العزم ،
مشوّه الشكل قليلاً . مصابيح الشوارع اتظن ذلك لان احد اسلافنا كان
حاكماً وثلاثة منهم كانوا قواداً عسكريين ولم يكن كذلك احد من
اسلاف امي .
- ايّ حيّ خيرٌ من اي ميت ولكن ما حي او ميت خير من اي
حي او ميت آخر أما في ذهن أمي فقد تم وانتهى . إنتهى . ثم
تسممنا كلنا أنك تخط بين الإثم والاخلاق . والنساء لا يفعلن ذلك
وامك انما تفكر في الاخلاق اما ان كانت هذه الاخلاق إثمًا ام لا فشيء
لم يخطر لها ببال .
- يجب ان اذهب يا جاسن احتفظ انت بالآخرين اما انا فسأخذ جاسن
واذهب إلى مكان لا يعرفنا فيه احد لكي يتاح له ان ينشأ وينسى كل
هذا لا يحبني احد من الآخرين ولا هم احبوا شيئاً قط وقد ابتلوا بشيمة
آل كمبسن شيمة الانانية والكبرياء الزائفة وجاسن هو الوحيد الذي تعلق
به قلبي دون وجل .

(المترجم)

* يقصد بهذه التسمية الساخرة المسز بلاند ، ام جرال .

كلام فارغ ان جاسن بنجر وقد فكرت انك حالما تتحسنين صحة
قد تذهبين برفقة كادي الى « فرنش ليك » .
واترك جاسن هنا ولا احد حوله إلاك وهؤلاء السود .
سوف تنساه وحينئذ يكف الناس عن أقاويلهم لم يلق الموت في
الارض السبخاء .

جاءت الحافلة ووقفت ، والاجراس لا تزال تسدق نصف الساعة .
فركبتها وسارت ثانية غامرة صوت نصف الساعة . لا: ثلاثة الارباع .
على كل ، تستغرق عشر دقائق . أن ترك هارفرد حلم أملك أن مرعى
بنجي قد بيع لكى

ما الذي جنيت حتى أرزق اولاداً كهؤلاء أما كفاني بينجامين عقاباً
حتى تتمرد ابنتي عليّ انا أمها التي من اجلها عانيت وقاسيت ومن اجلها
حلمت وخططت وضحيّت ونزلت الى وادي الموت ولكنها منذ أن فتحت
عينها لم تعرني يوماً بالاً دون اناذية وغالباً ما انظر إليها فأتساءل اهي
حقاً ولدي الا جاسن فهو لم يسبب لي لحظة من الحزن او الالم منذ أن
حملته بين ذراعيّ لقد ادركت آنئذ أنه سيكون فرحي وخلاصي وقلت
حسبي بينجامين عقاباً جزاء ما اقترفت من ذنوب قلت انه عقابي لتنازلي
عن كبريائي وزواجي من رجل يعتبر نفسه اسمى شرفاً مني اني لا أتدمر
لقد احبته اكثر من الآخرين جميعاً شعوراً بواجبي بالرغم ان جاسن
راح يجرجر قلبي وحشاي طيلة الوقت غير اني ارى الآن انني لم أنل
كفاتي من العذاب ارى الآن ان عليّ ان اجازى على خطاياك بالاضافة
الى خطاياي ما الذي فعلته ما الذي جنيته ، ما الآثام التي اقترفتها
اسلافك ذوو الحسب والنسب ، الآثام التي يقع عليّ انا الآن قصاصها غير
انك ستقف دونهم محامياً فن شأنك دوماً أن تجد الاعذار لمن هم من
دمك باستثناء جاسن فهو المذنب الوحيد لان في عروقه من دماء
باسكوم اكثر مما فيها من دماء كميسن في حين أن ابتك انت ابنتي

الصغيرة طفلاتي العزيزة ليست بأفضل من ذلك . أيام كنت صبية ما كنت لسوء طالعي الا من آل باسكوم ولكنهم انشأوني على ان اعتقد ان ليس للمرأة طريق وسط فهي اما شريفة او غير شريفة فلما كنت احتضنها طفلة بين ذراعي لم يخطر ببالي قط ان ابنة لي ستسمح لنفسها بالذي تدريه أنت . بوسعي ان انظر الى عينيها وأدرك ولقد تحسب انها ستعترف ولكنها لا تعترف بشيء لانها انطوائية تنام على اسرارها انت لا تعرفها اما انا فأعرف اموراً ففككتها اوثر الموت على الادلاء بها إليك أهكذا اذن لك ان تستمر في انتقاد جاسن واتهامي بأني أحضه على مراقبتها كأن ذلك جرم مني في حين ان ابنتك لها ان أنا أعلم انك لا تحبه وانك توهم نفسك بأنك ترى فيه اخطاء ليست فيك أجل إهزأ منه كما هزئت دائماً من موري لن تؤلني اكثر مما آلمني اولادك حتى اليوم ولسوف أموت ويبقى جاسن وليس له من يحبه ويحنو عليه ويقيه هذا كله وإني لأنظر إليه كل يوم وقلبي واجف خشية ان أرى دم آل كمبسن قد اخذ يظهر فيه أخيراً وأخته تتسلل من البيت لتقابل هذا الذي ما اسمه وهل وقعت عليه عينك قط او لن تتيح لي ان اعرف على الأقل من هو لا من أجلي انا فاني لن اطيق رؤيته بل من اجلك انت لحبايتك انت ولكن من يقوى على محاربة الدم الفاسد ولن تدعني أحاول وعلينا ان نجلس مكتوفي الأيدي في حين راحت تمرغ اسمك في الاوحال وتسمم الهواء الذي يتنفسه اولادك يجب عليك يا جاسن أن تدعني ارحل عنكم فما عدت أتحمل هذا دع لي جاسن واحتفظ انت بالآخرين انهم ليسوا مثله من لحمي ودمي غرباء لا قربى ولا صلة بيننا وأنا اخافهم واخشاهم فبوسعي ان آخذ جاسن فنذهب الى حيث لا يعرفنا أحد ولسوف أخرج ساجدة على ركبتى وأصلي واطلب الغفران للذنوبي لعله ينجو من هذه الملعنة وأحاول ان انسى وجود الآخرين .

ان كانت تلك ثلاثة أرباع الساعة ، فما بقي إلا زهاء عشر دقائق .

وكانت إحدى الحافلات قد سارت قبل لحظات ، والناس يتجمعون في انتظار التالية. سألت أحدهم، غير انه لم يعرف إذا كانت ثمة أخرى ستسير قبل الظهر لأنك قد تحسب أن سكان الضواحي . وهكذا كانت الاولى بعد ذلك حافلة ترام . فركبتها . بوسعك ان تحس الظهيرة . ترى أحسستها أيضاً عمال المناجم في أحشاء الارض . ومن هنا الصافرات : لأن الذين يعرقون ، وان أنت ابتعدت عن العرق بعداً كافياً فلن تسمع الصافرات وفي ثماني دقائق تكون قد ابتعدت بقدر ذلك البعد عن العرق في بوسطن . كان أبي يقول إن الانسان مجموع نكباته . ولقد تظن يوماً ان النكبات قد سئمت، ولكن الزمن هو نكبتك قال أبي . نورس معلق على سلك غير مرئي مجرور عبر الفضاء . انك لتحمل رمز خيبتك معك الى الأبد . وعندها يكون الجناح أكبر قال أبي ولكن من يستطيع العزف بالقيثارة .

كلما وقفت الحافلة سمعت ساعتي، ولكن لم يتكرر ذلك كثيراً وكانوا قد بدأوا يأكلون من يوريد العزف الأكل مسألة الأكل في دخائلك من الفضاء إلى الفضاء والزمن مضطرب مشوش المعدة تقول الظهر والداغ يقول ساعة الأكل لا بأس ترى ما الساعة وما همني . كانوا ينزلون . وما عادت الحافلة تكثر من الوقوف ، وقد أحلاها الأكل .

ثم مرت . نزلت ووقفت في ظلي وبعد لحظات جاءت حافلة ركبتها وعدت إلى محطة ما بين المدن . كانت هناك حافلة مهيأة للسير، ووجدت فيها مقعداً قرب النافذة ورقبتها وكأنها تتمسزق إلى نشف من مساكن رخوة تعلو وتهبط، ثم إلى شجر . وبين الحين والآخر كنت أرى النهر فأقول لشدة ما سيلد لهم في «نيو لندن» اذا كان الطقس جيداً وزورق جرالذ بكل وقار يصعد الضحى المتألق وتساءلت ترى ما الذي تريده تلك العجوز وقد أرسلت إلي رسالتها قبل العاشرة هذا الصباح . أية صورة لجرالذ دالتن إعز آه أسبست أطلق النار عليه كونتن أكون أنا في خلفيتها.

صورة" فيها فتيات . فالنساء لمنّ صوته دائماً يعلو اللفظ والضجيج يوحى بالقربى بينهن والشر ، بينهن والاعتقاد بأن ليس في الدنيا امرأة أهل للثقة، ولكن بعض الرجال سذج لا يعرفون كيف يحمون أنفسهم . فتيات عاديّات . أقرباء بعيدون وأصدقاء للعائلة أضفى عليهم مجرد كونهم معارف لا أكثر ضرباً من الالتزام العشائري بحتمه كرم النفس . وصاحبتنا جالسة هناك تقول لنا أمام وجوههم جميعاً أليس من المؤسف ان يتمتع جرالّد بكل ما في الاسرة من جميل القسّمات يكون الرجل عادة في غنى عنها ، بل خير له ان يكون بدونها ، أما الفتاة فهي ضائعة بدونها . وتروي لنا أخبار نساء جرالّد بنبرة المستحسن الراضي عن نفسه ، بنبرة كونّن أطلق النار على هربوت أطلق النار على صوته من خلال أرض غرفة كادي . « عندما كان في السابعة عشرة من عمره قلت له يوماً : أليس من المؤسف ان يكون لك فم كهذا الفم الذي يجب ان يتحلّى به وجه فتاة . او تعرفون والستائر قد حنت على الاصيل على شذى شجرة التفاح وخلف رأسها الاصيل وذراعاها خلف رأسها مجنّحان بالكيّمونو والصوت الذي تنفس في ارجاء جنة عدن وعلى الفراش ثياب تحت الانف ترى فوق التفاحة ماذا قال ؟ وعمره سبعة عشر عاماً ، تذكروا . قال : « كثيراً ما يتحلّى به وجه فتاة . » وصاحبنا جالس هناك في أوضاع ملكية يرقب اثنتين أو ثلاثاً من خلال أهدابه . وهن يتدفقن كسننويات تسفّ لصق أهدابه. وقد قال شريف إنه دائماً هل ستعنى ببنجي وأبي- خير لك الا تتكلمي عن بنجي وأبي هل همّك أمرها يوماً . عدني .

لا تقلقي عليها انك ذاهبة في خير حال .

عدني إني مريضة عليك أن تعدني يتساءل من الذي اخترع تلك النكته إلا انه كان دائماً يعدّ المسز بلاند امرأة حافظت على حسنّها وقوامها رغم انف السنين وقال لإنهسا تهىء ابنها جرالّد لغواية احدى الدوقات

يوماً ما . اما هي فقد دعت شريف بذلك الفتى الكندي السمين ومرتين
رتبت لي زميلاً جديداً يقاسمني غرفتي دون استشارتي ، ومرة بأن أغتير
الغرفة ، والأخرى

فتّح الباب في لأصيل ، ووجهه أشبه بيقطينة مطبوخة .
- « جئت أودعك أحرّ الوداع . ولئن يفرّق القدر العاتي بيننا
فإني لن أحب احداً سواك . ابداً . »

- « ما الذي تتكلم عنه ؟ »

- « اني اتكلم عن القدر مرتدياً ثماني ياردات من الحرير المشمشي
ويحمل من المعدن ارطالاً اكثر مما كان يحماه رقيق المراكب والمالك
الأوحد للمرحاض المشاء بلا منازع في الاتحاد الجنوبي المرحوم . » ثم
أخبرني كيف انها ذهبت إلى رقيب الجامعة وطلبت إليه ان يخرجها من
غرفتي وكيف ان الرقيب ابدى من العناد ما جعله يصّر على استطلاع
رأي شريف اولاً . فاقترحت عليه ان يرسل في طلب شريف على الفور
لسؤاله ، ولكنه رفض ، ولذا فإنها منذ ذلك اليوم لم تخاطب شريف
بلطف قط . وقال شريف : « ان من مبادئي ألا اغلظ القول في امرأة ،
غير ان لتلك المرأة من اساليب العواهر ما ليس لأية سيدة في هذه
الاصقاع والولايات المستقلة ذات السيادة . » والآن رسالة على المنضدة
سُلمت باليد ، أمر زاهي اللون معطر بالأوركيد ولو علمت انني كدت
امر تحت النافذة وانا اعرف بوجودها هناك دون سيدتي العزيزة لم يتح
لي بعد ان اتسلم رسالتك الكريمة غير انني استميحك العذر سلفاً عن
الحضور اليوم او البارحة او غداً او عندما اذكر كيف يقذف جرالّد
بزوجه على الدرج وكيف ان الزنجي توسّل ان يسمح له بالتخرج من
مدرسة اللاهوت ليكون على مقربة من السيد جرالّد وكيف انه جرى
حيلة الطريق الى المحطة بمحاذاة العربة وعيناه طافحتان بالدموع حين رحل
فيها السيد المحترم جرالّد فاني سأنتظر حتى ذلك اليوم أما النكتة الأخرى

عن الزوج الذي يعمل في المنشرة فإنه جاء الى باب المطبخ ويده
بندقية صيد فنزل جرالده وعضّ البندقية شطرين وأعادها اليه ومسح يديه
بمنديل من حرير ورمى بالمنديل في نار الموقد لم اسمعها إلا مرتين
اطلق النار عليه من خلال الدرابيّة تدخل هنا فاعتصمت الفرصة وجئت
اليك لعلنا نتعارف وندخن سيجاراً معاً
شكراً اني لا أدخن

صحيح لا بدّ ان الامور قد تغيّرت منذ ان كنت هناك اتسمح لي
بأن اشعل سيجاري
تفضل

شكراً لقد سمعت لست احسب ان امك تعترض ان انا وضعت
عود الكبريت وراء الحاجز الكثير عنك فقد كانت كاندس تتحدث عنك
طيلة الوقت ونحن في فرنشليك حتى جعلت اغار منك وقلت لنفسني
من هو كونتن هذا لا بد لي من ان أرى ما شكل الحيوان هذا
وذلك لأن الغيرة نالت مني أترى حالما رأيت الفتاة ولا اكتملك انه لم
يخطر ببالي قط انها انما تتحدث عن أخيها ولكن ما كانت لتتحدث
عنك اكثر مما تحدثت حتى لو كنت الرجل الوحيد في الدنيا ولن يكون
الزوج فيها ألن تغيّر رأيك وتدخن
انا لا ادخن

اذن فلن أصر بالرغم من ان هذا تبغ فاخر يكلفني خمسة وعشرين
دولاراً لكل مئة بالجملة لي صديق في هافانا أجل لا بد ان في الجامعة
تغيرات كثيرة وانا دائماً اكرر الوعد لنفسني بزيارتها ولكنني لسبب ما
لا افعل لقد أمضيت عشر سنين منذ ان بدأت حياة العمل ولا يسعني
ان اترك المصرف في اثناء الدراسة وعادات المرء تتبدّل وما يبدو للطلاب
امراً خطيراً كما تعلم أخبرني عن امور الحياة هناك
لن اخبر ابي وامي ان كان هذا ما ترمي اليه

لن تخبر لن تخبر ، آه اهذا ما تقول اود ان تعلم انه لا يهمني في كثير او قليل ان اخبرتهما او لم تخبرهما فأنا أعلم ان شيئاً من هذا القليل امر مؤسف غير انه ليس جريسة تتعقبها الشرطة فلست انا الاول ولا الأخير انما كنتُ سييء الحظ وقد تكون انت اوفر حظاً مني تكذب

لا تغضب لست احاول جعلك تدلي بشيء لا تريد الادلاء به لم اقصد اية اساءة بالطبع وشاب فتي مثلك يعتبر مثل هذا الامر اخطر بكثير مما سوف تعتبره انت بعد خمس سنوات ليس لي الا اسلوب واحد في النظر الى الغش والخديعة ولا أحسب ان هارفرد ستعلمني غير ذلك

حوارنا خير من مسرحية لا بد انك جعلت المؤلّد طيّب لا بأس انت على حق لا حاجة الى اخبار والديك والذي فات مات ها ولماذا نسمح انا وانت لأمر طفيف كهذا بالوقوف حجر عثرة بيننا اني اودك يا كونتن ويروق لي مظهرك فأنت لا تشبه هؤلاء الصقعاء الآخرين ويسعدني ان عرى الالفه ستتوثق بيننا وقد وعدت أمك بأنني سأساعد جاسن ولكنني اود لو اعينك انت ايضاً لا شك في ان جاسن سيكون في خير حال هنا أما بالنسبة الى شاب مثلك فليس في هذه الخرابة مستقبل لك

شكراً ارجوك ان تقصر همك على جاسن فهو يليق بك اكثر مني انا آسف لما حدث ولكن القتي الذي كنته حينئذ لم تكن لي أم كأملك تلقني المبادئ الرفيعة ولسوف يؤلمها الأمر دونما ضرورة إن هي علمت به انك على حق لا حاجة بنا وينطبق هذا على كاندس ايضاً بالطبع

قلت ابي وامي

انظر انظر إليّ اتظن انك تقوى على الصمود طويلاً إزائي اني في غنى عن الصمود طويلاً ان كنت قد تعلمت القتال في

المدرسة جرت تعرف مقدار صمودي
ما الذي تقصده يا
جرت تعرف

رباه السيجار ما الذي ستقوله امك لو رأيت حرقاً على رف موقدها
ولكن لم يحدث شيء اسمع يا كونتن اننا على وشك الوقوع في امر
سنندم كلانا عليه وانا اودك لقد وددتك حالما رأيتك وقلت لا بد انه
شاب ممتاز مهما يكن الامر والا فان كاندس لن تعجب به هذا الاعجاب
لقد مضت عليّ عشر سنين وانا في خضمّ الحياة وستجد ان الامور
حينئذ ليست على ما تتصوره من الأهمية والخطورة فلنأثف انا وانت بهذا
الشان نحن ابناء هارفرد نخيّل اليّ اني لن اعرفها لو زرتها الآن انهما
للشاب خير مكان في الدنيا وقد قررت ان ارسل ابنائي اليها واتيح لهم
فرصة افضل مما اتيح لي انتظر لا نذهب ولنبحث هذا الموضوع ان
الشاب يؤمن بهذه الافكار وحسناً يفعل فإنها تفيده وهو في طور الدراسة
وتقوم خلقه وتحافظ على التقاليد هذا في المدرسة ولكنه حالماً يتركها
ليدخل عالم الناس عايه ان يحصل على ما يريد بأبرع السبل التي يملكها
لأنه سيجد ان الآخرين كلهم لا يحاولون الا الشيء نفسه مضحين بكل
شيء آخر تعال اذن ولنتصافح ونتناس ما فات من اجل والدتك تذكر
حالتها الصحية هيا اعطي يدك وانظر إلى هذه لقد خرجت تواء من الدير
أنرى ما انقاه لم يشبها بعد اي غَضَضَنِ او ثَنِ هاك

خذ نقودك الى حيث ألفت

لا لا اسمع هيا انني الآن من افراد الاسرة ولا تحسب اني اجهل
شعور شاب مثلك له غرامياته الكثيرة ويصعب عليه ان يستخرج القرش
من ابيه اعرف ذلك كله ألم اكن طالباً ايضاً ومنذ زمن ليس بالطويل
اما الآن فاني مقبل على الزواج وغير ذلك ولا سيما في الجامعة هيا لا
تكن احق واسمع حالما تتاح لنا فرصة لحديث جاد سأخبرك عن ارملة

صبية في المدينة

ذاك ايضاً سمعته ابقِ نقودك القذرة لنفسك
اعتبرها ديناً اذن اغمض عينيك دقيقة تجد انك اغنى بخمسين
ابعد يديك عني وارفع سيجارك من على الرف
اذهب اذن واخبر من تشاء ولز النتائج الباهرة لو لم تكن غيباً
مغفلاً لأدركت اني طوّقتهم في وضع يستحيل على اخ فسجٍ مثلك
التدخل فيه لقد اخبرتي امك من اي صنف انت وقد انتفخ رأسك
كبرياءً ادخلي ادخلي يا عزيزتي انا وكونتن قد بدأنا نتعارف ونتحدث
عن هارفرد اتريدين اني اترى كيف انها لا تستطيع بُعداً عن رجُلها
اخرج لدقيقة يا هربرت اريد التحدث الى كونتن
تعالى ادخلي لنثرر سوية ونتعارف كنت اقول لكونتن
ارجوك هربرت اخرج للحظة
لا بأس اذن يظهر انك تريدين ان تري اخاك مرة اخرى ها
وارفع سيجارك عن الرف
اصبت كالعادة يا صاح اذن عليّ بالخروج وليتحكموا بكِ ما دام
ذلك من حقهم ولكن يا كونتن بعد اليوم الذي ما بعد غد سياترب
عليك ان تقول للزوج ارجوك ومن فضلك أليس كذلك عليّ بقبلة يا
حلوتي

كف عن ذلك وفره لليوم الذي يلي الغد
عند ذاك سأصرّ على الفائدة ايضاً لا تسمحى لكونتن بفعل شيء لا
يستطيع انجازه وبالمناسبة هل رويت لك يا كونتن قصة البغاء التي كانت
ملكاً لأحدهم انها قصة محزنة ذكرني بها فكثر بها باي باي الى اللقاء
في مجلة الفكاهة

إذن

إذن

ما الذي تحاوله الآن

لا شيء

انك تتدخل بشؤوني ثانية الم يكفك التدخل في الصيف الماضي .

كادي انك محمومة انك مريضة تدوخين لماذا

اني أدوخ وكفى . ولن أسأل لماذا.

اطلق النار على صوته خلال الد

لا هذا النذل الحقير يا كادي

كان النهر بسين الحين والحين يتألق وراء الاشياء فيما يشبه الالتيق

الخاطف عبر الظهيرة وبعدها . بعد الظهيرة بكثير، وان كنا قد مررنا

به وهو ما يزال يجذف ضد التيار في جلال شامخ ازاء وجه الله الآلهة.

أحسن . الآلهة . والمجدافان البليان يحملانه في غمزات وهاجة واكف

نسائية . ملاق منافق . ملاق ان لم يكن زوجاً فإنه ليتجاهل الله . ذلك

النذل الحقير يا كادي وراح النهر يتألق وراء منحني خاطف طويل .

اني مريضة يجب ان تعطني

مريضة وما مرضك

مريضة ولا تستطيع أن استشير أحداً بعد ولكن عدلي

إن يكونا بحاجة الى عناية فما ذلك إلا بسببك ما مرضك تحت النافذة

سمعنا الحافلة تغادر المكان الى المحطة ، قطار الساعة ٨:١٠ . للعودة

بأبناء العم . رؤوس . يزيد من نفسه رأساً رأساً ولكن لا حلاقين .

فنيات المانيكيور . كان لدينا يوماً حصان أصيل . في الاسطبل نعم ،

أما تحت السرج فجرو ليس الا . لقد اطلق كونتن النار على أصواتهم

جميعاً من خلال أرض غرفة كادي

وقفت الحافلة ونزات الى وسط ظلي . كانت ثمة طريق تقطع سكة

الحافلة . ومظلة خشبية تحتها رجل يأكل شيئاً من كيس ورق ، ثم

تعدت الحافلة نطاق السمع . كانت الطريق تفضي الى الاشجار حيث

يمتد الفيء ، غير أن اوراق حزيران في نيوانجلند لا تزيد كثافة عن
اوراق نيسان في بلدتي في ميسيسي . ووقعت عيني على مدخنة عالية .
فأدرت اليها ظهري ووطئت ظلي في التراب . كان في شيء رهيب
وفي بعض الليالي كنت أراه يكشّر لي اراه من خلاهم يكشّر لي من
خلال وجوههم لقد راح الآن وأنا مريضة

كادي

لا تمسني انما عدني فقط

ان كنت مريضة فلن تقدرني

بلى أقدر وبعد ذلك تعتدل الأمور ولن يكون لذلك أهمية لا تدعهم

يرسلونه الى جاكسن عدني

اني اعدك يا كادي كادي

لا تمسني لا تمسني

ما شكله يا كادي

ما هو

هذا الذي يكشّر لك من خلاهم

كنت ما زلت ارى المدخنة العالية . هناك الماء ينساب الى البحر
والكهوف الآمنة . تتساقط آمنة وعندما يقول الله « انهضوا » لا ترتفع
الا المكواتان . عندما كنا انا وفيرش نقضي النهار كله بالصيد لم نكن
نأخذ معنا غداءً ، وفي الثانية عشرة كنت اجوع . فأبقى جائعاً حتى
الواحدة واذا بي فجأة قد نسيت حتى انني ما عدت جائعاً. مصابيح الشوارع
تنزل التل ثم سمعت الحافلة تنزل التل . وذراع الكرسي مسطح بارد
ناعم تحت جيني وشجرة التفاح تنحني على شعري فوق ثياب اللجنة
تُري بالانف انك محمومة وقد شعرت بها امس كأنك جالسة قرب الموقد
لا تمسني

لن تستطيعي ذلك ان كنت مريضة يا كادي . ذلك النذل الحميم .

لا بد لي من الزواج من رجل ما . ثم اخبروني ان العظم يجب كسره ثانية .

واخيراً ما عدت ارى المدخنة . وجعلت الطريق تحاذي حائطاً تنحني عليه الاشجار ، وعلى الاشجار رذاذ من نور الشمس . كان الحجر بارداً . فاذا مشيت قربه احسست برودته . غير ان ريفنا ليس كهذا الريف . ففني مجرد التمشي في مجاليه شيء يصعب تحديده ، ضرب من الحصب الساكن العنيف المشبع ابداً كمن جوع الى الخبز . دافقاً من حولك ، لا مستغرقاً في التأمل وحاضناً كل حجر شحيح . كأنه مكره على التدرع بالحيل لتفي الخضرة بحاجة الاشجار كلها ، وحتى زرقه الفضاء البعيد ليست كهذه السعادة العميقة اللون . اخبروني ان العظم يجب كسره ثانية فصرخت أعماقي يقول آه آه آه وبدأت أعرق. ما همني فأنا اعرف ما تعنيه الساق المكسورة كل ما تعنيه لن تكون شيئاً ذا بال فكل ما علي هو ان ابقي في البيت لمدة اطول بقليل لا غير وعضلات فكي آخذة بالحدرد وفي يقول انتظر انتظر لحظة من خلال العرق وآه آه آه خلف أسناني وابي لعنة الله على هذا الحصان لعنة الله على هذا الحصان. انتظر انها غلطتي . كان يأتي كل صباح بمحاذاة السياج حاملاً سلة في اتجاه المطبخ ويجر عصاه على السياج وكل صباح أجز نفسي الى النافذة وساق في جبيرة الجبس وأقذفه بقطعة فحم فتقول دلزي ستحطم نفسك ألسنت أعقل من ان تفعل ذلك ولم تمر بعد اربعة ايام منذ كسرتها . انتظري سوف اعتاد عليها في لحظة انتظري لحظة سوف

حتى الصوت يبدو كأنه ينقطع في هذا الهواء ، كأنما الهواء منهوك القوى لطول ما حمل من اصوات . ان صوت الكاب أبعد مدى من صوت القطار ، في الظلام على الاقل . وكذلك اصوات بعض الناس . والزنوج . فلويس هاتشر لم يستعمل قط بوقه رغم انه كان يحمله مع ذلك المصباح العتيق . قلت : « متى نظفت ذلك المصباح لآخر مرة؟ »

— « نظفته قبل مدة . اذكر عندما جرفت مياه ذلك الفيضان اناساً كثيرين هناك ؟ نظفته في ذلك اليوم بعينه . فقد كنا انا وعجوزتي جالسين امام النار تلك الليلة فقالت : يا لويس ، ما الذي ستفعله عندما يبلغنا الفيضان ؟ فقلت : اي والله صدقت . فالأفضل ان انظف ذلك المصباح . وهكذا نظفته تلك الليلة . »

قلت : « ولكن ذلك الفيضان كان في بنسلفانيا . وما كان بإمكانه ان يبلغ هذا المكان . »

فقال : « هذا ما تظنه انت . فالماء يعلو ويفيض في جفرسن كما في بنسلفانيا . والناس الذين يقولون ان الماء لا يستطيع ان يبلغ هذا المكان هم الذين تجدهم في النهاية عائمين متشبثين بسقائف البيوت . »
— « هل خرجتما تلك الليلة ، انت ومرتا ؟ »

— « ذلك ما فعلناه . نظفت المصباح ثم قضينا بقية الليل انا وهي على قمة تلك التلة التي وراء المقبرة . ولو كنت اعرف بوجود قمة اعلى منها لذهبنا اليها . »

— « ومنذ ذلك اليوم لم تنظف المصباح ؟ »

— « ولماذا أنظفه ما دمت لا أحتاج اليه ؟ »

— « تقصد الى ان يأتينا فيضان آخر ؟ »

— « لقد خالصنا من ذلك الفيضان . »

فقلت : « دع عنك هذا يا عم لويس . »

— « اي والله يا سيدي ، أنت تذهب في سبيلك وانا أذهب في سبيلي . ان يكن كل ما علي ان أفعله للخلاص من مياه الفيضان هو تنظيف هذا المصباح ، فلن أخاصم أحداً . »

فقال فيرش : « العم لويس لا يصطاد شيئاً بضوء ينير له الطريق . »

— « يا ولد ، كنت أصطاد القنفاذ في هذه البقاع أيام كانوا يغرقون

الصبيان في رأس أبيك بالنفط . » قال لويس . « وامسك بها أيضاً . »

فقال فيرش : « صحيح . أتصور ان العم لويس اصطاد من القنافذ أكثر مما اصطاده أي رجل آخر في هذا البلد . »

قال لويس : « اي والله . عندي الكثير من الضوء لرؤية القنافذ . وما سمعت أحدها يتذمر . صه ! هناك هو . هُوي ! هيا يا كلبي ، عليك به ! » ونجلس بين الاوراق اليابسة الهامسة همساً رقيقاً مع وئيد تنفسنا في الانتظار وئيد تنفس الأرض وتشرين العديم الريح ، ورائحة المصباح الحبيثة تلوث الهواء الرقيق الهش ، مصغين الى الكلاب وصدى صوت لويس يتلاشى بعيداً . لم يرفع صوته قط ، غير اننا كنا في الليالي الساكنة نسمعه حتى من شرفتنا الامامية . واذا ما استدعى كلابه كان صوته أشبه بالبوق الذي يحمله معلماً على كتفه ولا يستعمله ، الا انه أكثر صفاء ورخامة كأنه جزء من الظلام والسكون ، يتولب خارجاً منه داخلاً فيه من جديد . هو ووووو ... هو ووووو ... هو ووووو ووووو ووووو ...

لا بد لي من الزواج من رجل ما

هل عرفت رجلاً كثيرين يا كادي

لا اعرف الكثيرين هل ستعني بينجي وابي

اذن ألا تعلمين من ابوه أعلم هو

لا تمسني ارجوك هل ستعني بينجي وابي

بدأت أشعر بالماء قبل ان ابلغ الجسر . كان الجسر من حجر رمادي ، مطحلب ، بقعته الرطوبة البطيئة حيث دبّت فطريات العفن . وكان الماء تحته صافياً ساكناً في الظل ، يهمس ويقوىء . حول الجسر في دوامات متلاشية من سماء تدور وتدور . كادي ذلك

لا بد لي من الزواج من رجل ما لقد أخبرني فيرش عن رجل خصي

نفسه . توغل في الاحراش وفعلها بموسى وهو جالس في خندق . بموسى مكسورة . وقذف بهما الى الخلف من فوق كتفه وفي الحركة نفسها انقذت انشطة السدم المترججة خلفاً وما تحلّت . ولكن ليست هذه هي

المسألة . ليست المسألة فقداًهما . بل هي ان اولد بدونهما ولقلت حينئذ
آه تلك لغة صينية وأنا لا أعرف الصينية . وقال أبي : ذلك لأنك
أعذر ، الا ترى ؟ والنساء لسن أبداً عذارى . فالعفة حالة سلبية ولذا
فإنها تناقض الطبيعة . الطبيعة هي التي تؤملك وليست كادي فقلت هذه
محض كلمات فقال وكذلك البكارة . فقلت انت لا تدري، وليس بوسعك
ان تدري فقال اجل . في اللحظة التي ندرك فيها ان المأساة وافتنا لا
جديدة بل كرداء مستعمل .

كان بوسعي ان أرى سُفلاً الى عمق بعيد حيث يقع ظل الجسر ،
ولكن دون ان أرى القاع . اذا تركت ورقة حضراء في الماء مدة طويلة
وجدت بعد زمن ان النسج يتلاشى وأن الألياف الدقيقة تتماوج بطيئة
بطء حركة النوم . وفلاً يمس بعضها بعضاً مهما تتشابك في الأصل ، مهما
تكن في الأصل قريبة من العظام . ويوم يقول الله « قوموا » لربما تطفو
العينان أيضاً الى السطح خارجتين من أعماق الهدأة والنوم ، لتشهدا
النور والجلال . وبعد لحظات تطفو المكواتان . لقد اخفيتهما تحت نهاية
الجسر وعدت واتكأت على الافريز .

لم استطع ان أرى القاع ، ولكن بصري ، كان ينفذ عميقاً في حركة
الماء قبل ان تكل العين ، واذا بي أرى ظلاً طافياً كسهم بدین متأصل
في التيار . وكان الذباب يحوم فوق سطح الماء داخلاً ظل الجسر خارجاً
منه . يا ليت هناك جحيماً وراء ذلك : اللهب النقي وكلانا اكثر من ميت .
وعندها لن يكون لك سواي سواي أنا ثم كلانا وسط الإشارات والوعب
وراء اللهب النقي لقد تضخم السهم بغير حركة ، وفي تدوير سريعة
التقمت السمكة ذبابة تحت السطح بتلك التزاكة العملاقية التي تراها في
فيل يلتقط فستقة . وانسابت الدوامة المتلاشية مع السيل ثم رأيت السهم
ثانية ، ورأسه في التيار ، وهو يترنح ترنحاً لطيفاً مع حركة الماء الذي
كان الذباب فوقه يتأيل ويتوازن . دون غيرنا أنا وانت حينئذ وسط الاشارات

والرعب يُسَوِّرنا اللهب النقي

واستكانت السمكة ، رقيقة لا تبدي حراكاً بين الظلال المترنحة .
وجاء ثلاثة اولاد يحملون السنائر إلى الجسر واتكأنا كلنا على الافريز
وتأملنا السمكة . لقد كانوا يعرفونها . إنها من شخصيات المحلّة .

— « لقد مضى عليهم وهم يحاولون ان يصيدوا تلك السمكة خمس
وعشرون سنة . وفي بوسطن حانوت يقدم سنارة قيمتها خمسة وعشرون
دولاراً لكل من يستطيع صيدها . »

— « لماذا لا تصيدونها انتم اذن ؟ ألا تودّون لو تحصلون على سنارة
قيمتها خمسة وعشرون دولاراً ؟ »

فقالوا : « نعم . » واتكأوا على الافريز وهم ينظرون إلى السمكة .
وقال احدهم : « ليتني استطيع . »

قال الثاني : « لن آخذ السنارة ، بل النقود . »
فقال الاول : « لن يقبلوا بذلك . بل يجعلونك تأخذ السنارة . »
— « ابيعها اذن . »

— « لن تحصل بها على خمسة وعشرين دولاراً . »
— « سأخذ المبلغ الذي يتيسر ، اذن . فأنا بهذه السنارة أتمكن من
صيد العديد من السمك بقدر ما أتمكن من صيدها بذات الخمسة والعشرين
دولاراً . » ثم راحوا يتحدثون عما سيفعلونه بالخمسة والعشرين دولاراً .
وكلهم يتحدثون في آن واحد ، بأصوات ملحاحة متناقضة لجوج ،
جاعلين من الخيال إمكاناً ، ثم احتمالاً ثم حقيقة لا تدحض ، شأن
الناس جميعهم عندما تتحول مشتهياتهم ألفاظاً .

قال الثاني : « سأشري حصاناً وعربة . »
فقال الآخران : « صحيح ؟ »
— « أي والله . فأنا أعرف مكاناً أستطيع شراءهما منه بخمسة
وعشرين دولاراً . أعرف صاحب المكان . »

— « ومن هو ؟ »

— « ولم السؤال ؟ باستطاعتي ان أشتريها بخمسة وعشرين دولاراً . »

فقال الآخرون : « انه يهرف بما لا يعرف . كلام في كلام . »

فقال الولد : « أهذا ما تظنان ؟ » واستمرا في الهزء منه وهو لا يقول شيئاً . واتكأ على الافريز يتأمل السمكة التي انهكها ، واذا الأصوات فجأة تفقد المرارة والصراع ، كأن الآخرين اقتنعا هما ايضاً بأنه قد اسر السمكة وابتاع العربة والحصان ، وبدأت فيهما تلك السجية من سجايا البالغين ، سجية الاقتناع بأي شيء بمجرد التظاهر بالاستعلاء الصامت الوقور . وليخيل إلي ان الناس ، لشدة ما يستهلكون انفسهم وغيرهم الفاظاً ، ينسجمون مع منطقهم حين يعززون الحكمة الى الشفتين المطبقتين ، فانتابني الشعور لبرهة بأن الاثنين الآخرين جعلاً يبحثان حثيثاً عن وسيلة ما يسيطران بها عليه ، ويسلبانه عربته وحصانه .

فقال الاول : « لن تحصل على خمسة وعشرين دولاراً لقاء تلك

السنارة . اراهنك على ما شئت . »

قال الثالث فجأة : « لم يصد تلك السمكة بعد . » ثم صاحوا معاً :

« اترى ؟ ماذا قلت لك ؟ ما اسم صاحب المكان ؟ اتحداك بأن

تذكره . لا وجود لمثل هذا الرجل . »

فقال الثاني : « اوه ، اسكت ! انظر . ها هي قد عادت ثانية . »

واتكأوا على الافريز ، بلا حراك ، متأملين ، وسنانيرهم الهيفاء نازلة ، متماثلة ايضاً ، في ضوء الشمس ، ونهضت السمكة دونما عجلة ، ظلاً باهتاً يترنح ويتضخم ، وتلاشت الدوامة ثانية مناسبة مع السيل . وتتم الاول :

« يا الله . »

وقال : « لن نحاول ان نصيدها مرة اخرى . ولنراقب اهل بوسطن

وهم يحاولون . »

— « وهل هي السمكة الوحيدة في هذا الماء ؟ »

— « نعم . فقد هزمت الاسماك الاخرى كلها . ولكن افضل

اماكن الصيد هي هناك ، عند « الدوامة » . »

فقال الثاني : « لا ، ابدأ . افضل منها بمرتين المكان الذي عند طاحونة بيغلو . » وتلا ذلك جدل حول افضل امكنة الصيد ، اقلعوا عنه فجأة ليرقبوا السمكة وهي ترتفع ثانية ودوامة الماء الصغيرة تمتص شيئاً من السماء . فسألتهن عن المسافة الى اقرب بلدة . فأخبروني .

— « ولكن اقصر طرق الحافلات في الاتجاه الآخر . » قال الثاني وهو يشير بيده الى الطرف القصي من الطريق : « الى اين انت ذاهب ؟ »

— « لا مكان . انني اتمشى . »

— « هل انت من طلاب الجامعة ؟ »

— « نعم . أتوجد في تلك البلدة مصانع ؟ »

— « مصانع ؟ » وحدقوا بي .

وقال الثاني : « كلا . » وتأملوا ثيابي . « أتبحث عن عمل ؟ »

قال الثالث : « وطاحونة بيغلو ، أليست مصنعاً ؟ »

— « اي مصنع ؟ انه يسأل عن مصنع حقيقي . »

فقلت : « مصنع له صافرة . لم اسمع بعد صافرة تعلن الساعة الواحدة . »

فقال الثاني : « آه . في قبة الكنيسة الاتحادية ساعة ، تستطيع ان

تعرف الوقت منها . الا تحمل انت ساعة على طرف سلسلتك هذه ؟ »

— « لقد كسرتها هذا الصباح . » واربتهم ساعتى . فتفحصوها

جاذبين . وقال الثاني :

— « ما زالت تشتغل . ما ثمن ساعة كهذه ؟ »

فقلت : « انها هدية . اعطاني اياها ابي يوم تخرجت من الثانوية . »

قال الثالث : « أكندي انت ؟ » وكان شعره احمر .

— « كندي ؟ »

قال الثاني : « انه لا يتكلم مثلهم . فقد سمعتهم يتكلمون . انه

يتكلم كما يفعلون في حفلات المغنين الملونين .
فقال الثالث : « ألا تخشى أن يضربك ؟ »

— « يضربني ؟ »

— « قلت أنه يتكلم كالملونين . »

— « كفك كلاماً ! بوسعك ان ترى برج الكنيسة عندما تصعد

ذلك التل . »

فشكرتهم . « أرجو لكم التوفيق . ولكن لا تصيدوا صاحبتنا التي
في هذا الماء . ألا تستحق أن تترك وشأنها ؟ »

فقال الأول : « وهل هناك من يستطيع صيدها ؟ » واتكأوا على
الافريز ، وهم يرسلون النظر إلى أعماق الماء، وسنانيرهم الثلاث كخيوط
مائلة ثلاثة من نار صفراء تلتع في الشمس . ومشيت على ظلي، مقحماً
إياه بقدمي في بُقَع أفياء الشجر ثائية . كان الطريق ينعطف صعداً عن
الماء ، ويقطع التلّ ، ثم ينحدر في تعاريج وهو يحمل العين والذهن
قُدُماً في نفق أخضر ساكن تحت قبة مربعة تعلو الاشجار وعين الساعة
المستديرة . جلست على قارعة الطريق . كان العشب يبلغ الكاحلين ،
كثّاً . والظلال الملقاة على الطريق ساكنة كأنها قد رسمت عليه بأقلام
مائلة من ضوء الشمس . ولكن لم يكن ذاك إلا قطاراً تلاشى بعد قليل
وراء الأشجار صوته الطويل، ثم جعلت اسمع ساعتي واسمع القطار يتلاشى،
كأنه يجري خلال شهر آخر أو صيف آخر في مكان ما ، مهرولاً تحت
النورس المتوازن في الفضاء وكل ما يهرول . إلا جرالده . فهو أيضاً
سيدو جليلاً وقوراً وهو يجذف في أهبة الوحيد الفريد عبر الظهيرة ،
الى ما وراء الظهيرة ، صاعداً الفضاء الوهاج المستطيل كشيء مؤلّه ،
راقياً الى أبدية وسنانة حيث يكون هو والطير دون غيرهما ، أحدهما بلا
حراك والآخر في انطلاقة مجذافية وثيدة كأنها القصور الذاتي بعينه ،
والدنيا ضيالة تحت ظليهما الواقعين على الشمس . يا كادي ذلك النذل

الحقير ذلك النذل الحقير يا كادي .
جاءتني أصواتهم من على التل والسنابير النحيلة الثلاث كخيوط متزنة
من نار جارية . ونظروا اليّ اذ مروا بي ، غير مبطين .
فقلت : « لست أراها ؟ »

فقال الأول : « لم نحاول ان نصيدها . لن يستطيع أحد ان يصيدها . »
قال الثاني مشيراً : « تلك هي الساعة ، بوسعك ان تعرف الساعة
اذا دنوت منها قليلاً . »

قلت : « نعم . لا بأس . » ونهضت . « أذهبون انتم الى المدينة ؟ »
قال الاول : « اننا ذاهبون الى « الدوامة » للصيد . »
قال الثاني : « ولن نصيد شيئاً هناك . »
— « هل الافضل اذن ان نذهب الى الطاحونة ، حيث الكثيرون
يتراشقون بالماء ويفزعون الاسماك ؟ »
— « لن نصيد شيئاً عند الدوامة . »

قال الثالث : « لن نصيد سمكاً في اي مكان اذا لم نذهب . »
فقال الثاني : « لست ادري والله ما فائدة الكلام عن الدوامة . لن
نصيد سمكة واحدة هناك . »
قال الاول : « لا حاجة بك الى الذهاب هناك ، انت لست
مربوطاً بي . »

قال الثالث : « لنذهب الى الطاحونة ونسبح . »
قال الاول : « لن اذهب الا الى الدوامة للصيد ، فافعل ما تشاء . »
قال الثاني للثالث : « بالله قل لي ، متى سمعت احداً اصطاد سمكة
عند الدوامة ؟ »

فقال الثالث : « لنذهب الى الطاحونة ونسبح . »
اخذت القبة تحتجب رويداً وراء الاشجار ، وميناء الساعة المستدير لما
يزل بعيداً . وسرنا معاً في الظلال الرقشاء حتى بلغنا حديقة وردية بيضاء ،

تجمع بالنحل . فقد بدأنا نسمع الطنين .

وقال الثالث : « لنذهب الى الطاحونة ونسبح . » كان قرب الحديقة ممر يتفرع عن الطريق . فأبطأ الولد الثالث سيره ثم توقف . اما الاول فاستمر في سيره ، وندف من الشمس يتزلق على السنارة عبر كتفه الى ظهر قيصره . قال الثالث : « هيا بنا . » فتوقف الولد الثاني ايضاً .

ولماذا لا بد لك من زواج يا كادي

اتريدني ان اقولها اتظن اذا قلنتها انها

قال : « لنذهب الى الطاحونة . هيا بنا . »

واستمر الولد الاول في سيره، دون ان تحدث قدماه الحافيتان صوتاً إذ تقعا على التراب الرقيق وقعاً انعم من وقع اوراق الشجر . اما في الحديقة فقد كان طنين النحل اشبه بريح تلملم نفسها ، او بصوت بلغ ما دون الذروة شدة فأبقاه سحر ما مستمراً وهو دون ذروته بقليل . كان الممر يمتد بمحاذاة الحائط وقد انعقدت فوقه الأزهار في قناطر وجزآته ، ويتلاشى في الشجر . ونور الشمس هابط فيه، متقطعاً لاهناً . والفراشات الصفرة تنتفض في الفيء كندف من الشمس .

وقال الولد الثاني : « لماذا تريد الذهاب الى الدوامة ؟ لك ان تصيد السمك عند الطاحونة اذا شئت . »

فقال الثالث : « آه ، فلنذهب . » وتبعوا الولد الاول بنظراتهما . ونور الشمس ينزلق متقطعاً عبر كتفه الماشية، ويتألق على سنارته كالنمل الأصفر .

قال الولد الثاني : « كني . » قلها لابيكَ ارجوك سأقولها اني ناسلُ ابي لقد اخترعته وخلقته انا اياه قلها له انها لن تكون لانه سيقول لم اكن ثم انت وانا محب الاطفال اطفائي

وقال الولد : « هيا ، هيا بنا . لقد بدأوا يسبحون . » وتبعوا الولد الاول بنظراتهما ، ثم قالوا فجأة : « طيب ، اذهب ، اذهب يا مدلل

امه . اذا ذهب للسباحة ابتل رأسه، فأكلها علقه في البيت . » ودخلا
الممر وسارا ، والفرشات الصفراء تنهبط حولهما في الظل .
ذلك لانه ليس ثمة اي شيء آخر بل اعتقد ان ثمة شيئاً آخر ولكن
لعني واهم ومن ثم انا انك ستجد حتى الظلم يكاد لا يكون اهلاً لما
تعتقد انك اياه لم يعرني اي اهتمام ، مشدود الحنك وقد اشاح الوجهه
قليلاً تحت قبعته المكسرة .

وقلت : « لماذا لا تذهب للسباحة معها ؟ » ذلك النذل الحقيق يا
كادي

هل كنت تحاول ان تتشاجر معه هل كنت
كذاب ووغد لئيم يا كادي طردوه من عضوية ناديه لغشه في لعب
الورق وقاطعوه اجتماعياً وامسكوا به متلبساً بالغش في امتحانات نصف
السنة وطردوه

وماذا يهمني من كل ذلك لن ألعب معه الورق
قلت : « أنفضل صيد السمك على السباحة ؟ » وتضاءل ظنين النحل ،
وان بقي مستمراً ، كأنه بدلاً من ان ينتهي الى الصمت، ازداد الصمت،
بيننا ، كماء يرتفع . وانعطف الطريق ثانية وأصبح شارعاً على جوانبه
حدائق وارفة الظلال تتوسطها بيوت بيضاء . كادي ذلك النذل الحقيق
أبوسعك ان تفكري بابي وبنجي وتفعليها وبني

وهل هناك ما افكر به سوى ذلك هل هناك ما فكرت به سوى ذلك
لقد حاد الولد عن الشارع . ثم تسلق سياجاً دون ان ينظر الى الخلف
وقطع مرج الحديقة الى احدى الاشجار ورمى بالسنارة عنه وتسلق الى
فرع الشجرة وقعد هناك مديراً ظهره الى الطريق واستقرت الشمس الرقشاء
بلا حراك أخيراً على قيصه الابيض . فكرت به سوى ذلك لا استطيع
حتى البكاء لقد مت في السنة الماضية وقد قلت لك ذلك من قبل غير
اني لم اعرف حينئذ معنى ما قلت لم اعرف ما الذي كنت اقول بعض

الايام في أواخر آب في بلدتنا شبيه بهذا ، اذ يكون الهواء رقيقاً لاهثاً كهذا الهواء ، يشويه حزن وتوق وحنين . وما الانسان إلا مجموع تجاربه المناخية ، قال أبيي . وما الانسان إلا مجموع ما تشاء . معضاة من معضلات الخواص المشوبة وقد استمرت رتيبة إلى صفر لا يتبدل : حرب سجال بين التراب والشهوة . اما الآن فاني أعلم انني ميتة اذن لماذا عزمت اسمعي بوسعنا ان نذهب انا وانت وبنجي الى مكان لا يعرفنا فيه أحد حيث كانت العربية يجرّها حصان أبيض تفرع حوافره التراب الرقيق ، والعجلات العنكبوتية تدمدم دمدمة رقيقة هشة ، وهي تصعد التل تحت رداء يتماوج من الورق . دردار . دردار .

بماذا بنقود رسومك الجامعية بالنقود التي تأت لقاء المرعى الذي باعوه لكي تستطيع الذهاب الى هارفرد ألا ترى ان عليك ان تكمل الدراسة وان لم تكملها لم يبق له شيء

المرعى الذي باعوه كان قيصه يلا حراك في فرع الشجرة ، في الظل المنتفض . وكانت العجلات عنكبوتية ، والحوافر تحت منخفض العربسة تطرد رشيقة كحركات سيدة تطرّز مندبلاً ، تتضاءل دونما تقدم كمن يقلد الركض على خشبة المسرح . ثم انعطف الشارع مرة أخرى. رأيت القبة وإصرار الساعة الغبي المستدير . المرعى الذي باعوه

يقولون ان ابيي سيموت بعد سنة ان لم يكفّ عن الشرب وهولن يكفّ عنه لأنه لن يستطيع لأنّ لأنني منذ الصيف الماضي وعندئذ يرسلون بنجي الى جاكسن لا يستطيع البكاء لا أستطيع حتى البكاء وقفت في الباب دقيقة وسرعان ما راح يسحب ثوبها ويبولول وصوته تتقاذفه الجدران أمواجاً وقد جعلت تتقلص لصق الحائط أصغر فأصغر وقد ابيضّ وجهها وغدت عيناها كإبهامين مغروزين فيه إلى أن دفع بها الى خارج الغرفة وصوته تتقاذفه الجدران جيئةً وذهاباً كأن اندفاعه لن يدعه يتوقف كأنه لا مكان له في عالم الصمت يولول

إذا فتحت الباب دقّ جرسٌ دقة واحدة وحسب ، دقة رفيعة صافية خفيفة في العتمة النظيفة التي فوق الباب ، كأنه قد قيس وكُتِفَ لاطلاق تلك الرنة الخفيفة الصافية الوحيدة خشية أن يهترى الجرس أو يتطلب انفاقاً لصمت كثير عند استعادتها إذا ما فُتِحَ الباب على قفوح الحبز الحار الجديد ؛ طفلة لها عينان كعيني دبّ دميةٍ وضفيران كالجلد المصقول .

- « مرحباً يا أختاه . » كان وجهها أشبه بكوب من الحليب فيه قطرتان من القهوة في الفراغ الدافئ العذب . « هل من أحد هنا ؟ » غير أنها اكتفت بالتحديق فيّ الى ان انفتح باب دخلت منه السيدة . فوق الحاجز حيث صُفّت الأشكال المحمّرة اللذيذة وراء الزجاج وجهها الأشيب الأنيق بشعرها الخفيف المشدود من جمجمتها الشياء الأنيقة ، ونظارتها بحوافها الشهباء راكدة مقبلة كشيء معلق بسلك ، كصندوق نقد في متجر . لقد بدت وكأنها أمينة مكتبة ، كشيء استقر بين رفوف معفّرة من الحقائق المرصوفة المنفصلة عن الواقع منذ بعيد ، وما هو يحفّ ويتهافت في أمنٍ ودعة ، كنسمة من ذلك الهواء الذي يرى الظلم يقع .

- « اثنتين من هذه ، لطفاً ، يا سيدي . »

فأخرجت من تحت الحاجز ورقة مربعة اجتُرئت من صحيفة ووضعتها على الحاجز ورفعت الكعكتين . وراحت الفتاة الصغيرة ترنو اليهما بعينين جامدتين لا تغمضان كزببتين طافيتين في كوب من القهوة الخفيفة يا أرض « الكايك » يا موطن « الطرب » . راحت ترنو الى الحبز ، واليدين الشهباوين الانيقتين وحول السبابة اليسرى خاتم ذهبي عريض ، والسلاميات الزرقاء .

* Wop,Kike من الكلمات التي يطلقها الأمريكيون الذين يغلب فيهم الدم الانجلوسكسوني ، على الفئات الاخرى في امريكا ، احتقاراً يقصد بالاولى الهنود الحمر وبالثانية الايطاليون .
(المترجم)

— « هل تخبزون أنتم كل ما تبيعون ، يا سيدتي ؟ »
 فقالت : « سيدي ؟ » هكذا : سيدي؟ كما يقولونها على المسرح :
 سيدي ؟ « خمسة سنتات . أي شيء آخر ؟ »
 — « كلا يا سيدتي . لا أريد شيئاً آخر . انما السيدة هنا تريد
 شيئاً . » لم تكن طويلة بحيث تستطيع ان ترى من فوق الخزانة، فذهبت
 الى نهاية الحاجز ونظرت الى الفتاة الصغيرة .
 — « أأنت أتيت بها هنا ؟ »
 — « لا يا سيدتي . فقد كانت هنا عندما دخلت . »
 فقالت : « يا قليلة الحياء . » وخرجت من وراء الحاجز ، غير
 انها لم تمس الفتاة الصغيرة . « ألدريك شيء في جيوبك ؟ »
 فقلت : « لا جيوب لها . لم تفعل شيئاً ، بل كانت واقفة هنا، في
 انتظارك . »
 — « لمّ لم يصدق الجرس اذن ؟ » وحدجنتني بنظرة غضبي . ما كان
 ينقصها سوى مجموعة من المقايح ولوح أسود وراءها $2 \times 2 = 5$.
 « قد تخفيه تحت ثوبها ولن يعرف به أحد . اسمعي يا طفلة ، كيف
 دخلت ؟ »
 لم تقل الطفلة شيئاً . نظرت الى المرأة ثم قذفني بنظرة سوداء سريعة
 ونظرت الى المرأة ثانية . قالت المرأة : « هؤلاء الأجانب ! » ، ثم
 أردفت : « كيف استطاعت الدخول دون ان يصدق الجرس ؟ »
 فقلت : « لقد دخلت عندما فتحت أنا الباب . فصدق مرة واحدة
 لكلينا . وهي لن تستطيع ان تطال شيئاً من هنا ، على كل حال . ولا
 أحسبها تفعل ذلك حتى لو استطاعت . أليس كذلك يا اختاه ؟ »
 ونظرت الفتاة الصغيرة اليّ كمن يتأمل ويتكلم . « ماذا تريدان ؟
 خبزاً ؟ »
 فدفّت قبضتها ، وفتحتها عن قطعة نقد صغيرة ، رطبة قدرة ،

والقدارة الرطبة قد انحفرت في لحمها . كانت قطعة النقد لزجة دافئة ، تشمت رائحتهما المعدنية .

— « من فضلك يا سيدتي ، ألتدك رغيف بخمسة سنتات ؟ »
ومن تحت الحاجز أخرجت قطعة ورق مربعة اقتطعت من صحيفة
ووضعتها على الحاجز ولفت بها رغيفاً من الخبز . فوضعت قطعة النقد ،
مضيفاً إليها قطعة أخرى ، على الحاجز وقلت : « وكعكة أخرى من
هذه ، من فضلك يا سيدتي . »

فتناولت كعكة أخرى من الخزانة وقالت : « أعطني تلك الرزمة . »
فأعطيتها إياها ، ففككتها ووضعت فيها الكعكة الثالثة والتقطت قطعتي
النقد ، ووجدت في صدريتها فلسين ناولتني إياهما ، فأعطيتها الفتاة
الصغيرة . وفي الحال انغلقت أصابعها عليها ، رطبة حارة ، كالديدان .
فقالت المرأة : « أستعطيها تلك الكعكة ؟ »

قلت : « نعم . لا ريب ان رائحة فطائرکم تلذّ لها بقدر ما تلذ لي . »
وتناولت الرزمتين وأعطيت الخبز الى الفتاة الصغيرة ، والمرأة الشهباء
بلون الحديد من وراء الحاجز ترقبنا بيقين صارم . وقالت « انتظري
دقيقة . » ثم ذهبت الى مؤخرة الحانوت وانفتح الباب ثانية وانغلق .
وبقيت الفتاة ترنو اليّ وقد أمسكت بالخبز لصق ثوبها الوسخ .
قلت : « ما اسمك ؟ » فصرفت عينها عني ، غير أنها ما انفكت
بلا حراك . وكأنها لا تتنفس . وعادت المرأة ، وفي يدها شيء مضحك
المنظر حملته كأنه جرد مدلل ميت .

وقالت : « هاك . » فرفعت الطفلة عينها إليها . « خذها ! » قالت
المرأة وهي تنخز بها الفتاة الصغيرة . « منظرها غريب ، ولكنك لن
تعرفي الفرق عندما تأكلينها . هاك . انا لا استطيع ان اقف هنا النهار
كله . » فأخذتها الفتاة وهي ما زالت تنظر لإليها . ومسحت المرأة يدها
بصدريتها . وقالت : « يجب أن اصلح هذا الجرس . » وذهبت الى

الباب وفتحته بعنف ، فرنّ الجرس الصغير مرّة واحدة ، خافئاً صافياً غير مرئيّ . وسرنا نحو الباب وظهر المرأة المتطلع .
وقلت : « شكراً لك على الكعكة . »

فقلت وهي تحدّق في العتمة حيث الجرس يرنّ : « هؤلاء الاجانب !
خذ نصيحتي وابقَ بعيداً عنهم ، يا فتى . »

قلت : « نعم . هيّا يا أختاه . » وخرجنا . « شكراً يا سيدتي . »
واغلقت الباب ثمّ ففتحته بعنف ثانية ليطلق الجرس رنّته الهزيلة الوحيدة
وقالت « أجنب ! » وعينها مصوبة إلى الجرس .

ومشينا . وقلت : « والآن ، ما رأيك في شيء من الدندرمة ؟ »
بدأت تقضم الكعكة العقداء . « اتحين الدندرمة ؟ » فلمحتني بنظرة
سوداء ساكنة وهي تمضغ . « هيّا بنا . »

وأنيّا إلى الحانوت ، وأخذنا شيئاً من الدندرمة : وهي تشبّث بالرغيف .
وقلت : « لماذا لا تضعينه عنك ، فتأكلي براحة ؟ » وهممت بأخذه
منها . غير أنها تمسكت به وهي تمضغ الدندرمة كأنها « توفي » ، والكعكة
المعضوفة على الطاولة . وراحت تأكل الدندرمة على ريسلها ، ثمّ انكبّت
على الكعكة من جديد ، وهي تدير بصرها بين خزائن الزجاج . ولما
أتيت على دندرمتي ، خرجنا .

قلت : « اين تسكنين ؟ »

عربة - تلك العربة ذات الحصان . ولكن الدكتور بيدي سمين .
مئة وخمسون كيلوغراماً . فاذا ركبت معه صاعدين التل ، تشبّث بها .
اطفال . المشي اسهل من التشبّث صعوداً على التل . هل راجعت الطبيب
هل راجعت يا كادي

لا حاجة لا استطيع السؤال الآن سيسهل الأمر فيما بعد لن يكون

ذا بال

لأن النساء رهيفات غامضات قال ابي . دقة توازن القذارة الحيضية

بين قرين متوازنة . قال بُدورُ صفراء كبدر الحصاد ردفاها فخذها .
خارج خارجهن دائماً ولكن . صفراء . أسفل القدمين كأنما من كثرة
المشي . فاعلم اذن ان رجلاً ما ان كل هذه الغوامض المتعجرات خفية .
يكل ما في دواخلهن اشكال دماثة ظاهرة حسبها لمسة واحدة لكي .
عفن سائل كأشياء غريقة طافية كمطاط مُلئ مترهلاً اختلط عليّ شذا
زهر العسل .

— « أليس الأفضل ان تأخذي خبزك الى البيت ؟ »
ونظرتُ إليّ وهي تمضغ هادئة على رسلها ، وعلى فترات نظيمة
تنزلق انتفاضة صغيرة على حنجرتها . ففتحتُ رزمتي وأعطيتها احدى
الكعكات . وقلت : « استودعك الله . »

ومضيت في سبيلي . ثم التفتُ الى الخلف ، واذا هي ورائي .
« اتسكنين في هذا الاتجاه ؟ » لم تقل شيئاً . وسارت الى جانبي ، تحت
المرفق مني ، وهي تأكل . ومضينا معاً . والهدوء شامل لا فكاد نرى
أحدًا في الطرق اختلط عليّ شذا زهر العسل ولكانت ستخبرني ألا ادعني
اجلس هناك على الدرج لأسمع بابها الاصيل ينصفق لاسمع بنجي ما يروح
في بكائه العشاء وعندها لا بد لها من النزول وقد اختلط به زهر العسل
وباغنا المنعطف .

فقلت : « عليّ أن اسير في هذا الاتجاه . وداعاً . » فتوقفت هي
أيضاً . ابتلعت آخر لقمة من الكعكة الكبيرة ثم بدأت تلتهم الكعكة
الصغيرة ، وعيناها عبر الكعكة ترمقاني . « وداعاً . » قلت لها ،
وانعطفت في الشارع ومضيت ، ولكنني سرت الى المنعطف التالي قبل
ان أقف .

وقلت : « في أي اتجاه بيتك ؟ في هذا ؟ » وأشرت بيدي الى
الشارع . غير انها نظرت الي ولم تجب . « أم في ذاك ؟ لا شك انك
تسكنين قرب المحطة ، حيث توجد القطارات . أليس كذلك ؟ » فظلت

تنظر الي ، وادعة غامضة ماضغة . كان الشارع خالياً في كلا اتجاهيه وعلى الجانبين حدائق هادئة ومنازل أنيقة بين الشجر ، ولكن دونما اي بشر الا في المكان الذي تركناه . فاستدردنا وعدنا ادراجنا . ورأينا رجلين جالسين في مقدمة أحد المخازن .

— « هل هنا من يعرف هذه الفتاة ؟ لقد تعلقبت بي ولا استطيع ان أعرف منها أين تقيم . »

فما عادا ينظران الي ، بل نظرا اليها .

وقال أحدهما : « لعلها من إحدى هذه العائلات الإيطالية الجديدة . » كان يلبس معطفاً رسمياً صديئاً . « لقد رأيته من قبل . ما اسمك يا صغيرة ؟ » فألقت عليها نظراتها السوداء للحظتين ، وفكأها في حركة مستمرة . وابتلعت ما في فمها دون ان تكف عن المضغ .

قال الآخر : « لعلها لا تتكلم الانجليزية . »

قلت : « ارسلوها لتبتاع خبزاً . فلا بد انها تتكلم قليلاً . »

قال الأول : « ما اسم ابيك ؟ بيت ؟ جو ؟ اسمه جون ، هه ؟ » وتناولت لقمة اخرى من كعكتها .

فقلت : « ماذا أفعل بها ؟ انها تنبغي أينما أذهب . وعليّ ان أعود

الى بوسطن . »

— « أمن الجامعة أنت ؟ »

— « نعم يا سيدي . ويجب ان أعود . »

— « اصعد في هذا الشارع وسلمها لآنس ، مفوض الشرطة .

ستجده عند اسطبل مؤجر الخيل . »

فقلت : « أعتقد ان هذا ما يجب ان أفعله . يجب ان أنخلص منها

على نحو ما . شكراً جزيلاً . هيا بنا يا أختاه . »

وسرنا في الشارع على الجانب المظلل ، حيث كانت ظلال الواجهة

المتقطعة ترتقي في عرض الطريق . ولما بلغنا اسطبل مؤجر الخيل لم نجد

المفوض هناك ، بل رجلاً جالساً على كرسي مائل في الباب المنخفض العريض الذي يهبّ منه نسيم معتمٍ قرير عابق بالنشادر على الحظائر المصطفّة ، قال لي انّ راجع دائرة البريد ، لانه هو ايضاً لا يعرف الطفلة .

— « هؤلاء الأجانب . لا أميّز الواحد منهم عن الآخر . حاول ان تأخذها عبر السكك الى حيث يقيمون ، فلعلك تجد من يطالب بها . » فذهبت الى دائرة البريد ، التي كانت في الطرف الذي خلفناه من الشارع . ورأيت صاحب المعطف الرسمي يفتح صحيفة بين يديه . وقال : « لقد خرج آنس من البلدة قبل لحظات . أتصور ان افضل ما تفعله هو ان تذهب الى ما وراء المحطة وتمرّ بتلك البيوت المبنية قرب النهر . ستجد هناك من يعرفها . »

فقلت : « انك على حق . هيا بنا يا اختاه . » واقحمت آخر قطعة من الكعكة في فها وابتلعتها . فقلت : « اتريدين اخرى ؟ » فنظرت الي وهي تمضغ ، وعيناها سوداوان ، لا ترفان ، حميمتان . فأخرجت الكعكتين من الرزمة وناولتها احدهما وعضضت الاخرى . وسألت عابر سبيل اين المحطة . فدلني عليها . « هيا بنا يا اختاه . » بلغنا المحطة وعبرنا السكك الى النهر . كان على النهر جسر ويتلو النهر شارع من البيوت الخشبية الخليطة أدارت الظهر للنهر : شارع أشعث ، ولكنه غزير التنوع طلق الحيوية . وفي وسط ارض مهمة محاطة بسياج مكسّر كثير الثغرات وقفت عربة معوجة عتيقة وبيت ملوّح تدلّي من إحدى نوافذه العليا لباس فاقع الحمرة .

قلت : « أيشبه هذا بيتكم ؟ » فنظرت لي من فوق الكعكة . « هذا ؟ » قلت مشيراً بيدي : فبقيت تمضغ ، ولكن خيل الي انني اتبين في وجهها ضرباً من الايجاب ، مستسلماً اشد منه تواقاً . وقلت : « هذا البيت ؟ تعالي اذن . » ودخلت البوابة المكسورة . والتفت اليها

وقلت : « هنا ؟ أيشبه هذا بيتكم ؟ »

فهزت رأسها هزات سريعة وعينها عليّ وهي تقضم النصف المتبقي من حلوها الرطبة . وتقدمنا ، على ممشى من بلاط محطم مرصوف كيفما اتفق ، تخرقه حشائش قشبية خشنة ، يؤدي إلى شرفة المدخل المحطّمة . كل ما يحيط بالبيت ساكن بلا نأمة ، واللباس الوردي يتدلى من النافذة العليا لا تنوشه أية ريح . وثمة مقبض خزفي لجرس سحب يتصل بحوالي ست أقدام من سلك معدني ، على انني أعرضت عن سحبه وقرعت الباب . أما الفتاة الصغيرة فقد كانت الحافة من قشرة الكعكة في فمها الماضغ .

ففتحت امرأة الباب . ونظرت إليّ ثم راحت تخاطب الفتاة الصغيرة بالإيطالية بسرعة بنبرة متصاعدة ، تلتها وقفة استفهامية . ثم خاطبتها ثانية ، والفتاة تنظر إليها من فوق قشرة الكعكة وهي تقحمها في فمها بيد قدرة .

فقلت : « تقول إنها تسكن هنا . صادفتها في المدينة . هل هذا الخبز لكم ؟ »

فأجابت المرأة : « ما أتكلم . » وخاطبت الفتاة الصغيرة مرة أخرى . والفتاة تنظر إليها ولا تجيب .

— « لا تسكن هنا ؟ » قلت ذلك واشرت إلى الفتاة ثم إليها ، ثم إلى البيت . فهزت المرأة رأسها نفياً ، وهي تتكلم بسرعة . وجاءت إلى حافة الشرفة وأشارت إلى الطريق وهي تتكلم .

فهزت رأسي بعنف أنا ايضاً ، وقلت : « تعالي أريني ؟ » وأخذت بذراعها وأنا ألوح بيدي الأخرى في اتجاه الطريق . وانطلقت في كلام سريع وهي تشير . « تعالي أريني ، » قلت ، محاولاً ان اقتادها على الدرج .

« سي ، سي ، » قالت ، وهي تتمنع ، وتدلني بيدها . فهزرت

رأسي مرة اخرى .

« شكراً ، شكراً ، شكراً . » ونزلتُ الدرج وسرت نحو البوابة لا راكضاً ولكن حثيث الخطى . ولما وصلت البوابة وقفت ونظرت اليها برهة . كانت قد أتت على الكعكة ، فراحت تزجيني نظرتها السوداء الحميمة . ووقفت المرأة على الشرفة ترقبنا .

وقلت : « تعالي اذن . يجب ان نعر على بيتكم ان عاجلاً او آجلاً . » ومضينا وهي تسير تحت مرفقي . وبانت المنازل كأنها خالية كلها، وما من أحد يُرى . ضربتُ من انعدام النقص تتصف به البيوت المقفرة . غير انها لم تكن كلها مقفرة ولا ريب . هذه الغرف المختلفة كلها، لو كان بوسعك ان تسليخ عنها الجدران فجأة يا سيدتي ، ابتك ، لطفاً . لا يا سيدتي ، والله ، ابتك . كانت تسير وتحت مرفقي ضفائرها المشدودة اللامعة ، ثم ادركنا آخر المنازل ، وانعطف الطريق غير مرئي وراء جدار شاهق ، متبعاً النهر . وطلعت المرأة من البوابة المحطمة وعلى رأسها شال امسكت بطرفيه تحت ذقنها . وانعطف الطريق خالياً مقفراً . وعثرت على قطعة نقد أعطيتها الفتاة الصغيرة . ربع دولار . وقلت : « وداعاً يا أختاه . » وركضت .

ركضت ركضاً سريعاً ولم التف الى الخلف . وقبل ان ينعطف الطريق التفت . فرأيتها واقفة في الطريق ، قدأً صغيراً ، ممسكة بالرغيف لصق ثوبها الصغير الوسخ ، وعيناها ساكتتان، سوداوان ، لا ترفقان . واستمرت في الركض ..

وتفرع درب عن الطريق فدخلته ، وبعد قليل تباطأت من الركض الى المشي السريع . وكان الدرب يمتد ما بين مبان خلفية - منازل غير مصبوغة فيها الكثير من تلك الثياب الملونة المُجفلة منشوراً على الجبال ، وعنبر مهدم الظهر ، يتداعى ويتفسخ بهدوء وسط اشجار الحدائق الحثة غفلت عنها يد التقليم وخنقتها الاعشاب ، وردية بيضاء غناء بالنحل

وبشعاع الشمس . والتفتُ الى الوراق ، فوجدت المدخل الى الدرب خالياً . فازددت بطناً في السير ، وظلي يعين لي خطوي ، وهو يجرب برأسه بين الاعشاب التي تحجب السياج .

وتناهى الدرب إلى بوابة ذات قضبان ، وتلاشى في العشب ، صائراً إلى مجرد ممر جرحه العشب الجديد . فتسلقت البوابة الى حرش صغير عبرته إلى حائط آخر ، فسرت بمحاذاته وظلي الآن على عقبي . لقد انتشرت الدوالي والمتسلقات حيث نتوقع في بلدنا ان نرى زهر العسل . فأتي وأني بخاصة في عتمة الغسق اذا ما أمطرت ، فيختلط عليّ زهر العسل بالغسق كأنه لا يكفيني وحده ، ولا يرهقني وحده . لماذا سمحت له بتقيل بتقيل

لم اسمح له بل ارغمته ولما رأني قد غضبت ما رأيك في ذلك هه وقد برزت طبعة يدي الحمراء على وجهها كأنك اضأت نوراً تحت يدك وتألفت عيناها

لم اصفعك بسبب القُبَل . مرافق الفتيات في الخامسة عشرة قال ابي انك تبلع طعامك كأن في حلقك عظمة سملك ما الذي بينك وبين كادي على طرفي المائدة ولا تنظران الي . بل لان الذي قبلك حقير من حقراء المدينة صفعتك أفعالينها ثانية ألعك تقولين الآن افتتان طارئ . ويدي تبرز على وجهها . ما رأيك في ذلك هه واليدان تبحثن في شعرها المغروس في ال . وسيقان الاعشاب تنطبع متقاطعة في البشرة والرعشة واليدان تبحثن في شعرها . قولي انه افتتان طارئ قولها

على كل انا لم أقبل فتاة قلدة كنتالي دخل الجدار في الظل ، ثم ظلي ، خدعته ثانية . كنت قد نسيت ان النهر ينعطف بموازة الطريق . فتسلقت الحائط ، وإذا هي ترقبني وأنا أقفز ، ممسكة بالرغيف لصق ثوبها .

وقفت في وسط الاعشاب وتبادلنا النظرات .

— « لمّ لمّ تخبريني انك تقيمين في هذه الناحية ، يا اختاه ؟ »
 كان الرغبة قد جعل يمزق الصحيفة ببطء ، فهو الآن بحاجة إلى ورقة
 جديدة . « تعالي اذن وأريني بيتكم . » لا فتاة قدرة كنتالي . كان
 المطر يهطل ونحن نسمعه يضرب السطح ، ويتنهد خلال الفراغ الشاهق
 الزكي ، فراغ العنبر .

أهنا ؟ متحسناً اياها

لا هنا

أهنا ؟

لم يكن المطر غزيراً ولكن لم تكن نسمع الا السطح ولكانه دمي
 او دمها

ودفعت بي الى اسفل السلم وهربت راکضة كادي

أهنا كان موقع الاذى عندما كادي وهربت أهنا

اوه سارت وقّة رأسها الشبيه بالجلد تحت مرفقي ، والرغبة يمزق
 الصحيفة ويبرز منها .

« اذا لم تصلي إلى البيت بسرعة فإن رغيفك هذا سيصبح بلا ورقة
 تلفه . فاذا تقول لك ماما عندها ؟ » اراهن اني استطيع ان احمك

لن استطيع فأنا ثقيلة

هل انصرفت كادي هل ذهبت الى البيت لا يرى العنبر من بيتنا هل
 حاولت يوماً ان تري العنبر من

الذنب ذنبها دفعتني هربت

استطيع حملك جريبي

آه دمها او دمي آه ومضينا نسير في التراب الرقيق ، واقدامنا صامتة
 كالمطاط في التراب الرقيق واشعة الشمس تتكسر بين الاغصان . وشعرت
 بأن الماء يجري من جديد سريعاً آمناً طيّ الظلال الخفية .

— « اما بيتكم فبعيد جداً والله . يظهر انك بارعة جداً اذ تستطيعين

ان تذهبي من هذا المكان البعيد الى المدينة وحدك . « كأنتك ترقص
وانت جالس هل رقصت يوماً وانت جالس ؟ كنا نسمع المطر ، وجرداً
في الحظيرة ، والعنبر خال من الخيل . كيف تمسك بالفتاة عند الرقص
آه

كنت امسك بها هكذا ما كنت تحسبني في مثل هذه القوة أليس
كذلك

آه آه آه آه

امسكت اكون هكذا اقصد اسمعت ما قلت قلت

آه آه آه آه

واستمر الطريق ، ساكناً مقفراً ، والشمس تشتد انصباباً وتكسراً .
وكانت ضبائرها عند اطرافها مربوطة بمِزْقٍ من قماش قرمزي . وجعلت
إحدى زوايا الرزمة ترفرف قليلاً وهي تسير ، وقد برز انف الرغيف
سافراً . ثم وقفت وقلت :

« اسمعي . اتقيمين في هذا الطريق ؟ لم نمر بيت واحد طوال ميلٍ
كامل . »

فأزجت اليّ نظرتها السوداء الكتومة الحميمة .

« اين تقيمين يا أختاه ؟ اتقيمين في المدينة التي تركناها وراءنا ؟ »
في مكان ما من الآجام كان عصفور ، فيما وراء شعاع الشمس
المتكسر النادر .

« سيقلق عليك أبوك . الا تظنين انه سيجلدك لانك ما عدت الى
البيت مباشرة بهذا الخبز ؟ »

وعاد العصفور الى سقسقته غير مرئي ، صوتاً وتير النبرة ، عديم
المعنى ، عميقه ، ينقطع كمن تنزل به ضربة من سكين ، ثم يعود ،
وذلك الاحساس بالماء يجري سريعاً آمناً في اماكن خفية ، تحس به ولا
تراه ولا تسمعه .

« أوه يا أختاه . » لقد تدلى نصف الجريدة التي لُف فيها الخبز .
 « لا فائدة من هذه الآن . » ومزقتها والقيت بها على جانب الطريق .
 « هيا بنا ، نعد الى المدينة . ولنعد بمحاذاة النهر . »
 وتركنا الطريق بين الطحالب تحت ازاهير شاحبة صغيرة ، والاحساس
 بالماء مكتوماً . غير مرئي . امسكت اكون هكذا أقصد كنت امسك هكذا
 وقفت في الباب تنظر إلينا ويداها على وركيها
 انت دفعتني الذنب ذنبك وقد آذيتني ايضاً
 كنا نرقص ونحن جلوس اقسم أن كادي لا تستطيع الرقص جالسة
 كفى كفى

كنت انفض ما علق بمؤخرة ثوبك من قش .
 أبعد يديك القبيحتين عني ان الذنب ذنبك دفعتني وأوقعتني وأنا
 غاضبة منك

لا أبالي وراحت تنظر إلينا ، إبقى على غضبك ذهبت وبدأنا نسمع
 الصيحات وطرشة الماء ؛ ورأيت جسماً اسمر يلتصق لحظة .
 إبقى على غضبك . اخذ قبضي يبتل وكذلك شعري . عبر السطح
 وأنا اسمع السطح عالياً رأيت نتالي تعبر الحديقة في المطر المنهمر . تبلي ،
 ارجو ان تصابي بذات الرثة امضي الى بيتك يا وجه البقرة . وقفزت
 بكل ما اوتيت من عزم في حماة الخنازير وارتفع الطين الأصفر الى
 خصري نئن الرائحة وما برحت اغوص إلى ان وقعت وتمرغت فيه .
 « اتسمعينهم يسبحون يا اختاه . اتمنى لو كنت اسبح مثلهم . » لو كان
 لدي الوقت لذلك . عندما يتاح لي الوقت لذلك . وسمعت ساعتي .
 كان الطين ادفاً من المطر اما رائحته فكريهة . كان ظهرها مداراً إليّ
 فذهبت ووقفت امامها . اتعلمين ما الذي كنت افعله ؟ فادارت ظهرها
 فذهبت امامها والمطر يتغلغل في الطين الذي سطح قبصها الداخلي من خلال
 ثوبها ، نئن الرائحة . كنت اعانقها ، هذا ما كنت افعله . فادارت

ظهرها فذهبتُ امامها . اقول لك كنت اعانقها .

وما هممتي ما كنت تفعله ؟

الا يملك الا يملك ساجعله يملك . وضربتني على يدي لابعدها عنها ولكنني لوثتها بالطين باليسد الاخرى لم اشعر بصفعة يدها البليلة ومسحت بعض الطين عن ساقي ولطخت به جسمها الصلب البليل المدبر عني وسمعت اصابعها تغور في وجهي ولكنني لم اشعر بذلك حتى حين غدا المطر حلوا المذاق على شفتي

لقد رأونا هم اولاً ، وقد برزوا من الماء رؤوساً واكتافاً . وصاحوا بنا ، وكان احدهم مقرفصاً فنهض وقذف بنفسه بينهم . كانوا اشبه بالسماير والماء يتضارب حول ذقونهم ، وهم يصيحون . « ابعد تلك الفتاة عن هنا ! لماذا تأتي بفتاة إلى هذا المكان ؟ ابعدها عن هنا ! »

— « لن تؤذيك . كل ما نريده هو ان نتفرّج عليكم قليلاً . » فقرفصوا في الماء ، وتجمعت رؤوسهم معاً وهم يرقبوننا ، ثم تفرقوا وانطلقوا نحونا يقذفوننا بالماء بأكفهم . فابتعدنا عنهم مسرعين .

— « لن تؤذيك يا شباب ، والله لن تؤذيك . »

— « انصرف يا ابن هارفرد ! » كان ذلك الولد الثاني ، ذلك الذي حلم بالعربة والحصان على الجسر . « ارشقوهما بالماء يا رفاق ! » فقال آخر : « لنخرج ونرمي بهما في الماء . انا لا اخشى اية فتاة . » — « ارشقوهما ! ارشقوهما ! » وانطلقوا نحونا وهم يقذفوننا بالماء .

وتراجعنا وهم ما زالوا يصيحون « ابتعدا ! ابتعدا ! »

وانصرفنا . أما هم فتجمعوا تحت الضفة مباشرة ، وقد انتظمت رؤوسهم اللعاعة في صف لزاء المياه المتألثة . ومضينا وقلت لها : « ليست السباحة من شأننا ، ألا توافقين ؟ » والشمس ترسل ضياءها خلال الأفنان إلى الطحالب المنبثة هنا وهناك ، انها المدحلة . « مسكينة ، ما انت الا

فتاة . » وبين الطحالب زهيرات اصغر من كل ما رأيت من أزاهير
في حياتي . « ما انت الا فتاة ، يا مسكينة . » أتينا الى ممرٍ ينحني
بمحاذاة الماء ، ثم غدا الماء ساكناً من جديد ، مظلماً ساكناً سريع
الجريان . « فتاة لا غير ، يا اختي المسكينة . » على الحشيش البليل
اضطجعنا لاهثين والمطر كالطلقات الباردة على ظهري . أيمهك الآن
اتبالين الآن

رباه اننا والله في ورطة انهض . حيثما وقع المطر على جبيني بدأت
اشعر بوخز مؤلم ونزلت يدي عن جبيني حمراء تسيل منها خطوط وردية
في المطر . اتوكلك

طبعاً تؤلّمي ماذا تظنين

لقد حاولت ان افقأ عينيك رباه رائحتنا نثنة فلنحاول ان نغتسل في الغدير
« ها قد بلغنا المدينة مرة أخرى يا اختاه . عليك الآن ان تذهبي الى
البيت . فعلياً انا ان اعود الى المدرسة . أترين كم تأخرنا ؟ ستذهبين
الى البيت ، أليس كذلك ؟ » غير انها ما زادت على ان نظرت اليّ
نظرتها السوداء الكتومة الحميمة ، والرغيف شبه عارٍ في قبضتها لصق
صدرها . « لقد تبلل . لقد احسنا فعلاً بأننا ابتعدنا عنهم في اللحظة
المناسبة . » وأخرجت منديلي وحاولت ان أمسح الرغيف ، غير ان
قشرته جعلت تتساقط ، فتوقفت . « ليجفّ وحده اذن . امسكي به
هكذا . » فأمسكت به هكذا . وبدا كأن الجردان قد اكلت منه .
والماء يرتفع ويرتفع حول المؤخرة المقرقصة والطين المنضو يطفونتنا ويحبب
وجه الماء المترثر كدهن اندلق على طبّاخ حار . قلت لك سأجعلك
لا أبالي قيد أنملة بما تفعل

بعد ذلك سمعنا الركض فتوقفنا عن السير والتفتنا الى الوراء ورأينا
قادمًا يركض في الممر ، والظلال الأفقية تنتفض على ساقه .
« انه مستعجل . فالأفضل - » ثم رأيت رجلاً آخر، رجلاً كهلاً

يركض ثقيلًا وبيده عصا ، وصبيًا عاريًا من خصره فما فوق ، ممسكًا
ببنطلونه وهو يركض .

قالت الفتاة الصغيرة : « هذا هو جوليو ، » واذا ذلك لمحت وجهه
الاطيالي وعينه وهو يغير عليّ . وسقطنا ارضاً كالانا . كانت يده
تلکمان وجهي وهو يقول شيئاً ما ويحاول على ما اظن ان يعضني ، ثم
رفعوه عني وأمسكوا به ثائر الصدر يلوح بذراعيه ويصرخ فأمسكوا
بذراعيه فحاول ان يركلني الى ان جروته عني . اما الفتاة الصغيرة
فراحت تزعق وتبكي محتضنة الرغيف بين ذراعيها . في حين جعل الصبي
العاري الصدر يندفع وينطنط ، ممسكاً ببنطلونه ، واقامني احدهم في
اللحظة التي رأيت فيها ولداً آخر عاريًا من الرأس حتى القدم يركض
قادماً من منعطف الممر الوداع ثم يحول اتجاهه فجأة ويطفئ الى الحرش،
ووراءه ملابس متصلة كأنها الخشب . وما زال جوليو في صراع مع
المسكين به . وقال الذي اقامني : « ها ، الآن، وقعت في قبضتنا . »
وكان يلبس صدرية دون معطف، عليها شارة معدنية . وفي يده الأخرى
يمسك بعضا صقيلة عقداً .

قلت : « انت آنس ، اليس كذلك ؟ كنت ابحت عنك. ما الأمر؟ »
فقال : « انذرك بأن كل ما تقوله سيستخدم ضدك . فقد القيت
القبض عليك . »

— « سأقتله ، » قال جوليو ، وهو يكافح المسكين به . والفتاة
الصغيرة تبكي وتعيط على هواها ممسكة بالخيز . « انت سرقت اختي »
قال جوليو . « اتركوبي يا جماعة . »

فقلت : « سرقت اخته ؟ عجيب . لقد مضى عليّ - »

قال آنس : « اسكت ! قل ما لديك للسكواير . »

فقلت : « سرقت اخته ؟ » وانتزع جوليو نفسه من الآخرين وأغار
عليّ ، غير ان المفوض تلقاه وكافحه قبل ان استطاع الآخرون ان

يمسكوا بذراعيه . فتركه آنس وهو يلهث . وقال :
 « اجنبي لعين ! والله ليخطرن ببالي ان ألقى القبض عليك انت أيضاً
 بتهمة التهجم والتعدي . » ثم التفت اليّ ثانية وقال : « اترافقنا بغير
 مقاومة أم اضع الاصفاذ في يديك ؟ » فقلت : « ارافقكم بغير مقاومة .
 اي شيء ، عساني ان ارى احداً - ان اخلص من - سرقتُ اخته .
 سرقتُ اخته - »

قال آنس : « لقد انذرتك . انه ينوي ان يتهمك بتعديّ جرمي »
 عن سابق اصرار . وانتم ، هناك ، اجعلوا تلك الصبية تكف عن هذا
 الصباح . »

« آه ، » قلت ذلك ، ثم اخذت اقهقه . ومن بين الدغل برز
 ولدان آخران بشعر اشعث وعيون مستديرة وكلاهما يزور قيصاً جعل
 يندى على كتفيه وذراعيه ، وحاولت ان اكفّ عن القهقهة ، ولكنني
 لم أفلح .

- « خذ الحذر يا آنس اعتقد انه مجنون . »
 وقلت : « يجب ان ان ان أكأك أكأك . ستنتهي بعد لحظة .
 قبل قليل قالت اه اه اه ، » قلت وانا اقهقه « دعوني اجلس قليلاً . »
 وجلست وهم يرقبونني ، والفتاة الصغيرة بوجهها المخطّط بالدمع والرغيف
 الهضيم ، والماء يجري سريعاً آمناً فيما تحت الممر . وبعد قليل غاض
 الضحك ، غير ان حنجرتي رفضت ان تكف عن محاولة الضحك ،
 كمن يقيء بعد ان فرغت معدته .

قال آنس : « ها يا فتى ، سيطر على نفسك . »
 فقلت مضيقاً على حنجرتي : « نعم . » وكانت ثمة فراشة صفراء
 اخرى ، كأن ندفةً من الشمس قد تهاوت . وبعد برهة لم تكن بي
 حاجة للتضييق على حنجرتي ، فنهضت . « انا مستعد . اين نمضي ؟ »
 وسرنا على طول الممر ، والآخرون يرقبون جوليو والفتاة الصغيرة

والصبية الذين في المؤخرة . واستمر الممر بمحاذاة النهر حتى الجسر . فعبّرناه وعبرنا السكك الحديدية ، والناس يقفون بالأبواب ليشاهدونا والمزيد من الصبية يظهرون من حيث لا أدري الى ان تضخم الجمع الى ما يشبه المسيرة . ورأيت امام الخانوت سيارة كبيرة ، ولكنني لم أتبين من فيها الى ان قالت المسز بلاند :

« هه ، كونتن ! كونتن كمبسن ! » ثم رأيت جرالده ، وسبود في المقعد الخلفي متكئاً على مؤخر عنقه ، وشريف . اما الفتاتان فلم اعرفهما .

قالت المسز بلاند : « كونتن كمبسن ! »
 — « مساء الخير ، » قلت رافعاً قبعتي . « لقد القوا القبض عليّ .
 يؤسفني انني لم اتسلم رسالتك . هل اخبرك شريف ؟ »
 قال شريف : « القبض عليك ؟ اسمحوا لي . » قال ذلك ، وانتزع نفسه وخطا من فوق اقدامهم ونزل من السيارة . واذا هو يرتدي بنطلوني الفلانلة ، وكأنه قد صمّم له . لم اذكر نسيانه . ولم اذكر ايضاً كم ذقناً لدى المسز بلاند . اما اجمل الفتاتين فقد كانت جالسة قرب جرالده في المقدمة ، ايضاً . وراحت كلتاها ترقبني من وراء نقابها في ضرب من الاشمزاز الرقيق . « من الذي ألقي القبض عليه ؟ »
 قال شريف : « ما هذا ، يا سيد ؟ »

وقالت المسز بلاند : « جرالده، اصرف هؤلاء الناس عنا ! وانت يا كونتن ، ادخل هذه السيارة . »

فخرج جرالده . أما سبود فلم يتزحزح من مكانه .
 وقال شريف : « ما الذي فعله ، يا كابتن ؟ هل نهب قنّ الدجاج ؟ »
 قال آنس : « اني انذرك ، هل تعرف السجين ؟ »
 — « هل اعرفه ! اسمع — »

— « اذن بوسعك ان تصحبنا الى « السكواير » . انك تعرقل سير

العدالة . هيا بنا . » وهزني من ذراعي .
فقلت : « استودعكم الله . يسرني اني رأيتكم جميعاً ، ويؤسفني
انني لست معكم . »

فقال المسز بلاند : « اسمع يا جرالد . »
فقال جرالد : « انظر يا حضرة الضابط . »

— « انذركم بأنكم تتدخلون بشؤون ضابط من ضباط القانون . فإن
كان لديكم ما تقولونه ، فتعالوا الى مركز السكواير واعترفوا بمعرفتكم
للسجين . » ومضينا . اشبه بمسيرة على رأسها انا وآنس . وسمعتهم
يتحدثون غني وسبوح يكرر الاسئلة ، ثم قال جوليو بالايطالية شيئاً بلهجة
العنف فالتفت الى الخلف ورأيت الفتاة الصغيرة واقفة على الرصيف تزجي
إليّ نظرتها الغامضة الحميمة .

ونهرها جوليو صائحاً : « اذهبي الى البيت ! سأسلخ جلدك بالضرب . »
وسرنا في الشارع ، وانعطفنا الى حديقة ، في الطرف القصي منها
مبنى من القرميد أبيض الحواشي ، ذو طابق واحد . وصعدنا الممر
الصخري الى الباب ، حيث أوقف آنس الجمع كله عدانا وأمرهم بالمكوث
في الخارج . ودخلنا إلى غرفة خاوية تعبق برائحة التبغ العتيق ، فيها
موقد حديدي في وسط هيكل خشبي مليء بالرمل ، وعلى الجدار خريطة
ذابلة وشعار للبلدية اكفهرت الوانه . ووراء منضدة نالت منها الحدوش
وتراكت عليها الوريقات كان رجل بلبدة ضارية من الشعر الأشيب
يتطاع الينا من فوق نظارته الفولاذية .

قال : « ضبطتموه اذن ، يا آنس ؟ »

— « ضبطناه يا حضرة السكواير . »

ففتح كتاباً ضخماً علاه الغبار وأذناه منه وغمس ريشة قلدة في محبرة
بدت كأنها مليئة بتراب الفحم .

وقال شريف : « اسمع يا سيد . »

قال السكواير : « اسم السجين ؟ » فذكرته . فدوّنه ببطء في كتابه ، والريشة تصرّ بالتأني الوجيع على الورق .

قال شريف : « اسمع يا سيد ، اننا نعرف هذا الشخص . اننا- »

قال آنس : « نظام في المحكمة ! »

فقال سبود : « اسكت يا رجل . وليقض الأمر على طريقته . وهو لن يفعل إلا ذلك . على كل حال . »

قال السكواير : « عمرك ؟ » فأخبرته . ودوّن ذلك وفه يتحرك أثناء الكتابة . « عملك ؟ » فأخبرته ، فقال « من طلاب هارفرد ، ها ؟ » وصعد عينيه فيّ ، منحنيّاً بعنقه قليلاً ليستطيع الرؤية من فوق نظارته . لقد كانت عيناه صافيتين جامدتين ، كعيني العنز . « ما الذي تنويه بمجيئك هنا لخطف الاطفال ؟ »

فقال شريف : « انهم مجانين يا سيدي السكواير . من قال ان هذا الولد يريد خطف - »

فجاء جوليو بحركة شرسة وصاح : « مجانين ؟ ألم أقبض عليه ؟ ألم أره بعيني هاتين - »

قال شريف : « انك تكذب ، فأنت لم - »

صاح آنس : « النظام ، النظام ! »

وقال السكواير : « اخرسوا جميعاً اذا لم يسكتوا ، يا آنس ، فاطردهم . » فسكتوا . ونظر السكواير الى شريف ، فسبود ، فجرالد . وقال لسبود : « أتعرف هذا الشاب ؟ »

فأجاب : « نعم يا سيدي . انه من أبناء الريف الذين يدرسون هنا . ولا يضمّر شراً لأحد . واعتقد ان المفوض سيجد ان الامر كله غلطة . ان اباه من قسس الكنيسة . »

قال السكواير : « ها ، ما الذي كنت تفعله بالضبط ؟ » فأخبرته وهو يرقبني بعينيهِ الشاحبتين الجامدتين . « ما رأيك في ذلك يا آنس ؟ »

قال آنس : « جائز ... قبّح الله هؤلاء الأجانب ! »
فقال جوليو : « أنا امريكي . لدي الاوراق . »
- « أين الفتاة ؟ »

قال آنس : « ارسلها الى البيت . »
- « هل وجدتها فزعة ؟ »

- « كلا ، إلى ان هاجم جوليو السجين . ولقد كانا يسيران معاً
بمحاذاة النهر ، في اتجاه المدينة . فأخبرنا عنها بعض الصبية الذين كانوا
يسبحون . »

قال سبود : « انها غلطة يا سعادة السكواير . ان من دأبه دائماً
ان يجتذب الأطفال والكلاب . ولا يستطيع لذلك رداً . »
فتنحج السكواير ، وأرسل بصره خارج النافذة برهة من الزمن ،
وكلنا نرقبه . وسمعت جوليو يحك نفسه . ثم عاد السكواير بعينه إلينا .
- « وأنت الواقف هناك ، أمقتنع أنت بأن أذى ما لم يلحق بالفتاة ؟ »
فأجاب جوليو : « لا ادى حتى الآن . »

- « هل تركت عملك لتبحث عنها ؟ »
- « طبعاً تركت عملي . ورحت أركض . أبحث هنا وأبحث هناك ،
ثم قال لي رجل انه رآه يعطيها شيئاً تأكله ، فذهبت معه . »
فتنحج السكواير وقال : « اعتقد ، يا بني ، انك مدين لجوليو
لقاء تركه عمله »

فقلت : « نعم يا سيدي . بكم ؟ »
- « بدولار . »

فأعطيت جوليو دولاراً .

وقال سبود : « حسناً . ان كان هذا كل ما هناك ، فقد أطلقتم
سراحه سعادتم ؟ »

غير ان السكواير لم ينظر اليه . « كم قطعت من المسافة بحثاً عنه ،

يا آنس ؟ »

— « ميلين اثنين على الأقل . واستغرقنا البحث حوالي الساعتين قبل ان ضبطناه . »

قال السكواير : « ها ، » وأطرق زمناً ، وابصارنا شاخصة اليه ، بغرته الخشنة ونظارته المنزقة الى طرف أنفه . وقد ألقى الشباك شكله الأصفر ليتنامى بطيئاً على الأرض ويبلغ الجدار ويتسلقه . وذرات الغبار تدوم وتهاوى . « ستة دولارات . »

فتساءل شريف : « ستة دولارات ؟ ولماذا ؟ »

فقال السكواير : « ستة دولارات . » ونظر إلى شريف برهة ثم الي من جديد .

قال شريف : « اسمع . »

قال سبود : « كفى ! اعطها اياه ، يا صاح ، ولنخرج من هنا . إن السيدات في انتظارنا . ألدك ستة دولارات ؟ »

قلت : « نعم . » واعطيته ستة دولارات .

فقال : « رفعت الجلسة . »

قال شريف : « خذ إيصالاً بالمبلغ . خذ إيصالاً موقعاً بالمبلغ . »

فألقى السكواير نظرة غير مغضبة على شريف ، وقال دون ان يرفع صوته : « رفعت الجلسة . »

فقال شريف : « والله العظيم اذا لم — »

« تعال هنا . » قال سبود آخذاً بذراعه . « طاب مساؤكم ايها القاضي . وشكراً جزيلاً . » وما كدنا نخرج حتى علا صوت جوليو عنيماً ، ثم

انقطع . أما سبود فقد حدجني بنظرة استفهام من عينيه البنيتين ، مع شيء من الجمود . وقال : « عليك بعد اليوم يا صاح بمطاردة الفتيات

في بوسطن . »

وقال شريف : « يا غبي ! ما بالك تسرح في هذه الأماكن وتعابث

هؤلاء المهاجرين الايطاليين الملاعين ؟ »

وقال سبود : « هيا بنا . لقد عيل صبر السيدات . »

كانت المسز بلاند تتحدث إلى الفتاتين ، وهما الآنسة هومز والآنسة دينجرفيلد . فانقطعتا عن الاصغاء اليها ونظرتا الي ثانیة باشمتراز رقيق مستطلع ، وقد رفعت كلتاها نقابها عن أنفها الأبيض الدقيق وعيناها في هروب وغموض تحت النقاب .

فقلت المسز بلاند : « يا كونتن كمبسن ، ما الذي ستقوله والدتك ان هي سمعت بهذا ؟ من الطبيعي ان يتورط الشاب بين الحين والآخر ، اما ان يلقي القبض عليه شرطي من شرطة الريف وهو يمشي على قدميه ... ما الذي حسبوا انه فعل ، يا جرالد ؟ »

قال جرالد : « لا شيء . »

— « كلام فارغ . قل لي انت ، يا سبود . »

قال سبود : « حاول ان يخطف تلك الفتاة الصغيرة القدرة ، غير أنهم ضبطوه قبل فوات الاوان . »

قالت المسز بلاند : « كلام فارغ » ، إلا ان صوتها تلاشى وحلقت في برهة ، وشهقت الفتاتان معاً بصوت خافت متناغم . « هراء ، » قالت المسز بلاند بحوية مفاجئة . « تصرف كهذا ليس إلا من شيم هؤلاء الشماليين الجهلة المنحطين . هيا اركب السيارة يا كونتن . »

وجلسنا أنا وشريف على مقعدين صغيرين ينطويان . وأدار جرالد محرك السيارة ثم صعد اليها وسرنا .

فقلت المسز بلاند : « والآن يا كونتن ، اخبرني ما حكاية هذه المهزلة . » فرويت لهم ما جرى ، وقد احدودب شريف وشاط غضبه على مقعده الصغير ، وعاد سبود الى الاتكاء على مؤخر عنقه قرب الآنسة دينجرفيلد .

فقال سبود : « والنكته في ذلك هي أن كونتن كان يحدعنا طيلة

هذه المدة . فقد أوهنا طيلة هذه المدة بأنه الشاب المثالي الذي ما من
إنسان الا ويستطيع أن يأتمنه على ابنته ، الى ان فضحت الذرطة ألامنيه
الحسية . »

قالت المسز بلانند : « كفك ثرثرة يا سبود » . وسارت السيارة
بنا الى نهاية الشارع وعبرنا الجسر ومررنا بالمنزل الذي كان اللباس الوردي
يتدلى من نافذته . « هذا ما يحق بك حين لا تقرأ رسالتي . لماذا لم
تأت لتأخذها ؟ فالسيد مكثري يقول انه اعلمك بها . »

— « اجل . وقد أردت ذلك ، غير انني لم اعد الى الغرفة قط . »
— لولا السيد مكثري لأبقيتنا جالسين هناك في انتظارك الى ما لا
نهاية . فلما اعلمنا بأنك لم تعد ، بقي لدينا مكان خال ، فطلبنا اليه ان
يصحبنا . يسرنا جداً ان تكون راكباً معنا يا سيد مكثري . « ولكن
شريف لم يقل شيئاً ، وقد كتف يديه وحملق في الفضاء عبر قبعة جرالده .
انها قبعة السياقة في انجلترا . هذا ما قالته المسز بلانند . ومررنا بذلك
المنزل ، وثلاثة منازل اخرى ، وفناء آخر وقفت عند بوابته الفتاة
الصغيرة . ولا خبز بيدها الآن ، وكأن وجهها مخطط بمسحوق الفحم .
فلوحت لها بيدي ، غير انها لم تستجب ، اللهم الا بأن ادارت رأسها
بيطاء والسيارة تمر بها ، ملاحقة ايانا بعين لا ترف . ثم جعلنا نسير
قرب الجدار ، وظلالنا تسير بمحاذاة الجدار ، وبعد قليل مررنا بقطعة
من صحيفة ممزقة ملقاة على قارعة الطريق فأخذت أقهقه من جديد . لقد
أحسست بالقهقهة في حلقي فأرسلت بصري بعيداً أصوبه نحو الاشجار
حيث يتهاوى نور ما بعد الظهيرة ، مفكراً بما بعد الظهيرة وبالصفور
وبالأولاد يسبحون . ورغم ذلك عجزت عن كبتها وعندها ادركت ان
انا بالغت في محاولة كبتها فاني سأنخرط في البكاء وفكرت في انه لا
يسوغ لي ان اظل ذا عذرة ، وحوالي العديديات ممن يتجولن في الظلال

(المترجم) .

* اي « شريف » .

غامت صورتها بعداً في المجذافين الغامزين وتركض خنازير يوبيلوس
تركض ازواجاً ملتحمة في جماع من الداخل كم رجلا يا كادي
قال سبود : « ولا أنا . » لست ادري اكثر مما ينبغي انتابني
شعور رهيب رهيب ابي لقد اقترفت هل فعلت ذلك قط لم نفعل ذلك
لم نفعل ذلك أفعلنا ذلك

« ... وجد جرالّد كان من دأبه ان يجمع النعناع بنفسه قبل الفطور،
والندى ما زال يلتصع عليه . وما كان يسمح حتى لويلكي ان يضع يده
عليه اذكر يا جرالّد بل يجمعه بنفسه ويهيء شرابه بنفسه . وكان
حريصاً على شرابه هذا حرص العانس ، فيقيس ويزن كل شيء بموجب
وصفة يحفظها في دماغه . ولم يحظ احد بهذه الوصفة منه الا رجل
واحد ؛ كان ذلك » فعلناها وكيف يمكنك تجاهلها انتظري لحظة اخبرك
بالتفاصيل ان ما فعلناه جريمة جريمة رهيبة لا يمكن سترها التحسين انك
تستطيعين سترها ولكن تريث يا كونتن يا مسكين انك لم تفعلها أفعلتها
وسأروي لك ما حدث سأخبر ابي اذن فلنقل اننا قد فعلناها لانك
تحب ابي اذن لا بد لنا من الذهاب إلى حيث الاشارات والرعب والهب
النقي وسأجعلك تقولين اننا فعلناها اني اقوى منك وسأجعلك تدركين
اننا فعلناها فقد ظننت انهم الفعلة ولكنه انا اسمعي لقد خدعتك طيلة
هذا الوقت لقد كنت انا لقد حسبت اني في البيت حيث زهر العسل
اللعين محاولا جهدي ان أصرف عن خاطري الارجوحة وأشجار الأرز
والفورات الجوامح الخفية واللاهث المشتهك واجترع اللاهث الأهوج
الوحشي وال نعم نعم نعم نعم « أبداً وصار يشرب النبيذ هو ايضاً،
ولكنه كان يقول دوماً ان سلة النبيذ ما الكتاب الذي قرأته ذلك الذي
فيه جرالّد يجذف في بذلة الخمر جزء لا بد منه لسلة النزهة لدى كل
شاب مثقف » هل أحببتهم يا كادي هل أحببتهم كلما لمسوني كنت أموت
وقفت هناك لحظة وفي اللحظة التالية كان يصرخ ويسحب فستانها

ودخلاً البهو وصعدا الدرج وهو يصرخ ويدفع بها على الدرج الى باب الحمام وأوقفها وظهرها الى الباب وذراعاها يغطّي وجهها ويصرخ ويحاول دفعها الى الحمام ولما جاءت الى العشاء كان تي بي يطعمه فبدأ من جديد أنيناً اول الأمر الى ان لمستة وعندها انفجر صارخاً فجمدت مكانها وعيناها كفأرين في مأزق . وبعد ذلك كنت أركض في العتمة الشهباء العابقة بالمطر وعطور الزهور كلها أطلقتها الهواء الدافئ الرطب واليزان تصرصر في العشب تعين لي بخطوي مع جزيرة صغيرة من الصمت ترافقني ونظرت اليّ الفرس فانسى من وراء السياج رقشاء كلحاف منشور فقلت لنفسي لعن الله ذلك الزنجي الاسود لقد نسي ان يطعمها ونزلت التل راكضاً في ذلك الفراغ من اليزان كنتفسّس يهب على وجه مرآة كانت مضطجعة في الماء ورأسها على اللسان الرملي والماء يجري حول ردفها كان في الماء شيء من النور وتنورتها المنقوعة تصفق برفق على كسحيتها مع حركة الماء في موجات ونيفة تسير الى لا مكان وتجدد نفسها بحركتها فوقفت على الضفة ونشقت زهر العسل على فجوة الماء وبدا الهواء كأنه يهمني رذاذاً من زهر العسل وصرصرة اليزان مادة بوسعك ان تستشعرها بكل جارحة في جسدك .

اما زال بنجي يبكي

لا ادري نعم لا ادري

مسكين بنجي

قعدت على الضفة كان الحشيش ندياً ثم وجدت ان حذائي قد تبلل

اخرجني من هذا الماء . أجنونة انت

ولكنها لم تبد حراكاً ووجهها غمامة بيضاء يوطرها شعرها فيميزها

عن غمامة الرمال

اخرجني هيا

جلست منتصبه الصدر ثم نهضت وتنورتها تصفق على جسمها وتقطر

ماء وصعدت الى الضفة وثيابها تصفق وجلست
لم لا تعصرينها اتريدين ان تصابي بالزكام
نعم

وراح الماء يغرغر عبر اللسان الرملي جارياً في الظلام الى ما بين أشجار
الصفصاف مماوجاً في المكان الضحضاح كقهاشة مشدودة تعكس شيئاً من
النور كدأب الماء

لقد قطع بحار الدنيا كلها
وجعلت تتحدث عنه وقد احتضنت ركبتيها البيلتين ورفعت وجهها
في الضوء الأشهب شذا زهر العسل ورأيت نوراً في غرفة امي وغرفة
بنجي حيث كان تي بي يضعه في فراشه
أتحيينه

وامتدت يدها ولم أتحرك ونزلت يدها باحثة على ذراعي الى ان امسكت
بيدي مفتوحة لصق صدرها وقلبها يضرب
كلا كلا

هل جعلك اذن جعلك تفعليها لا بأس انه اقوى منك وهو غداً
سأقتله قسماً بالله سأقتله ولا حاجة بنا الى اعلام ابي حتى ما بعد ذلك
وبعد ذلك فاننا انا وانت ولن نعلم احداً نستطيع ان نأخذ النقود المخصصة
لدراستي ونلغي تسجيلي في الجامعة انك تكرهينه يا كادي تكرهينه أليس
كذلك

أمسكت بيدي لصق صدرها وقلبها يضرب فاستدرت اليها وقبضت
على ذراعها

كادي انك تكرهينه اليس كذلك
ودفعت بيدي صعداً الى حنجرتها واذا قلبها يضرب هناك
مسكين كونن

اتجه وجهها نحو السماء والسماء منخفضة منخفضة جداً حتى بدت روائح الليل

وأصواته كلها كأنها احتشدت تحت خيمة لم يُحسَن شدها ولا سيما زهر
العسل فقد تغلغل في تنفسي وكسا وجهها وعنقها كالطلاء ودمها ينبض
نبضاً عنيفاً تحت يدي ولما كنت متكئاً على ذراعي الأخرى فقد جعلت
ترتج وتنتفض وكان علي ان اشهق لاستمد شيئاً من الهواء من زهر
العسل الأشهب الكثيف

نعم اني أكرهه وارضى بالموت من أجله وقد متُّ من أجله واني
لأموت من أجله مرة أخرى كلها
عندما رفعت يدي كنت ما زلت احس كيّ العساليـج والاعشاب
المتشابكة في كف يدي

مسكين كونتن
وانحنت على ذراعيها ويدها مقفلتان حول ركبتيها
انت لم تفعلها قط أليس كذلك
لم أفعل ماذا
ما فعلته انا

بلى بلى مرات عديدة مع فتيات كثيرات
عندها جعلت أبكي ولمستني يدها ثانية وجعلت أبكي ووجهي على
قيصها الرطب ثم استلقت على ظهرها وانطلقت نظراتها بمحاذاة رأسي
نحو السماء فرأيت مداراً من البياض تحت بؤبؤ عينيها وفتحت سكينتي
أذكركم يوم ماتت جدتي وجلست انت في الماء بسرالك

نعم
ووضعت رأس سكينتي على حنجرتها
لن تستغرق الا ثانية ثانية فقط ثم اطعن حنجرتي اطعن حنجرتي
بعدها

لا بأس أتستطيع ان تطعن حنجرتك بنفسك
نعم فالشفرة طويلة لا بد ان بنجي قد نام الآن

نعم
لن تستغرق الا ثانية وسأحاول الا أوملك
حسناً
اغمضي عينيك
لا إن وضعتها هكذا عليك ان تضغط بعزم اشد
المسيها بيدك
ولكنها لم تتحرك وكانت عيناها مفتوحتين باتساع تنظران بمحا
رأسي إلى السماء
كادي اذكركين كيف جعلت دلزي تصيح بك لأن سروالك اتسخ باله
لا تبك
لست ابكي يا كادي
ادفعها الا تريد ان تدفعها
اتريديني ان ادفعها
نعم ادفعها
المسيها بيدك
لا تبك مسكين كونتن
ولكنني لم استطع الكف عن البكاء فأمسكت برأسي عند صد
الصلب الرطب وجعلت اسمع قلبها ينبض بثبات وبطء وما عاد يضم
كالمطرقة والماء يثرثر بين اشجار الصفصاف في الظلام والهواء :
حاملًا امواجاً من زهر العسل والتوت ذراعي وكتفي تحتي
ما هذا ما هذا الذي تفعله
واجتمعت عضلاتها فجاست متصباً
سكيني لقد اسقطتها
فاستوت في جالستها
ما الساعة

لست ادري
ووقفت على قدميها وجعلت ابحث في الأرض
اني ذاهبة دعهـا حيثـا تكن
واحسستها واقفة هناك واشتممت ثيابها الرطبة شاعراً بها هناك
اتركها لعلك تجدـها غداً هيا بنا
انتظري قليلاً سأجدها
أتخشى تركها
ها قد وجدتها لقد كانت هنا طيلة الوقت
صحيح هيا بنا
فنهضت وتبعتها وصعدنا التل والزيران تصمت أمامنا
من المضحك انك تجلس فتسقط شيئاً فتصر على البحث عنه في كل
مكان
الاشهب لقد كان اشهب مثقلاً بطلّ يشع نحو السماء الشهباء فالأشجار
البعيدة
قاتل الله زهر العسل هذا ليته يكفّ
كنت تحبه
وعبرنا القمة ومضيـنا في اتجاه الاشجار واصطدمت بي ومالت عليـ.
وكان الخندق ندبة سوداء على العشب الرمادي واصطدمت بي ثانية
ونظرت الي ومالت عليّ وبلغنا الخندق
لنذهب من هنا
لماذا
لنجد أما زال بوسعنا ان نرى عظام نانسي لقد نسيت ان اذهب
هناك لرؤيتها منذ زمن بعيد أذهبت انت
تواشجت على ارض المكان في الظلام الدوالي والاشواك
كانت عظامها هنا بالضبط من المستحيل ان نتبينها

كفّ يا كونن
صاق الخندق ثم انتهى ويمت نحو الاشجار
كفّ يا كونن
كادي
ووقفت أمامها ثانية
كادي
كفّ عن ذلك
فأمسكت بها
انني أقوى منك
لم تتحرك ولكنها كانت رغم سكونها صلبة غير مستسلمة
لن اعاركك كفى خير لك ان تكفّ
كادي لا يا كادي
لا خير يرجى من ذلك الا تعلم لا خير يرجى نخل سبيلي
وتساقط زهر العسل في رذاذ اثر رذاذ واستطعت ان اسمع الزيزان
ترقبنا في دائرة حولنا وتراجعت ودارت حولي صوب الاشجار
عد الى البيت لا حاجة بك الى المعجىء
واستمررت في سيري
لماذا لا تعود الى البيت
قاتل الله زهر العسل هذا
وبلغنا السياج فزحفت خلاله وزحفت نخله وعندما انتصبت من
الحناءتي رأيت يبرز من بين الأشجار قادماً نحونا في عتمتنا الشهباء طويل
القامة مسطح الشكل ساكناً يتحرك وكأنه لا يتحرك وسارت اليه
هذا كونن اني مبتلة جسمي كله مبتل لن اشدد عليك ان كنت
لا تريد
ظلاهما ظل واحد وارتفع رأسها فوق رأسه ازاء السماء وارتفع رأسهما

لن اشدد عليك ان كنت لا تريد
ثم لا رأسان وعبق الظلام بفوح المطر والعشب الرطب والاوراق
الخشلة والضوء الأشهب يتساقط رذاذاً كالطر ويتصاعد زهر العسل في
امواج ندية وانا ارى وجهها اشبه بغامة على كتفه وامسك بها بذراع
واحدة كأنها لا تكبر الطفل ومدّ يده

تشرفنا

وتصافحنا ثم وقفنا هناك وظلها سامق ازاء ظله ظل واحد
ما الذي ستفعله يا كونتن
سامشي قليلاً سأذهب من خلال الآجام الى الطريق واعود من خلال
المدينة .

واستدرت عنها ومضيت

ليلة سعيدة

كونتن

فوقفت

ماذا تريدن

في الآجام كانت الضفادع في نقيق تستروح المطر في الجو وصوتها
كلّعب صناديق الموسيقى التي يصعب نصبها وزهر العسل

تعال هنا

ماذا تريدن

تعال هنا يا كونتن

فعدت ولمست كتفي منحنية بظلها بغامة وجهها منحنية من ظله السامق
فتراجعتُ

خذي الحذر

اذهب الى البيت

لست نعنناً سأنتزعه قليلاً

انتظرنني عند الغدير

اريد ان امشي

سأكون هناك عاجلاً انتظرنني انتظرنني

لا سأمضي من خلال الآجام

ولم التفت الى الوراء وضافدع الاشجار لم تعرنني اهتماماً والضوء الاشهب
كالطحالب في الاشجار يهمني رذاذاً ولكن المطر يأبى ان يهطل وبعد
قليل انعطفت وعدت الى طرف الغابة وحالما وصلت هناك بدأت أتشمم
زهر العسل من جديد وصار بمقدوري ان ارى الاضواء على ساعة
المحكمة ووهج المدينة وميدانها على السماء واشجار الصفصاف المظلمة بمحاذاة
الغدير والاضواء في نوافذ غرفة امي والنور في غرفة بنجي ما زال مضاءً
وانحنيت عابراً خلال السياج ومضيت عبر المرعى راكضاً وركضت على
الحشيش الأغبر بين الزيزان ورائحة زهر العسل تشتد وتشتد وكذلك رائحة
الماء ثم جعلت ارى الماء في لون زهر العسل الاغبر وارتميت على الضفة
ووجهي لصق الارض لكي لا اشم زهر العسل فلم اشمه ثم بقيت ملقى
هناك اشعر بالارض تحترق ثيابي واصغي الى الماء وبعد قليل تناقص
لهائي وبقيت ملقى هناك وانا اقول لنفسي اذا لم احرك وجهي كبت في
غنى عن الالهات وشمته ثم ما عدت افكر في شيء وجاءت تمشي على
الضفة ووقفت وأما انا فلم اتزحزح

الساعة متأخرة اذهبي الى البيت

ماذا

اذهي الى البيت الساعة متأخرة

لا بأس

حفت ثيابها ولما لم تحرك كفت عن الحفيف

استذهبين كما قلت لك

لم اسمع شيئاً

كادي

نعم سأذهب ان كنت تريدني ان اذهب
فجلست واذا هي جالسة على الارض واصابعها متشابكة حول ركبتيها
اذهبي الى البيت كما قلت لك

نعم سأفعل كل ما تريدني ان افعله كل ما تريدني نعم
لم تكن تنظر الي فأمسكت بمنكبيها وهزتها هزاً عنيفاً

اخرسي

وهزتها

اخرسي اخرسي

نعم

ورفعت وجهها وعندها ادركت انها لم تكن حتى تنظر الي ورأيت
تلك الحلقة البيضاء

امضي

وسحبته واذا بها متهالكة مرتخية فرفعتها ووقوفتها على قدميها

هيا امضي

الم يكن بنجي قد انقطع عن البكاء عندما تركته

امضي

وقطعنا الغدير وبدا السطح ثم شبّك الطابق الأعلى

انه نائم الآن

اضطرت الى التوقف لأحكم اغلاق البوابة اما هي فظلت تسير في
الضوء الاشهب رائحة المطر ولكن المطر يتأبى علينا وزهر العسل آخذ
بالتسرب من سياج الحديقة آخذ ودخلت هي الظل وجعلت اسمع قدميها

كادي

وعند الدرج وقفت ولم اعد اسمع قدميها

كادي

فسمعتُ قدميها ولمستُها بيدي لا دافئة ولا باردة فثيابها ما زالت
رطبة بعض الشيء ما زالت
أُحبيته الآن
لا تتنفسُ الا ببطء كتنفسٍ بعيد بعيد
كادي أُحبيته الآن
لا ادري
خارجَ الضوء الأشهب ظلالُ الاشياء اشبه بأشياء ميتة في ماء آسن
ليتلكِ تموتين
اتريد لي ذلك استدخل
اتفكرين به الآن
لا ادري
اخبريني بماذا تفكرين أخبريني
كفاك كفاك يا كونتن
اخوسي اخوسي أسمعين اخوسي اخوسي
لا بأس اذن سأكف ولكننا سنحدث ضوضاء هنا
سأقتلك اتسمعين
لنخرج ونذهب الى الارجوحة سيسمعونك هنا
لست ابكي اتقولين اني ابكي
كلا اسكت والا ايقظنا بنجي
ادخلي انت البيت ادخلي
لا تبك اني فتاة فاسدة وليس الذنب ذنبك
نعنة حلت علينا وليس الذنب ذنبنا هل الذنب ذنبنا
صه هيا اذهب الى فراشك
لا تستطيعين ارغامي لقد حلت علينا اللعنة
وأخيراً وقعت عيني عليه وهو يدخل دكان الحلاق نظر الى الخارج

فسرت نحوه وانتظرت
لقد مضى يومان او ثلاثة وانا ابحث عنك
اتريد ان تراني
سأراك
لف السيجارة بسرعة بحركتين واشعل عود الكبريت بابهامه
لا نستطيع الحديث هنا ما رأيك في ان نلتقي في مكان ما
سأتي الى غرفتك أنازل انت في الفندق
لا ليس ذلك بالمكان المناسب اتعرف ذلك الجسر الذي على النهر
وراء الـ

نعم حسناً
في الساعة الواحدة اتفقنا
نعم
وانصرفت
انا ممتن لك
انظر
فوقفت والتفت الى الورا
هل هي بخير
وبدا كأن قيصه الخاكي مصنوع من البرونز
أعلمها في حاجة الي
سأكون هناك في الواحدة
لقد سمعتني آمر تي بي بـ «برنس» في الواحدة وراحت ترقبني
ولا تكثر من الأكل ثم جاءني
ما الذي تريد ان تفعل
لا شيء أليس لي ان اركب الحصان قليلاً حين اشاء
لقد عزمت على فعلة ما فما هي

ليس ذلك من شأنك يا بغي يا بغي
كان تي بي ينتظرني وقد هيا برنس عند الباب الجاني
لا اريده قررت ان امشي

وسرت في طريقنا الخاصة إلى البوابة وانعطفت في الممر ثم اخذت
اركض وقبل وصولي الجسر رأيت متكئاً على الافريز وقد عقل الحصان
بين الشجر ارسل نظرة من فوق كتفه ثم ادبر ولم يرفع بصره الى ان
وطأت الجسر فوقفت ورأيت بين يديه قطعة لحاء يكسر منها قطعاً ويسقطها
من على الافريز في الماء

جئت لأقول لك غادر المدينة

فكسر قطعة من اللحاء على مهل وأسقطها في الماء بعناية وتبعها بعينه
والماء يسيل بها على منته

قلت يجب ان تغادر المدينة

فنظر الي

هل أرسلتك هي الي

انا اقولها لك غادر المدينة لا ابي ولا احد غيره انا اقولها
اسمع اجل هذا الأمر قليلاً اريد ان اعرف ان كانت بخير ام انهم
يضايقونها في البيت

تلك مسألة لا داعي لازعاج نفسك بها

ثم سمع ندي اقول اعطيك مهلة لمغادرة المدينة حتى غروب الشمس
فكسر قطعة لحاء راسقطها في الماء ثم وضع اللحاء على الافريز ولف
سيجارة تبينك الحركتين السريعتين وقذف بعود الكبريت فوق الافريز

وما الذي ستفعله ان انا لم اغادر المدينة

سأقتلك لا تحسب لمجرد اني ابدو لك كالصبي

وانطلق الدخان في نافورتين من منخريه عبر وجهه
كم عمرك

فانتابني رجفة ويدي على الافريز وفكرت في انه سيعرف السبب
إن انا اخفيتهما

امهلك حتى اول الليل
اسمع يا صاح ما اسمك أليس بنجي هو المعتوه وانت
كونن

في نطق بها أما انا فلم أفلها قط
امهلك حتى غروب الشمس
كونن

وأسقط رماد السيجارة محكمها متمهلاً على الافريز لقد فعل ذلك
بعناية وعلى مهل كأنه يبري قلماً وكفت يداي عن الارتجاف
اسمع من العبث ان تتألم للأمر هذا التألم كله ليس الذنب ذنبك يا
ولد فلو لم اكن اذا لكان غيري
هل كانت لك اخت قط هل كانت لك أخت
كلا ولكن كلهن عواهر

فضربته وتغلبت يدي المبسوطة على الحافز الى قبضها عند وجهه غير
ان يده تحركت بسرعة يدي وطارت السيجارة في اتجاه الماء ولما هويت
بيدي الاخرى امسك بها ايضاً قبل ان تبلغ السيجارة الماء امسك بكلتنا
يدي في قبضته الواحدة وانخطف يده الاخرى نحو ابطه تحت سترته ونور
الشمس وراءه يتهاوى ووراء الشمس عصفور يغني وتبادلنا النظرات
والعصفور يغني ثم اطلق يدي

اسمع
وأزاح اللحاء عن الافريز مسقطاً اياه في الماء فغاص ثم طفا وحمله
السيل معه واستقرت يده على الافريز والمسدس فيها لا يشد عليه وانتظرنا
لن بقدر ان تصيبه الآن
كلا

وبقي اللحم طافياً يتناهى به الماء وران السكون على الآجام وسمعت
العصفور مرة اخرى ثم الماء واذا النار تنطلق من المسدس دون ان يصوبه
بالمرة فاخترني اللحم ثم ارتفعت قطع منه الى السطح وعامت وانتشرت
وبعد ذلك اصابه قطعتين اخريين منها ولم تكن القطعة الواحدة اكبر
حجماً من قطعة النقد الفضية

اعتقد ان في ذلك الكفاية

ثم انتزع الاسطوانة ونفخ في الفوهة مطلقاً غشاوة رقيقة من الدخان
ثم حشا الحجيرات الثلاث من جديد وسد الاسطوانة وناولني المسدس
من مقبضه

لماذا انا لن احاول منافستك في الرمي
ستحتاج اليه قياساً على ما قلت وانا اعطيك هذا المسدس لأنك رأيت
الآن ما يستطيع فعله

اني ارفض مسدسك

وضربته وبقيت محاولاً جهدي ان اضربه بعد ان امسك بكلا معصمي
وحاولت من جديد وبعدها رأيته وكأنني انظر اليه من خلال زجاجة
ملونة وجعلت اسمع دمي ثم صار بوسعي ان ارى السماء ثانية والأغصان
ازاءها والشمس تنهوى من بينها وهو ممسك بي من قدي .

اضربتني

لم استطع سماع الجواب
ماذا

نعم كيف تشعر

لا بأس خلّني

فخلّني فاتكأت على الافريز

أشعر انك بخير

دعني وشأنني اني بخير

انستطيع ان تصل إلى البيت وانت على هذه الحال
انصرف دعني وشأني
خير لك الا تحاول السير على قدميك خذ حصاني
لا عليك اذهب عني
بوسمك ان تترك له الجبل على الغارب وتطلقه فيعود وحده الى
الاسطبل

دعني وشأني اذهب ودعني وشأني
وانكأت على الافريز انظر الى الماء وسمعته يحلّ الحصان ويمتطيحه
ويبتعد وبعد قليل ما عدت اسمع شيئاً سوى الماء ثم العصفور من جديد
فتركت الجسر وقعدت ارضاً مسنداً ظهري الى شجرة ووكت رأسي
عليها واغمضت عيني ووقعت من بين الاوراق رقعة من الشمس حطت
على عيني فترحزحت مبتعداً حول الشجرة وسمعت العصفور ثانية والماء
واذا كل شيء يبدو كأنه ينسرح عني وما عدت اشعر بشيء قط وكدت
اشعر بالهناة بعد هاتيك الايام والليالي كلها وزهر العسل يتصاعد من
طيات الظلام لينفذ الى غرفتي حيث كنت احاول ان انام حتى بعد ان
ادركت لاثر ذلك بقليل انه لم يضربني وانه كذب علي بشأن ذلك من
اجلها ايضاً وانني إنما اغمي علي كما يغمي على امرأة ولكن لم يعد حتى
لذلك اهمية لدي وجلست هناك لصق الشجرة ونديف الشمس يتراوح على
وجهي كأوراق صفراء علقت بعودها مصغياً الى الماء غير مفكر بشيء
حتى عندما سمعت الحصان مسرعاً نحوي جلست هناك مغمض العينين
وسمعت حوافره تدق الارض وتبث التراب مهسهاً واقداماً تركض
ويديها المهرولتين اللاهتين

مجنون يا مجنون هل انت في اذى
ففتحت عيني ويداها تهرولان على وجهي
لم اعلم في اي اتجاه الى ان سمعت المسدس لم اعلم اين لم يخطر ببالي

انه واياك ركضت عثرت لم يخطر ببالي انه سوف
وأمسكتُ بوجهي بين يديها صادمةً رأسي بالشجرة
كفى كفى

فقبضت على معصمها

لا تفعلي ذلك لا تفعلي ذلك

كنت اعرف انه لن يؤذيك كنت اعرف

وحاولت ان تصدم رأسي بالشجرة

قلت له ألاّ يكلمني ثانية ابدًا قلت له

وحاولت ان تخلص معصمها من قبضتي

خلّني

كفاك اني اقوى منك كفاك

خلّني يجب ان ألحق به فأسأله خلّني كونتن ارجوك ان تخلّني ارجوك

وفجأة كفّت وارتخى معصمها

نعم بوسعي ان اخبره وبوسعي ان اجعله يصدّق في اية لحظة شئت

اجعله

كادي

لم تكن قد ربطت برنس ولعله يخبّ كدأبه عائداً الى البيت اذا خطر

له ذلك

في اية لحظة شئتُ فانه يصدقني

أتخبينه يا كادي

ماذا قلت

وتأمّلت في واذا عيناها تفرغان من كل شيء وتبدوان كعيون التماثيل

خاويتين وادعتين لا تبصران

ضع يدك على حنجرتي

وأخذتُ يدي ووضعت راحتي على حنجرتها

والآن اذكر اسمه

دالتن ايمز

فأحسست دفقة الدم الأولى هناك وراح الدم يدفق في نبض قوي
متسارع

اذكره مرة اخرى

ودارت بوجهها نحو الاشجار حيث تنهاوى الشمس وحيث العصفور

اذكره مرة اخرى

دالتن ليمز

وظل دمها في دفق نابض مستمر يضرب نبضه كفّ يدي
راح يسيل لمدة طويلة ، غير أنني شعرت أن وجهي بارد فاقد الحياة ،
وكذلك عيني ، وجعل الجرح في اصبعي يؤلمي من جديد . وسمعت
شريف يدير المضخة ، ثم عاد بالطبق ترخرج فيه دائرة من الأصيل ،
وقد اصفرّت حواشيه كنفخة ذابلة ، ثم انعكاس صورتي . فحاولت
ان أرى وجهي فيه .

وقال شريف : « هل توقف الدم ؟ أعطني المنديل . » وحاول ان
يجرّه من يدي .

فقلت : « انتبه . بامكاني انا ان أوقفه . نعم ، لقد كاد يتوقف . »
وغمست المنديل ثانية مكسراً النفخة . فتلوث الماء بالمنديل . « ليت لي
منديلاً نظيفاً . »

قال شريف : « انك أحوج الى قطعة من اللحم * التي وعينك على
هذه الحال . ستجد والله ان عينك ستسود غداً . ابن الزانية . »
- « هل أوجعته ؟ » وعصرت المنديل وحاولت ان انظف صدريتي
من قطرات الدم .

* من الاقوال الشائعة في امريكا ان العين اذا لكمت امكن علاجها بقطعة من الـ « ستيك »
التي . (المترجم)

قال شريف : « لن تستطيع ان تنظفها ، يجب ان ترسلها الى الغسيل .
 هيا ، ضعه على عينك ، لماذا لا تضعه على عينك ؟ »
 فقلت : « بامكاني ان أنظفها من بعض القطرات . » ولكنني لم أفجح
 كثيراً . « كيف تبدو ياقتي الآن ؟ »
 قال شريف : « لا أدري . ضع المنديل على عينك . اسمح لي . »
 — « أرجوك . بامكاني ان أضعه بنفسي . هل آذيته ؟ »
 — « ربما ضربته أنت . لعلمي التفتّ عنك أو ان عيني طرقت في
 تلك اللحظة . غير انه اشبعك لكماً . لم يترك مكاناً في جسمك لم يهو
 عليه بالكلمات . ولماذا نازلته بقبضتيك ، يا غبي ؟ كيف تشعر ؟ »
 قلت : « بخير . أما من شيء أستطيع به تنظيف صدريتي ؟ »
 — « ألن تنسى ثيابك اللعينة ؟ اخبرني عن عينك . هل تؤلك ؟ »
 فقلت : « أنا بخير . » كان كل شيء حولي بنفسجياً ساكناً ،
 والسماء خضراء آخذة بالتعسجد فيما وراء أعلى الدار وريشة من الدخان
 تتصاعد من المدخنة دون أية ريح . ثم سمعت المضخة ثانية ، فرأيت
 رجلاً يملأ دلواً وهو يرقبنا عبر منكبه المنهمك في الضخ . وعبرت امرأة
 عتبة الباب دون ان تنظر الينا . وسمعت بقرة تحور في مكان قريب .
 قال شريف : « هيا ، لا تهتم لثيابك وضع مندليك على عينك .
 سأرسل بذلتك في الصباح الباكر الى الغسيل . »
 — « حسناً . يؤسفني اني على الأقل لم أنزف بعضاً من دمي عليه . »
 فقال شريف : « ابن الزانية . »
 خرج سبود من المنزل وهو يتحدث الى المرأة ، فيما أعتقد ، وعبر
 فناء الدار . وحدّق في بعينه الجامدتين المتسائلتين .
 وقال وهو ينظر إلي : « والله يا صاح انك لا تتورع عن شيء في
 طلب متعتك . الخطف اولاً ، ثم الشجار . وما الذي تفعله أيام العُطل ؟
 أتحرق بيوت الناس ؟ »

قلت : « أنا بخير . ماذا قالت المسز بلاند ؟ »
 — « لقد اقامت القيامة على رأس جرالڊ لأنه أدماك . وسوف تقيمها
 على رأسك عندما تراك ، لأنك هيأت له ذلك . وهي لا تعترض على
 الشجار ، انما الدم هو الذي يزعجها . يخيل إليّ انك فقدت بعضاً من
 الاعتبار الذي تحمله لك لأنك لم تحسن حقن دمك . كيف تشعر ؟ »
 قال شريف : « طبعاً ، فان انت أخفقت ان تكون من آل بلاند ،
 فعليك بالمنزلة الثانية وهي ان تزني بأحد منهم او ان تسكر وتقاتله ،
 تبعاً للظروف . »

قال سبود : « بالضبط . ولكنني لم أعرف ان كونتن كان سكراناً . »
 قال شريف : « لم يكن سكراناً . وهل لا بد لك من السكر لتعزم
 على ضرب ابن الزانية هذا . »

— « بعد ان رأيت ما الذي حل بكونتن ، لا بدّ لي من سكر
 كثير قبل أن أحاول ضربه . اين تعلّم الملاكمة ؟ »

قلت : « منذ زمن وهو يتردد على مايك يوماً . »
 فقال سبود : « صحيح ؟ وهل كنت تعلم ذلك عندما ضربته ؟ »
 قلت : « لست ادري . اجل كنت اعلم . »

وقال شريف : « بلّّلها ثانية . اتريد ماء نظيفاً ؟ »
 قلت : « لا بأس بهذا الماء . » وغمست القماش مرة اخرى ووضعها
 على عيني . « تمنيت لو كان عندي ما انظّف به صدريتي . » وسبود
 ما زال يرقبني .

فقال : « بربك قل لي ، لماذا ضربته ؟ ما الذي قاله ؟ »

— « لست ادري . لست ادري لماذا ضربته . »

— « ما رأيتك إلاّ وانت تقفز فجأة وتقول : هل كانت لك يوماً
 أخت ؟ تكلم ! ولما قال كلا ، ضربته . وقد لاحظت انك بقيت
 تحدق فيه دون ان تنتبه لما يقوله أي منا إلى ان قفزت وسألته ان كانت

له أخت . »

فقال شريف : « كان كالعادة يتباهى بنسائه . كما يفعل دائماً أمام الفتيات ، بحيث لا يفهم بالضبط ما الذي يقوله . وكل هذا الغمز واللمز والكذب وهذه الحكايات الكثيرة التي لا تُعقل . كان يروي لنا عن فتاة اتفق معها في إحدى قاعات الرقص في اتلانتيك سيتي على اللقاء فلم يذهب للقائها بل مضى الى الفندق وآوى الى فراشه وكيف انه بقي مستلقياً فيه أسفاً لانتظارها إياه ، دون ان يذهب اليها ويمنحها ما تشتهي . ويتكلم عن جمال الجسد وعواقبه الوخيمة ، وكيف ان النساء يقاسين من جراء ذلك دون ان يعرفن ما يفعلن سوى الاستلقاء على ظهورهن . يعني ان ليدا تكمن بين الشجيرات ، وتتأوه وتئن شوقاً للإوزة . اين الزانية . والله لكنت اضربه بنفسي . ولو كنت مكانك لانتزعت سلة النبيذ واهويت بها عليه . »

قال سبود : « آه ، نصير النساء ! انك يا صاح لا تثير الاعجاب فحسب ، بل الاشتمزاز ايضاً . » ورماني بنظرته المتسائلة الجامدة وقال : « يا إلهي ! »

قلت : « إني آسفٌ لضربه . ولكن كيف أبدو ؟ أستطيع بحالي هذه ان اذهب وأصلحه ؟ »

قال شريف : « ماذا ، أتعذر ؟ فليذهب وامه الى الشيطان . أما نحن فنريد الذهاب الى المدينة . »

قال سبود : « ليعُدَّ اليها لكي يدركا انه يقاتل مقاتلة السيد المهذب ، اعني يُقهر كما يقهر السيد المهذب . »

قال شريف : « وهو على هذه الحال ؟ وثيابه كلها ملطخة بالدم ؟ »

قال سبود : « طيب ، طيب . أنت أدري . »

فقال شريف : « لا يمكنه الذهاب لابساً قيصره الداخلي . فهو ليس من طلاب السنة الأخيرة بعد . هيا ، لنذهب الى المدينة . »

فقلت : « ليس ضرورياً ان ترافقني . عد الى نزهتك . »

قال شريف : « دعنا منهم . هيا بنا . »

قال سبود : « وماذا أقول لهم ؟ أأقول لهم انكما انت وكونتن تشاجرتما أيضاً ؟ »

قال شريف : « لا تقل لهم شيئاً . وقل لها ان مهلة اختيارها انتهت عند غروب الشمس . هيا بنا يا كونتن . لأسأل تلك المرأة اين محطة الـ - » فقلت : « كلا ، لست برافع الى المدينة . »

فتوقف شريف ونظر الي . وبالتفاتته بدت الزجاجتان في نظارته كقمرين أصفرين صغيرين .

— « ما الذي ستفعله ؟ »

— « لست برافع الى المدينة الآن . فخير لك ان تعود الى نزهتك مع الجماعة . وقل لهم انني رفضت العودة لاتساخ ثيابي . »

فقال : « اسمع . ما الذي ببالك ؟ »

— « لا شيء . اني بخير . فعد بصحبة سبود . وسأراك غداً . » ومضيت عبر الفناء نحو الطريق .

وقال شريف : « أتعرف أين المحطة ؟ »

— « سأجدها . سأراكم كلكم غداً . وقل للمسر بلاند انني آسف لافساد نزهتها عليها . » وقفا يرقبانني ، فسرت من حول البيت الى الطرف الآخر حيث كان ممر صخري يؤدي الى الطريق ، وعلى الجانبين منه ورود . ومن خلال البوابة سرت الى الطريق التي تنحدر على التل في اتجاه الآجام ، واستطعت ان أثبتن السيارة واقفة على جانب من الطريق . غير انني صعدت التل ، والضياء يشتد كلما ارتقيت وقبل ان ابلغ القمة سمعت سيارة ، جاءني صوتها من بعيد عبر الشفق ، فوقفت واصغيت اليها . فثناءت وما عدت أستبين صوتها ، إلا ان شريف كان واقفاً على الطريق أمام المنزل ، موجهاً بصره نحوي ، والضياء الاصفر خلفه كغشاء

من الصباغ على سطح المنزل . فرفعت له يدي ومضيت الى أعلى التل ، مصغياً الى السيارة . ثم اختفى المنزل ووقفت في الضياء الأخضر الأصفر وصوت السيارة في ارتفاع ، وحالما بدأ بالتضاؤل توقف بالمرة . فانتظرت ريثما سمعته من جديد ، ثم عدت الى سيري .

واذ جعلت أهبط الطرف الآخر من التل بدأ الضياء يتضاءل ببطء ، ولكن دون ان يتغير نوعاً ، كأنني أنا الذي أغير لا الضياء ، أغير وأنضاء رغم انه كان المقدور قراءة صحيفة حتى عند تغلغل الشارع بين الأشجار . وسرعان ما جئت الى زقاق دخلته ، اشد عتمة وانغلاقاً من الطريق ، ولكنه اذ أفضى الى موقف الترام — مظلة خشبية اخرى — فان الضياء كان عين الضياء السابق . بل ان الدنيا بعد الزقاق بدت أشد وهجاً ، كأنني اخترقت الليل في الزقاق فانتهى سي الى الصباح مرة أخرى . وسرعان ما جاءت الحافلة ، فركبتها ، ومن فيها يتلفتون للنظر الى عيني ، ووجدت لي مقعداً في الجانب الأيسر .

كانت أنوار الحافلة مضاءة ، فلم أستطع وهي تسير بين الشجر ان أرى شيئاً سوى وجهي وامرأة في الطرف المقابل بقبعة حطت على قمة رأسها ، وفيها ريشة مكسورة ، ولكن حالما خرجنا من بين الشجر صرت ارى الشفق من جديد ، وهو النور الذي يوهم المرء بأن الزمن قد توقف رديحاً والشمس معلقة دون حافة الأفق بقليل ، ثم مررنا بالمظلة التي كان ذلك الشيخ تحتها يأكل من الكيس ، والطريق يمتد ويمتد تحت الوان الاصيل الى الاصيل ، وفي "حس" بأمواء تجري في الأبعاد سريعة آمنة . وبعد ذلك استأنفت الحافلة سيرها ، ومجى الهواء يشتد شيئاً فشيئاً خلال الباب المفتوح الى ان جعل الهواء يجري خلال الحافلة كلها مثقلاً بعبق الصيف والظلام باستثناء عبق زهر العسل . فرائحة زهر العسل ، فيما أعتقد ، أكثر الروائح كلها حزناً . وانا اذكر العديد منها . الوسطار احداها . ففي الايام الماطرة اذا لم تكن امي من المرض بحيث تضطر

الى الابتعاد عن النوافذ كنا نلعب تحتها . واذا ما مكثت امي في الفراش ألبستنا دلزي ثياباً عتيقة وسمحت لنا بالخروج في المطر المنهمر لأنها ترى ان المطر لا يؤذي الأحداث . اما اذا لم تكن امي في الفراش فقد كنا دائماً نشعر في اللعب على الشرفة الى ان تقول ان ضوضاءنا لا تطاق ، فنخرج عندئذ ونلعب تحت عريشة الوسطار .

هنا رأيت النهر لآخر مرة هذا الصباح ، حوالي هذا المكان. وجعلت اشعر بأن ثمة وراء الاصيل مياهاً ، ورائحة . عندما كانت الازهار تتفتح في الربيع ويهيم المطر ينتشر الشدا في كل مكان ولا يلحظ المرء ذلك بوضوح في بعض الاحيان ولكن اذا ما امطرت السماء بدأت الرائحة في التسرب الى الدار عند الاصيل وعند الاصيل إما ان يشتد المطر او ان في وهج الاصيل شيئاً يجعل الشدا حينئذ اقوى رائحة الى ان اجدني مستلقياً على فراشي وانا اقول متى ستكف ، متى ستكف . واذا دخل الهواء من الباب حمل رائحة الماء كنفس رطب مستمر . وكنت أحياناً انوّم نفسي وانا اعيد واكرر ذلك الى ان اختلط زهر العسل به وأمسى كل ذلك يرمز الى الليل والقلق ولكأنني استلقيت لا نائماً ولا يتقطأ أرسل بصري في أرجاء رواق طويل ضياؤه شبه ضياء أشهب غدت فيه الاشياء المستقرة كلها ظلالاً وتناقضات وكل ما فعلته ظلال وكل ما شعرت به وعانيته يتابس شكلاً مرثياً شَكِساً مهرجاً يهزأ دونما داع وكلها تضج بانكار المعنى الذي كان ينبغي ان تؤكد عليه واقول لنفسي أكون لا أكون من كان لم يكن من

كنت اشم منحنيات النهر وراء الغسق وشاهدت آخر النور مستلقياً وادعاً على مُنحَسرات المياه كشظايا مرآة محطمة ، تبدأ وراءها أنوارٌ ترتعش في الجو الشاحب الصافي كفراشات مُحومة ترى من بعيد. بنجامين انْ شَيْتَ - لشد ما كان يلذ له ان يجلس ازاء تلك المرآة . ملجأ لن نخذه، يَلْطُف فيه الصراع ويسكن وينتهي الى واثم. بنجامين ابن شيخوختي

أبقوه رهينة في مصر . أيا بنجامين . كانت دلزي تقول كان ذلك بسبب كون أمه اشد كبرياء وأنففة من ان ترضى به . لقد كانوا يقتحمون حيوات البيض على هذا النحو في قطرات سوداء جديدة فجائية تفرز حقائق البيض لبرهة من الزمن في حقيقة لا تقبل الجدل كما تحت مجهر ؛ ولكنهم في الاوقات الاخرى ليسوا إلا اصواتاً تضحك حين لا ترى أنت ما يضحك ، ودموعاً تهل حين لا ترى انت مبرراً للدموع . وإنهم ليراهنون على عدد النادبين في جنازة ما ، أفردى هو أم زوجي . واحتشد بهم يوماً مبغى في ممفيس فأصيبوا بنشوة دينية جاعحة فانطلقوا عراة إلى الشارع . وللسيطرة على واحد منهم كان لا بد من تعاون ثلاثة من الشرطة عليه . أجل يا يسوع يا يسوع الصالح يا إنساناً طيباً يا يسوع .

وقفت الحافلة ، فنزلات منها وهم ينظرون الى عيني . ولما جاءت حافلة الترام التالية كانت مليئة . فوقفت على الدكة الخلفية . قال الجابسي : « في الأمام مقاعد خالية . » فنظرت الى داخل الحافلة ولم أجد مقاعد على الجانب الأيسر . فقلت : « لست ذاهباً بعيداً . سأقف هنا . » قطعنا النهر . أعني الجسر المنحني في قنطرة وثيدة شهقت في الفضاء ، بين الصمت والعدم حيث الاضواء - الصفرة والحمرة والخضر - ترتعش في صفاء الجو ، مكررة نفسها .

قال الجابسي : « الأفضل ان تذهب الى الامام وتجلس . » فقلت : « لم يبق لي إلا القليل فانزل . عمارتان فقط . » ونزلت قبل ان نبلغ دائرة البريد . في مثل هذا الوقت يكونون قد تجمعوا للأنس في مكان ما ، واذا بسي اسمع ساعتى وأتياً لساع رنات الساعة ولمست رسالة شريف من خلال سترتي ، وظلال الدردار المعضوضعة تجري على يدي . وحالما دخلت الفناء انطلقت الساعة برناتها ومضيت

والنخات تتصاعد كالمويجات في بركة ماء وتمر بي وتمضي ، وانا أقول
اية ساعة إلا ربعا ؟ لا بأس ، لا بأس . اية ساعة إلا ربعا ؟
كانت نوافذنا مظلمة . والمدخل خالياً . وقد سرت بمحاذاة الحائط
الأيسر عند دخولي ، غير انه كان خالياً : فيما عدا سلم الدرج يصعد
وينعطف الى عالم من الظلال من اصضاء الأقدام عبر الأجيال الحزينة
اشبه بغشاوة من غبار تكسو الظلال ، توقظها قدمي كالغبار ، ثم تعود
وتستقر كالغشاوة من جديد .

استطعت ان ارى الرسالة قبل ان اشعل الضوء ، مسندة الى كتاب
على المنضدة لكي اراها حال دخولي . تسميه بزوجي ! ثم قال سبود
انهم ذاهبون الى مكان ما ، ولن يعودوا الا متأخرين ، فحتاج المسز
بلاند الى فارس آخر . ولكنني كنت رأيت لو عاد ولن يحصل على
حافلة الا بعد ساعة أخرى لأنها تعدت السادسة . فأخرجت ساعتني
وأصغيت اليها وهي تدقق ، غير عارف انها عاجزة حتى عن الكذب .
ثم وضعتها على الطاولة وميناؤها الى الأعلى وتناولت رسالة المسز بلاند
ومزقتها طولاً وعرضاً وأسقطت القطع في سلة المهملات ونزعت سترتي
وصدرتي وياقي ورباطي وقيصي . لقد تلوث الرباط ايضاً ، ولكن
الزئوج ... لعله حين يرى زخرفة الدم يقول انه الرباط الذي كان يلبسه
المسيح . ووجدت البنزين في غرفة شريف فنشرت الصدرية على المنضدة ،
وفتحت زجاجة البنزين .

أول سيارة في المدينة فتاة فتاة رائحة البنزين ما كان جاسن يتحملها
قط تدفعه الى الغثيان ثم جن جنونه لان فتاة فتاة ما كان له أخت ولكن
بنجامين بنجامين ابن أحراني لو أن لي أمماً فأستطيع ان أقول أماه أماه
استهلكت الصدرية الكثير من البنزين ، ثم لم أعد أعلم أهي اللطخة
ما زالت في مكانها ام انه البنزين . لقد بُعث الألم في جرحي ثانية ولذا
فإنني عندما ذهبت لأغتسل علقت الصدرية على كرسي وانزلت سلك

الكهرباء لكي يجفف النور لطخة البسّال . ثم غسلت وجهي ويدي ، غير انني حتى في تلك اللحظة اخذت اشتم رائحته في الصابون لاسعة تقبض الخيشومين بعض الشيء . وبعد ذلك فتحت الحقيبة واخرجت منها القميص والياقة والرباط ووضعت فيها الثياب المدماة ، وارتديت ثيابي . وفيما انا أفرّش شعري دقت الساعة النصف . ولكن ثمة حتى الثلاثة الارباع ، الا اذا افترضت غير مشاهد على الظلام الدافق الا وجهه ولا ريشة مكسورة الا إذا كان إثنان منهم ولكن لا اثنان كهؤلاء ذاهبين إلى بوسطن في الليلة نفسها ثم وجهي وجهه للحظة خاطفة عبر الاصطدام حين برزت من أحشاء الظلام نافذتان مضاءتان في هرب صلب صدام راح وجهه ووجهي أكاد لا أرى رأيت هل رأيت دون وداع مظلة الموقف خالية من الاكل والطريق خال في الظلام في الصمت والجسر منحني نحو الصمت والظلام والنوم والماء آمن سريع دون وداع

اطفأت النور ودخلت غرفة نومي ، بعيداً عن البترين ولكن رائحته ما زالت تضرب انفي . ووقفت عند النافذة والستائر تتحرك طالعة على رسلها من الظلام تلمس وجهي كمن يتنفس في نومه ، فيسترسل بها تنفسها عودة الى الظلام ، مخلّقة عليّ لمساتها . بعد ان صعدوا إلى فوق استلقت أُمّي في كرسيتها ، والمنديل المشيع بالكافور على فمها . ولم يتحرك أبوي بل ما انفك جالساً بقربها ويدها في يده والصراخ مستمر رتيباً كأنه حرّم مكاناً في عالم الصمت عندما كنت صغيراً كان في احد كتبتنا صورة ، لمكان مظلم لا ينفذ فيه الا شعاع واحد من نور باهت يقع على وجهين طالعين من الظلام أتعلم ما الذي كنت أفعله لو كنت ملكاً ؟ لم تتخيل نفسها قط ملكة او جنّية بل ملكاً او مارداً او جنرالاً . لاقتحمت ذلك المكان وأخرجتها منه وجلدتهما مُزقت الصورة من الكتاب ، وفرحت بذلك . فقد كان علي ان ارجع اليها الى ان اصبح الكهف اُمّي نفسها هي وابوي الى فوق في النور الباهت يداً بيّذ ونحن ضائعون في

مكان ما تحتها محرومين حتى شعاع النور . ثم جاء زهر العسل . فاذا ما اطفأت النور وحاولت النوم اقتحم عليّ حجرتي في امواج تلجب وتعلو حتى أكره على اللهاث لسحب نفّسٍ من الهواء من خلالها حتى أكره على النهوض والخبط بحثاً عن طريقي كما كنت افعل ايام صغري ترى اليدان لمساً مشككتين في الذهن الباب الذي لا يرى الباب الآن لا شيء ترى اليدان انفي يرى البنزين ، والصدريّة على المنضدة ، والباب . والرواق ما زال خالياً من اقدام الأجيال الحزينة كلها طلباً للسماء . إلا أن العينين بلا بصر صرّتا كالاسنان غير منكورة بل شاكّة حتى في انعدام الالم كاحل ساق ركبة وانسياب إفريز الدرج الخفي الطويل حيث الكبوة في الظلام مليئة بنوم أمي أبي كادي جاسن موري الباب لست بخائف ولكن أمي أبي كادي جاسن موري سبقوني بعيداً في نومهم سأنام سريعاً وأنا الباب الباب الباب كان خالياً ايضاً ، الاناييب والخرف الابيض اللامع ، والجدران الهادئة الملونة ، وعرش التأمل . كنت قد نسيت الكوب ، ولكن بوسعي تستطيع اليدان أن تريا الاصابع المستبردة عنق الاوزة الذي لا يرى حيث أقل من عصا موسى ملمس الكوب غير يقين لا للقرع العنق الاهيف البارد يقرع المعدن الزجاج الكوب مملوء طافح يبرد الكوب الاصابع يحرق النوم فيبقى طعم النوم الندي في صمت الحنجرة الطويل عدت ادراجي في الرواق ، موقظاً في الصمت الاقدام الضائعة في افواج هامسة ، الى البنزين ، والساعة تكرر اكذوبتها الهوجاء على المنضدة المظلمة . ثم الستائر وهي تتنفس من اعماق الظلام على وجهي ، مخلقة انفاسها على وجهي . ربع ساعة بعد . وبعدها لن اكون . آمنُ الالفاظ جميعاً . آمن الالفاظ واعمقها سلاماً . Non fui Sum . Fui . Non sum في مكان ما ذات يوم سمعت اجراساً . في مسيسيبي او ماساشوستس . كنت . لا اكون . ماساشوستس او مسيسيبي . لدى شريف زجاجة في حقيبتها . ألن تفتحها على الاقل يتشرف السيد

جاسن رتشموند كمبسن وعقيلته باعلان ثلاث مرات . ثلاثة أيام . ألن تفتحها على الأقل زواج كريمتهما كاندس بأن الخمر تعلم المرء الخلط بين الوسائل والغايات . انا آكون . اشرب . ما كنت . فلنسمع مرعى بنجي لكي يتمكن كونتن من الذهاب الى هارفرد واتمكن انا من دق عظامي بعظامي . سأموت في . افي سنة واحدة قالت كادي . لدى شريف زجاجة في حقيبته . سيدي انني لن احتاج الى مال شريف فقد بعث مرعى بنجي وبوسعي ان اموت في هارفرد قالت كادي في كهوف البحر ومغاوره تؤرجحنني المياه الصاعدة النازلة في امان ودعة لأن هارفرد مضيق بحري رائع وهل اربعون فدانا من الارض ثمن باهظ لقاء مضيق بحري رائع . مضيق ميت رائع لسوف نستبدل مرعى بنجي بمضيق ميت رائع . ستكفيه مدة طويلة لأنه لا يستطيع سماعها الا اذا استطاع شمها حالما جاءت إلى الباب أخذ يبكي لقد كنت اظن طيلة الوقت انه احد اجلاف المدينة الذين كان ابي يعاينها بالحديث عنهم الى ان . لم آبه له اكثر مما اهتم لأي سمسار غريب عنا او اي حسبت انها من قصان الجيش واذا بسي فجأة ادرك انه لم يعتبرني قط مصدراً ممكناً للادى ، بل انه كان يفكر بها وهو ينظر الي ينظر الي من خلالها كمن خلال قطعة زجاج ماون لم هذا التدخل منك بشؤوني وأنت أدري بأن لا خير يرجي من ذلك أو ليس الافضل أن تترك ذلك لامي وجاسن

هل جعلت أمي جاسن يتجسس عليك ما كنت لارضى .

أما النساء فانما يستخدمن شرائع الشرف التي يتمسك بها الآخرون وما ذلك إلا لأنها تحب كادي وتبقى في الطابق الأسفل حتى عند مرضها لئلا يهزأ ابي من أخيها موري قدام جاسن وكان ابي يقول ان خالي موري اضعف علماً بالكلاسيكيات من ان يجازف بالفتى الضرير الخالد بنفسه وكان الأخرى به ان يختار جاسن لأن جاسن لا بد ان يقع في عين الخطأ الذي كان خالي موري سيقع فيه وهو لن يسبب له لكمة

على العين وابن باترسن كان اصغر من جاسن سنّاً ايضاً وباع كلاهما الطيارات الواحدة بخمسة سنتات الى ان اختلفا حول الامور المالية فوجد جاسن له شريكاً آخر اصغر منه سنّاً ايضاً صغيراً جداً لأن تي بي قال ان جاسن ما زال اميناً للصندوق غير ان ابي قال وما حاجة خالي موري الى العمل وهو الأب الذي يستطيع ان يعيل خمسة زنوج او ستة لا يفعلون شيئاً مطلقاً فيما عدا القعود على مؤخراتهم وأقدامهم مغروزة في الموقد فلا ريب ان بوسعه ايضاً ان يؤوي ويُطعم موري بين الحين والحين ويعيره بعض النقود لكي يبقى ايمان ابيه بالانحدار اسلافه من أعلى عليين حاراً لا يتزعزع وعندها تنخرط امي في البكاء وتقول إن ابي يعتقد ان اسرته أشرف من أسرته وانه يسخر من خالي موري لكي يلقننا تكرار اقواله لقد عجزت عن ان ترى ان ابي كان يلقننا ان البشر جميعاً ما هم الا تراكمات متوالية دمي محشوة بالنشارة قُذف بها من اكوام القمامة حيث القيت الدمى السابقة كلها والنشارة تنزّ من جروح في جوانب لم تمت من اجلي . لقد مر عليّ زمن كنت فيه أتصور الموت رجلاً كجدي او صديقاً له صديقاً حميماً له منزلة خاصة لديه أشبه بتصورنا منضدة جدي وقد حُظر علينا لمسها فلا نرفع حتى صوتنا بالكلام في الغرفة التي توجد فيها فكنت اتصورهما دائماً معاً في مكان ما ينتظران قدوم الكولونيل سرتورس ليجالسهما ينتظران في مكان شاهق يعلو اشجار الارز والكولونيل سرتورس في مكان ارفع من مكانهما وقد ارسل بصره بعيداً الى شيء يحرق فيه وهما ينتظران انتهاءه من التحديق فيه ونزوله إليهما وجدي مرتد بزته العسكرية وبوسعنا ان نسمع دمدمة حديثها من وراء اشجار الارز وهما في حديث دائم وجدّي هو المصيب دوماً .

بدأت الأرباع الثلاثة تدق . وجاءت الرنة الأولى موزونة وادعة ، أمرةً بهنأتهما، تفرغ الصمت الونيء للرنة التالية أجل لو ان الناس يستطيعون تغيير بعضهم البعض على ذلك النحو إلى الأبد يمتزجون معاً كلهيب يندلع برهة

ثم ينطفئ محمولاً على الظلام الأزلي القبر عوضاً عن البقاء هناك ساعياً
في ألا افكر بالأرجوحة حتى طفت اشجار الارز كلها تبث ذلك العطر
الميت النفاذ الذي كان بنجي يمتته أشد المقت . وحسبي ان انخيل الاشجار
الملتفة لأتصور اني اسمع الهمسات والفسورات الخفية وأنشق نبض الدم
اللاهب في الجسد الفاضح الاهوج فأرقب بحفنين أحمرين الخنازير المطلقه
أزواجاً تهول 'مجامعة' الى البحر وهو لقد فرض علينا ان نبقي يقظين
لنرى الشر يفعل فترة ما في حين انه ليس دوماً وأنا لا حاجة بالرجل
الشجاع الى ذلك الوقت كله وهو أتخسب تلك شجاعة وانا اي والله يا
ابي الا توافقتني وهو كل انسان هو المحكم في فضائله وقولك في ان
تلك شجاعة أم لا اشد خطورة من الفعل نفسه بل من اي فعل والا
فانك لست جاداً وأنا انت لا تصدق انني جاد وهو بل اني اعتقد انك
من الجسد بحيث لا تفزعني والا لما وجدت نفسك مدفوعاً الى التذرع
بالقول لي بأنك زنت باحدى المحارم وانا ما كذبت في ذلك ما كذبت
وهو لقد اردت ان تحول قطعة من حماة الانسان الطبيعية الى هول تطرده
عنك فيما بعد بالصدق وأنا ما اردت الا ان اعزلها عن العالم الصاخب
فيضطر الى الخزيمة منا بالضرورة وحينئذ يكون صخبه وكأنه لم يكن وهو
هل حاولت ان تجعلها تفعها وانا لقد خشيت ذلك لقد خشيت ان ترضخ
وعندها ما كان يرجى منها أي خير ولكن لو استطعت ان اقول لك
اننا فعلناها لكان الامر كذلك ولما كان الآخرون عندئذ كذلك الجزء فيروح
العالم بهديره عنا وهو وهذا الآخر انك لست تكذب الآن ايضاً غير انك
ما زلت اعمى لا تبصر ما في نفسك وذلك الجزء من الحقيقة العامة وسياق
الاحداث الطبيعية واسبابها الذي يقع ظاه على جبين كل انسان حتى بنجي
انك لا تفكر بما هو محدود انك تتأمل في تأليه ما تصبح فيه احدى

« لا بد من القول أن هذين الضميرين ، هو وأنا ، يعينان القائل في الحوار التالي دون ان
يقطعا سيل الذكريات المتداخلة .
(المترجم)

الحالات الذهنية المؤقتة أمراً متناغماً يعلو الجسد ويعبي نفسه والجسد معاً
 الجسد الذي لن يتخلى عنه تمام التخلي حتى الموت لن تعرفه وانا مؤقتاً
 وهو انك لا تستطيع ان تتحمل الظن بأن هذه لن تؤلك يوماً ما كما
 تؤلك الآن لقد جعلنا ندرك سرها يبدو انك تعتبرها مجرد تجربة يشيب
 لها شعرك بين عشية وضحاها كما يقولون دون ان تغير شيئاً من مظهرك
 فترفض ان تفعلها في مثل هذه الحالة انها مقامرة والغريب في الأمر ان
 الانسان الذي تحبل به امه صدفة وكل كَفَس من حياته رمية من نرد
 مغشوش ضده يرفض مجابهة تلك المقامرة الأخيرة التي يعلم سلفاً ألا مفر
 له من مجابهتها دون اللجوء الى ذرائع تراوح بين العنف والتحايل الخفير
 وهي ذرائع لن تحذع طفلاً من الاطفال واذا به يوماً لشدة اشتمازه
 يجازف بكل شيء في رمية عشواء واحدة من ورقة لعب ليس هناك
 من يفعل ذلك وهو في أول هوج اليأس أو تقريع الضمير أو الفجيعة
 انما يفعلها عندما يدرك ان لاعب النرد المغلق الجهم لا يقيم وزناً ليأس
 او تقريع ضمير او فجيعة وانا مؤقتاً وهو ما اصعب ما يصدق المرء
 حين يعلم ان العشق او الاسى سند يشتره دونما خطة او هدف فتنتهي
 مدته شاء ام ابى فيستعاد بغير اخطار سابق لاستبداله بأي من السندات
 التي قد يتفق ان تصدرها الآلهة في تلك الآونة لا لن تفعل انت ذلك الى
 ان تقتنع بأنها حتى هي لم تكن ربما جديرة باليأس وأنا أنا لن افعل
 ذلك مطلقاً لا احد يعرف ما اعرفه انا وهو يخيل اليّ انه من الافضل
 ان تذهب الى كمبردج في الحال ولعلك تذهب في اجازة الى ولاية
 « مين » لمدة شهر ولن يكون ذلك فوق طاقتك ان انت حرصت على
 مالك وفي ذلك فيما ارى خير لك لقد لأم الحرص على الفلاس جراحات
 لم يلاُم مثلها المسيح وانا افرض جدلاً اني ادركت ما تعتقد اني سأدركه
 هناك في الاسبوع القادم او الشهر القادم وهو عليك ان تذكر اذ ذاك
 ان ذهابك الى هارفرد حلم ساور أملك منذ ساعة ولادتك وليس في آل

كمبسن من خيِّب امل امرأة وانا مؤقتاً ولسوف يكون ذلك خيراً لي ولكل افراد العائلة وهو كل انسان هو المحكم في فضائله ولكن لا تسمحن لانسان بتقرير ما هو الصالح لأي انسان آخر وأنا مؤقتاً وهو تلك أحزن الكلمات كلها ما من شيء سواها في الدنيا وليس ذلك باليأس الى ان يحين الوقت ولا يحين الوقت الى أن كان

دقت الرنة الاخيرة . واخيراً بطل رنينها وسكن الظلام من جديد . فدخلت غرفة الجلوس واضأت النور . وقد خفّت رائحة البترين حتى كدت لا اعياها ، وفي المرأة ما عادت للطخة تستبان -- لا بقدر الرضة السوداء على عيني ، على كل حال . ارتديت ستري . فخشخشت رسالة شريف من خلال القماش ، فأخرجتها وتفحصت العنوان ، ودستها في جيبي الجانبي . ثم اخذت الساعة الى غرفة شريف ووضعتها في درجه وعدت الى غرفتي واخرجت منديلاً نظيفاً واتجهت نحو الباب ووضعت يدي على مفتاح النور . وعندها تذكرت انني لم افرش اسناني ، فكان عليّ ان افتح الحقيبة ثانية . فوجدت فرشاة اسناني ووضعت عليها قليلاً من معجون شريف واخرجت وفرشت اسناني . ثم عصرت الفرشاة ما استطعت لتجفيفها واعدتها الى الحقيبة وسددتها ، واتجهت نحو الباب مرة اخرى . وقبل ان اطفىء النور تلفت حولي لأري ان كان هناك شيء آخر ، فأدركت انني نسيت قبعتي . لقد كان علي ان امر بدائرة البريد ولا بد ان ألتقي ببعضهم هناك فيحسبوا انني من طلاب « ميدان هارفرد » الذين يتظاهرون بأنهم في سنتهم الاخيرة . وقد نسيت ان افرشها هي ايضاً ، ولكن لما كان لدى شريف فرشاة ، لم اضطر الى فتح الحقيبة مرة اخرى .

نيسان

٦
١٩٢٨

عاهرة يوماً ، عاهرة كل يوم ، هذا ما أقوله أنا . وقلت احدي الله ان كان هربها من المدرسة هو كل ما يقلقك . وأنا اقول انه خير لها الف مرة ان تكون في ذلك المطبخ في هذه اللحظة من ان تكون فوق ، في غرفتها ، تلطخ وجهها بالأصباغ وتنتظر ستة من الزوج ، العاجزين عن مغادرة كراسيهم والوقوف على أقدامهم الا اذا وازنهم وعاء مليء بالخبز واللحم ، ليهيئوا لها الفطور . فقالت أمي :

« أما ان تعتقد سلطات المدرسة ان لا سيطرة لي عليها ، وانني لا

استطيع — »

فقلت : « بالضبط . وهل استطعت يوماً ؟ لم تحاولي قط يوماً ان تفعلي بها شيئاً . فكيف لك ان تبدأي وقد فات الاوان ، وقد بلغت السابعة عشرة من عمرها ؟ »

فراحت تتأمل في ذلك مدة ، ثم قالت :

« اما ان يعتقدوا ... ما كنت اعلم ان لديهم ورقة تقرير باسمها . فقد اخبرني في الحريف الماضي انهم اقلعوا عن استعمال التقارير هذا العام.والآن يخبرني الاستاذ جنكن بالهاتفون ليقول ان تغيب مرة واحدة اخرى فعليها ان تترك المدرسة . كيف تفعل ذلك ؟ اين تذهب ؟ انك في البلدة طوال النهار : اما كنت تراها لو انها كانت تتسكع في الشوارع ؟ »

قلت : « بلى . لو كانت تتسكع في الشوارع . ولكنني لا احسب انها تهرب من المدرسة لتفعل شيئاً تستطيع ان تفعله جهاراً امام الناس. »
قالت : « ماذا تعني ؟ »

قلت : « لا اعني شيئاً . أجبتك على سؤالك، لا اكثر ولا اقل . »
فبدأت تبكي من جديد ، وتقول كيف ان لحمها ودمها انتصبا أمامها ليصبا عليها اللعنة .

قلت : « انت التي سألتني . »

فقالت : « لست اعنيك انت . انك الوحيد من دونهم كلهم الذي لا أجد فيه غضاضة علي أو مسبة لي . »

فقلت : « طبعاً ، لم يُنح لي الوقت لاكون ذلك . لم يتح لي الوقت للذهاب الى هارفرد ككونتن أو للشرب حتى يطمرني التراب كأبي . كان عليّ ان اشتغل . ولكن بالطبع ان كنت تبغين مني ان اتعقبها وأرى ما الذي تفعله ، فما عليّ إلا ان اتخلى عن المخزن وأجد وظيفة أعمل فيها ليلاً . وعندها استطيع ان اراقبها اثناء النهار ولك ان تستخدمني بن في دورة الليل . »

قالت وهي تبكي علي الوسادة : « انا اعرف أنني مصدر إزعاج لك وعبء عليك . »

قلت : « لا بد أنني اعرف ذلك بعد ان كررته على مسمعي ثلاثين

سنة كاملة . وحتى بن لا بد ان يكون عارفاً ذلك الآن . اتريدين لي ان أقول لها شيئاً حول الموضوع ؟ »

فقلت : « وهل ترى اية فائدة تُرجى من ذلك ؟ »

قلت : « لن هرجى أية فائدة إن انت نزلت للتدخل بيننا في اللحظة التي أبدأ فيها . فإذا كنت تريدين لي ان اسيطر عايتها ، أخبريني بذلك ولا تتدخلني . فكلما حاولتُ ، أقحمت نفسيك ، وراحت هي تضحك منك ومني . »

قلت : « تذكر أنها من لحمك ودمك . »

قلت : « طبعاً . هذا ما افكر به ، دون غيره - اللحم ، وقليل من الدم ، لو أتيح لي مأربي . اذا تصرف المرء تصرف الزنوج ، فلا بد من معاملته معاملة الزنوج ، وليكن من يكون . »

فقلت : « إنني أخشى ان يحتد غضبك عليها . »

فقلت : « انت لم تُوفّقني في اسلوبك معها . افترديني ان افعل شيئاً بهذا الشأن ام لا ؟ قرري . يجب عليّ الذهاب الى عملي . »

قلت : « أنا اعلم انك تكذب وتكذب في سبيلنا . او تدري لو اتيح لي تحقيق ما اشتبهه لكان لك مكتب تذهب اليه ، وساعات دوام تليق برجل هو سليل آل باسكوم . لأنك من آل باسكوم ، رغماً عن اسمك . وانا أعلم لو ان اباك استطاع التكهن بأن - »

فقلت : « له الحق والله في ان يخطيء التكهن بين الحين والحين ، كغيره من البشر ، من آل زيد كانوا أم عبيد . » فجعلت تبكي ثانية .

وقالت : « أستمعني هذا الكلام المر عن ابيك المرحوم ... »

فقلت : « طيب ، طيب . ليكن ما تشائين . ولكن ما دمت لا مكتب لي ، فعليّ بالسعي إلى ما لدي . اتريدين لي أن أقول لها شيئاً ؟ »

فقلت : « أخشى ان يحتد غضبك عليها . »

قلت : « حسناً اذن ، لن أقول لها شيئاً . »

فقلت : « ولكن لا بد لي من فعل شيء ما . أما ان يعتقد الناس انني اسمح لها بالتغيب عن المدرسة والتسكع في الشوارع او انني عاجزة عن منعها عن ذلك ... جاسن ، جاسن ، كيف ترضى كيف ترضى بتركي رازحة تحت هذه الابعاء كلها ؟ »

قلت : « هدئي روعك ، وإلا مرضت من جديد . لم لا تحبسنيها في غرفتها طيلة النهار ، او تسلمنيها اليّ فتقلعي عن القلق بشأنها ؟ »

قلت : « لحمي ودمي ، وبكت ، فقلت :

« لا بأس ، سأعنى بأمرها . كفك بكاء . »

فقلت : « لا تحتد غضباً . وتذكر ، ان هي الا طفلة . »

فقلت : « لا ، لا . » وخرجت ، واغلقت الباب .

فصاحت : « جاسن . » غير انني لم أجب . ومضيت في البهو ، فقلت من وراء الباب : « جاسن . » ولكنني نزلت الدرج . ولم يكن في غرفة الطعام أحد ، ثم سمعتها في المطبخ ، تحاول جعل دلزي تعطيها كوباً آخر من القهوة . فدخلت المطبخ .

وقلت : « هذا الذي ترتدينه هو زي المدرسة ، ولا شك ، هه ؟

ام ان اليوم عطلة ؟ »

قلت : « أرجوك يا دلزي . نصف كوب فقط . »

قلت دلزي : « لا والله . لن اعطيك قهوة بعد . عيب ان تشربي أكثر من كوب واحد ، وما انت الا فتاة في السابعة عشرة من العمر ، فضلاً عما نقوله السيدة كارولان . هيا اذهبي ، وارتي لباس المدرسة : لنستطيعي ان تذهبي راكبة مع جاسن . أتريدين ان تتأخري ثانية ؟ » فقلت : « أبدأ ! وسوف نتأكد من ذلك توءاً . » فنظرت الي :

والكوب في يدها . وأرجعت شعرها مشطاً عن وجهها ، وقد زلّ « الكيمونو » عن كتفها . وقلت : « ضعي ذلك الكوب من يدا

وتعالى هنا قليلاً . »

فقلت : « لماذا ؟ »

قلت : « تعالي . ضعي ذلك الكوب في المغسلة وتعالي هنا . »

فقلت دلزي : « ما الذي انتويته الآن يا جاسن ؟ »

قلت : « لعلك تظنين انك تستطيعين ان تتخطيني كما تتخطين جدتك

وكل فرد آخر في هذا البيت . ولكن ستجدين انك مخطئة . سأمهلك

عشر ثوانٍ لكي تضعي ذلك الكوب من يدك كما قلت لك . »

فصرفت عينيها عني ونظرت الى دلزي . وقالت : « ما الساعة الآن

يا دلزي ؟ عندما تنقضي الثواني العشر ، صفري . نصف كوب فقط

يا دلزي ، أر — »

فأمسكت بها من ذراعها ، فأسقطت الكوب وتحطم على الأرض ،

وانتفضت الى الوراء وهي تنظر الي ، غير اني بقيت ممسكاً بذراعها .

ونهضت دلزي عن كرسيها وقالت :

« اسمع يا جاسن . »

قلت كوتن : « خلّ سبيلي . والا صفعتك . »

فقلت : « أتصفعيني ، أحقاً تصفعيني ؟ » ورفعت كفها علي ،

فقبضت على يدها تلك ايضاً ، وأمسكت بها كالقطة البرية وقلت :

« أتصفعيني ، احقماً تصفعيني ؟ »

قلت دلزي : « اسمع يا جاسن ! » وجرتُ بها الى غرفة الطعام ،

وانحل الكيمونو مرفرفاً حولها : عارية تقريباً والله . وجاءت دلزي

تدحرج ، فاستدرت ورفست الباب لإغلاقاً في وجهها .

وقلت : « اياك ان تدخلي هنا . »

واتكأت كوتن على المائدة ، وشدت ثوبها ، وانا أنظر اليها .

قلت : « والآن ، اريد ان أعرف ما الذي ترمين اليه بهربك من

المدرسة والكذب على جدتك وتزوير اسمها على تقريرك وافلاقتها حتى

المرض . ما الذي ترمين اليه ؟ »

فلم تنبس بكلمة ، وهي ترفع طرف الكيمونو الى ما تحت ذقنها ، وتسحبه بشدة حولها ، ناظرة الي . لم تكن قد صبغت نفسها بعد فبدا وجهها وكأنه قد مُسح مسحاً بخرقه عتيقة . وامسكتها من راسها بعنف وقلت : « ما الذي ترمين اليه ؟ »

فقلت : « ليس ذلك من شأنك ، أفهمت ؟ خلّ سبيلي . »

واذا دلزي بالباب تقول : « اسمع يا جاسن . »

قلت دون ان التفت اليها : « اخرجي من هنا ، كما قلت لك ! » وعدت اقول : « اريد ان أعرف اين تذهبين عندما تهربين من المدرسة . انك تبتعدين عن الشوارع ، والا لكنت رأيتك . من الذي تهربين معه او من اجله ؟ أنتخبين في الغابة مع احد هؤلاء القذرين اللّماعي الرؤوس ؟ اهنالك تذهبين ؟ »

« قبحك الله ، » قالت وهي تكافح ، غير انني بقيت ممسكاً بها :

« قبحك الله ، قبحك الله ! »

فقلت : « سأريك الآن . ربما استطعت أن تفزعني عجوزاً كجدتك ، ولكن سأريك في يد من وقعت الآن . » وأمسكت بها بيد واحدة ، ثم كفت عن العراك وراحت ترقبني وعيناها تتسعان وتكفهران .

قالت : « وما الذي ستفعله الآن ؟ »

— « انتظري الى ان اخرج هذا الحزام ، فتعرفي ، » قلت وأنا

اسحب حزامي . وعندها قبضت دلزي على ذراعي .

وقالت : « جاسن ! اسمع يا جاسن ! ألا تخجل من نفسك ؟ »

وقالت كونتن : « دلزي ، دلزي . »

قالت دلزي : « لن أدعه ، لا تخافي يا حبيبتني . » وتشبثت بذراعي .

ثم سحبت حزامي وائنفضت طليقاً منها وقذفت بها عني . فارتطمت بالمائدة . لقد طعنت في السن حتى عسرت عليها الحركة . ولكن لا بأس : لا بد لنا من اناس في المطبخ يأكلون الطعام الذي لا يستطيع الصبية تهريبه .

وجاءت تتدحرج بيننا وحاولت ابعادي مرة أخرى . وقالت : « اضربني ، ان كان عليك ان تضرب أحداً لكي تهدأ . اضربني أنا . »
فقلت : « أتظنين انني لن اضربك ؟ »

فقلت : « اعرف انك لن تتورع عن أي رجس من عمل الشيطان . »
ثم سمعت أمي على الدرج . كان يجب ان أعلم انها لن تحجم عن التدخل . فأفلتتها ، فارتطمت متراجعة بالحائط ، وهي تمسك بالكيمنو لثلاثينفتح عليها .

وقلت : « لا بأس . سأؤجل الأمر قليلاً . ولكن اياك ان تظني انك تستطيعين التخلص مني . انا لست امرأة عجوزاً ولا زنجية شمطاء نصف ميتة . يا ساقطة يا لعينة . »

فقلت : « دلزي ، يا دلزي . أريد أمي . »
فذهبت اليها دلزي وقالت : « لا تخافي . لن نخطئ يده عليك ما دمت هنا . » ونزلت امي الدرج .

وقالت : « جاسن . دلزي . »
قالت دلزي : « لا تخافي . لن ادعه يمسك . » ووضعت يدها على كوتن . فقدفت بها عنها ، وقالت :

— « قبحك الله من زنجية شمطاء . » وركضت نحو الباب .

وقالت أمي من على الدرج : « دلزي . » وصعدت كوتن الدرج ركضاً ، مارةً بها . فقلت امي : « يا كوتن . انت يا كوتن . » واستمرت كوتن في الركض وسمعتها تصل الى الأعلى فتدخل البهو ، ثم انصفق الباب .

كانت امي قد توقفت ، ثم نزلت وقالت : « دلزي . »
فقلت دلزي : « نعم ، نعم . اني قادمة . » ثم قالت : « اذهب وهيء تلك السيارة لكي تأخذها فيها الى المدرسة . »
فقلت : « لا تقلقي . سأخذها الى المدرسة ، وسأؤكد من انها تبقى

هناك . لقد شرعت في هذا الأمر ، وسوف استمر به حتى النهاية . »

قالت امي من على الدرج : « جاسن . »

قالت دلزي ، متجهة نحو الباب : « هيا اذهب ، أتريدها ان تبدأ

هي أيضاً ؟ اني قادمة ، يا ست كارولالين . »

ولما خرجت كنت اسمعها على الدرج ، ودلزي تقول : « عودي

الى فراشك . ألا تعلمين انك لم تشفي تماماً لتغادري الفراش ؟ عودي

الآن . وسوف اتأكد من أنها تذهب الى المدرسة هذه المرة . »

خرجت من الباب الخلفي لأخرج السيارة بسوقها الى الورا ، ثم

اضطرت ان اعود فأذهب الى مقدمة البيت بحثاً عنهم حتى وجدت

بعضهم .

وقلت : « ألم اقل لك ان تركب ذلك الاطار في مؤخرة السيارة ؟ »

فقال لستر : « لم اجد الوقت لذلك . فليس هناك من يعنى به الى

ان تفرغ امي عملها في المطبخ . »

قلت : « طبعاً . اطعم جيشاً من الزوج لكي يتبعوه ويهتموا بأمره ،

اما اذا اردت تغيير اطار سيارتي ، فان علي ان افعل ذلك بنفسني . »

فقال : « لم اجد احداً اتركه معه . » ثم جعل يثن ويريل .

فقلت : « خذه الى خلف المنزل . لماذا تركه هنا حيث يراه

الناس ؟ » وطردتهما قبل ان يبدأ بالعياط العالي . الا يكفيننا يوم الأحد

حين يمتلئ ذلك الحقل اللعين بأناسٍ ، لا مشاكل لديهم وليس في

عهدتهم زوج ستة لا بد من اطعامهم ، يضربون كرة صغيرة جيئة

وذهاباً وفي كل اتجاه . فيركض طالعاً نازلاً بمحاذاة السياج ويصرخ

ويعيط كلما رأهم الى ان يخطر لهم ان يتقاضوني اجور الغولف، وعندها

سيتحتم على امي ودلزي ان تأتيا بمقبض او اثنين من مقابض الأبواب

الكروية وعصا معقوفة من عصي المشي وتتدبرا الأمر، الا اذا اضطرت

انا الى اللعب ليلاً في ضوء فانوس . ولعلمهم حينئذ يرسلوننا جميعاً الى

مستشفى المجاذيب في جاكسن . ويعلم الله انهم ، اذا ما وقع ذلك ، سيحتفلون بالمناسبة !

عدت الى الكراج ، والاطار هناك مسند إلى الحائط ، ولكن لعني الله ان كنت سأركبها . خرجت بالسيارة خلفاً واستدرت . ووجدتها واقفة على طريقنا الخاص . فقلت :

« انا اعرف ان لا كتب لديك . ولكن ارجو الا تظنني متطفلاً »
 إن سألتك ماذا فعلت بها ؟ متطفل انا بالطبع ، فما انا الا الرجل الذي دفع احد عشر دولاراً و ٦٥ سنتاً ثمناً لها في ايلول الماضي . »
 فقلت : « امي هي التي تشتري كتبتي . لم تنفق علي فلساً من نقودك ، والا لآثرت الموت جوعاً . »

قلت : « صحيح ؟ قولي ذلك لجذتك واسمعي جوابها . » ثم قلت :
 « لست تبددين عارية تماماً ، وان كان هذا الشيء الذي يكسو وجهك يخفي عن العين منك اكثر مما يخفيه هذا الثوب الذي تلبسينه . »

— « او تظن ان نقودك او نقودها دُفع منها فلس واحد لقاء هذا؟ »
 فقلت : « أسألي جذتك . أسأليها عن تلك الصكوك . اما رأيتها ، على ما اذكر ، تحرق واحداً منها ؟ » حتى لصغاء لم تكن تصغي ، ووجهها مصممٌ بالاصباح وعيناها في قسوة عيني كلب شرس .

— « اتعلم ما الذي كنت افعله لو علمت ان فلساً واحداً من نقودك او نقودها قد صرف على هذا ؟ » قالت هذا واضعة يدها على فستانها.
 فقلت : « ما الذي كنت تفعلينه ؟ أكنت ترتدين برميلاً ؟ »

قالت : « لكنك مزقته غني وقذفت به في الطريق . ألا تصدقني ؟ »

قلت : « لا ريب عندي . انك دائماً تفعاين ذلك . »

فقالت : « طيب . انظر ! » وأمسكت بعنق ثوبها بكنتا يديها وبدا كأنها تهم بتمزيقه .

فقلت : « ان انت مزقتِ ثوبك ، فسأجلدك والله هنا على قارعة

الطريق جُلدةً تذكّرينها طوال عمرك . »

قالت : « طيّب ، انظر . » واذا بها فعلاً تحاول ان تمزّقه ، تمزّقه عن جسدها . والى ان أوقفت السيارة وقبضت على يديها كان هناك أكثر من عشرة اشخاص ينظرون الينا . لقد جننتُ لذلك برهةً وغشت عينيّ غشاوة .

وقلت : « والله ان أعدت مثل هذه الفعالة لأجعلنك تدمين على انك ذقتِ طعم الحياة . »

فقلت : « انا آسفة الآن . » وكفت ، وحلت في عينيها نظرة غريبة فقلت لنفسي ، ان بكيت في هذه السيارة ، على الطريق ، فسأجلدك ، سأهنئك ، ولكن لحسن حظها لم تبك ، فأقلت معصميتها وعدت الى السياقة . وكنا لحسن الحظ على مقربة من زقاق استطعت ان ادخل منه الى شارع خلفي فاتجنب الميدان . وكانوا قد بدأوا بنصب الخيمة في ارض ببادر . وكان ايرل قد أعطاني بطاقتين لقاء الإعلان في نافذتي مخزننا . اما هي فتمسك ظلت قابعةً في مكانها مشيخةً بوجهها ، وهي تعض شفتيها . وقالت : « انا آسفة الآن . لست ادري لماذا ولدتي امي . »

فقلت : « وانا اعرف على الاقل شخصاً آخر لا يفهم شيئاً مما يعرفه عن ذلك . » وأوقفت السيارة امام المدرسة . كان الجرس قد دق ، وكانت اخريات الطالبات في سبيلهن الى الصفوف . فقلت : « لقد وصات في الموعد المحدد لأول مرة ، على كل حال . اتدخلين المدرسة وتبقين فيها ام أرافلك واكرهك على ذلك ؟ » فمخرجت من السيارة وصرقت الباب . « تذكري ما قائمه لك » قلت ، « وانا أعني ما قلت . الويل لك ان انا سمعت مرة اخرى انك تتسولين وتتسكعين في الأزقة الخلفية جيئةً وذهاباً مع بعض اولئك المنحطين . »

فالتفتت الي عندها ، وقالت : « انا لا اتسأل واتسكع . واتخذكم

جميعاً ان تعرفوا ما الذي افعله . »

فقلت : « الكل يعرف ذلك . كل من في هذه المدينة يعرف من انت . ولكنني سأضع حداً لذلك ، اتسمعين ؟ انا لا يهمني في الواقع ما تفعلين ، » قلت لها ، « ولكن لي في هذه المدينة مركزاً اجتماعياً ، ولن اسمح لامرأة من عائلتي بالتصرف تصرف عاهرة زنجية . اتسمعينني ؟ » فقالت : « لا ابالي . اني فاسدة وسأذهب إلى الجحيم ولن ابالي . واني لأفضل الجحيم على اي مكان انت فيه . »

فقلت : « والله ان سمعت مرة واحدة اخرى انك هربت من المدرسة ، فسأجعلك تتمنين لو كنت حقاً في الجحيم . » ثم ادبرت وركضت عبر الفناء وقلت : « ولو مرة واحدة اخرى ، تذكرني ! » ولكنها لم تلتفت .

ذهبتُ إلى دائرة البريد واخذت رسائل لي ثم اتجهت نحو الخانوت ، واولفت السيارة في مكانها . وعند دخولي نظر إلي ايرل ، واعطيته فرصة التعليق على تأخري ، ولكنه ما قال الا : « هذه المعشبات قد وصلت . الأفضل ان تعين العم ايوب على تركيبها . »

ولما ذهبت الى خلف الخانوت وجدت ايوب يفكّ عنها التغليف ويركبها بمعدل ثلاثة براغي في الساعة . فقلت : « كان يجب ان تكون انت ايضاً في خدمتي . فكل زنجي خامل في المدينة يأكل من مطبخي . »

قال : « انا اشتغل لأرضي الرجل الذي يدفع لي اجوري مساء السبت . واذا ما فعلت ذلك ، لم يبق لي وقت كثير لارضاء الآخرين . » وشد برغيّاً ، وقال : « لا احد يرهق نفسه بالعمل في هذا البلد هذه الأيام سوى خنفساء القطن . »

فقلت : « اشكر ربك على انك لست خنفساء قطن تنتظر هذه المعشبات . والا لقتلت نفسك إرهاقاً قبل ان يتهيأوا لمنعك عن ذلك . »

قال ايوب : « هذه هي الحقيقة . خنفساء القطن مظلومة . تعمل كل يوم من ايام الاسبوع في العراء في الشمس المحرقة ، امطرت ام اشرفت . ولا شرفة مسقوفة لديها تجلس فيها لتتفرج على البطيخ وهو ينمو ، ولا يعني لها يوم السبت شيئاً ابداً . »

فقلت : « لو كان امر اجورك بيدي ، لما كان ليوم السبت اي معنى عندك انت ايضاً . هيا ، اخرج هذه القطع من صناديقها وجرها الى الداخل . »

فضضتُ رسالتها اولاً واخرجت منها الصك . ان المرأة هي هي . فها هي قد تأخرت ستة ايام . ومع ذلك ، فانهم يحاولون ان يقنع الرجال بأنهم يستطيعون تسير الاعمال . وهل يدوم طويلاً في عماء رجل يتصور ان اول الشهر يقع في السادس منه ؟ ومن المحتمل جداً ، حين يرسلون تقرير المصرف ، ان تتساءل لماذا لم اودع راتبي حتى السادس منه ؟ امور كهذه لن تخطر ببال امرأة .

« لم يبلغني الجواب على رسالتي بخصوص ثوب عيد الفصح لكونتن . هل وصلت الرسالة ؟ ولم يبلغني جواب على رسالتي الاثنتين اللتين كتبتهما مؤخراً اليها ، مع ان الصك في الرسالة الثانية قد صرف مع الصك الآخر . هل هي مريضة ؟ اخبرني حالاً ، والا جئت بنفسني لاستوثق من الأمر . لقد وعدت بأن تدعني أعرف كئيباً كانت في حاجة الى شيء سأوقع رسالة منك قبل العاشر من الشهر . لا ، بل الافضل ان تبرق الي على الفور . لانك تفتح رسالتي اليها . وانا واثقة من ذلك كأنني انظر في عينيك . فالافضل ان تبرق إلي عنها على الفور على هذا العنوان . »

وفي تلك اللحظة جعل ايرل يصيح بأيوب ، فوضعت الرسالة مع امرأتها جانباً وذهبت إلى حيث ايوب لأحرقه قايلاً . ان ما يحتاجه هذا البلد هو العمال البيض . فلو جعلنا هؤلاء السود الكسالى يتضورون

جوعاً لسنة او اثنتين ، لأدركوا حينئذ قيمتهم الحقيقية .
 في حوالي الساعة العاشرة ذهبت الى مقدمة المخزن . كان هناك سمسار ،
 وكانت الساعة هي العاشرة الا دقيقتين ، فدعوته الى مكان قريب نشرب
 فيه زجاجة من الكوكاكولا . وأخذنا نتحدث عن غلال الموسم .
 قلت له : « المسألة واضحة جداً ، القطن غلة المضاربين في السوق .
 انهم يتخمون المزارع بمعسول الكلام ويغرونه على انتاج غلة كبيرة لكي
 يقصوا بها السوق ، كالمنشار ، مستفيدين صعوذاً ونزولاً ، ويضحكوا
 على ذقون المغفلين . او تظن ان المزارع يخرج بشيء من كل ذلك فيما
 عدا رقبة حمراء واحديداب في الظهر ! او تظن ان الرجل الذي يتصبب
 عرقاً من بذره وزرعه يحصل على فلس أحمر غير كفاف العيش ؟ فاذا
 انتج غلة كبيرة ، فهي لا تستحق القطاف ؛ واذا انتج غلة صغيرة ،
 لم يكن لديه ما يكفي للحلج . والفائدة ؟ لكي تأتي شزيمة من اليهود
 الشرقيين - وانا لا اتحدث عن الذين يعتقدون الدين اليهودي ، ولعلك
 واحد منهم . »

فقال : « كلا . اني امريكي . »
 فقلت : « ارجو المَعذرة . اني اعطي كل انسان حقه ، بغض النظر
 عن الدين او اي شيء آخر . وانا لا اعترض على اليهود كأفراد . انما
 هو الجنس ، العِرْق . فأنت توافقي على انهم لا ينتجون شيئاً . فهم
 يلحقون بالرواد في اي صقع جديد لبيعهم الملابس . »
 قال : « لعلك تقصد الأرمن . فالرواد لا تفيدهم الملابس الجديدة
 في شيء . »

قلت : « أرجو المَعذرة . انا لا اعترض على دين اي انسان . »
 قال : « أكيد . انا امريكي . في عائلتنا شيء من الدم الفرنسي ،
 مما يعمل ان يبدو أنفي هكذا . ولكنني امريكي . »
 فقلت : « وأنا ايضاً . لم يبق منا والله الا القليل . والسني اتكلم

عنه هو — هؤلاء القاعدون في نيويورك ، الذين يضحكون على ذقون المقامرین المغفلين . »

قال : « أي والله صدقت ، مقامرة وخراب ديار ، بالنسبة الى الفقير . يجب ان يصدروا قانوناً يمنع ذلك . »

قلت : « الا تعتقد انني محق ؟ »

قال : « اي والله محق ، والمزارع يأكلها على الصاعد وعلى النازل . »

قلت له : « انا اعرف انني محق ، انها لعبة مغفلين ، الا اذا حصل المرء على معلومات داخلية من رجل مطلع على مجريات الامور . اني لحسن الصدف على اتصال ببعض العارفين بخفايا الامور ، ممن لهم مستشار هو من اكبر المدراء في نيويورك . وطريقي في العمل هي ألا اجازف بالكثير في المرة الواحدة . اما الرجل الذي يعتقد انه يعرف كل شيء ويحاول ان يكسب مال الدنيا بثلاثة دولارات ، فهو الذي يوقعون به . وهذا هو السبب في انهم يمارسون هذه التجارة . »

ثم دقت العاشرة ، فذهبت الى دائرة البرق . واذا هي قد فتحت بابها بعض الشيء ، كما قالوا تماماً . وركنت الى الزاوية وأخرجت البرقية من جديد . وفيما أنا تأملها وصل تقرير جديد . ارتفاع بنقطتين . والكل يشتري . لقد ادركت ذلك من العبارات التي كانوا يتفوهون بها . الكل يريد ان يركب المركب ، كأنهم لا يعرفون انه لا يسير الا في اتجاه واحد . او كأن ثمة شريعة لا تحتم الا الشراء . على كل ، يظهر ان هؤلاء اليهود الشرقيين ايضاً لا بد لهم من وسيلة للعيش . ولكنني أضيق ذرعاً كلما رأيت ان بوسع كل أجنبي لعين عاجز عن طلب الرزق في بلاده حيث اوجده ربه ان يأتي الى هذا البلد ويخفن المسال من جيوب الامريكيين . ثم كان هناك ارتفاع بنقطتين آخرين . اربع نقاط . انهم

« دوائر البرق في الولايات المتحدة تقوم بادارتها شركة تجارية كبيرة تسمى « ويسترن يونيون » اي انها ليست حكومية . ودائرة البرق هنا أشبه بالبورصة ايضاً . (المترجم)

هناك ، حيث يجب ان يكونوا ، ويعرفون بالذي يجري . واذا لم آخذ بنصيحتهم ، فما الداعي لأن ادفع لهم عشرة دولارات كل شهر ؟ فخرجت ، ثم تذكرت فعدت وارسلت البرقية : « الكل بخير . ك ستكتب اليوم . »

قال موظف البرق : « ك ؟ »

قلت : « نعم ، ك . الا تستطيع ان تنهجا ك ؟ »

فقال : « اردت ان اؤكد . »

قلت له : « ابرقها كما كتبته وانا اضمن لك تأكيدك . ابرقها مع تحصيل الاجرة من المرسل اليه . »

قال الدكتور رايت وهو يتطلع من فوق كتفي : « ما الذي تبرقه ، يا جاسن ؟ ابرقية بالشفرة للشراء ؟ »

فقلت : « لا عليك . استعملوا حكمتكم انتم . فانكم تعرفون عن الموضوع اكثر مما يعرف اولئك الجالسون في نيويورك . »
قال : « طبعاً . وقد كسبت شيئاً من المال هذه السنة بمقدار سنتين في الرطل . »

ثم جاء تقرير آخر . هبوط بنقطة .

فقال هوبكنز : « جاسن يبيع . انظر الى وجهه . »

فقلت : « ليس من شأنكم ما فعله . ما عليكم الا ان تتبعوا حكمكم في الامر . واغنياء اليهود في نيويورك لا بد لهم من ان يعيشوا كغيرهم من خلق الله . »

عدت الى المخزن ، حيث وجدت ايرل مشغولاً عند الواجهة . فذهبت الى المئذنة وقرأت رسالة لورين . «عزيزي حبوبي ليتك هنا . اذا لم يكن حبوبي عندي فن ابن لي سهرات طيبة ، انا مشتاقة جداً لحبوبي . » مشتاقة بالطبع . اعطيتها في المرة الاخيرة اربعين دولاراً . وضعتها في يدها . من دأبي الا أعد امرأة بشيء ، وألا اجعلها تتوقع

ما الذي سأعطيها . هذه هي الطريقة الوحيدة للسيطرة عليهن . اتركهن دائماً في حيص بيص . واذا لم تعرف كيف تفاجهن ، فاكسر لهن حنكاً بن الحين والآخر .

مزقت الرسالة وحرقتها في المبصرة . من شرعتي ألا احتفظ بقصاصة تحمل خط امرأة ، وألا اكتب الى امرأة ابداً . ان لورين تصر دائماً على كتابتي اليها ولكنني اقول لها ان كان هناك ما نسيت ان اقله لك فبامكاني ان اوفره لي ان اجيء الى ممفيس مرة اخرى ، ولكنني اقول لها بامكانك ان تكتبي لي بين حين وآخر في غلاف عادي ، اما اذا حاولت ان تخبريني بالتلفون، فوالله لن ادع لك موطيء قدم في ممفيس . عندما اكون عندك فأنا واحد من الجماعة، اما في بلدي فلن اسمح لامرأة بأن تتصل بي تلفونياً . وهنا اعطيها اربعين دولاراً واقول لها : اذا سكرت يوماً او خطر لك ان تخبريني بالتلفون ، تذكرني هذا الكلام وعدتي العشرة قبل ان تتورطي .

فتقول : « ومتى يكون ذلك ؟ »

فأقول : « ماذا ؟ »

تقول : « متى ستعود ؟ »

فأقول : « سأخبرك في حينه . » وعندها حاولت ان تشتري زجاجة بيرة ، فلم ادعها، وقلت : « احتفظي بنقودك . اشترى لك ثوباً بها . » واعطيت الخادمة ورقة الخمسة ايضاً . فالتقود في الواقع ، كما اقول دائماً ، ليست بذات قيمة . والمهم ان تعرف كيف تنفقها . وهي ليست مالاً لأحد ، فلماذا نخزنها ؟ انها ليست مالاً الا للذي يستطيع تحصيلها وحفظها . ففني جفرسن ، هنا ، رجل جمع اموالاً طائلة ببيع بضائع فاسدة للزواج ، كان يقيم في غرفة فوق دكانه بحجم حظيرة الخنزير ، ويطبخ طعامه بنفسه . ومنذ اربع او خمس سنوات وقع مريضاً . فأخذه الرعب لمرضه واشتد به الملح حتى انه ، حال شفائه ، انضم الى الكنيسة

واشترى لنفسه تبشيرية في الصين بخمسة آلاف دولار سنوياً . كثيراً ما
اتصور الغضب الذي سيعصف به ان هو مات واكتشف ان لا جنة في
الآخرة ، ويتذكر الخمسة آلاف دولار سنوياً ! واني اقول ، خير له
ان يموت الآن ويوفر نقوده .

عندما احترقت الرسالة تماماً همت بدس الرسائل الاخرى في جيبى
ولذا بهاتف فجائي يحثني على فتح الرسالة الموجهة الى كونتن قبل عودتي
الى البيت ، غير ان ايرل في تلك اللحظة اخذ يصيح من عند الواجهة
وينادي ، فوضعتها جانباً وذهبت لأخدم واحداً من ذوي الرقاب الحمراء*
كان - قاتله الله - قد بدد خمس عشرة دقيقة في تقرير امره بين طوق
حصان بعشرين سنتاً وآخر بخمسة وثلاثين .

فقلت : « خير لك ان تأخذ هذا الطوق القوي . كيف يا قوم
تؤملون في التقدم وانتم تحاولون استعمال أرخص العدد ؟ »
فقال : « اذا كان هذا الآخر غير قوي ، فلم تعرضه على الناس
للبيع ؟ »

قلت : « لم اقل إنه غير قوي . انما قلت ان الآخر أقوى منه . »
قال : « وكيف تعلم ان هذا اضعف من ذاك ؟ هل استعملت
يوماً احد النوعين ؟ »

قلت : « لأن هذا سعره عشرون سنتاً وذاك خمسة وثلاثون . وهكذا
استطيع التمييز بينهما . »

فأخذ طوق العشرين سنتاً بإحدى يديه وسحبه بين اصابعه ، ثم قال :
« اعتقد اني سأخذ هذا . » وأردت ان آخذه وارزمه ، غير انه لفه
ووضعه في جيبه . وبعد ذلك أخرج كيس تبغ وبعد التي واللتيا نجح
في حله ونفض منه بعض قطع النقد ، وسأمني ربعاً وهو يقول « أما
بالخمسة عشر سنتاً الاخرى ، وهي الفرق بين الاثنين ، فأستطيع أن

* من التسميات التي كانت تطلق على الفلاحين أيامئذ : « الرقاب الحمراء » . (المترجم)

اشترى طعاماً للعشاء . »

قلت : « لا بأس . انت ابو الفهم . ولكن ارجو ألا تأتيني في العام المقبل متشكياً حين تريد شراء عدة جديدة لحصانك . »
فقال : « لم انتج غلة العام المقبل بعد ، والحمد لله . » وفي النهاية تخلصت منه ، ولكن كلما اخرجت تلك الرسالة حدث امر جديد . لقد جاء الناس جميعاً الى البلدة لمشاهدة السيرك ، جاءوا زرافات لينفقوا نقودهم على أمر لن يدخل منه للمدينة شيء ولن يترك لها شيئاً إلا المبالغ التي سيتقاسمها فيما بينهم هؤلاء المرتشون في دائرة رئيس البلدية ، وإيرل يروح جيئة وذهاباً كدجاجة في القن قائلًا : « نعم يا سيدتي ، السيد كمبسن سيغني بأمرك . يا جاسن ، أر هذه السيدة مضخة ، أو علاقات ببضعة فلوس . »

على كلٍّ ، ان جاسن يحب العمل . كنت أقول ، لا ، لم تتح لي فوائد الدراسة الجامعية لأنهم في هارفرد يعلمون المرء كيف يسبح في الليل دون ان يعرفوا السباحة وفي جامعة « سيواني » لا يعلمون المرء حتى ما هو الماء . وكنت اقول لعلكم ترسلونني الى جامعة الولاية ، فأتعلم فيها كيف اوقف ساعتي بمضخة الرش ، ولعلكم بعد ذلك ترسلون « بن » الى البحرية أو فرقة الخيالة ، فهم يستخدمون الحصيان في الخيالة . ويوم ارسلوا كونتن ايضاً الى بيتنا لكي اطعمهما قالت لا ريب ان ذلك حق ايضاً ، فبدلاً من ان اضطر انا الى السعي قصياً في الشمال بحثاً عن وظيفة ، يرسلون الوظيفة الي هنا وعندها بدأت امي تبكي فقلت لا تخالي انني اعترض على وجودها هنا ، بل لا مانع لدي إن كنت تريدني ، من ان أترك العمل وانفرغ لحضانتها بنفسي وأجعلك انت ودلزي تعملان لتبقيا على امتلاء كيس الطحين في البيت ، وبنجي . أجره لاحدى الفرق ؛ فهناك أناس ولا ريب يستعدون لدفع عشرة بنسات للتفرج عايه . فاشد عند ذاك بكاءها وراحت تردد يا طفلي المسكين لقد ابتلاك الله

يا طفلي المسكين، فقلت سيكون لك عوناً حين يكبر ويشتد عوده فهو لا يزيدني قامةً الآن الا بمقدار مرة ونصف مرة فقلت انها ستموت قريباً ف نكون كلنا عندئذ احسن حالاً ، فقلت طيب ، طيب ، كما تشائين . انها حفيدتك هناك الله بها وهل لها جدة أخرى تعرف بالتأكيد انها حفيدها ؟ ولكن المسألة مسألة زمن . فإن كنت تعتقدين ان أمها ستنفذ قولها ولا تحاول رؤيتها فانك انما تخدعين نفسك، ففي المرة الأولى عندما كانت أمي تردد وتقول الحمد لله الذي لم يجعلك من آل كمبسن الا بالاسم، اذ لم يبق لي في الدنيا الآن سواك ، سواك انت وموري ، وقلت اني لا اريد تحميل خالي موري مؤونة نفسي ، وعندها أتوا وقالوا انهم مستعدون للبدء . فتوقفت امي عن البكاء ، واسدلت نقابها على وجهها ونزلنا الى الطابق الأسفل . فرأيت خالي موري يخرج من غرفة الطعام ومنديله على فمه . فانتظموا في صفين جاعلين بينهما ممراً وخرجنا الى الباب في اللحظة التي رأينا فيها دلزي تطرد بن وتي بي ليحتجبا في المنعطف . نزلنا الدرج وركبنا العربا . وخالي موري يكرر « مسكينة اختي الصغيرة ، مسكينة اختي الصغيرة » متكلماً من حول فمه وهو يربت على يدي أمي . متكلماً من حول شيء ما في فمه .

وقالت أمي : « هل لبست شريطك الاسود ؟ لماذا لا يتحركرن قبل ان يخرج بنجامين ويأتينا بمشهد يلفت انظار الناس ؟ ابني المسكين . انه لا يعرف ، ولا يستطيع ان يدرك . »

فيقول موري ، وهو يربت على يدها ، متكلماً من حول فمه : « لا بأس . لا بأس . ذلك خير له . وليبق غافلاً عن الفجيعة الى ان يحين له ان يدركها . »

قالت امي : « للنساء الأخريات اولاد يكونون سنداً لمن في ملات كهذه — أما أنا — »

قال خالي موري : « لديك جاسن وأنا . »

قالت أمي : « انها نكبة مريعة لي . ان افقد كليهما في اقل من

سنتين . »

فقال : « صبراً ، صبراً جميلاً . » وبعد قليل مد يده فيما يشبه
الجلسة الى فمه واسقط منه شيئاً من النافذة . وعندئذ علمت ما الذي كنت
اشتمه . عروق قرنفل ! يظهر انه حسب ان اقل ما ينبغي عليه فعله
في ماتم ابني هو ان يشرب او لعل « البوفيه » ظنت انه ابني فأغرته
بها عندما مرت بها . وكما اقول دائماً ، لئن كان عليه ان يبيع شيئاً
لارسالة كونتن الى هارفرد فاننا جميعاً نكون افضل حالاً بكثير لو انه
باع تلك « البوفيه » بمحتوياتها واشترى لنفسه بعض النقود سترة حديدية
تغله ذات ذراع واحدة . ويخيل اليّ ان السبب في ان مزايا آل كمبسن
نفدت كلها قبل ان تدركني هو انه شربها كلها . فأنا لم اسمعه قط
يتحدث عن رغبته في بيع اي شيء ليرسلني الى هارفرد .

وهكذا راح يربت على يدها قائلاً « مسكينة اختي الصغيرة » ، يربت
على يدها باحد القفازين الاسودين اللذين جاءتنا قائمة الحساب بهما بعد
ذلك بأربعة ايام لأن اليوم كان السادس والعشرين من الشهر ، لانه كان
نفس اليوم من احد الاشهر عندما ذهب ابني هناك واحضر الطفلة ورفض
ان يقضي بشيء عن مكان امها وامي تبكي وتقول : « اذن لم تحاول
ان تراه ؟ لم تحاول ان تجربه على ترتيب ما يقوم بأودها ؟ » وأبني
يقول : « كلا لن اسمح لها بأن تمس فلساً واحداً من ماله » وأمي
تقول : « ولكن يمكن ارغامه عن طريق المحكمة . وهو لن يستطيع
ان يثبت شيئاً الا اذا - يا جاسن كمبسن ! هل كنت من الغباء
بحيث تجربه - »

فقال ابني : « صه يا كارولايين ، » وارساني لكي اساعد دلزي
على انزال ذلك المهد العتيق من غرفة المخزن ، وقات :
« عظيم والله . لقد حملوا لي وظيفة الى البيت هذه الليلة ، » ذلك

اننا بقينا طيلة الوقت نأمل في ان تصطلح امورها معه فيأخذها الى بيته ،
ولأن امي راحت تردد ان ابنتها ستحترم سمعة العائلة فلا تعرض فرصة حياتي
للخطر بعد ان فعلا هي وكونتن ما فعلاه بفرصتي حياتهما .

قالت دلزي : « وهل تنتمي الّا لهذا البيت ؟ ومن يربّيها سواي ؟
ألسنت انا التي ربيتكم جميعاً ؟ »

فقلت : « خزيت عين من يحسدنا على تربيتك . على كل ، سيكون
لها ما تعلق عليه الآن . » وهكذا حملنا السرير وأنزلناه وطفقت دلزي
تهيه في غرفة امها القديمة . وعندها انخرطت امي في نشيج مسموع .

فقالت دلزي : « صه ، يا ست كارولان . لئلا توقظيها . »
قالت امي : « اهنأك تضعينها ؟ لتصاب بالعدوى من ذلك الجو ؟
اما كفانا ما ورثت عن أمها . »

قال ابي : « صه ، لا تكوني سخيفة . »
فقالت دلزي : « ولمّ لا تنام هنا ، في نفس الغرفة التي كنت أنوم
فيها أمها كل ليلة من حياتها قبل ان تكبر فتنام بمفردها ؟ »
قالت أمي : « انت لا تعرفين . ما أفتلع ان ينبذ ابنتي زوجها ،
ابنتي أنا . » ثم نظرت الى كونتن وقالت : « أيتها الطفلة البريئة
المسكينة . لن تعرفي مبالغ ما سببت من ويلٍ وألم . »

فقال أبي : « صه يا كارولان . »
وقالت دلزي : « ولماذا تفعلين ذلك لجاسن ؟ »
قالت امي : « لقد أردت ان أقيه ذلك . لقد كنت دائماً اريد ان
أقيه ذلك . فعليّ الآن ، على الأقل ، ان اسعى جهدي لحمايتها . »
قالت دلزي : « ولكن اريد ان أعرف كيف يؤذيها النوم في هذه

الغرفة . »

قالت أمي : « وكيف أغير طبعي ؟ اعلم اني عجوز كثيرة الازعاج
والمشاكل . ولكنني اعلم ايضاً ان من يسخر من شريعة الله لن ينجو من

القصاص . »

قال ابي : « كلام فارغ . اذن ضحي السرير في غرفة الست كارولايين ، يا دلزي . »

قالت امي : « لك ان تقول : كلام فارغ ، أما هذه الطفلة فيجب ألا تعرف ابداً . يجب ألا تسمع ذلك الاسم . دلزي ، اني امنعك منعاً باتاً من ان تتلفظي بذلك الاسم على مسمعها . ولو كان بوسعها ان تكبر دون ان تعلم ان لها امأ ولدتها ، لحمدت الله . »

فقال ابي : « لا تكوني غبية . »
فقالت امي : « لم اتدخل قط في الطريقة التي ربيتهم انت عليها . اما الآن فلان اقف جانباً مكتوفة اليدين . وعلينا ان نقرر ذلك الآن ، هذه الليلة . إما ألا يتلفظ احد بذلك الاسم على مسمع منها ، او انها تذهب من هنا ، او اذهب انا . اختر ما تشاء . »

فقال ابي : « صه . انك مضطربة . هذا كل ما هناك . ضحي السرير هنا يا دلزي . »

قالت دلزي : « وانت ايضاً تكاد تكون مريضاً . لونك شاحب . فاذهب الى الفراش ، وسأهني لك كأساً من « التودي » الحار لعلك تنام . اراهن على انك لم تم ليلةً بكاملها منذ ان ذهبت . »
فقالت امي : « لا ، ألا تعرفين ماذا يقول الطبيب ؟ لم تشجعيه على الشرب ؟ هذه علته . انظري إلي . انني انا ايضاً اقاسي ، غير انني لست من الضعف بحيث اصرّ على قتل نفسي بالويسكي . »

فقال ابي : « هراء . ما الذي يعرفه الأطباء ؟ انهم يسترزقون بنصح الناس بأن يفعلوا كل ما لا يفعلونه في تلك اللحظة ، وهذا اقصى ما يعرفه اي انسان عن القرد المنحط . لعل خطوتك التالية هي ان تستدعي قسيساً ليمسك بيدي . » فجعلت امي تبكي ، وخرج ابي . نزل الى الطابق الأسفل ثم سمعتُ البوفيه . واستيقظت وسمعتَه يهبط الدرج

مرة اخرى . يبدو ان امي كانت قد نامت ، لأن الهدوء اخيراً حل في البيت . وهو ايضاً كان يحاول ان يبتقي على الهدوء لأنني لم اقدر ان اسمعه ، وكل ما وقعت عيني عليه هو حاشية قيص نومه وساقاه العاريتان امام البوفيه .

هيأت دلزي السرير ونزعت ثياب الطفلة ووضعتها فيه . ولم تكن قد افادت منذ ان اتى بها الى البيت .

قالت دلزي : « تكاد تكون اكبر من السرير ، استريحى الآن . سأفرش لي وطاء في البهو هنا ، لكي لا تضطري الى النهوض في الليل . »
قالت امي : « لن انام ، اذهبي الى بيتك . لن ابالي . وسيسعدني ان اوقف بقية ايامي عليها ، على ان امنع - »

قالت دلزي : « كفى ، كفى ، سنغنى بها . » ثم التفتت الي وقالت :
« وانت ، عليك بفراشك . يجب ان تذهب الى مدرستك غداً . »

فخرجت ، غير ان امي نادتني فعدت اليها ، فاحتضنتني وبكت فترة . وقالت : « انك املي الوحيد . واني لأحمد الله عليك كل ليلة . »
وفيما كنا هناك نتظرهم ليبدأوا ، قالت ان كان قد كتب عليّ ان افقده هو ايضاً فاني احمد الله على ان الذي بقي لي منهم هو انت لا اخوك كوئن . انك لست من آل كمبسن والحمد لله ، ولم يبق لي في الدنيا سواك انت وموري ، فقلت اني لا اريد تحميل خالي موري مؤونة نفسي . على كل ، ظل يربت على يدها بقفازه الأسود ، ويتحدث مشيحاً بوجهه عنها . وقد نزع القفازين عندما جاءه الدور للحفر بالمسحاة . ثم مضى ووقف قرب الاول ، حيث كانوا يمسكون بالمنظلات فوق رؤوسهم ويحبطون بأقدامهم بين الحين والحين ليتطاير الطين عنها ويتشبثون بالمساحي ليهيلوا بها التراب ، فيحدث صوتاً اجوف كلما وقع عليه ، وعندما تراجعت وانعظمت حول العربة وجدته خلف احد القبور يجرع جرعة اخرى من زجاجة في يده . وقد خيل اليّ انه لن يكفّ لأنني

انا ايضاً كنت لابساً بذلتي الجديدة ، ولكن اتفق ان الطين لم يكن بعد قد تراكم على العجلات ، غير ان امي رأت ذلك وقالت لست ادري متى ستوفر لك بذلة اخرى وقال خالي موري : « لا يقلقن لك بال . اني هنا لتعتمدي عليّ ، دائماً وأبداً . »

وقد اعتمدنا عليه . دائماً وأبداً . كانت الرسالة الرابعة منه ، ولكن لم تكن بي حاجة الى فتحها . فبامكاني ان اكتبها بنفسي ، او اتلوها لها عن ظهر قلب ، مضيفاً عشرة دولارات ، للاطمئنان . ولكنني هجست بمحتوى الرسالة الاخرى . فقد شعرت ان الوقت قد حان لها لأن تقوم باحدى الاعيها من جديد . فقد فتحت عينيها وانتهت جيداً بعد المرة الاولى تلك . واكتشفت في الحال انني من فصيلة غير فصيلة والدي . فعندما اخذ القبر يمتلىء تراباً انخرطت امي بالبكاء بالطبع ، فركب خالي موري العربة معها ، وسارت بهما ، بعد ان قال لي ، بامكانك ان تأتي مع بعضهم ؛ فهم لن يترددوا في اعطائك مكاناً في عرباتهم . اما انا فعلياً ان آخذ املك الى البيت ، وخطر لي عندها ان اقول : « كان عليك ان تأتي . بزجاجتين بدلاً من واحدة » غير انني احترمت المكان الذي نحن فيه ، وتركتها يذهبان . لم يكثرنا قط لابل الذي كنت فيه ، والا لاضطربت امي واقامت الدنيا خشية ان اصاب بذات الرئة .

على كل ، جعلت أفكر بالقبر وارقبهم يقذفون بالتراب فيه ، هيلونه كيفما اتفق كأهم يصنعون طيناً او يبنون سياجاً ، فانتابني أحاسيس غريبة ، وعزمت على التمشي قايلاً . وقالت ان انا مشيت في اتجاه المدينة لحقوا بي وحاولوا ان يحملوني معهم ، فتوجهت نحو مقبرة الزوج . ووقفت تحت أرزة احتمي بها من المطر ، فلما كنت اتلقى منه الا قطرات ، ومن هناك رحت ارقبهم ربما يفرغون من عملهم ويذهبون . وبعد مدة ذهبوا جميعاً فانتظرت دقيقة ثم خرجت .

كان علي ان اسير في الممر لأتجنب العشب الليل ولذا فاني لم ارها

الى ان كدت ابلغ هناك،حيث وقفت في عباءة سوداء تنظر الى الزهور.
فعلمت في الحال من هي ، قبل ان تستدير وتنظر الي وترفع نقابها .

قالت وهي تمد يدها : « هلو ، جاسن . » وتصافحنا .

وقالت : « ما الذي تفعلينه هنا ؟ ألم تعديها بأنك لن تعودى الى هنا؟
كنت احسبك اعقل من ذلك . »

فقالت : « صحيح ؟ » وتأملت الزهور ثانية . لقد كان ثمة منها
ما يساوي خمسين دولاراً . وقد وضع بعضهم باقة على قبر كونتن .
وقالت : « أصبح كنت تحسب ذلك ؟ »

قلت : « ولكنني لن ادهش . لانني اعرف انك لن تتورعي عن
شيء . لا تأبهين لاحد ، ولا تكثرين لانسان . »

فقالت : « اوه ، قضية الطفلة . » ونظرت إلى القبر . « اني آسف
لها يا جاسن . »

قلت : « لا شك . انك تتكلمين الآن بتواضع ولطف . ولكن لماذا
عدت ؟ لم يبق شيء . أسألي خالي موري ان كنت لا تصدقيني . »
قالت : « أنا لا اريد شيئاً » ونظرت الى القبر . ثم قالت : « لماذا
لم يخبروني ؟ لقد رأيت الخبر بمحض الصدفة في الجريدة . في الصفحة
الاخيرة . بمحض الصدفة . »

لم اقل شيئاً . ووقفنا هناك وعيوننا شاخصة الى القبر،وعندها جعلت
اتذكر ايام كنا صغاراً ومرت ببالي الحواطر حتى انتابتنى احاسيس غريبة
مرة اخرى ، اشبه ما تكون بالغضب اذ جعلت افكر في اننا منذ اليوم
سنجد خالي موري معنا في المنزل طول الوقت ، يتحكم بالأمور كما فعل
منذ لحظات حين تركني لأعود وحدي الى البيت في المطر . فقلت :

« كأنك فعلاً تهتمين ، ففتسللين راجعة الى هنا حال موته . ولكن
لا تتوقعي من ذلك اي نفع . لا تظني ان بوسعك ان تستغلي هذا الطرف
فتسللي عودة الى البيت . اذا عجزت عن البقاء على حصانك ، فعليك

بالسير على القدم » ، قلت لها . « ففي بيتنا لا نعرف حتى اسمك .
 اتعلمين ذلك؟ ولا نعرفك ولا نعرفه او نعرف كونتن ، اتعلمين ذلك؟ »
 قالت ، وهي تتأمل القبر : « نعم ، اعلم ذلك ان ربت لي امر
 رؤيتها دقيقة اعطيتك خمسين دولاراً . »

قلت : « وهل لديك انت خمسون دولاراً ؟ »

قالت : « اتوافق ؟ »

قلت : « ارني اياها . انا لا اصدق ان لديك خمسين دولاراً . »
 ورأيت يديها تتحركان تحت عباةها ، ثم مدت يدها . لعني الله ان
 لم تكن مائة بالنقود . واستطعت ان ارى ورقتين صفراوين او ثلاثاً .
 فقلت : « اما زال يعطيك نقوداً ؟ ما المبلغ الذي يرسله اليك ؟ »
 قالت : « سأعطيك مئة ، أتوافق ؟ »

قلت : « مهلاً ، قلت لك انني لن اجعلها تعرف من انت حتى ولو
 اعطيتني الف دولار . »

قالت : « لا بأس ، رتب الأمر كما تريد . كي يستطيع مجرد
 رؤيتها لدقيقة . ولن اتوسل او ألح . بل انصرف في سبيلي . »
 فقلت : « اعطيني النقود . »

قالت : « اعطيك اياها فيما بعد . »

قلت : « الا تثقين بـي ؟ »

قالت : « كلا . اني اعرفك . لقد نشأت معك . »

فقلت : « شيء رائع ان تتحدثي انت عن الثقة بالناس ! طيب ،
 يجب ان احتمي من هذا المطر . وداعاً . » وهممت بالانصراف .
 فقالت : « جاسن . » فوقفت .

وقلت : « نعم ؟ اسرعي ، فقد تبللت . »

قالت : « لا بأس . هلك . » لم يكن احد يَرى حولنا . فعدت
 واخذت النقود . غير انها ظلت متمسكةً بها ، وقالت : « كما اتفقنا؟ »

وهي تنظر اليّ من تحت نقابها . « أتعد ؟ »

فقلت : « افلتي . اتريدين ان يأتي احد ويرانا ؟ »

فأفلتت النقود ، ووضعتها في جيبي . قالت : « أتفعلها يا جاسن ؟

لو كانت هناك اية طريقة اخرى لما طالبت هذا منك . »

— « انت والله على حق . ليست هناك اية طريقة اخرى . وسأفعلها

طبعاً . ألم اقل انني سأفعلها ؟ ولكن عليك ان تفعلي كما اوصيك ،

أفهمت ؟ »

قالت : « نعم ، سأفعل . » فأخبرتها اين تنتظر ، وذهبت مسرعاً

الى اسطبل مؤجر الخيل والعربات ، وبلغت المكان وهم يحلون الحصانين .

فسألته ان كان قد تسلم نقوده بعد من اهلي ، فأجاب كلا فقلت لقد

نسيت والديتي شيئاً ، ولذا فانها تريد العربية ثانية ، فسمحوا لي بها .

وكان الحوذي « منك » ، اشتريت له سيجاراً ، فراح يسوق العربية

هنا وهناك الى ان اظلمت الدنيا في الشوارع الخلفية حيث لن يمكن لأحد

ان يتبينه . عندئذ قال « منك » ان عليه ان يعود بالحصانين ، فقلت

له انني سأشتري له سيجاراً آخر . وهكذا نزلنا في الزقاق ومشيت عبر

الفناء الى البيت . وقد وقفت في البهو الى ان طرق سمعي صوت أمي

وخالي موري في الطابق الاعلى ، فيممت شطر المطبخ . فوجدتها هي

وبن مع دلزي . فقلت ان امي تريدتها وأخذتها الى داخل البيت ، حيث

وجدت معطف خالي المطري فكسوتها به وحملتها وعدت الى الزقاق فالعربة ،

وقلت لمنك ان يسوق بنا الى المستودع . وقد خشي المرور بالاسطبل ،

فكان علينا ان نطرق الطريق الخلفي ورأيتها واقفة عند المنعطف تحت

النور فطلبت الى منك ان يسوق العربية قريباً من الرصيف فاذا ما قلت

له : انطلق ، فان عليه ان يهوي بالسوط على حصانيه . وعند ذاك

رفعت المعطف عن الطفلة وامسكت بها في نافذة العربة فرأيتها كادي واذا

بها تطفر نحونا .

قلت : « اضرب ، يا منك ! » فهوى منك بسوطه عليهما ومررنا
بها بسرعة عربية الاطفائية . وصحت : « والآن اذهبي واركبي ذلك
القطار كما وعدتني . » ورأيتها من النافذة الخلفية تركض في اثرنا ، وقلت :
« اضرب ثانية يا منك ! ولنعد الى البيت . » ولما انعطفنا كانت ما
تزال تركض في اثرنا .

وهكذا احصيت النقود مرة اخرى تلك الليلة ووضعتها في مكانها ،
وشعرت بشيء من الاطمئنان . وقلت اتصور انك تدركين الآن من أنا .
اتصور انك تدركين الآن انك لا تستطيعين ان تحرمني الوظيفة وتتخلصي
من العواقب . ولم يخطر ببالي قط انها لن تفني بوعدها بشأن ركوب ذلك
القطار . الا انني لم اكن اعرف الكثير عنهن أيامئذ ، وكنت من
الحماقة بحيث اصدق كل ما يقان . ولكن لعنني الله ان لم ارها صباح
اليوم التالي تدخل الدكان ، وان تحتط للأمر فتلبس النقاب ولا تخاطب
احداً . كان صباح احد ايام السبت ، لانني كنت في الدكان ، وتقدمت
بخطي سريعة من المنضدة التي في المؤخرة ، حيث كنت .

قالت : « كذاب كذاب . »

فقلت : « هل جئنت ؟ ماذا تقصدين بمجيئك هنا على هذا النحو ؟ »
فانطلقت ، غير انني سددت عليها منافذ الكلام . وقلت : « لقد سبق
وان افقدتني وظيفة واحدة ، افتردين لي ان افقد هذه ايضاً ؟ ان
يكن لديك ما ترومين ان تقولي لي ، لاقينك في مكان ما بعد هبوط
الظلام . وماذا لديك لتقولي ؟ ألم انفذ كل ما وعدتك به ؟ ألم اقل
تربنها لدقيقة ؟ ألم تربها لدقيقة ؟ » غير انها وقفت ازائي تنظر اليّ ،
وترجف كالمحموم ، ويدها مقبوضتان تنتفضان . فقلت : « لقد بررت
بما وعدت ، لا اكثر ولا اقل . وما الكاذب الا انت . لقد وعدتني
بأن تستقلي ذلك القطار ، أليس كذلك ؟ ألم تعدي ؟ فان كنت تظنين
ان بوسعك ان تسترجعي تلك النقود ، فما عليك الا ان تجربي ، وحتى

لو كان المبلغ ألف دولار ، لبقيت مدينةً لي بعد المجازفة التي جازفتها .
فاذا وجدت او سمعت انك ما زلت في هذه البلدة بعد ان يسير القطار
رقم ١٧ ، فاني سأخبر امي وخالي موري . فاحبسي انفسك اذن الى
ان تريها مرة ثانية . » وما زادت على ان ظلت واقفة ازايتي ، تحدجني
بنظراتها ، وتندق كفاً بكف .

وقالت : « لعنك الله ، لعنك الله . »

فقلت : « لا بأس ، لا بأس ابداً . ولكن تذكرني ما قلته لك .

بعد القطار ١٧ ، سأخبر من في البيت . »

بعد ذهابها ، اصبحت احسن حالاً . وقلت لا ريب انك ستفكرين
بالامر مرتين قبل ان تحرميني وظيفة وُعدتُ بها . كنت صبيّاً آنذا ،
اصدق الناس كلما قالوا انهم سيفعلون شيئاً ما . ولكنني زدت ادراكاً
منذ ذلك الحين . وفضلاً عن ذلك فاني ، كما اقول دائماً ، لست
بحاجة الى معونة من احد لكي اتقدم في الحياة وبوسعي ان اقف على
قدمي كما وقفت دائماً . وفجأةً فكرت بدلزي وخالي موري ، وكيف
انها تستطيع اللعب بعواطف دلزي وان خالي يستعد لاتيان اي شيء لقاء
عشرة دولارات . وهذا انا ، مقيد بهذا المكان لا استطيع التخلص من
المخزن لحماية امي التي ولدتني . والتي كانت دائبة القول « ان كان علي
ان افقد احداً منكم ، فاني احمد الله على انه ابقاك انت لي فبوسعي
الاعتماد عليك » فأقول لا أظنني سأستطيع يوماً ان ابتعد عن الدكان بحيث
لا تدركني يداك . وبالطبع ، لا بد لأحدٍ منا ان يتشبث بالقليل الذي
قد تبقى لنا .

وهكذا ، حالما عدت الى البيت ، تدبرت امر دلزي . فقلت لها انها
مصابة بالبرص واتييت بالتوراة وقرأت فيها ما تقوله عن لحم الانسان اذ
يتفسخ ويتساقط وقلت لها ان هي نظرت اليها يوماً ، او نظر اليها بن
أو كوتنن ، فان البرص سيصيبهم ايضاً . وهكذا حسبت انني دبرت

كل شيء حتى جاء ذلك اليوم الذي عدت فيه الى البيت ووجدت بن يعيط . كان يصرخ ويجار وما من احد يستطيع تهدئته . فقالت امي : طيب اذن ، أعطوه الخف . فتظاهرت دلزي بعدم السماع . فأعادت امي القول وصحت أنا قائلاً انني لا استطيع ان اتحمل ذلك الصراخ . وكما اقول دائماً ، بوسعي ان اتحمل اشياء كثيرة ولا أتوقع الكثير من أحد ولكن حين أعمل طيلة النهار في مخزن لعين أفلا استحق شيئاً من الهدوء والسكينة أتناول فيها عشائي . واذا قلت انني ذاهب قالت دلزي على عجل : « جاسن ! »

وفي لمح البصر أدركت ما حدث ، ولكن لكي أستوثق من ذلك ذهبت واتييت بالخف ، فاذا به حالما وقعت عيناه على الخف ، يجار ، كما توقعت بالضبط ، كأننا هويننا عليه تقتيلاً . فأجبرت دلزي على الاعتراف ، ثم أخبرت امي . وقد كان علينا وقتئذ ان نصعدنا الى فراشها ، وبعد ان هدأت الأمور قليلاً أقحمت مخافة الله في دلزي . بقدر ما يمكن للمرء ان يفعل شيئاً من هذا القبيل مع هؤلاء الزوج . وهذا هو المزعج في الخدم الزوج ، فهم بعد ان يقضوا معك سنين طوالاً ، يمتثلون زهواً الى ان تبطل منهم كل فائدة ، ويحسبون انهم يصرفون شؤون الاسرة كلها .

فقالت دلزي : « اود لو أعرف ما المانع في السماح لتلك البنية المسكينة بأن ترى طفلتها . لو كان والدك المرحوم معنا لاختلف الامر ، والله . »

قلت لها : « ولكن والدي ليس معنا . انا اعرف انك لا تأبهين لمشيئتي ، ولكن أغلب الظن انك ستصعدين بأمر امي . انك لتستمرين بإقلاقها على هذا النحو الى ان تقبرها هي ايضاً ، وحينئذ تملأين البيت كله بكل نفاية ومتاع خدق . ولكن لماذا سمحت لتلك البلهاء اللعينة برؤيتها ؟ »

قالت : « انك رجل من حجر يا جاسن ، إن كنت رجلاً . احمد الباري على ان في صدري قلباً يعطف ، وإن يكن أسود اللون . »
قلت : « اني على الاقل رجل يستطيع ان يبقي على امتلاء ذلك الكيس بالطحين ، فاذا فعلت ذلك ثانية ، فوالله ان تأكلي منه ابدأ . »

وهكذا اخبرتها ، في المرة التالية ، انها ان هي حاولت ان تتحايل على دلزي مرة اخرى ، فان امي ستطرد دلزي وترسل بن الى جاكسن وتأخذ كونتن وترحل بها . فنظرت اليّ برهة ، غير اننا كنا بعيدين عن مصباح الشارع فلم استطع ان ارى وجهها بوضوح . على انني احسست بأنها تحدق فيّ . ايام كنا صغاراً اذا ما غضبت وعجزت عن فعل شيء ما ، جعلت شفتيها العليا تنطط . وكل نطة تكشف عن المزيد من اسنانها ، فتظل طيلة الوقت ساكنة كأنها عمود من حجر ، لا تتحرك فيها عضلة الا شفتيها العليا المنتفضة صعداً فصعداً على اسنانها . ولكنها لم تقل شيئاً ، سوى :

« لا بأس . كم ؟ »

فقلت : « ان كانت النظرة الواحدة خلال النافذة من عربة تساوي مئة دولار ... » وكانت النتيجة انها أحسنت التصرف بعد ذلك ، ولكنها في احدى المرات طلبت ان ترى تقرير حساب المصرف .

وقالت : « انا أعلم ان امي تجير الصكوك ، الا انني اريد ان ارى تقرير المصرف . اريد ان ارى بنفسي أين تذهب هذه الصكوك . »
قلت : « ذلك من شؤون امي الخاصة . فإن كنت تعتقدين ان لك حقاً في التدخل بشؤونها الخاصة اخبرتها بأنك تعتقدين بأن صكوكك تصرف في غير الوجه الذي تحبين وانك تريدان تدقيق الحساب لأنك لا تثقين بها . »

لم تقل شيئاً ولم تتحرك . إنما سمعتها تهمس لعنك الله لعنك الله اوه لعنك الله .

فقلت : « قوليتها بالقلم العريض . فليس رأيك فيّ ولا رأيي فيك بسرّ . لعلك تريدان استرجاع النقود ؟ »

قالت : « اسمع يا جاسن . لا تكذب علي . بشأنها . لن اطاب رؤية اي شيء . وإذا لم يكن المبلغ كافياً ارسلت اليك مزيداً كل شهر . فقط عدني بانها سوف — بانها — انت قادر على ذلك . ان تفعل لها اشياء — كن لطيفاً معها . الاشياء الصغيرة التي لا يستطيع ، لا يسمحون لي بان ولكنك لن تفعل . ليس فيك قطرة من دم حار . اسمع ، » قالت لي : « إذا اقنعت امي بان تسمح لها بالعودة إلي ، اعطيتك الف دولار . »

فقلت : « ومن اين لك الف دولار ؟ اني اعرف انك تكذبن . » قالت : « لدي الف دولار . ستكون لدي . استطيع تحصيلها . » قلت : « اعرف كيف تحصيلها . ستحصلين عليها مثلاً حصلت على طفلتك ، على نفس الغرار . وعندما تنشأ وتكبر — » وإذا ذاك خيل الي انها فعلاً سترفع يدها علي ، ولم اعرف ما الذي ستفعله . فقد تصرفت برهة كلعبة أدير زميلكها فوق ما يطيق فغدت على وشك الانفجار الف شظية .

قالت : « اوه لقد جننت . لقد ضيعت عقلي . لا استطيع اخذها . فاحتفظ بها . ما الذي خطر ببالي يا جاسن ، » قالت ذلك ، وقبضت على ذراعي ، وبداها في حرارة الحمى . « ولكن يجب ان تعدني بالعناية بها ، ب — انها قريبتك ؛ من لحمك ودمك . عدني يا جاسن . لقد لقبّت بلقب ابي ، فهل تظن انني كنت اطلب اليه ذلك مرتين ؟ بل حتى مرة واحدة ؟ »

قلت : « بالضبط ، لقد خلّف لي شيئاً . فما الذي تريدان مني ان افعله ؟ أشتري مربولاً وعربة اطفال ؟ هل انا الذي اوقعتك في هذا المأزق ؟ » قلت لها . « اني اجازف باكثر مما تجازفين ، لأن

ليس لديك انت ما تخشين ضياعه . فإن كنت تتوقعين - «
 فقالت : « لا ، لا . » وأخذت تضحك وتحاول حبس ضحكها
 في آن واحد . « لا ، ليس لدي ما اخشى ضياعه ، » قالتها وهي
 تأتي بذلك الصوت الغريب ، ويداها على فمها . « لا لا لا شيء . »
 فقلت : « اسمعي ! كفي عن ذلك ! »
 قالت : « اني احاول ، » وقد كست فمها بيديها . « يا إلهي ،
 يا إلهي . »

قلت : « سأمضي من هنا . يجب ألا يراني أحد هنا . واخرجني
 من البلدة الآن ، اتسمعين ؟ »

فقالت وهي تمسك بذراعي : « انتظر . لقد كففت . لن افعلها
 ثانية . أتعديني ، يا جاسن ؟ » قالت ذلك وأنا اشعر كأن عينيها تمسّان
 وجهي . « أتعديني ؟ أمي - تلك النقود - اذا احتاجت أحياناً إلى شيء
 ما - اذا ارسلت لك صكوكاً من أجلها ، صكوكاً اخرى بالاضافة
 الى تلك ، اتعطيها لها ؟ ولن تفضحها ؟ وتؤكد من أنها تنال ما تناله
 قريناتها ؟ »

قلت : « لا شك ، ما دمت تتصرفين وتفعلين وفق ما اقول لك . »
 وهكذا ، عندما جاء ليرل الى مقدمة الدكان لابساً قبعته ، قال :
 « سأسرع الى محل روجرز لاتناول وجبة خفيفة . لا أظن ان لدينا وقتاً
 للذهاب الى البيت للغداء . »

فقلت : « ولم لا ؟ »

قال : « بسبب هذا السيرك الذي حلّ في البلدة . سيقدمون حفلة
 بعد الظهر أيضاً ، والكل يريد ان ينتهي من البيع والشراء ليذهب الى
 الحفلة . فالأفضل أن نهرع الى محل روجرز . »

فقلت : « كما تشاء . انها معدتك . ان كنت تريد أن تجعل من
 نفسك عبداً لشغلك ، فليس ذلك من شأني . »

فقال : « أتصور انك لن تجعل من نفسك عبداً لأي شغل .
فقلت : « إلا اذا كان شغل جاسن كمبسن نفسه . »

فلما عدت وفضضت الغلاف لم أدهش إلا لأن ما فيه كان حوالة
بريدية ، لا صكاً . اي والله . لا يستطيع انسان ان يثق بواحدة منهم .
أبعد كل هذه المجازفات . المجازفة بأن تكتشف امي امر مجيئها هنا
مرة او مرتين أحياناً في السنة ، واضطراري الى صنف الاكاذيب اموّه
بها على أمي بشأن ذلك . أياكون الاعتراف بالجميل على هذه الصورة ؟
لا استبعد مطلقاً ان تحاول اعلام دائرة البريد خطياً بالألا تصرف الحوالة
إلاّ لها . أنعطي صبية صغيرة كتلك خمسين دولاراً ؟ أما أنا فلم أرَ خمسين
دولاراً قط حتى بلغت الحادية والعشرين من عمري ، وبقيّة أقراني يعطلون
بعد الظهر من كل يوم وايام السبت بطولها ، وأنا اكدّ في الدكان .
انتي لهم كما اقول ان يتوقعوا السيطرة عليها من أحد ، وهذه أمها
تمدّها بالنقود من خلف ظهورنا ؟ وقد قلت لها إن بيتها هو عين البيت
الذي نشأت فيه ، وتربيتها هي تربيتك بعينها . واحسب ان امي أصوب
حكماً على امورها منك ، انت التي ليس لك حتى بيت تركنن إليه .
وقلت : « اتريدن ان تعطيهما نقوداً ؟ اذن ارسلها الى أمي ، ولا
تعطيهما إياها . فاذا كان لا مناص لي من المجازفة مرة كل بضعة أشهر ،
فعليك ان تفعلي ما أقوله لك ، وإلا وضعتُ حداً للأمر . »

وفيما أنا أهمّ بأن أبدأ - فان يعتقد ايرل انني سأهرول الى الشارع
لالتهم من أجله ما قيمته ربع دولار من سوء الهضم ، فانه جدّ مخدوع .
قد لا أجلس رافعاً قدمي على منضدة من خشب « الموغونو » الفاخر
ولكنني أنال أجراً على ما أفعله داخل المبنى فإذا استطعت ان اعيش
خارجة عيشة متمدنة فإنني ان اذهب إلا حيثما اشتهي . بوسعي ان اقف
على قدمي ، ولست بحاجة إلى منضدة فاخرة من اي انسان لتسندني في
وقتي . وهكذا ، غيا انا أهمّ بأن ابدأ كان علي ان اترك كل شيء

واركض لأبيع فلاحاً احمر الرقبة بضعة مسامير او ما اشبه ذلك بدرهيات قليلة ، بينما كان إيرل يلتهم شطيرة وهو في منتصف طريق عودته ، ولا شك ، واذا بقي اجد ان صكوكي البيضاء قد انتهت كلها . فتذكرت حينذاك أنني كنت قد عزمت على المجيء بكمية جديدة منها، ولكن الالوان قد فاتت ، وما رفعت عيني الا لأرى كونتن تدخل من الباب الخلفي . وسمعتها تسأل ايوب المعجوز ان كنت في الدكان . وبسرعة دسست الرسائل كلها في الدرج واغلقتها .

جاءت إلى المنضدة ، فنظرتُ الى ساعتي وقلت :
« هل انتهيت من الغداء بهذه السرعة ؟ إنها الثانية عشرة تماماً . سمعتها تدق . لا بد انك طرت إلى البيت ذهاباً وإياباً . »
فقلت : « لست ذاهبة إلى البيت للغداء . هل انتني رسالة اليوم ؟ »
قلت : « انتوقعين رسالة اليوم ؟ الديك حبيب يستطيع الكتابة ؟ »
— « من امي . هل انتني رسالة من امي ؟ » قالتها وهي تنظر إلي .
قلت : « لقد وردت فيها رسالة لأمي . ولم افتحها . وعليك بالانتظار إلى ان تفتحها هي . واغلب الظن انها ستطلعك عليها . »
فقلت دون اكتراث لما اقول : « ارجوك يا جاسن . هل انتني رسالة ؟ »

فقلت : « ما الذي دهاك ؟ لم اجدك يوماً تقلقين على احد . لا بد انك تتوقعين نقوداً منها . »
قالت : « لقد قالت انها — ارجوك يا جاسن، هل انتني رسالة ؟ »
قلت لها : « يبدو انك اخيراً ذهبت الى المدرسة ! او الى اي مكان آخر علموك فيه ان تقولي : ارجوك . انتظري دقيقة ربّما اخدم هذا الزبون . »

ذهبت وخدمته . وعندما استدرت لكي اعود كانت قد اختفت وراء المنضدة . فركضت . ركضت حول المنضدة وأمسكت بها وهي تنفض

يدها من الدُرَج . فنزعت الرسالة من يدها بأن جعلتُ ادقَّ عقد اصابعها بالمنضدة إلى ان افلتتها .

وقلت : « أتفعلينها ، أتفعلينها ؟ »

قالت : « اعطني اياها . لقد فتحتها . اعطني اياها . ارجوك يا جاسن . انها رسالتي . لقد رأيت اسمي . »
قلت : « اعطيك طوقاً يلتف على رقبتك . هذا ما سأعطيك اياه . اتعشين بأوراقى ؟ »

قالت وهي تمد يدها لها : « هل فيها نقود ؟ لقد وعدت بأن ترسل إلي شيئاً من النقود . لقد وعدتني . اعطني اياها . »
قلت : « وما لك والنقود ؟ »

قالت : « لقد وعدتني بها . اعطني اياها ، ارجوك يا جاسن . لن اطلب منك شيئاً ابداً بعد اليوم ، اذا اعطيتني اياها هذه المرة . »
فقلت : « سأعطيك اياها ، اذا امهلتني . » فأخرجت الرسالة والحوالة البريدية وناولتها الرسالة . غير انها مدت يدها للحوالة ، دون ان تنظر الى الرسالة . وقلت : « عليك ان توقيعها اولاً . »

قالت : « كم المبلغ ؟ »

قلت : « اقرأي الرسالة ، تعرفي . »
فقرأتها بسرعة ، وبنظرتين اثنتين .

— « انها لا تعين المبلغ ، » قالت ذلك ، رافعة عينيها . واسقطت الرسالة على الارض ، وقالت : « كم المبلغ ؟ »
قلت : « عشرة دولارات . »

قالت ، مبحلة في : « عشرة دولارات ؟ »

فقلت : « اشكري ربك على حصولك عليها . طفلة مثلك . ولم هذا الالحاح كله على النقود فجأة ؟ »
قالتها وكأنها تتكلم في نومها : « عشرة دولارات ؟ عشرة دولارات

فقط ؟ » وحاولت خطف الحوالة من يدي . « انك تكذب علي !
لص ! يا لص ! »

قلت وانا اصدها : « اتريدن خطفها ؟ »
فصاحت : « اعطني اياها ! انها لي . ارسلتها الي . سأراها ،
سأراها ! »

قلت وانا اصدها : « صحيح ؟ وكيف ستريها ؟ »
فقالت : « دعني اراها فقط يا جاسن . ارجوك . ولن اطلب منك
شيئاً ثانية . »

قلت : « التحسين انني اكذب ؟ اذن لن تريها ! »
فقالت : « ولكن عشرة دولارات لا غير ؟ . لقد اخبرني بأنها
- اخبرني - جاسن ، ارجوك ارجوك ارجوك . لا بد لي من نقود .
لا بد ، لا بد . اعطني اياها يا جاسن . سأفعل ما تريد ان انت
اعطيني اياها . »

قلت : « اخبريني لماذا لا بد لك من نقود . »
قالت : « لا بد لي منها . » كانت تنظر الي . واذا بها فجأة
تكف عن النظر الي دون ان تنقل عينيها عني . فأدركت انها ستكذب .
وقالت : « اني مدينة ببعض النقود . وعلي ان ارد الدين . علي ان
ارده اليوم . »

- « لمن ؟ » ، قلت ويدها تلتويان ، فرقتها وهي تحاول اختلاق
اكذوبة تنفوه بها . « هل عدت إلى الاستدانة من المتاجر ؟ لا حاجة
بك إلى قول ذلك . فان استطعت ان تجدي من يبيعك شيئاً بالدين بعد
أن أعلمت الجميع بالأمر ، أكلت ذلك الشيء امام عينيك ! »

قالت : « هناك فتاة ، هناك فتاة ، استدنت منها بعض النقود .
ويجب ان اردها الآن . جاسن ، اعطني اياها ، ارجوك . سأمثل لما
تشاء . لا بد لي منها . وستدفعها امي لك . وسأكتب لها رسالة لكي

تدفعها لك ولكي اقول لها اني لن اطلب منها شيئاً ثانية . ولك أن ترى الرسالة . ارجوك يا جاسن . لا بد لي منها . »

قلت لها : « اخبريني لمَ تريدونها ، وسأنظر في الأمر ، » وبقيت واقفة أمامي ، تفرك كفّاً بكفّ لصق ثوبها . « حسناً اذن ، » قلت . « ان كنت تجدين عشرة الدولارات مبلغاً صغيراً ، فسأحملها إلى أمي ، وأنت أدرى بمصيرها عند ذلك . بالطبع ، اذا كنت على هذه الدرجة من الغنى بحيث لا تحتاجين الى عشرة دولارات - » .

وظلت واقفة هناك ، تنظر إلى الأرض ، وتدمدم لنفسها . « لقد قالت إنها سترسل إليّ شيئاً من النقود . وقالت إنها ترسل إليّ نقوداً هنا وانت تقول انها لا ترسل اي نقود . وقالت انها قد ارسلت مبلغاً كبيراً هنا . وانت تقول ان لا نقود لدينا . »

فقلت : « انك تعرفين عن ذلك ما أعرفه أنا . ألم تري ما يحدث للصكوك التي ترساها ؟ »

فقلت ، ناظرة الى الارض : « بلى . عشرة دولارات . عشرة دولارات . »

قلت لها : « اشكري ربك على ان المبلغ يبلغ عشرة دولارات ، » ووضعت الحوالة ووجهها الى الاسفل على المنضدة ، ويدي عليها . « وقيها . »

فقلت : « ان تدعني أراها ؟ أريد ان القي عليها نظرة واحدة فقط . مهما يكن المبلغ المذكور فيها ، فاني لن أطلب إلا عشرة دولارات . وخذ انت البقية . نظرة واحدة فقط . »

قلت : « مستحيل بعد تصرفك المشين هذا ؟ عليك أن تتعلمي شيئاً واحداً ، عندما اقول لك افعلي كيت ، فعليك بالطاعة . هيا ، وقعي اسمك على هذا السطر . »

تناولت القلم ، ولكن عوضاً عن توقيعها بقيت واقفة مطأطئة الرأس

والقلم يرتجف في يدها . كأنها تماماً . وقالت : « يا إلهي ، يا إلهي . »
 فقلت : « أي نعم . هذا شيء يجب أن تتعلميه حتى ولو انت لم
 تتعلمي اي شيء آخر . وقعيتها ، هيا ، واخرجي من الدكان . »
 - « وقعتها ، وقالت : اين النقود ؟ » فأخذت الحوالة ، وجففتها
 بالنشاف ووضعتها في جيبي . ثم اعطيتها الدولارات العشرة .

وقلت : « والآن ، عليك ان تعودى الى المدرسة بعد ظهر اليوم ،
 أسمعين ؟ » لم تجب بشيء . كوّرت ورقة النقد في يدها كأنها خِرفة
 قديمة وخرجت من الباب الامامي في اللحظة التي دخل فيها ايرل . وقد
 دخل معه عميل ، ووقفوا عند الطرف الامامي . فجمعت اغراضى ولبست
 قبعتى وتوجهت نحوهما .

قال ايرل : « اشغلت كثيراً ؟ »

قلت : « ليس كثيراً . » فأرسل بصره خارج الباب .
 وقال : « أتلك سيارتك الواقفة هناك ؟ الافضل الا تحاول ان تذهب
 الى البيت للغداء . فقد يحدث لدينا ازدحام آخر قبيل افتتاح السيرك .
 تناول غداءك في مطعم روجرز وضع بطاقة في الدرج . »
 فقلت : « شكراً جزيلاً . اعتقد اني اعرف كيف اطعم نفسي . »
 انه ليظل في مكانه هناك ، يرقب ذلك الباب كالصقر الى ان اعود .
 لا بأس . فليرقبه ما شاء ، فأنا اسعى جهدي على طريقي . في المرة
 السابقة قلت لنفسى ، هذا هو الصك الاخير ، فعليك ان تتذكر استحضر
 صكوك جديدة . ولكن من يستطيع تذكر اي شيء في هذا الهرج
 والمرج . لا يأتينا هذا السيرك اللعين الا في اليوم الذي يتعين علي فيه
 ان ابحث في كل ارجاء البلدة عن صك ابيض ، فضلاً عن الاشياء
 الاخرى كلها التي اتعهد بها للمحافظة على سير الأمور ، وصاحبنا ايرل
 يرصد الباب كالصقر .

ذهبت الى المطبعة الصغيرة وقلت لصاحبها اني ادبر مقلباً لصديق على

سبيل النكتة ، ولكن لم يكن لديه ما اريد . و اشار علي بأن اراجع دار الاوبرا العتيقة ، حيث اختزن بعضهم اوراقاً وانقاصاً كثيرة من ذلك المصرف القديم ، « مصرف التجار والمزارعين » بعد افلاسه ، وهكذا تجنبت عدة ازقة لكي لا يراني ايرل ، وبعد البحث الطويل عثرت على الحارس العجوز سيمونز واخذت منه المفتاح وصعدت هناك ورحت انبش الاوراق . وفي النهاية عثرت على دفتر صكوك باسم مصرف سانت لويس . ان أمتي لن تدقق النظر في الصك الا هذه المرة امها يكن من امر ، ليس لي من مخرج آخر . ولم يبق لي من وقت اضيعة .

فعدت إلى الدكان ، وقلت : « نسيت اوراقاً تريد امي اخذها الى البنك . » وذهبت الى المنضدة ورتبت الصك كما يجب . وإذ كنت احاول ان افعل ذلك بسرعة قلت لنفسي إنه من حسن الحظ ان عينيها آخذتان في التلف ، وان تلك العاهرة الصغيرة في البيت ، وامي سيدة تقية تخاف الله . وقد قلت لها انك تعلمين ، كما أعلم انا ، ما الذي ستؤول اليه هذه الفتاة عندما تكبر ولكنني قلت إن ذلك من شأنك انت اذا كنت تريدان ان تعني بهما وتربيها في بيتك من أجل أبي . وإذ ذاك تبدأ بالبكاء وتقول إنها من لحمها ودمها فأقول لا بأس، كما تشائين، إنني اتحملها ما دمت تحمليها انت .

وربت الرسالة بحيث أعدتها إلى ما كانت عليه وصمغت الغلاف وخرجت .

قال إيرل : « حاول الا تتأخر اكثر مما يجب . »
فقلت : « حسناً . » ومضيت الى دائرة البرق . وهناك وجدت الفتية الشطار كلهم .

وقلت : « ابيئكم من حصل على مليون دولار ؟ »
قال الدكتور : « ومن يستطيع ان يفعل شيئاً بسوق كهذه ؟ »
- « وماذا بها ؟ » قلت ذلك ودخلت وألقيت نظرة . لقد حصل

هبوط بثلاث نقاط عن الافتتاح . فقلت : « يا جماعة ، اترضون بأن يغلبكم على امركم شيء صغير كسوق القطن ؟ كنت أحسبكم أشطر وأدهى من ذلك . »

قال الدكتور : « اشطر وأدهى ! لقد هبطت اثني عشرة نقطة في الساعة الثانية عشرة . أفلستني ، والله ! »

قلت : « اثني عشرة نقطة ؟ لماذا لم يعلمني أحد بذلك ؟ » والتفت للموظف : « لماذا لم تعلمني بذلك ؟ »

فقال : « اني أسجلها كما تأتي . فأنا لست ادير محلاً للغش والخديعة . » فقلت : « ذكي والله ! أعتقد ان بإمكانك أن تنفق شيئاً من وقتك الثمين للاتصال بي تلفونياً ، نظراً لما انفق لديك من مبالغ . أم ان شركتكم المحترمة متواطئة مع هؤلاء الذئاب المحترمين في نيويورك ؟ » لم يقل شيئاً ، وتظاهر بالشغل .

فقلت : « لقد كبرت أكثر من طاقتك . واذا لم تنتبه فلعلك تضطر الى العمل في سبيل رزقك . »

فقال الدكتور : « ماذا دهاك ؟ ما زلت غائماً بثلاث نقاط . » قلت : « تماماً ، لو كنت ابيع . نسيت ان اذكر ذلك ، فيما أظن . وأنتم يا جماعة ، الم يبق معكم شيء ؟ »

قال الدكتور : « اكلتها مرتين ، وحوّلت في اللحظة المناسبة . » وقال آي . أو . سنوبس : « والله وقعتُ عليها . ومن الانصاف فيما أرى ان تقع هي عليّ مرة بين حين وآخر . »

وهكذا تركتهم يبيعون ويشترون فيما بينهم بسعر خمسة سنتات لكل نقطة . ووجدت زنجياً ارسلته ليحضر سيارتي ووقفت عند المنعطف وانتظرت . ولم استطع ان ارى لإيرل يرسل بصره الى فوق والى تحت في الشارع ، واحدى عينيه على الساعة ، لاني لم أتمكن من مشاهدة الباب من مكاني . وبعد حوالي اسبوع عاد الزنجي بالسيارة .

فقلت : « أين ذهبت ، قسائك الله ؟ ارحت تسوق في الشوارع حيث تراك المومسات ؟ »

فقال : « جئت مباشرة بقدر ما استطيع . فقد كان علي ان ادور حول الميدان كله ، بسبب هذا الازدحام بالعربات . »
لم اجد في حياتي زنجياً لا يقدم لك اروع عذر مقنع عن كل ما يفعله . ولكن ما عليك الا ان تطلق احدهم حرّاً في سيارة لترى كيف يزهو ويتباهى . ركبت السيارة ودرت حول الميدان . ولمحت إيرل واقفاً بالباب عبر الميدان .

ذهبت تواء إلى المطبخ وامرت دلزي باحضار الغداء على عجل .

قالت : « لم تأت كونتن بعد . »

قلت : « وإذا لم تأت ؟ ستقولين لي بعد قليل ان لستر لم يتهياً بعد للأكل . اوقات الطعام في هذا البيت تعرفها كونتن . هيا ، اسرعي بالغداء . »

كانت امي في غرفتها ، فاعطيتها الرسالة . ولما فضتها اخرجت الصك وجلست وهي ممسكة به في يدها . فذهبت واحضرت المعول من الركن وناولتها عود الكبريت ، وقلت : « هيا ، وانتهي من الامر . ستبكين بعد لحظة . »

فتناولت عود الكبريت ولكنها لم تشعله . وبقيت جالسة في مكانها تنظر الى الصك . تماماً كما توقعت !

وقالت : « اني اكره ان افعل هذا . فقد زاد حملك بوجود كونتن ... »

قلت لها : « لا اظن اننا سنحتاج الى الخبز هيا ، وانتهي من الامر . »

غير انها بقيت جالسة هناك ، والصك في يدها .
قالت : « ارى ان هذا الصك محول على مصرف مختلف . لقد كان

السابق محولاً على مصرف انديانا بولس .

قلت : « نعم ، يسمح للنساء ايضاً بذلك . »

قالت : « لماذا ؟ »

قلت : « بوضع النقود في مصرفين مختلفين . »

قالت : « آ . » وتأملت الصك برهة وقالت : « يسعدني ان اعلم

انها غ ... ان لديها أموا ... ان الله شاهد على اني لا افعل الا الحق . »

فقلت : « هيا ، احرقيه ، وانتهي من هذه التسلية . »

قالت : « تسلية ؟ كلما تذكرت ... »

قلت : « كنت اظن انك تحرقين مبلغ المئتي دولار هذا كل شهر

للتسلية ، فهيا ، وانتهي . أشعل لك عود الكبريت ؟ »

قالت : « لو حاولت لاستطعت ان اقنع نفسي بقبولها ، من اجل

اولادي . لم تبق في عزة نفس . »

قلت : « ما كنت لترضين بذلك . وانت ادرى . لقد قررت

ذلك ، فلا تنقضي قرارك . لا أظننا سنحتاج الى مال من احد . »

فقلت : « اني اترك كل شيء لك . غير انني اخشى احياناً اني

اذ افعل هذا انما احرمك ما هو حق من حقوقك . ولعل الله سيعاقبني

على ذلك . فان شئت ، فسأخفق عزة نفسي واقبل هذه النقود . »

قلت : « وما فائدة البدء الآن ، وقد مضى عليك خمسة عشر عاماً

وانت تحرقينها ؟ فاذا استمرت بحرقها الآن ، ما ضيَّعت شيئاً ، اما

إذا بدأت بقبولها الآن ، فقد ضيَّعت خمسين الف دولار . وقد استطعنا

الحياة بدونها حتى الآن ، أليس كذلك ؟ وما اخذتلك انا بعد الى ملجأ

العجزة ، والحمد لله . »

فقلت : « بلى . نحن آل باسكوم في غنى عن كسل احسان . ولا

سيما احسان امرأة ساقطة . »

واشعلت عود الكبريت واشعلت به الصك ووضعته في المعول ، ثم

الرسالة ، وتأملتُها وهما يحترقان .

وقالت : « لن تفهم شعوري . احمِ الله على انك لن تعرف كيف تشعر الأم . »

فقلت : « في العالم نساء كثيرات لسن خيراً منها . »
 قالت : « ولكنهن لسن بناتي ، وانا لا اهتم بنفسي ، فأنا حتى مستعدة للساح لها بالعودة رغم كل آثامها ، لأنها من لحمي ودمي . انما اهتمامي بكونن . »

وهنا كان بإمكانني ان اقول لها الا حاجة بها الى القلق بخصوص كونن وشرفها ، ولكنني ، كما اقول دائماً ، لا اتوقع الكثير من احد ، غير انني اريد ان آكل واناام دون شجار وبكاء وعويل من امرأتين في البيت .

قالت : « وبك انت . اني ادرى بحقيقة مشاعرك تجاهها . »

فقلت : « فلتعد الى البيت ، ان كنت انا العائق . »

قالت : « لا . احتراماً لذكرى أبيك المرحوم . »

قلت : « ولكنه كان طول الوقت يحاول ان يقنعك بالساح لها بالعودة الى البيت عندما طردها هربرت ؟ »

قالت : « انك لا تفهم . وانا أعلم انك لا تقصد ان تزيد طينتي بلة . ولكن واجبي هو ان اقاسي من أجل اولادي . واني لأتحمل . »
 قلت : « يخيل الي انك تسعين جهدك فيما لا ضرورة له لكي تتحملي ، واثت النار على الاوراق ، فأخذت المعول الى الموقد وافرغت الرماد . وقلت : « أليس خسارة حرق هذه النقود ؟ »

فقلت : « لا أراني الله ذلك اليوم الذي يضطر فيه اولادي الى الرضا بأجور الخطيئة ! ولاني لأؤثر ان اراك ميتاً في نعشك قد ذلك . »
 قلت : « كما تشائين ، انتغدى عما قليل ؟ وإلا ، فإن عليّ ان اعود ، لكثرة ما لدينا من عمل اليوم . » فنهضت امي

وقلت : « لقد اوصيتها بتهيئة الغداء . يبدو انها تتربث انتظاراً لكونتن او لستر او غيرهما . لحظة ، سأناديها . انتظري . » غير انها ذهبت الى أعلى الدرج ونادتها .

قالت دلزي : « لم تأتِ كونتن بعد . »

قلت : « لا بأس . يجب ان اعود ، سأبتاع شطيرة في البلد ، ولن ادخل بترتيبات دلزي . » فأثارها ذلك من جديد ، ودلزي تتدعبل وتدمدم جيئةً وذهاباً وتقول :

« طيب ، طيب . اني اهيؤه بأسرع ما استطيع . »

فقالت امي : « اني احاول ان ارضيكم جميعاً . وأسهل عليكم الأمور بقدر ما أتمكن . »

فقلت : « هل رأيتي تدمرت ؟ هل قلت شيئاً سوى اني يجب ان اعود الى عملي ؟ »

فقلت : « اعرف . اعرف انه لم تتح لك الفرصة التي اتيتحت للآخرين ، وانك اضطررت الى دفن نفسك في متجر ريفي صغير . اما انا فقد اردت لك التقدم . وكنت اعلم ان اباك لن يدرك انك انت الوحيد المتمتع بحس للأعمال التجارية ، فلما خاب فألي في كل شيء آخر اعتقدت انها عندما تتزوج ، وهربرت ... بعد وعده ... »

فقلت : « ربما كان هو ايضاً يكذب عليك . لعله لم يكن لديه اي مصرف . واذا كان لديه مصرف فلا أحسبه يقطع الفيافي والقفار الى مسيسيبي ليجد رجلاً يستخدمه فيه . »

استغرق منا الغداء فترة من الوقت . كنت اسمع بن في المطبخ ولستر يطعمه . وكما اكرر دائماً ، ان كان لا بد لنا من إطعام فم آخر وهي ترفض ان تتسلم تلك النقود ، فلم لا نرسله الى جاكسن . سيكون سعيداً هناك ، برفقة اناس مثله . فقلت يعلم الله ان هذه الاسرة لم يبق لديها مبرر يذكر للعزة والكبرياء ، ولكن المرء ليس بحاجة الى الكثير

من العزة والكبرياء لكي يستقبح ان يرى رجلاً في الثلاثين يلعب في فناء الدار مع ولد زنجي ، ويركض صاعداً نازلاً بمحاذاة السياج ويخور كالبقرة كلما رأى احداً يلعب الغولف هناك . ولو أرسلوه الى جاكسن منذ البداية لكننا سكلنا افضل حالاً الآن . وقد قلت ، لقد اديت واجبك تجاهه ؛ لقد فعلت كل ما يمكن لأي انسان ان يتوقعه منك بل فعلت اكثر مما يفعله معظم الناس ، فلم لا ترسلينه هناك وتستفيدي من الضرائب التي ندفعها . فقالت : « سأرحل عما قريب . اعرف انني عبء ثقيل عليك » فقلت : « لطالما قلت هذا حتى جعلت الآن اصدقك » ولكن ، قلت لها ، ارجوك ان تتبهي ولا تعاميني برحيلك لأنني والله سأركبه القطار رقم ١٧ في الليلة نفسها ، واضفت قائلاً إنني اعرف مكاناً يأوونها هي ايضاً فيه لا يسمى بشارع الحليب او شارع العسل . وعندها بدأت تبكي فقلت لا بأس لا بأس انني اعتر بقومي وعشيرتي كأني رجل آخر حتى ولو جهلت اصلهم وفصلهم .

واخذنا نأكل . وارسلت امي دلزي الى بوابة المنزل لتتطلع بحشاً عن كونتن ثانية .

فقلت : « الا تسمعينني اكرر واعيد بأنها لن تأتي للغداء ؟ » فقالت : « ولكنها اعقل من ذلك . فهي تعلم انني لا اسمح لها بالتسكع في الشوارع وعدم المجيء الى البيت في مواعيد الاكل . هل تطالعت جيداً يا دلزي ؟ »

قلت : « اذن امنعها من الدخول . »

قالت : « ما العمل ؟ لم يحترم احد منكم كلامي ، قط . » قلت : « لولا تدخلك ، لجعلتها تعباً بكلامك ، ولن يستغرقني تقويمها الا يوماً واحداً . »

قالت : « ستفسو عليها بوحشية زائدة ، فزاجك هو مزاج خالك موري . »

فذكرني ذلك بالرسالة . فأخرجتها وناولتها إياها . وقلت : « لا حاجة بك لفتحها . سيعلمك البنك بالمبلغ هذه المرة . »
 قالت : « انها معنونة باسمك . »
 فقلت : « تفضلي وافتحيها . » ففتحتها وقرأتها وناولتني إياها .
 — « انها تقول :
 ابن اخي العزيز ،

» سيسرك ان تعلم انني الآن في وضع يتيح لي فرصة لن اخوض في التفاصيل بشأنها ، لأسباب سأوضحها لك ، الى ان يتسنى لي ان اميط لك اللثام عنها على نحو آمن واكتم . فقد علمتني التجارب في الاعمال ان أضمن بوصف اي أمر يقتضي السرية والتكتم عن طريق اية وسيلة ملموسة أكثر من الكلام ، ومبالمعني في الحيلة هذه المرة قد تهيب لك فكرة عن قيمتها . وغني عن البيان انني قد فرغت لتوي من تمحيص اوجهها جميعاً اشد التمحيص ، ولا يسعني التردد في القول لك بأنها من قبيل تلك الفرصة الذهبية التي لا تتاح للمرء الا مرة واحدة في العمر ، واني الآن لأبصر امامي الهدف الذي سعت اليه طويلاً دونما كلل : اعني توطيد شؤوني نهائياً توطيداً استعيد به ذلك المركز الذي هو من حق الاسرة التي يشرفني ان أكون سليلها الحي الوحيد من الرجال ؛ وهي الاسرة التي كان من دأبي دوماً ان أجعل ضمنها السيدة والدتك وأولادها .

» وتشاء الصدف ألا أكون في وضع يتيح لي الاستفادة من هذه الفرصة حتى أقصاها كما ينبغي ، ولكن لثلاً أخرج عن نطاق الاسرة في طلب ما اريد ، سوف اسحب اليوم من مصرف والدتك المبلغ الزهيد الذي لا بد من اضافته الى استثماري الأولي ، ومن اجله ها انا ارفق طيه ، من قبيل الشكليات ، تعهدي الخطي بمعدل ثمانية بالمائة سنوياً . وغني عن البيان ان هذا التعهد ليس الا من قبيل الشكليات ، لتطمين

امك في حالة وقوع ما تُخشى عقابه ، فما الانسان الا ألوعة المجهول .
وذلك انني ، بالطبع ، سأسخر هذا المبلغ وكأنه مالي الخاص فأتيح
لوالدتك ان تفيد من هذه الفرصة التي أثبتت تحرياتي الدقيقة انها منجم
ثروة - إن صح هذا التعبير - من اجود المعدن وانقاه .

« انت ترى انني أُسيرُ لك بهذا على نحو ما يسر رجل اعمالٍ
لآخر ؛ ولسوف نجني القطوف دانياتٍ من كرومنا ، هه ؟ ولما كنت
اعلم ان صحة امك ليست على ما يرأم ، واعلم ما تحسّ به سيدات
الجنوب بطبعهن ، من جراء نشأتهم الرهيفة ، من قلق وإحجام لإزاء
الامور التجارية ، وميلهن الفاتن الى إماطة اللثام عن مثل هذه الامور
في حديثهن عن غير قصد ، فانني اقترح عليك الا تذكر الأمر لها أبداً .
بل إنني اذ اعيد النظر فيه انصحك بالألا تذكره لها . فلعله من الأفضل
ان يعاد هذا المبلغ الى المصرف يوماً ما في المستقبل ، جملةً واحدة مع
المبالغ الصغيرة الأخرى التي انا مدين بها لها ، دون ان نقول لها شيئاً .
إن من واجبنا ان ندرأ عنها هذا العالم المادي الصفيق ما وسعنا ذلك .

» واسلم

لخالك المحبّ

موري ل . باسكوم »

قلت ، رامياً بالرسالة عبر المائدة : « ما الذي سنفعليه بهذا الخصوص ؟ »

قالت : « اعرف انك تنكر عليّ ما اعطيه . »

قلت : « انها نقودك . حتى لو اردت ان تقضي بها للطيور ، فذلك

شأنك انت . »

فقلت أُمي : « انه اخي . انه آخر آل باسكوم . وعندما نموت

لن يبقى منا احد . »

فقلت : « لا ريب ان هناك من سيحزن على ذلك . لا بأس ، لا

بأس ، » قلت : « انها نقودك ، فافعلي بها ما تشائين . اتريديني ان

اوصي البنك بدفع المبلغ ؟ »

قالت : « أعلم انك تنكر عليه ذلك . وأنا أدرك ما على عاتقك من عبء باهظ . حين أرحل ، سوف يهون عليك الأمر . »

قلت : « باستطاعتي ان أجعله هيناً علي هذه الساعة . لا بأس ، لا بأس ، لن أشير إلى الموضوع مرة أخرى . لك ان تنقلي مستشفى المجاذيب كله إلى بيتنا ان شئت . »

قالت : « انه أخوك ، وان ابتلاه الله بعامة . »

فقلت : « سأخذ معي دفترك المصرفي ، لانني سأخذ راتبي اليوم . »

قالت : « أرى انه أبقاك في الانتظار ستة ايام . فهل أنت واثق من ان عملكم لا خوف عليه ؟ اني أعجب لعمل وافر الدخل يعجز عن دفع رواتب مستخدميه في مواعيدها . »

قلت : « لا خوف على ايرل ، أمين كالبك . لقد أخبرته بالأمر . »
يتم بدفع راتبي حتى ننتهي من القبض كل شهر . هذا هو السبب في التأخير أحياناً . »

قالت : « لن أستطع ان أتحمّل فقدانك للقليل الذي استثمرته لك ، كثيراً ما أظن ان ايرل تنقصه الطيبة كرجل أعمال . فهو لا يطلعك على دواخل عمله اطلاقاً يبرره المبلغ الذي تستثمره في العمل . سأفاتيحه بالأمر . »

فقلت : « لا ، دعيه وشأنه . فالعمل عمله . »

— « ولكن لك الف دولار فيه . »

— « دعيه وشأنه . فأنا أرقب الأمور . ولدي وكالتك الرسمية . »

فلا تقاقي . »

قالت : « لن تعلم اي عزاء انت لي ، لقد كنتَ دومساً فرحني وفخري . ولكن يوم جئتني من تلقاء نفسك وأصررت على ايداع راتبك في المصرف كل شهر باسمي ، حمدت الله على انه تركك لي حين حرمني

الآخرين . »

قلت : « كانوا لا بأس بهم . لا أتصورهم قد قصّروا في شيء
كان في مقدورهم . »

قالت : « حين تتحدث على هذا النحو أعرف انك تفكر بممرارة
بذكرى المرحوم أبيك . ولعلك محق في ذلك . ولكن قلبي ينفطر حين
أسمعك . »

فنهضت وقلت : « ان اردت البكاء ، فعليك ان تبكي بمفردك ،
لأن علي ان أعود . سأجلب دفتر المصرف . »
قالت : « سأجلبه أنا . »

فقلت : « ابقني في مكانك . سأجلبه أنا . » وصعدت الى فوق
وأخرجت دفتر المصرف من منضدتها وعدت الى البلدة . فذهبت الى
المصرف واودعت راتبي والحالة المالية والعشرة الأخرى ، وعرجت على
دائرة البرق . كان ثمة ارتفاع بنقطة واحدة منذ الافتتاح . لقد خسرت
ثلاث عشرة نقطة ، وما ذلك إلا لأنها جاءتني تصحيح وتعربد في الثانية
عشرة ، وتزعجني بشأن تلك الرسالة .

قلت : « متى وصل ذلك التقرير ؟ »

قال : « منذ حوالي ساعة . »

قلت : « منذ ساعة ؟ لماذا ندفع لك ؟ لكي تعطينا تقارير اسبوعية ؟
كيف تتوقع أن يفعل المرء شيئاً ؟ قد تنفجر السوق في هذه البورصة
ونحن بعد غافلون . »

قال : « انا لا أتوقع ان تفعل شيئاً . فقد غيروا ذلك القانون الذي
يسمح للناس بالتلاعب في سوق القطن . »

قلت : « صحيح ؟ لم يبلغني الخبر . لا بد أنهم ابرقوه عن طريق
الويسترن يونيون ، شركتكم . »

وعدت الى الدكان . ثلاث عشرة نقطة . لعنة الله عليّ ان كان

أحد يعلم شيئاً عن هذا الأمر اللعين إلاّ أولئك الجالسين في مكاتب نيويورك الذين يتفرجون على مغفلي الريف وهم يأتونهم ويتوسلون اليهم بأخذ نقودهم . والواقع ان كل من يراجعهم انما يبرهن على انه عديم الثقة بنفسه ، وكما اقول ان كنت سترفض النصيحة فما هو نفع انفاق المال في سبيلها ؟ وفضلاً عن ذلك ، فان هؤلاء القوم يقيمون في المكان الصحيح ؛ فهم يعرفون بكل ما يجري . كنت أحس بوجود البرقية في جيبى . وما عليّ الا ان اثبت انهم يستخدمون شركة البرق لابتزاز المال ، لأقيم الدليل على انهم يديرون عملاً للغش والنصب . وما كنت لاتردد في ذلك طويلاً ، لأنني لا افهم كيف تعجز شركة غنية كبيرة كالويسترن يونيون عن اصدار تقرير عن السوق في الوقت المحدد . على الاقل بنصف السرعة التي يبرقون فيها اليك قائلين « حسابك أغلق » . ولكن ما الذي يهمهم من امور الناس ؟ انهم متواطئون مع تلك الجماعة في نيويورك . وهل يخفى ذلك على أحد ؟

حال دخولي نظر ايرل الى ساعته . غير أنه لم يقل شيئاً الى أن خرج الزبون . وعندها قال :

« اذهبت الى البيت للغداء ؟ »

قلت : « اضطررت الى الذهاب الى طبيب الأسنان ، » ذلك لأن ليس من شأنه اين آكل ولكن عليّ البقاء معه في الدكان طيلة فترة ما بعد الظهر . ورغم كل ما أتحمله فأنسه يشغل فكيتّه بهذا اللغو . خذ دكاناً صغيرة من دكاكين الريف أعني صاحب دكان لا تبلغ قيمتها خمسمئة دولار ترّ صاحبها في قلق يساوي خمسين ألف دولار .

قال : « لماذا لم تخبرني ؟ لقد توقعت عودتك بسرعة . »

فقلت : « أبيعك هذه السنّ واعطيك فوقها عشرة دولارات إن شئت . »

وقلت : « كان اتفاقنا على ساعة واحدة للغداء ، فاذا لم ترق لك طريقي فلك ان تفعل بها ما تشاء . »

قال : « لقد لاحظت ذلك منذ زمن ، ولولا أملك لفعلتها قبل اليوم .
 انها سيدة أعطف عليها كثيراً يا جاسن . من المؤسف أن الذين أعرفهم
 من الناس لا يقولون ذلك . »
 قلت : « اذن فاحفظ عطفك لنفسك ، فإذا احتجنا الى عطف
 أخطرتك في الوقت الملائم . »
 — « لقد حيتك طويلاً في تلك القضية ، يا جاسن . »
 — « صحيح ؟ » قلتها ، فاسحاً له المجال للاستمرار ، ومصغياً
 لما سيقول قبل أن اسدّ فيه .
 — « اعتقد انني أعرف أكثر مما هي تعرف من اين جاءت تلك
 السيارة . »

— « اتظن ذلك ؟ متى ستنشر الخبر بأذني سرقتهما من أمي ؟ »
 فقال : « لن أقول شيئاً . فأنا أعرف ان في حوزتك وكالة رسمية
 عنها . كما انني اعرف أنها ما زالت تعتقد ان الالف، دولار تلك مستثمرة
 في هذا العمل . »
 فقلت : « طيب . بما انك تعرف كل هذا ، فلأخبرك بالمزيد :
 اذهب الى المصرف واسألهم لحساب من اودع مئة وستين دولاراً أول
 كل شهر ، منذ اثنتي عشرة سنة . »
 قال : « لن أقول شيئاً . انما أطلب اليك ان تكون أشد حذراً بعد
 اليوم . »

لم أقل شيئاً أكثر من ذلك . وما جدوى الكلام ؟ لقد وجدت ان
 المرء اذا ما وقع في حلقة مفرغة فخير ما تستطيع انت فعله له هو ان
 تدعه فيها . واذا ما ألحّ رجل على الافصاح عن سيئة بحقك محتجاً
 انه يفعل ذلك لصالحك ، فاني أقول له ، مع السلامة . يسرني انني لا
 أعاني من ضمير يفرض علي مراعاته وتدليله كجرو عليل طيلة الوقت .
 فهل ارضي مثله بأن أحرص على كل صغيرة وكبيرة لتلاّجني ، مما بين

يلدي من عمل ، اكثر من ثمانية بالمئة . أغلب الظن انه يتصور انهم سيطبقون عليه قانون الربا ان هو حصل ربحاً صافياً ما يزيد على ثمانية بالمئة . فما الفرصة اللعينة التي تتاح للمرء هنا ، وهو مقيد بعمل كهذا في بلدة كهذه ؟ والله بوسعي ان اتولى عمله هذا سنة واحدة وادبر أمره حتى يصبح في غنى عن كل عمل فيما بعد ، لولا انه حينئذ سيهب ماله كله للكنيسة او ما شابهها . فإذا كان في الدنيا من يثير حنقي ، فهو المنافق . ذلك الرجل الذي يرى في كل ما لا يفهم تفاصيله كلها ، غشاً وخديعة ، وحالما تيسر له أول فرصة فان من واجبه الادبي ان يجبر فريقاً ثالثاً ما ليس من حقه ان يخبره . وكما اقول دائماً ، لو انا اعتقدت كلما فعل انسان شيئاً لا أعرف تفاصيله كلها بأنه محتال وغشاش ، لما كان من الصعب علي ان أجد في تلك الدفاتر هناك أموراً لن تجد انت مبرراً لي ان انا أسرع وأطلع أحدهم عليها لاعتقادي بضرورة احاطته بها حين قد اكتشف انه يعرف عنها اكثر بكثير مما أعرف انا ، واذا لم يعرف فليس من شأني مطلقاً ان اتولى اطلاعه ، فقال : « دفاتري مفتوحة للجميع . واني لأرحب بأي انسان يطالبني بشيء ، او يعتقد بأن له على هذا الدكان حقاً ، وأقول له : أهلاً وسهلاً ، هالك دفاتري ، افحصها . قل ذلك لوالدتك . »

فقلت : « لن تطلعها على شيء بالطبع . والا ، عجزت عن ارضاء ضميرك . كل ما هنالك ، انك ستقودها نحو الدفاتر وتترك أمر الاكتشاف لها . ولكنك لن تخبرها بنفسك . »

قال : « لا احاول العبث بأمورك . وانا اعلم انك قد اخطأت بعض الأشياء ككونتن . غير ان والدتك قد عرفت الشقاء في حياتها ايضاً ، فلو سبأني هنا وسألتني لماذا تركت ، لأخبرتها . وانت أدري بأن السبب ليس هو الالف دولار تلك . ولكن السبب هو ان المرء لن يتقدم في الحياة اذا ناقض واقعه دفاتر حسابه . وانا لن اكذب على احد ، سواء

كان ذلك من أجلي أم من أجل غيري . »

فقلت : « نخل الى ان ضميرك هذا موظف اكثر أهمية لديك مني، فهو ليس بحاجة الى الذهاب الى البيت ظهراً ليأكل . ولكن ارجوك الا تدعه يتدخل بشهيتي » والا فأنتى لي ان احسن فعل اي شيء وانا في هذه العائلة اللعينة وامي لا تبذل جهداً لضبطها او ضبط احد منهم ، كما حدث عندما اتفق ان رأيت احدهم يقبل كادي فراحت طيلة النهار التالي تدور ارجاء البيت في فستان اسود وعلى وجهها نقاب فعجز الجميع حتى ابي عن جعلها تنطق بشيء فيما عدا البكاء وترديد ان ابنتها ماتت وكادي يومئذ لم تكن تتعدى الخامسة عشرة وعلى ذلك فإنها في بحر سنوات ثلاث ستلبس ثوب الشعر بل قل ورق الضفيرة . أعتقد انني اجد من اللاتق بي تسكعها في الشوارع مع كل سمسار يجيء الى المدينة، فيخبر كل سمسار وافد آخر عن المكان الذي يستطيع ان يجد فيه فتاة شهية حارة حال وصوله جفرسن . اين كرامتي ، بل أنتى ان تكون لي كرامة ومطبخي مليء بسود علي ان اطعمهم وقد سلبت مستشفى مجاذيب الولاية نجمه الساطع ؟ وقلت ، ها ، الدم ، وحكام وقواد عسكريون ! ما احسن حظنا اننا لم نرزق ملوكاً ورؤساء . والا لكنا كلنا الآن في جاكسن نطارد الفراشات . ولو كان ذلك الدم دمي لساء الأمر بدرجة كافية ولكنك على الأقل متأكد من نغالته، ولكن قد يكون الله نفسه على غير يقين بشأن ذلك .

وهكذا فاني بعد قليل سمعت الجوقة الموسيقية تبدأ عزفها ، ثم جعل افرادها ينصرفون ، متجهين جميعاً نحو السيرك . يساومون على طوق بعشرين سنتاً لكي يوفروا خمسة عشر سنتاً يعطونها لشرذمة من الشماليين الوافدين والذين قد ينفقون عشرة دولارات في سبيل هذا الامتياز . ونخرجت الى ما خلف الدكان .

وقلت : « اسمع ، اذا لم تنتبه ، نما ذلك البرغي في لحم يدك .

حيثئذ سأحضر فأساً لأقطعه . ما الذي ستأكاه خنافس القطن المسكينة إن انت لم تهبيء هذه المعشبات فنتج لها غلة ما ؟ أحلفاء ؟ »

فقال : « والله إنهم ليتقنوا العزف على الأبواق . سمعت ان بينهم رجلاً يستطيع ان يدق لحناً على المنشار ، كأنه يعزف على البانجو . »
قلت : « اسمع . أتعرف كم سينفق ذلك السيرك في هذه البلدة ؟
حوالي عشرة دولارات . وهي الدولارات العشرة التي وضعها بك تيربن في جيبه الآن . »

— « ولماذا يعطون السيد تيربن عشرة دولارات ؟ »
قلت : « لقاء السماح لهم باقامة سيركهم هنا ، وأما بقية ما يصرفون فتستطيع أن تضعه في عينك . »
— « تعني أنهم يدفعون عشرة دولارات لكي يقيموا السيرك هنا ؟ »
— « هذا كل ما هناك . وكم ، في اعتقادك ... »

فقال : « عجيب . أنتصد انهم يقاضونهم نقوداً ليسمحوا لهم بالمجيء هنا ؟ والله لو اضطرت ، لدفعت عشرة دولارات عن طيب خاطر لأرى ذلك الرجل يدق على المنشار . وذلك يعني أنني في صباح الغد سأكون مديناً لهم بتسعة دولارات وثلاثة ارباع على هذا المعدل . »
ورغم ذلك فان كل شمالي يزهرق منك الروح بالحديث عن تقدم الزنوج . دعهم يتقدمون ، هذا ما أقوله . دعهم يتقدمون حتى لا تلقوا أحداً منهم جنوبسي لويزفيل ولو بجحتم عنه مستعنين بكلاب الأثر . لأنه ، عندما أخبرته أنهم سيحزمون امتعتهم ليلة الأحد وينصرفون حاملين الف دولار على الأقل من أموال هذه المقاطعة ، قال :

« حلال عليهم . فأنا لن اتردد بانفاق ربع دولار عليهم . »
فقلت : « ربع دولار ! ما تلك الا بداية البداية . ماذا تقول عن السنوات العشرة او الخمسة عشر التي ستصرفها على علبة الحاوي الحقيرة او غيرها مما يساوي السنتين ؟ وماذا تقول عن الوقت الذي تضيعه في هذه

اللحظة ، بالاصغاء الى تلك الجوقة ؟ »
 قال : « هذا هو الواقع . والله إن عشت حتى هذه الليلة فانهم
 سيخرجون من هذه البلدة غانمين ربعا آخر ، إي والله . »
 قلت : « إذن أنت غبي . »
 قال : « ولن اجادلك في ذلك أيضاً . ولكن لو كان الغباء جريمة ،
 لما كانت سجون الاشغال الشاقة كلها مقصورة على السود . »
 واتفق في حوالي تلك اللحظة ان نظرت صوب الزقاق ورأيتها .
 وعندما تراجعتُ ونظرت الى ساعتي لم الحظ من الذي كان معها لأنني
 كنت انظر الى الساعة . كانت الساعة الثانية والنصف بالضبط ، اي
 قبل ان يتوقع احد خروجها ، فيما عداي ، بخمس واربعين دقيقة .
 فلما نظرت من حول الباب كان اول ما لمحته رباط العنق الاحمر الذي
 يلبسه فقلت لنفسي أي صقيع هذا الذي يلبس رباطاً أحمر . غير أنها
 كانت تتسلل في الزقاق ، وهي ترقب الباب ، فلم افكر بأمره الى ان
 مرّ بباب الدكان وتساءلتُ إن كان احترامها لي من الضلالة بحيث لا
 تكنتني بالهرب من المدرسة رغم تحذيري لها بل تصرّ على المرور بالدكان ،
 تحدياً لي بالأمر . ولكنها لم تبصر من خلال الباب لأن الشمس
 كانت منصبة عليه مباشرة ، فكأنها تحاول ان تبصر من خلال كشّاف
 سيارة . فوقفت في مكاني اتبعها بعيني وهي تمر ، ووجهها مصبوغ
 كوجه مهرّج وشعرها مجدول ومصمّغ وفستانها — لو ان امرأة خرجت
 الى شارع غايوسو أو بيل ايام صباي غير كاسية ساقها وعجيزتها الا
 بمثل ذلك الثوب لزجوا بها في السجن . انهن يلبسن ثيابهن كأنهن يحاولن
 جعل كل رجل يمر بهن في الشارع يكاد يمدّ يده ويضعها عليه . وفيما
 أنا اتساءل اي صقيع يلبس رباطاً أحمر واذا بي ادرك فجأة انه أحد
 جماعة السيرك ، موقناً من ذلك كأنها أخبرتني عنه بنفسها . والله اني
 لشديد التحمّل ، ولو لم اكن كذلك لوقعت في ورطة كبرى في تلك

الاحظة ، ولذا فأنني عندما دخلا المنعطف طفرت من مكاني وتبعتهما .
 أجل ، في شمس ما بعد الظهر ، حاسر الرأس ، كان عليّ أن اطاردهما
 خلال الأزقة الخلفية احتراماً لسمعة أُمي . وكما اقول ، لن يجديك فتيلاً
 ما تفعل مع امرأة من هذا النصيل ، مطبوعة على مثل هذا الشيء . فإذا
 كان العهر يجري في دمها . فان يجديك فتيلاً ما تفعل معها . وجل ما
 تستطيعه هو أن تتخلص منها ، وتدعها تمضي وتعاشر من هم على
 شاكلتها .

ذهبت الى الشارع ، ولكنني لم أرهما . فهذا انا ، في وسط الشارع
 حاسر الرأس ، ابدو اشبه بالمجانين ايضاً . كمن يقول لنفسه طبعاً :
 احدهم مجنون والثاني انتحرق غرقاً والثالثة قذف بها زوجها الى الشارع ،
 فلم لا يكون البقية مجانين كذلك . فكنت اراهم طيلة الوقت يرقبونني
 كالصقر ، مترقبين الساعة التي يقول فيها احدهم : لست ادهش لهذا ،
 كنت اتوقعه طيلة هذا الوقت فالعائلة كلها مجانين . تبيع الارض لارساله
 الى هارفرد وتدفع الضرائب لمساندة جامعة الولاية سنة بعد سنة وهي
 جامعة لم ارها الا مرتين في مباريات « البيسبول » ولا تسمح لأحد
 بالتلفظ باسم ابنتها في المنزل الى ان جعل ابي بعد ذلك يرفض حتى
 النزول الى المدينة وهو ما انفك جالساً هناك سحابة يومه يعاقر قارورته
 كنت ارى حاشية قيص نومه وساقيه العاريتين واسمع القارورة تدفق
 الكأس الى ان جعل تي بي في النهاية يصب له ما يريد وهي تقول انك
 لا تحترم ذكرى المرحوم ابيك فأقول ولم لا فانها في حرز حريز وستبقى
 قائمة ولكن ان كنت مجنوناً انا ايضاً فالثالث الذي سأفعله بشأن ذلك
 فجرد النظر الى الماء يقاب معدتي قلباً وقد اجرع البنزين ولا اجرع
 كأساً من الويسكي فتقول لهم لورين انه لا يشرب ولكن ان كنتم تشكون
 في رجولته فبإمكانني ان اخبركم كيف تكتشفونها وتقول والله ان وجدتكم
 يوماً تعابث احدي هؤلاء المومسات أعترف ما الذي سأفعله قالت سأجلد

ذاك منها ممسكة بذاك منها سأجلد ذاك منها حالما ألقاه فأقول ان كنت لا اشرب فذاك شأني ولكن هل وجدتي يوماً مقصراً بحقك سأشتري لك من البيرة ما يكفي لاستحمامك فيها ان شئت لأنني أحترم المومس الأمانة الطيبة وبسبب من احوال امي الصحية وبسبب من المركز الذي احاول ان احافظ عليه اراني ابذل جهدي فلا ارى احترامها لي رغم كل ما اسعى فيه من اجلها يعدو جعلها من اسمها واسمي واسم امي مضغعة في افواه اهل البلدة .

لقد زاغت واحتجبت عن النظر في مكان ما . رأني قادمًا فزجت بنفسها في زقاق آخر ، لتتسكع في الأزقة مع حقير من رجال السيرك يلبس رباطاً احمر كلما رآه احد قال اي صقيع هذا الذي يلبس رباطاً احمر . على كل ، ما زال الولد يتحدث الي فأخذت البرقية دون ان اعني انني اخذتها . ولم ادرك ما الذي بين يدي الى ان جعلت اوقع اعترافاً بتسلمها ، وفضضتها دون ان اعبأ بمحتواها . لعلي كنت طيلة الوقت اعرف محتواها . فذلك هو الشيء الآخر الوحيد الذي يمكن ان يقع ، وقد امسكت بها الى ان دونت قيمة الصك في الدفتر .

لست ارى كيف ان مدينة بحجم نيويورك يمكن ان يكون فيها من الناس ما يكفي لابتزاز نقودنا نحن الريفيين المغفلين . تشتغل كالحمار طيلة النهار كل يوم ، وترسل نقودك اليهم لتأتيك منهم قصاصة ورق تقول « حسابك اغلق عند ٢٠,٦٢ يغرونك باستمرار ، ليتراكم لديك ربح ضئيل على الورق، وإذا هم يقدفونك بـ « حسابك اغلق عند ٢٠,٦٢ » ! وكأن ذلك لا يكفيك فتدفع لأحدهم عشرة دولارات في الشهر ليدلك على الطريق الى الخسارة السريعة ، فهو إما لا يعرف عن الموضوع شيئاً او انه متواطئ مع شركة البرق . كفى ، لقد انتهيت منهم . لقد استغفلوني للمرة الأخيرة . فما من انسان الا ويعرف — الا اذا بلغ به الغباء حد الايمان بكل ما يقوله اليهود في ذلك — ان السوق في ارتفاع أي برصيد ٢٠ دولاراً و٦٢ ستاً (المترجم)

دائم لأن الدلتا اللعينة بأجمعها على وشك الغرق بالفيضان من جديد والماء يكاد يقتلع القطن من الارض كما حدث في العام الماضي . محاصيلنا تغرق سنة بعد سنة ، والجماعة في واشنطنون ينفقون خمسين الف دولار في اليوم على جيش لهم في نيكاراغوا او غيرها . وسيقع بالطبع فيضان جديد ، ويصبح سعر القطن ثلاثين سنتاً للارطل الواحد . على كل ، ما غايي الا ان اضربهم مرة واحدة واسترجع نقودي . لست اروم منهم مقتلاً ، مع ان المضاربين في هذه المدن الصغيرة لا يبغون الا ذلك ، إنما أريد ان أسترد نقودي التي ابتزها هؤلاء اليهود الملاعين « بمعلوماتهم المضمونة لما يجري وراء الستار » . وعندها سأكف نهائياً ، وليقبلوا قدمي لكل سنت احمر يستخرجونه مني بعد ذلك .

عدت الى الدكان . لم يبق الا اقل الوقت لعمل اي شيء ولكنني اعتدت على ذلك . وما كان علي ان ادرس في هارفرد لأتعلم ذلك . كانت الجوقة قد توقفت عن العزف . لقد ادخلوا الناس الآن الى حظيرتهم ، فما عادوا بحاجة إلى بذل أنفاسهم بعد . فقال ليرل : « هل وجدك اذن ؟ جاء بها هنا منذ قليل ، فقلت لعلك في مكان ما خلف الدكان . »

فقلت : « نعم ، أخذتها . ما كان بإمكانهم أن يحجبوها عني طيلة ما بعد الظهر . فالبلدة صغيرة جداً . علي ان اذهب الى البيت لبضع دقائق ، ولك ان تحسم من راتي ان شئت . » فقال : « لا بأس ، تفضل . استطيع البقاء وحدي الآن . أرجو الا يكون الخبر سيئاً ؟ »

قلت : « عليك بدائرة البرق لمعرفة الجواب . لديهم الوقت لذلك ، اما انا فلا وقت لدي . »

— « مجرد سؤال . فأملك تعلم انها تستطيع الاعتماد علي . » قلت : « انها تقدر ذلك . لن امكث اطول مما ينبغي . »

فقال : « لا تستعجل . استطيع البقاء وحدي الآن . تفضل . »
 ركبت السيارة وعدت الى البيت . مرةً هذا الصباح ، ومرتين عند
 الظهر ، ومرة أخرى الآن ، وعليّ كذلك ان اطارد بحثاً عنها في ارجاء
 البلدة كلها كما أن عليّ ان اتوسل اليهم ان يدعوني آكل شيئاً من
 الطعام الذي اشتريه بمالي . إنني اقول احياناً ما نفع اي شيء . مع هذه
 السابقة التي حدثت لي ما كنت لاستمر لولا أنني مجنون . والآن حالما
 ابلغ البيت عليّ برحلة طويلة في السيارة بحثاً عن سلة من الطاطم أو
 غيرها اعود بعدها الى المدينة ورائحتي كمصنع الكافور ليثلاً ينفجر
 رأسي على كتفي . وانا أردد واكرر لها ان هذا الاسبرين اللعين لا
 يحوي الا الطحين والماء لكل من يتوهم في نفسه المرض ، وأقول لها
 انك لا تعرفين ما الصداع . ثم اقول تحسبن انني كنت ازعج نفسي
 بتلك السيارة لو توقف الامر عليّ انا ؟ فباستطاعتي ان أحيا بدونها لقد
 اعتدت الحياة محروماً اشياء عديدة ولكن ان كنت ترغبين في المجازفة
 بحياتك في تلك العربة العتيقة المستهلكة يسوقها صبي زنجي ناقص النمو
 فلا بأس الله يرعى بعنايته من هم من فصيلة بنجي ، والله يعلم ان عليه
 ان يسعفه على نحو ما ولكن ان كنت تحسبن انني سأعهد بسيارة دقيقة
 الصنع كلفتنني الف دولار لزنجي ناقص النمو او كامل النمو ، فخير
 لك ان تشتري له سيارة بنفسك لأنك تجهين ركوب السيارة ولن
 تنكري ذلك .

قالت دلزي ان امي في البيت . فدخلت بهو المدخل وأصغيت ،
 ولكنني لم اسمع شيئاً . فصعدت الى فوق وحالما مررت ببها ناديتي .
 وقالت : « اردت ان اعرف من القادم . انني اجلس هنا بمفردي
 معظم الوقت . فاسمع كل صوت . »

قلت : « لا حاجة بك الى البقاء هنا . بإمكانك ان تقضي النهار
 كله في الزيارات كغيرك من النساء ، ان انت شئت . » فأتت الى الباب .

وقالت : « خشيت ان تكون مريضاً . لأنك تناولت غداءك على عجل . »

قلت : « لعلي اوفق في مرة قادمة . ماذا تريدن ؟ »

- « هل من شيء على غير ما يرام ؟ »

- « اي شيء ؟ ألا يجوز لي ان آتي الى البيت عصرأ دون ازعاج كل من في المنزل ؟ »

- « هل رأيت كونتن ؟ »

- « انها في المدرسة . »

- « ولكن الساعة تجاوزت الثالثة . لقد سمعت الساعة تدق قبل

نصف ساعة على الأقل . كان يجب ان تبلغ البيت الآن . »

- « صحيح ؟ وهل رأيتها تأتي يوماً قبل هبوط الظلام ؟ »

- « كان يجب ان تكون في البيت . عندما كنت فتاة ... »

قالت : « كان لك من يؤدبك . امأ هي ؟ »

قالت : « لقد اعجزتني ، مع انني حاولت وحاولت . »

- « ولن تسمح لي بتأديبها ، لسبب ما . فاقعي اذن . » ذهبت

الى غرفتي ، وادرت المفتاح في الباب ووقفت قربه الى ان رأيت مقبضه يدور ، واذا بها تقول :

« جاسن . »

... « ماذا ؟ »

- « خشيت ان لا يكون شيء ما على ما يرام . »

- « ليس في غرفتي . لقد قصدت المكان الخطأ . »

فقلت : « لست اقصد اقلاقك . »

فقلت : « اشكرك على ذلك . لأنني لم اكن واثقاً . وظننت انني

مخطيء . أتريدن شيئاً ؟ »

وبعد قليل قالت : « كلا . لا اريد شيئاً . » ثم ابتعدت . فأنزلت

الصندوق واحصيت النقود وخبأت الصندوق ثاينة وفتحت قفل الباب وخرجت . وتذكرت الكافور ، ولكن فات الاوان على كل حال . وسأخرج لرحلة واحدة فقط . فرأيتها ببابها تنتظر .

قلت : « اتريلين شيئاً من البلدة ؟ »

قالت : « كلا . لا أريد التدخل بشؤونك . ولكنني لا ادري ما الذي سأفعله لو حدث لك اي حادث يا جاسن . »

قلت : « انا بخير . مجرد صداع . »

قالت : « ليتك تتناول بعض الاسبرين . أنا اعلم انك لن تتوقف عن استعمال السيارة . »

فقلت : « وما علاقة السيارة بذلك ؟ كيف يمكن للسيارة ان تسبب لي صداعاً ؟ »

— « البنزين كما تعلم كان يسبب لك اضطراباً دائماً . منذ ان كنت طفلاً . اتمنى لو تتناول بعض الاسبرين . »

فقلت : « استمري في التمني . لن يؤذيك التمني . »

ركبت السيارة وعدت الى البلدة . وحالما انعطفت الى الشارع رأيت سيارة « فورد » مسرعة نحوي . وفجأة وقفت . سمعت العجلات تنزلق فتدور السيارة ثم تندفع الى الراء ، فتدوّم وما ان تساءلت ماذا يبغني راكبها ان يفعل ، حتى رأيت ذلك الرباط الأحمر . ثم تبينت وجهها ينظر الى الخلف من النافذة . دوّمت السيارة منطلقة في الزقاق، ورأيتها تنعطف ثاينة ، ولكن عندما بلغت الشارع الخلفي كانت قد بدأت تختفي، مسرعة كالشيطان .

طار عقلي . لما تبينت ذلك الرباط الأحمر ، وبالرغم من كل ما قلته لها ، نسيت كل شيء . ولم افكر حتى برأسي المصدوع حتى بلغت اول تقاطع طرق واضطرت الى الوقوف . نفق الاموال ونفق الاموال على الطرق ومع ذلك فكأننا والله نسوق على صفيحة من الحديد المموج .

اريد ان اعرف كيف يمكن لانسان ان يحافظ على عربة يده ، بله سيارته في طرق كهذه . انني ابالغ في الخشية على سيارتي ، ولن احطمها بالسرعة كأنها « فورد » . واغلب الظن انهما قد سرقاها على كل حال ، فلن يعنينا من امرها شيء . وكما اقول ، العرق دسّاس . ان يكن هذا عرقك ، فلن تتورع عن شيء . وقلت مهما يكن لها من حق عليك فقد اديت واجبك وانتهيت . فلا تلومي من الآن فصاعداً الا نفسك لأنك تعلمين ما الذي يفعله في حالة كهذه انسان يتمتع بدرهمين من عقل . وقلت ان كان لا بد لي من قضاء نصف وقتي كشرطي سري ، فلاذهب على الأقل الى حيث اتقاضى اجراً على ذلك .

وهكذا اضطررت الى الوقوف عند تقاطع الطرق . فتذكرته . وشعرت به كأن في داخل رأسي شخصاً يضربه بمطرقة . قلت لها لقد حاولت ان اصدّ عنك القلق بشأنها . اما بالنسبة إلي فاني اقول لتذهب الى حيث ألفت وبأسرع ما تستطيع وخير البر عاجله . وقلت كذلك ما الذي تتوقعين إلا ان تري كل سافل وكل من ينتمي إلى فرقة من المهرجين القادمين إلى البلدة لأن شباب البلدة ، حتى أحطهم شأنناً يترفعون الآن عنها . انك لا تعلمين بما يجري في البلدة ، ولا تسمعين الاقاييل التي اسمعها وثقي انني اسد افواههم جميعاً . فأقول لهم لقد كان اسلاف اسرتي يملكون العبيد هنا ايام كنتم تديرون حوانيت ريفية حقيرة لبيع سقط المتاع وتفلحون اراضي يترفع عنها حتى الزنوج .

هذا ان هم فليحوها قط . من حسن الحظ ان الله قد اسبغ نِعَمَهُ على هذا البلد . اما اهله فما حركوا من اجله ساكناً . هـا نحن عصر يوم الجمعة ، وبوسعي حيث وقفت ان ارى ثلاثة اميال من اراضٍ لم يشتمها محراث ، بينما راح كل رجل سليم الجسم في المقاطعة يهرول الى البلدة ليشاهد السيرك . فلو كنت غربياً مشرفاً على الموت جوعاً ، لما استطعت ان اري انساناً هناك اسأله حتى عن السبيل الى البلدة . وهي

تحاول ان تقسرنني على ابتلاع الاسبرين ، فأقول لها اذا اردت خبزاً اكلته على المائدة . انك لا تنقطعين عن الكلام عن توضيحاتك من اجلنا وبامكانك ان تشتري عشرة فساتين جديدة كل سنة بالنقود التي تنفقينها على هذه الأدوية المستحضرة السخيفة . وما انا بحاجة إليه ليس دواء لصداعي بل فرصة لا اضطر فيها الى ان اشعر بالصداع ولكن ما دمت مكرهاً على العمل عشر ساعات في اليوم لأقوم بأود مطبخ مليء بالزئوج يعيشون عندي اترف العيش وارسلهم الى السيرك مع كل زنجي آخر في المقاطعة ، ولكنه قد تأخر ، وربما يبلغ المكان يكون العرض قد انتهى .

بعد زمن دنا من السيارة ولما افهمته أخيراً سؤالي عما اذا كان قد رأى شاباً وشابة عمران به في سيارة فورد ، قال نعم . فاستأنفت السير ، ولما وصلت الى حيث يتفرع طريق العربات جعلت ارى آثار الإطارات . كان « آب راسل » في مزرعته ، غير انني لم اهتم بسؤاله وما كدت اخرج عن مدى البصر من عنبره حتى رأيت الفورد . لقد حاولا ان يخفياها . واتقنا العملية انقائها لكل ما تفعله . وكما اقول ، انا في الواقع لا اعترض على ؛ فلعلها لا تملك منعاً لنفسها عنه ، ولكن الذي يغضبني هو انها لا تبدي من الاحترام لاسرتها ما يجعلها تتستر على نفسها . ولاني لفي خشية مستمرة من ان اصطدم بهما فجأة على قارعة الطريق او تحت احدى العربات في الميدان ، ملتحمين التحام كلب وكلبة .

اوقفت السيارة ونزلت منها . وكان عليّ الآن ان اسير مداورةً واخترق حقلاً محروثاً ، وهو الحقل الوحيد الذي شاهدته منذ ان تركت البلدة ، وامشي بخطوات ثقيلة كأن ورائي شخصاً ما يلاحقني ويضربني على رأسي بهراوته . وجعلت افكر بأنني حال عبوري الحقل ستنبسط الأرض تحت قدمي ، فلا تخضني عند كل خطوة ، ولكن عندما دخلت الآجام وجدتها مليئة بالشجيرات فرحت ابرم جسمي وانا اشق طريقي بينها ، الى ان وصلت الى خندق مليء بالعليق . فسرت بمحاذاته ،

والعَلِّيق يشتد كثافة والتفافاً ، وقد يكون ايرل منهمكاً طيلة هذا الوقت بمخاطبة بيتنا تلفونياً ليسأل اين انا فتضطرب امي من جديد .

وفي النهاية حين بلغت الطرف الآخر كنت قد انعطفت وتعرّجت كثيراً فتوقفت لأخّن اين تكون الآن مني سيارة الفورّد . اذ كنت اعلم انها لن يبعدا عنها كثيراً ، فيندسّان تحت اقرب شجيرة . فاستدّرت وسرت في الاتجاه المعاكس نحو الطريق . وبعد ذلك لم استطع ان أعين مدى بعدي ، فجعلت أقف وأصغي ، وكأما وقفت قلّ ما تستخدمه رجلاي من دم ، فتدفق الى رأسي كأنه سينفجر في أية لحظة ، والشمس منحدرّة الى حيث تشعّ في عينيّ مباشرة واذناي ترتان فلا اسمع شيئاً . واستمررت محاولاً السير بهدوء ، ثم سمعت كلباً او ما يشبه الكلب فادرّكت انه اذا ما اشمّ رائحتي فانه سيركض لينقض عليّ ، فتنتهي عبثاً مطارّدتي كلها .

في هذه الاثناء كنت قد اكتسيت بضروب القمل والعساليج والانربة ، داخل ثيابي وحنائبي ، سافلي وعاليّ ، تم التفتّ بمحض الصدفة ووجدت ان يدي قد وقعت على عنقود من البلوط السام . والشئ الوحيد الذي لم افقهه هو لمّ كان هذا الشئ بلوطاً ساماً لا حية رقطاع مثلاً . فلم اكلف نفسي مؤونة تحريكها ، وبقيت واقفاً مكاني الى ان ابتعد الكلب. فضّيت في طريقي .

والآن ، لم أعد استطيع ان اتخيّل مكان السيارة . وعجزت عن التفكير بشيء عدا رأسي ، فجعلت أقف في المكان الواحد واتساءل ترى هل رأيت سيارة فورّد حقاً ؟ ولم يعد يهمني رأيتها ام لم أرها . وكما أقول ، فلتضاجع ليلَ نهار كل شيء يرتدي سروالاً في هذه البلدة ، ما همّني . لن اشعر أن ثمة حقاً عليّ لفتاة لا تعبأ بي ولا تترفع عن ترك سيارة فورّد هناك وجعلي أنفق عصر يوم كامل بينما راح ايرل آخذاً إياها الى هناك ليريمها دفاتر الحساب لأن له من النضيّة ما لا يتحمّله هذا العالم .

السيارة جانحة بأكثر مما يبرره ميلان الطريق ، ولكنني لم اكتشف الامر الى ان ركبت وشغلت السيارة .

وهكذا ، جلست في مكاني . والوقت يقارب الغروب ، والبلدة على بعد حوالي خمسة أميال . لم تكن لديهما الجرأة حتى لثقب الإطار بضربة ما . انما افرغا هواءه وكفى . فوقفت هناك برهة ، افكر بذلك المطبخ المليء بالزنوج وما من احد فيه يجد الوقت لتكوين اطار على المحور وشدة برغيتين او ثلاثة . والمضحك في الأمر أنها لم تكن حتى هي لتخطط للأمر عن بعد نظر فتخرج مضخة الهواء من مكانها عن قصد ، إلا اذا خطر لها ذلك حين راح هو يفرغ الاطار . والأغلب ان احدهم أخرجها واعطاها بن ليلعب بها كرشاش لأنهم لن يترددوا في فك اوصال السيارة ان هو اراد ذلك فتقول دلزي : لم يمس احد سيارتك . ولماذا نعبث بها ؟ فأقول لها انت زنجية . وما أحسن حظك ، أتعلمين ؟ ولتبادل اللون أنا وأنت لأن الغباء لن يبلغ بامريء حد الانزعاج لما تفعله فتاة ساقطة الا اذا كان ابيض اللون .

سرت الى مسكن راسل . وكانت لديه مضخة . لإهمال منها ، ربما . ولكنني بقيت عاجزاً عن الاعتقاد بأن لها من القحة ما يحدو بها الى فعل ذلك . وظلت تلك الفكرة تتردد في رأسي . لست ادري لماذا أراني لا أتعلم بأن في وسع المرأة ان تفعل اي شيء . فجعلت افكر : لننس برهة شعوري نحوك وشعورك نحوي : ولكنني لن استطيع الغدر بك على نحو كهذا . لن اغدر بك على نحو كهذا مهما أسأت الي . فالدم دم كما اقول دائماً ولا مناص لنا منه . وليست المسألة مسألة مقلب قد يخطر ببال ولد في الثامنة من عمره ، انها جعل خالك ، خالك انت ، اضحوكة رجل يلبس رباطاً احمر . انهم يأتون الى بلدتنا ويدعوننا بالفلاحين المغفلين ويربأون بأنفسهم عن المكوث فيها لصغرها عن حاجتهم . والواقع انه لا يعرف كم هو محق . وأما هي ، ان كان هذا شعورها ، فخير

لها ان تمضي في سبيلها وتريننا من مشاكلها .

أعدت مضخة راسل وعدت فسقت سيارتي الى البلدة . ذهبت الى الحانوت وشربت زجاجة من الكوكاكولا وتوجهت على اثرها الى دائرة البرق . كانت البورصة قد أغلقت عند ١٢ و ٢١ ، هابطة بأربعين نقطة . أربعين مرة خمسة دولارات ، فاشتر شيناً بذلك ان استطعت ! وتقول ، لا بد لي منها لا بد لي منها فأقول يا للأسف عليك بالمحاولة مع أحد غيري ، فلا نقود عندي ؛ لقد انشغلت بأمور أخرى عن كسبها . نظرتُ إليه طويلاً .

وقلت : « لعلك لم تسمع هذا النبأ ، فتندعش : سوق القطن تهمني . هل خطر لك هذا ببال ؟ »

فقال : « سميت جهدي لتسليمك البرقية . ذهبت الى الدكان مرتين وخابرت بيتكم ، ولكن لم يعرفوا اين ذهبت . » قالها وهو ينبشُ درجته . قلت : « اية برقية ؟ » فناولني إياها . « متى وصلت هذه ؟ »
- « حوالي الساعة الثالثة والنصف . »

- « إنها الخامسة والعشر دقائق الآن . »

- « حاولت تسليمها ، فلم اعثر عليك . »

فقلت : « وهل ذلك ذنب ؟ » وفتحتها ، لكي أرى الاكذوبة التي سيلفونها عليّ هذه المرة . ساعدهم الله ان كانوا بحاجة الى المجيء عبر الفواوت الى ميسبي ليسرقوا عشرة دولارات في الشهر . « بع » تقول البرقية . « ستضطرب السوق ، مبالاة الى الهبوط . لا تفزع عند سماع تقرير الحكومة . »

فقلت : « ما تكاليف برقية كهذه ؟ » فأخبرني .

وقال : « دفعوها . »

قلت : « اذن فأنا مدين لهم بها . كنت أعلم محتواها . ارسل هذه البرقية وحصلت من المرسل اليه ، » قلت ذلك وأخذت استمارة ، وكتبت :

« اشترؤا . السوق على وشك الانفجار . اضطراب بين الحين والحين .
للتلاعب على المزيد من القرويين المغفلين الذين لم يأتوا بعد الى دائرة
البرق . لا تفزعوا . » ثم قلت : « ارسلها وحصل من المرسل اليه . »
نظر الى الرسالة ، ثم رفع بصره الى الساعة ، وقال : « اغلقت
السوق منذ ساعة . »

فقلت : « وليس ذلك ايضاً بذنبي . فأنا لم أخترعها . أنا انما
اشتريت القليل منها حين ظننت أن شركة البرق ستبقيني على علم مستمر
بما يجري . »

— « لإيراد التقرير يتم حال وصوله . »

— « تماماً . » قلت . « وفي ممفيس يعلنونه على لوح اسود كل
عشر ثوان . » ثم قلت : « لقد كنت على مقربة سبعة وستين ميلاً
منها بعد ظهر اليوم . »

فتأمل البرقية وقال : « أتريد ارسالها ؟ »

قلت : « لم أغير رأيي بعد ، وكتبت الأخرى وأحصيت النقود .
» وهذه أيضاً ، ان تثق من افك تستطيع تهجئة : ب ع . »

عدت ادراجي الى الدكان . واستطعت ان اسمع جوقة الموسيقى من
أقصى الشارع . منع المسكرات شيء رائع . جاءتنا أيام كانوا يأتون .
فيها كل يوم سبت وليس لدى العائلة الا زوج واحد من الأحذية يلبسه
صاحبنا القادم ، فيذهب الى مكتب القطار السريع ويتسلم طرده ؛ أما
الآن فلإنهم يذهبون جميعاً الى السيرك حفاة الاقدام ، والتجار واقفون
بأبوابهم كصف من النمر في قفص من الحديد ، يرقبونهم يمرّون .
قال ايرل :

« ارجو أنه لم يكن امراً خطيراً ؟ »

فقلت : « ماذا ؟ » فنظر الى ساعته ، ثم سار الى الباب ونظر الى
ساعة المحكمة . فقلت : « اجدر بك ان تقتني ساعة بدولار . لكي .

لا تكلفك كثيراً كلما اعتقدت انها تكذب عليك . »

فقال : « ماذا ؟ »

— « لا شيء . » قلت . « أرجو ألا أكون قد سببت لك حرجاً . »

قال : « لم يتراكم علينا الشغل ، فقد ذهب الجميع الى السيرك .

لا بأس . »

قلت : « واذا كان هناك من بأس ، فافعل ما بدا لك . »

— « قلت لك لا بأس . »

— « سمعتك . واذا كان هناك من بأس ، فافعل ما بدا لك . »

فقال : « أتريد ان تترك العمل ؟ »

قلت : « ليس العمل لي . فليس لرغباتي دخل في الأمر . ولكن

حذار من الاعتقاد بأنك تحمي بابقائي هنا . »

— « بوسعك ان تكون من أقدر رجال الاعمال يا جاسن ، لو

ممتحت لنفسك بذلك . »

— « اني على الأقل انصرف الى شؤوني الخاصة وادع الناس

وشأنهم . »

— « لست ادري لماذا تحاول ان تدفعني الى طردك من العمل .

وانت تعلم ان باستطاعتك ان تتركني في اية لحظة شئت دون ان تتعكّر

العلاقات بيننا . »

فقلت : « لعل ذلك هو السبب في انني لا اترك العمل . ما دمت

اعنى بوظيفتي ، فذلك ما انتقضى رتباً عنه . » وذهبت الى المؤخرة

وشربت ماء ثم خرجت الى الباب الخلفي . كان ايوب قد انتهى اخيراً

من تركيب المشبات . والمكان هادئ ، وسرعان ما خفّ الألم في

رأسي . وجعلت اسمعهم يغنون ، ثم شرعت الجوقة بالعزف من جديد .

طيب ، لينتزعوا كل درهم في المقاطعة ، اهو جلد يسليخونه عن

ظهري ؟ لقد فعلتُ ما بوسعي ، ومن يعيش السنين التي عشتها ولا

يعرف متى يكفّ فهو غبيّ ، ليس الاّ . ولا سيما ان القضية ليست من شأني . فلو كانت ابنتي انا لاختلف الأمر ، لأنها حينئذ لن تجد من الوقت متسعاً لذلك ، لأنها ستضطر الى العمل كي تطعم عدداً من المقعدين والمعتوهين والزنوج ، ولأن الحياء سيمنعني عن المجيء بأحد الى دارني . فلي من احترام الناس ما يمنعني . اني رجل ، ولي قدرة على التحمّل . فذاك لحمي ودمي وليرثني لون عينه كل من يجروء على مس كرامة امرأة هي صديقة لي وهل يفعلها الا هؤلاء النسوة الصالحات قبحهن الله والا فأين المرأة الصالحة المترددة على الكنيسة التي تضاهي لورين امانة واستقامة ، مومساً كانت ام غير مومس . وكما اقول لو اردت الزواج لطار عقلك فلا تنكري فقالت اريد لك السعادة والحياة العائلية لا الكدح وارهاق النفس من أجلنا . ولكنني راحلة عما قريب فلك عندئذ ان تتزوج على انك لن تجد المرأة التي هي اهل لك فقلت بل سأجدها . ولكنك ستنتفضين في قبرك عندها وتنهضين منه وأنت ادرى . لا ، شكراً ، ان لديّ الآن ما يكفيني من نسوة اعتني بهن ولو تزوجت لاكتشفت في الأغلب ان زوجتي نطاطة بلهاء . وهذا كل ما ينقصنا في هذه الاسرة .

كانت الشمس الآن تغيب وراء الكنيسة ، والحمامات تطير يمنة ويسرة حول القبة ، وحالما توقفت الجوقة عن العزف سمعت هديلها . لم تنقص اربعة اشهر على عيد الميلاد ، وهذه هي قد تكاثرت وغزرت . وأغلب الظن ان القس ولتهول قد بدأ الآن يضيق بها ذرعاً . فكأننا نطلق النار على الناس ، تجده يخطب ويعظ بل ويمسك ببندقية المرء حينما تطير فوقنا . فيتحدث عن السلام الذي على الارض والمسرة التي بالناس وما من سنونوة تسقط على الارض . وما همّة ان تكاثرت وغزرت ، انه لا يعمل شيئاً ، ولا همّة ما الساعة . لا يدفع ضريبة ولا يضطر الى رؤية نقوده تصرف كل سنة على تنظيف ساعة المحكمة لثلا تكفّ عن

سيرها . خمسة واربعون دولاراً دفعوها لأحدهم لكي ينظفها . وقد أحصيتُ أكثر من مئة حمامة نصف فاقسة على الأرض . يدهشني أنها لا تبارح البلدة . وأحمد الله ان ليس لي من الروابط أكثر مما للحمام . إي والله .

ها هي الجوقة تعزف من جديد ، لحناً عالياً سريعاً ، كأنها على وشك الانتهاء . فايطمثنوا الآن . ولعل لديهم الآن من الموسيقى ما يكفي لتسليتهم وهم يعودون راكبين مسافة أربعة عشر او خمسة عشر ميلاً الى بيوتهم فينزعون العدة في الظلام عن دوابهم ويطعمونها ويحبون الأبقار . وما عليهم الا ان يصفروا الانعام ويرووا النكات للدواب في الحظيرة ، وعندها يستطيعون ان يحسبوا مبلغ ما كسبه بعدم اصطحاب الدواب ايضاً الى السيرك . فيحسبون ان كان للواحد منهم خمسة اولاد وسبعة بغال ، فقد كسب صافياً ربع دولار بأخذ عائلته الى السيرك . كذا بالضبط . وجاء إيرل يحمل طرددين .

وقال : « هذه مواد اخرى يجب ارسالها . أين العم ايوب ؟ »
قلت : « ذهب الى السيرك ، فيما اعتقد . الا اذا كنت تراقبه . »
قال : « انه لا يغادر المكان خلصة . وبوسعي الاعتماد عليه . »
قلت : « انك تقصدني بذلك . »

قال : « تلك جوقة تحسن العزف . ولكن أما آن لها ان تنتهي ؟ »
قلت : « لعلها تريد ان تقضي ليلتها هناك . » كانت عصافير السنونو قد بدأت ، وجعلت اسمعها وهي آخذة بالاحتشاد في الاشجار في فناء المحكمة . وبين الحين والحين ينطلق سرب منها ويحوم ويسف على مرأى منا فوق السطح ، ثم يبتعد . انها في رأسي مصدر ازعاج كبير ، كالحمام . فانت لا تستطيع حتى الجلوس في فناء المحكمة بسببها . فما تكاد تجلس حتى تجد انها فيشت ! على قبعتك . ولكنها تتطلب مليونيراً يقوم بنفقات رميها بالبندقية بمعدل خمسة سنتات لكل رمية .

فلو وضعوا شيئاً من السم في ذلك الميدان ، لتخلصوا منها في يوم واحد ،
فالتاجر الذي يعجز عن منع بضاعته عن الانسراح في طول الميدان
وعرضه ، خير له ان يتعامل بشيء غير الدجاج ، بشيء لا يأكل ،
كالمحاريث أو البصل . واذا لم يُبقي المرء على يقظة كلابه ، فهو لا
يريد تجارته او انه غير جدير بها . وكما اقول ، ان كانت الاعمال
كلها تدار في البلدة كأنها ليست إلا اعمالاً ريفية ، فلن تكون البلدة
في النهاية إلا بلدة ريفية .

- « وما الفائدة ان انتهت الجوقة ؟ » قلت . « لا بد لهم من
تهيئة عرباتهم والخروج بها ليلغوا بيوتهم عند منتصف الليل ، على كل
حال . »

قال : « انهم يجدون متعة في ذلك . ولم لا ينفقون قليلاً من النقود
على سيرك من هذا القبيل بين حين وآخر ؟ فالفلاح على التلال يعمل
ويكدح ولا يحصل الا على اقل من القليل . »
فقلت : « وهل هناك قانون يحتّم عليه الزراعة في التلال ، او في
اي مكان آخر ؟ »

قال : « اين نكون انا وانت لولا الفلاحون ؟ »
قلت : « أمّا انا فأكون في البيت . مضطجماً وعلى رأسي كيس
من ثلج . »

قال : « صداعك هذا يتكرر اكثر مما ينبغي . لماذا لا تفحص
اسنانك فحصاً جيداً ؟ هل نظر فيها جيداً هذا الصباح ؟ »
قلت : « من ؟ »

- « قلت إنك راجعت طبيب الانسان هذا الصباح . »
قلت : « هل تمنع في شعوري بصداع اثناء الدوام ؟ اهذا
ما يقلقك ؟ » جعل الناس يملأون الزقاق ، قادمين من حفلة السيرك .
فقال : « ها هم قادمون . فالأفضل ان اذهب الى الوجهة . »

وذهب . من الغريب ، مهما تكن علتك ، ان ينصحك الرجل بفحص اسنانك وتنصحك المرأة بالزواج ، ولكن لا يشير عليك بأفضل السبل في ادارة اعمالك إلاّ رجل اخفق في كل ما فعل . كهؤلاء الاساتذة الجامعيين الذين لا يملكون زوجاً سليماً من الجوارب ويخبرونك كيف تجمع مليون دولار في عشر سنين ، والمرأة التي عجزت حتى عن ايجاد الزوج تخبرك كيف تنشىء عائلتك .

جاء الشيخ ايوب بالعربة . وبعد قليل فرغ من لف السيور حول مرتكز السوط .

فقلت : « ها ، هل كانت الحفلة جميلة ؟ »

قال : « لم اذهب بعد . ولكن اذا اراد احد ان يقبض عليّ هذه الليلة وجدني في تلك الخيمة ، ما في ذلك شك . »

قلت : « لا أصدق انك لم تذهب . لقد تغيبت منذ الساعة الثالثة . والسيد لايرل جاء هنا قبل لحظات يبحث عنك . »

قال : « كنت مشغولاً بعمل . والسيد لايرل يعرف اين ذهبت . »

قلت : « لك ان تخدعه . ولن أشي بك . »

فقال : « اذن فهو الرجل الوحيد الذي احاول ان اخدعه هنا . ولماذا أضيع وقتي في خداع رجل لا يهمني ان رأيته أو لم اره مساء يوم السبت ؟ لن أحاول خداعك انت مثلاً . »

قال : « شطارتك تقهرني . اي والله . » قال ذلك وهو يتظاهر بكثرة الشغل ، واضعاً خمسة او ستة طرود صغيرة في العربة . « شطارتك تقهرني . ليس في هذه البلدة رجل يضاهيك شطارة . وانك لتخدع رجلاً له من الشطارة ما يعوقه حتى عن مجارة نفسه . » قالها وصعد الى العربة وحلّ الرسن .

— « ومن ذلك ؟ » قلت .

قال : « ذلك هو السيد جاسن كمبسن تحرّك ، يا دان ! »

كانت احدى العجلات على وشك الانفلات . فتبّعتهُ بعيني لأرى ان كان سيخرج من الزقاق قبل ان تنفلت . ما عليك الا ان تعطي اية عربية لزنجي ، مهما كانت . وقد قلت ان تلك الحُصْخُصَة قذِي في العين ، ولكنكم ستبقونها واقفة هناك في مأوى العربات مئة سنة أخرى لا شيء إلاّ . يستطيع ذلك الغلام ان يسوقها الى المقبرة مرة كل اسبوع . وقلت انه ليس الرجل الوحيد في هذه الدنيا الذي يتعين عليه ان يفعل شيئاً لا يرغب فيه . فلو ترك الأمر لي لأجبرته على ركوب تلك السيارة كانسان متحضّر وإلاّ فليمكث في البيت . وما الذي يعرفه عن اين يذهب وماذا يركب ، ونحن نُبقي في البيت عربية وحصاناً لكي يتمتع بنزهته بعد الظهر من كل أحد ؟

وهل يهمّ ايتوب انفلتت العجلة ام لم تنفلت ، ما دام لا يضطر الى السير طويلاً حين يعود ؟ فكما اقول إن مكانهم الأوحد هو الحقل ، حيث يجبرون على العمل من طلوع الشمس الى غروبها . فهم لا يتحملون الرفاه او العمل السهل . دع الواحد منهم يقيم مدة مع البيض تجد أنه اصبح لا يستحق حتى القتل . انهم ليتفاصحون عليك في العمل امام عينيك ، كرسكوس الذي كانت الغلطة الوحيدة التي ارتكبها في حياته هي انه اهمل شأنه يوماً فأت . ينكاسلون ويسرقون وتزداد قحتهم عليك يوماً بعد يوم الى ان تجد نفسك ذات يوم مكرها على ازهاق روحهم بعضا غليظة . على كل ، فالدكان دكان إيرل . ولو كنت مكانه لما سمحت بأن يكون عنوان عملي في طول البلدة وعرضها زنجي رَجاف هَريم وعربة تخال انها كلها انعطفت ستهوي حطاماً .

كانت أشعة الشمس الآن تمتد عالياً في الفضاء ، بينما جعل الظلام يشتد في الداخل . فذهبت الى الواجهة ، ووجدت ان الميدان قد افر ، وإيرل في المؤخرة يغلق الخزانة ، ثم جعلت الساعة تدقّ . وقال : « اقفل انت الباب الخلفي . » فذهبت واقفلته ثم عدت .

فقال : « اتصور انك ذاهب الى حفلة السيرك الليلة . انا اعطيتك
تينك البطاقتين ، اليس كذلك ؟ »

قلت : « بلى . اتريدني ان ارجعها اليك ؟ »

قال : « كلا ، كلا . انما نسيت ان كنت اعطيتك اياها ام لا .
من السخف ألا نستفيد منها . »

اقتل الباب وقال : « طاب مساؤك » ومضى . كانت عصافير السنونو
ما زالت في ضجيجها في اعالي الاشجار ، غير ان الميدان خال فيما عدا
بعض السيارات . وعند مدخل الحانوت وقفت سيارة فورد ولكنني لم
انظر اليها . فأنا اعرف حدودي عندما اتخم من شيء ما . إنني لا امانع
في مساعدتها ، ولكنني اعرف حدودي . يخيل اليّ ان بوسعي ان اعلم
لستر سياقتها ، فيتمكنون حينئذ من ملاحقتها ان شاءوا طيلة ساعات النهار
وابقى انا في البيت للاعب بن .

دخلت واشترت سيجارين . ثم قلت فلأتناول جرعة اخرى للصداع
تيمناً ، ووقفت اتحدث الى الجماعة برهة .

قال ماك : « لا ريب انك تراهن على « اليانكيز » * هذه السنة . »

قلت : « ولماذا ؟ »

قال : « للحصول على العكس . ليس في « الاتحاد » فريق يستطيع
أن يغلبهم . »

قلت : « انك مخطيء . لقد استنفدوا قواهم . اتحسب ان هناك
فريقاً يستطيع البقاء محظوظاً الى الابد ؟ »

— « انا لا اسمي ذلك حظاً . »

— « لن اراهن على فريق يلعب فيه ذلك الثقيل ، روث . حتى

لو تأكدت من انه سيكون الغالب . »

* الحديث هنا عن مباريات « البيسبول » التي تتمتع بشعبية هائلة في الولايات المتحدة .
و « اليانكيز » (الشاليون) اسم فريق من فرق « الاتحاد » . (المترجم)

فقال ماك : « صحيح ؟ »

قلت : « بامكاني ان اذكر لك عشرة رجال في ايّ من الاتحادين
أهمّ منه وأحسن . »

— « ما الذي يجعلك تعادي روث ؟ »

قلت : « لا شيء مطلقاً . حتى صورته لا يروق لي ان انظر
اليها . » بعد ذلك خرجت ، وقد بدأت الانوار تضاء ، وجعل الناس
يطرقون السبيل الى بيوتهم . اما عصافير السنونو فانها احياناً لا تهجم
حتى انتشار ظلام الليل . وليلة اضاءوا الانوار الجديدة حول مبنى المحكمة
استيقظت العصافير وراحت تحوم وتخبط الانوار طيلة الليل . وقد فعلت
ذلك ليلتين او ثلاثاً ، وذات صباح اختفت جميعها . وبعد ذلك بشهرين
عادت كلها ثانية .

عدت في سيارتي الى البيت . والانوار فيه لم تضاء بعد ، ولكنهم
يتطالعون جميعاً من النوافذ ، ودلزي تشكى وتلغو في المطبخ كأن الطعام
الذي عليها ان تبقيه حاراً هو طعامها هي . ولو سمعتها لظننت ان
ليس في الدنيا إلا عشاء واحد ، وهو العشاء الذي اضطررت الى
إبقائه بضع دقائق من اجلي . لحسن الحظ جئت هذه المرة الى البيت
دون ان ارى بن وذلك الزنجي متعلقين بالبوابة أشبه بدب وقرد في
قفص واحد . ما تكاد الشمس تشرف على الغروب حتى تراه منطلقاً
نحو البوابة كبقرة نحو حظيرتها ، متعلقاً بها وهو يهزّ برأسه ويثنّ لنفسه .
أرأيت من يتحرّق للعقاب ويشتهيه ؟ لو أن ما حدث له لسوء تصرفه
لدى البوابات المفتوحة قد حدث لي ، لما اردت ان ارى بوابة اخرى
في حياتي . وكثيراً ما اتساءل ترى ما الذي يفكر به وهو متشبث بتلك
البوابة ، يرقب البنات عائدات الى البيت من المدرسة ، ويحاول الحصول
على أمر يكاد يعجز عن ان يتذكر انه لا يريده ولا يملك ان يريده .
وما الذي يفكر به كلها نزعوا عنه ثيابه فنظر الى نفسه وراح يبكي

كعادته . ولكن ، كما أقول ، لم يعطوه نصف ما يستحق . فأقول ،
لاني اعرف ما الذي تحتاجينه أنت ، انك بحاجة الى ما فعلوه ببن ،
فتحسنين السلوك عندها . وان كنت تجهلين ما الذي فعلوه ببن ، فاسألني
دلزي تخبرك .

كانت غرفة امي مضاعة . فأوقفت السيارة في مكانها ودخلت المطبخ .
فوجدت لستر وبن .

قلت : « اين دلزي ؟ اتهيء العشاء ؟ »
فقال لستر : « انها فوق ، مع الست كارولالين . شجار مستمر
منذ ان رجعت الانسة كونتن الى البيت . وامي بينهما تمنعها عن
الخصام . هل وصل ذلك السيرك يا سيد جاسن ؟ »

قلت : « نعم . »
قال : « لقد ظننت انني سمعت الفرقة تعزف . » ثم قال : « ليتني
اذهب لاراه . لو كان لدي ربع دولار فقط . »
ودخلت دلزي فقالت : « هل عدت ؟ ما الذي كنت تفعله هذا
المساء ؟ انت اعلم بكثرة ما لدي من شغل ، فلم تتأخر عن الموعد ؟ »
قلت : « ربما لانني ذهبت الى السيرك . هل العشاء جاهز ؟ »
- « وما الذي تفعله في السيرك ؟ » قالت دلزي . « ادخل المنزل
واجلس مكانك . ولا تصعد الى فوق وتبدأ المعركة من جديد . »
فقلت : « ما الأمر ؟ »

- « جاءت كونتن منذ قليل وقالت انك رحت تلاحقها طيلة المساء
فثارت عليها الست كارولالين . لم لا تتركها وشأنها ؟ الا تستطيع ان
تقيم في نفس المنزل مع ابنة اختك دون شجار ؟ »
قلت : « كيف اشاجرهما وانا لم ارها منذ الصباح ؟ وما الذي تدعي
انني فعلته هذه المرة ؟ انني جعلتها تذهب الى المدرسة ؟ شيء مؤسف
حقاً . »

— « التفت الى امورك ودعها وشأنها ، » قالت دلزي : « سأعنى بها ان تسمح لي انت والست كارولالين . فاذهب الى الغرفة ولا تزعج احداً الى ان اهيء لك العشاء . »

وقال لستر : « لو ان لديّ ربعاً ، لذهبت الى ذلك السيرك . » فقالت دلزي : « ولو ان لديك جناحين ، لطرت الى السماء . لا اريد ان اسمع كلمة اخرى عن ذلك السيرك . » فقلت : « هذا يذكّرني بأن لديّ بطاقتين اعطوني اياهما . » واخرجتهما من سترتي .

قال لستر : « اتريد ان تستعملها ؟ »

قلت : « انا ؟ من المستحيل حتى لو نقدوني عشرة دولارات فوقها . »

فقال : « اعطني احدهما ، يا سيد جاسن . »

— « ابيعك احدهما . ما رأيك ؟ »

— « لا نقود عندي . »

فقلت : « آسف اذن . » وهممت بالخروج .

فقال : « اعطني احدهما ، سيد جاسن . لن تحتاج كليهما . »

فقالت دلزي : « سدّ فك . الا تعلم انه لن يعطي شيئاً بدون

مقابل ؟ »

فقال : « كم تريد لقاء واحدة ؟ »

قلت : « خمسة سنتات . »

قال : « ليس عندي هذا المبلغ . »

قلت « كم عندك ؟ »

قال : « ولا فلس . »

قلت : « طيّب . » ومضيت .

قال : « سيد جاسن . »

فقلت دلزي : « أُن تسكت ؟ إنه يشرك عن عمد . فهو ينوي استعمال كلتا البطاقتين . تفضل يا جاسن ، واتركه وحده . »

— « انا لا اريد أيّاً منها ، » قلت ذلك وعدت الى الموقد . « وقد جئت هنا لاحرقها . الا اذا اردت ان تشتري احدهما بخمسة سنتات ؟ » قلت ، وانا انظر اليه وارفع غطاء الموقد .

فقال : « ليس عندي هذا المبلغ . »

— « طيّب ، » قلت ، واسقطت احدهما في الموقد .

— « اسمع يا جاسن ، » قالت دلزي . « اما تستحي ؟ »

وقال لستر : « سيد جاسن ، ارجوك يا سيدي . سأركب لك الاطارات كل يوم لشهر كامل . »

قلت : « اني بحاجة الى النقود . خذها بخمسة سنتات . »

— « هس يا لستر ، » قالت دلزي ودفعته الى الخلف بعنف .

وقالت : « هيا ، اسقطها ، هيا ، اسقطها وأنه الأمر . »

قلت : « خذها بخمسة سنتات ، »

قالت دلزي : « هيا ، لا نقود لديه . هيا ، اسقطها . »

— « طيّب ، » قلت وأسقطتها في الموقد ، واغلقتها دلزي .

وقالت : « رجل كبير مثلك ! اخرج من مطبخي . » وقالت لستر : « هس . لا تجعل بنجي يبدأ من جديد . سأحصل لك على ربع من فروني هذه الليلة ، فتستطيع الذهاب مساء غد . هس ، لا بكاء ، ارجوك . »

ذهبت الى غرفة الجلوس . ولم استطع ان اسمع شيئاً من الطابق العلوي . ففتحت الصحيفة . وبعد برهة جاءني بن ولستر ، فتوجه بن نحو المكان الداكن من الحائط حيث كانت تعلّق المرأة فيما مضى ، وجعل يفرك يديه عليه ويريل ويثن . اما لستر فأخذ يضرب النار بالمحرّك .

فقلت : « ما الذي تفعله ؟ لسنا بحاجة الى النار هذه الليلة . »
قال : « اني احاول تهدئته . وموسم الفصح بارد دائماً . »
قلت : « ولكننا لسنا في موسم الفصح . دعها وشأنها . »
فوضع المحرك في مكانه واخذ الوسادة من كرسي امي واعطاها
لبن ، فقبع امام الموقد وهجع .
رحت اقرأ الصحيفة ، ولم اسمع صوتاً من الطابق العلوي حين دخلت
دلزي علينا وارسلت بن ولستر الى المطبخ وقالت ان العشاء مهياً .
قلت : « حسناً . » فخرجت دلزي ، في حين بقيت مكاني اقرأ
الجريدة . وبعد قليل سمعت دلزي تطلّ من الباب وتقول :
« لماذا لا تأتني وتأكل ؟ »
قلت : « اني في انتظار العشاء . »
قالت : « انه على المائدة . الم أقل لك ذلك ؟ »
قلت : « صحيح ؟ العفو . ولكني لم اسمع أحداً نازلاً من فوق . »
قالت : « لن تنزلا . فتعال وكل ، لكي اتمكن من أخذ شيء
من الطعام لهما . »
قلت : « هل هما مريضتان ؟ ما الذي قاله الطبيب : أجدرني ،
لا سمح الله ؟ »
قالت : « هيا يا جاسن ، لكي انتهي . »
- « طيّب ، » قلت وانا ارفع الصحيفة من جديد . « اني في
انتظار العشاء الآن . »
وجعلت اشعر بها وهي ترقبني من الباب ، وانا مستمر في مطالعة
الصحيفة .
وقالت : « ولم هذه الاسئلة ، وأنت اعلم بمنغصاتي على
كل حال ؟ »
فقلت : « ان كانت امي اشد مرضاً مما كانت عليه عندما نزلت

للغداء ، فلا بأس . ولكن ما دمت اشترى الطعام لمن هم اصغر مني سنّاً ، فعائهم ان يتزلوا الى المائدة ويأكلوه . اخبرني حين يتهياً العشاء . « قلت ذلك ، وعدت الى الجريدة . وسمعتها تصعد الدرج ، تجر قدميها وتشخر وتئن كأنهما منتصبتان الى الأعلى ومنفرجتان متراً الواحدة عن الاخرى . وسمعتها على باب امي ، ثم سمعتها تنادي كونتن ، كأن الباب مقفول ، ثم عادت الى غرفة امي فخرجت امي لتخاطب كونتن . وبعد ذلك نزلن الدرج . وانا اطالع الصحيفة .

عادت دلزي الى الباب وقالت : « هيا ، لانك تستطيع ان تتبكر شيطانيات جديدة . وانت مصمّم عليها هذه الليلة . »

فذهبت الى غرفة الطعام ، ووجدت كونتن جالسة مطأطئة الرأس ، وقد صبغت وجهها مرة اخرى . وبدا انها كعازل من الخزف الصيني .

قلت لامي : « يسعدني ان صحتك ساعدتك على النزول . » فقالت : « نزولي الى المائدة اقلّ ما ينبغي عليّ فعله من اجلك مهما كانت صحي . وأنا اعرف ان الرجل الذي يشتغل طوال نهاره يود ان يرى نفسه محاطاً بعائلته حول مائدة العشاء . اني اريد ان ارضيك . ولكن لشد ما اتمنى لو انك وكونتن تنسجان . اذن لكانت الأمور عليّ . » قلت : « اننا في اجمل انسجام . وانا لا اعارض في بقائها في غرفتها المقفولة طيلة النهار ان شاءت . ولكنني لن اتحمل كل هذا الحرد والغضب في مواعيد الطعام . اعرف ان مطلبي هذا منها عسير ، ولكن هذه طريقتي في بيتي . اعني في بيتك . »

قالت امي : « انه بيتك ، فأنت ربه الآن . » لم ترفع كونتن رأسها . اما انا فأدّرت الطعام في الاطباق ، فجعلت تأكل .

فقلت : « هل حصلت على قطعة لحم جيدة ؟ ان لم تحصلي ، سأحاول ان اجد لك قطعة افضل . »

فلم تجب .

قلت : « سألتك هل حصلت على قطعة لحم جيدة ؟ »

قالت : « ماذا ؟ نعم . لا بأس بها . »

قلت : « اتريدن مزيداً من الأرز ؟ »

قالت : « كلا . »

قلت : « لا ، اسمحي لي بأن اعطيك قليلاً منه بعد . »

قالت : « لا اريد مزيداً . »

قلت : « لا شكر على واجب . »

فقلت امي : « هل زال صداعك ؟ »

قلت : « صداعي ؟ »

قالت : « خشيت عليك من الصداع عندما جئت الى البيت بعد

الظهر . »

قلت : « آ ، لا ، لم يصبني اي صداع . انشغلنا بعد الظهر

فنسيت أمره . »

— « وهل هذا هو السبب في تأخرك اليوم ؟ » قالت امي ، فرأيت

ان كونتن تصبح بسمعها . فنظرت اليها ، والشوكة والسكين ما زالتا

في يدها ، غير انني لقفتها وهي ترميني بنظرة ، ثم عادت وركزت

عينها في طبقها . فقلت :

« كلا . انما اعرت سيارتي لأحدهم حوالي الساعة الثامنة واضطرت

الى الانتظار الى ان عاد بها . » وانصرفت الى الأكل برهة .

قالت امي : « من كان ذلك ؟ »

قلت : « احد هؤلاء العاملين في السيرك ، يبدو ان زوج اخته

خرج في سيارة بصحبة احدى نساء البلدة ، فراح يطارده . »

لم تأت كونتن بحركة ، وهي تمضغ .

قالت امي : « يجب الا تعبر سيارتك لمثل هؤلاء الناس ، انك تبالغ

بالتكريم بها . ولهذا تراني لا اطلبها منك ان استطعت . »
 فقلت : « هذا ما شعرت به انا ايضاً عندما تأخر . ولكنّه عاد
 اخيراً . وقال انه وجد ما كان يبتغيه . »
 قالت امي : « ومن كانت المرأة ؟ »
 قلت : « سأخبرك فيما بعد ، لا اود الخوض في مثل هذه المواضيع
 امام كونتن . »

كانت كونتن قد توقفت عن الأكل ، وجعلت بين الحين والآخر
 تجرع جرعة من الماء ، جالسة في مكانها فتفتت قطعة من البسكوت
 ووجهها منكفئ على طبقها .
 فقالت امي : « اجل . لا شك ان النساء اللواتي يبقين مثلي محتجبات
 في بيوتهن لا يعرفن شيئاً مما يجري في هذه البلدة . »
 قلت : « بالضبط . »

قالت امي : « ما اشد ما تختلف حياتي عن كل ذلك ، واني لأحمد
 الله على انني لا اعرف شيئاً عن مثل هذه الشرور والموبقات . ولا
 اريد ان اعرف ، اني لست كمعظم الناس . »
 لم اصف الى ما قلت شيئاً . اما كونتن فقد ظلت قابضة في مكانها
 فتفتت قطعة البسكوت الى ان فرغت من الأكل . ثم قالت دون ان
 تنظر الى احد :

« أذهب الآن ؟ »

فقلت : « ماذا ؟ لا شك . هل كنت في انتظارنا ؟ »
 فنظرت اليّ ، وقد فتتت قطعة البسكوت كلها ، ولكن يديها في
 حركة مستمرة كأنها ما زالتا تفتتان ، وبدت عيناها كأنها في مأزق ،
 ثم بدأت تعض شفتها كأنها ستسهمها بما عليها من رصاص احمر .
 وقالت : « جدتي ، جدتي - »
 فقالت : « اتريدين شيئاً آخر تأكلينه ؟ »

قالت : « لماذا يعاملني على هذا النحو ، يا جدتي ؟ انا ما اسأت
إليه قط . »

قالت امي : « اريد من كليكما ان تنسجما معاً ، لم يبق غيركما الآن ،
واريد منكما انسجماً اكثر . »

قالت كونتن : « الذنب ذنبه . انه لا يدعني وشأني ، كما يجب .
فاذا كان لا يريدني هنا ، فلم لا يسمح لي بالعودة الى - »

قلت : « كفى ! ولا كلمة اخرى ! »

قالت : « اذن لم لا يدعني وشأني ؟ انه - انه - »

قالت أمي : « انه لك اقرب ما يكون الى الأب ، خبزه نأكل انا
وانت . فمن حقه ان يتوقع الطاعة منك . »

قالت : « الذنب ذنبه ، » وطفرت من مقعدها . « انه يدفعني الى
العصيان . فلو انه - » والقت علينا نظرة ، وعيناها في مأزق ، وهي
تنفض ذراعيها نفصاً على جنبيها .

فقلت : « لو اني ماذا ؟ »

قالت : « مهما فعلتُ فالذنب ذنبه . ان كنت فاسدة ، فما ذلك الا
لاني اضطررت الى الفساد . انت الذي دفعتني اليه . ليتني اموت .
ليتنا يموت جميعاً . » ثم ركضت . وسمعناها تصعد الدرج ركضاً ،
ثم سمعنا باباً يُصفق .

فقلت : « ذلك أول كلام معقول تنطق به في حياتها . »

قالت امي : « لم تذهب الى المدرسة اليوم ، »

قلت : « كيف عرفت ؟ هل نزلت الى البلدة ؟ »

- « اني اعلم ، وكفى . ليتك كنت اكثر لطفاً معها . »

- « لو كنت كذلك لكان عليّ ان ارتبّ امر رؤيتها اكثر من

مرة في اليوم . وعليك ان تحضرها الى المائدة عند كل وجبة . وعندها
اتمكن من اعطائها قطعة لحم اضافية مع كل اكلة . »

— « ثمة اشياء صغيرة بوسعك ان تفعلها . »
 — « كأن اغضّ النظر عندما تطلبين اليّ ان أتأكد من ذهابها الى
 المدرسة مثلاً ؟ »

فقلت امي : « لم تذهب الى المدرسة اليوم . اني اعلم ذلك .
 وهي تقول انها خرجت في السيارة مع احد الشباب بعد ظهر اليوم
 فلحقّت بها . »

قلت : « وكيف استطعتُ ذلك ، وسيارتي معارة لشخص آخر ؟
 وسواء أذهبت إلى المدرسة ام لم تذهب ، فقد انقضى الأمر ، فاذا كان
 لا بد لك من القلق بهذا الصدد ، فوفري على نفسك القلق حتى يوم
 الاثنين القادم . »

قالت : « اردتكما ان تنسجا ، ولكنها ورثت خصال العناد كلها .
 وخصال كونتن ايضاً . وقد تساءلت في حينه عن الحكمة في تسميتها
 بذلك الاسم بعد ان ورثت ما ورثت عن امها . واني لأعتقد احياناً
 انها حكم كادي وكونتن عليّ . »
 فقلت : « الله ! ما اروع تفكيرك . لا عجب انك امرضت نفسك
 هذه السنين كلها . »

فقلت : « ماذا ؟ لا افهم . »
 قلت : « هذا ما ارجوه . هناك الكثير مما يغيب عن المرأة الفاضلة ،
 وغياب ذلك عنها خير لها . »

قالت : « كذلك كان كلاهما . وكلما حاولت تقويمهما تضامنا مع
 ابيك ضدي . وكان هو يردد دائماً انها في غنى عن السيطرة ، وانها
 يعرفان معنى النقاوة والأمانة ، وهما كل ما يأمل الانسان في ان يُلقنّه .
 فأرجو ان يكون الآن راضياً عن كل ما حدث . »

فقلت : « لديك بن تعتمدين عليه . فأبشري . »
 قالت : « لقد اخرجوني عن عمد وقصد خارج نطاق حياتهم . وفي

كل شيء كان كونتن وكادي هما الأهم . فكانوا في تأمر دائم عليّ
وعليك انت ، وان كنت اياهم اصغر من ان تدرك ذلك . فكانوا
يعتبرونا انا وانت غرباء عنهم ، وكذلك خللك موري . ولطالما قلت
لابيك انه من الخطأ ان يسمح لها بتلك الحرية الزائدة ، وبالبقاء معاً
اكثر مما ينبغي . فلما بدأ كونتن بالذهاب الى المدرسة اضطررنا الى ارسالها
في السنة التالية هي ايضاً ، لتكون معه . ولم تطق يوماً ان ترى احدكم
يفعل شيئاً تعجز هي عنه . غروراً منها ، غروراً وكبرياء زائفة . وبعد
ذلك ، حين بدأت مشكلاتها ادركت ان كونتن سيشعر ان عليه ان
يأتي بسوء يضاهي سوءها . ولكنني ما كنت لاعتقد انه سيكون من الانانية
بحيث - لم يخطر ببالي انه - »

فقلت : « لعله عرف ان الوليد سيكون بنتاً ، وان ثالثة من ضربهما
مستكون اكثر مما يطيق تحمله . »

قالت : « كان بامكانه ان يسيطر عليها لو بقي حياً . فقد كان
يبدو انه الشخص الوحيد الذي تكن له كادي اي اعتبار . ولكن من
يدري ، لعل ذلك ايضاً جزء من الحكم عليّ . »

فقلت : « نعم . من المؤسف جداً انني لم أمت انا بدلاً منه . »

قالت : « تقول هذا لتؤلمي . ولكنني استحق ذلك . حين شرعوا
في بيع الارض لكي نرسل كونتن الى هارفرد قلت لابيك انه يجب ان
يضمن لمستقبلك ما يضمنه لاختيك . وبعد ذلك عندما عرض عليّ هربرت
ان يعينك في المصرف قلت ، لقد ضمننا مستقبلاً لجاسن ، فلما جعلت
النفقات تتراكم واكرهت على بيع اثائنا وما تبقى من المرعى ، كتبت
اليها رسالة في الحال لانني قلت انها ستدرك انها هي وكونتن قد نالا
سهمهما بل وجزءاً من سهم جاسن ، فخلق بها الآن ان تعوّض عليه .
وظننت انها ستفعل ذلك احتراماً لابيهما ، وكنت مطمئنة لذلك في حينها .
ولكن ما انا الا عجوز مسكينة ، ربيت على الاعتقاد بان الناس يحرمون

انفسهم من اجل من هم من لحمهم ودمهم . والذنب ذنبي . وقد كنت محقاً في لومك اياي . »

— « اتحسبن انني بحاجة الى معونة من احد لأقف على قدمي ناهيك عن امرأة لا تستطيع ان تقول من هو ابو طفلتها ؟ »
فقلت : « جاسن . »

قلت : « لا بأس . لم اقصد ذلك . طبعاً لا . »

— « اممكن ذلك ، بعد كل ما قاسيت . »

— « طبعاً لا . لم اقصد ذلك . »

— « ارجو ان تعفيني من مثل هذا القول على الأقل . »

قلت : « بالتأكيد ، انها شديدة الشبه بهما ، ولن تشك في ذلك . »
— « لن استطيع تحمل هذا . »

— « اذن كفك تفكيراً به . هل ازعجتك مرة اخرى بشأن الخروج ليلاً ؟ »

— « كلا . فقد اقنعتها بأن ذلك لصالحها وانها يوماً ما ستشكرني عليه . وهي تأخذ كتبها معها وتنكب على الدراسة بعد ان اقل الباب . وأرى نورها مضاءً حتى الحادية عشرة احياناً . »

فقلت : « وكيف تعرفين انها منكبة على الدراسة ؟ »

قالت : « وماذا تفعل غير ذلك وهي هناك وحدها ؟ هي في السابق ما كانت تطالع قط . »

قلت : « لن تعرفي . واشكري ربك لانك لن تعرفي . » وما نفع القول الصريح في ذلك ؟ لن تكون النتيجة الا بكاءها عليّ من جديد . سمعتها تصعد الدرج . ثم نادى كونتن ، فقالت كونتن : ماذا ؟ من خلال الباب . فقالت امي : « تصبحين على خير . » ثم سمعت المفتاح يدار في القفل ، وعادت امي الى غرفتها .

عندما انتهيت من تدخين سيجاري وصعدت ، كان النور ما يزال

مضياء . ورأيت ثقب المفتاح خالياً ، ولكن لم اسمع اي صوت . كانت تدرس في صمت . لعلها تعلمت ذلك في المدرسة . فقلت لأمي « تصبحين على خير » ومضيت الى غرفتي وأخرجت الصندوق وأحصيت ما فيه ثمانية . وكنت اسمع « الخصي » الامريكي « الأعظم » (١) يشخر كآلة التجارة . وقد قرأت في مكان ما انهم يفعلون ذلك بالرجال لكي تصبح اصواتهم كأصوات النساء . ولكن لعله لم يدر ما الذي قد فعلوه به . ولا اظن انه كان يدري ما الذي يحاول ان يفعله ، ولا السبب في ان السيد برجس ضربه على رأسه باحدى خشبات السياج فأغمي عليه . ولو انهم ارسلوه الى جاكسن وهو تحت مفعول الاثير ، لما عرف الفرق . ولكن امراً كذلك اسهل من ان يخطر ببال احد من آل كمبسن . لا تعقيد فيه وهم يعشقون التعقيد . راحوا يترثون الامر الى ان انطلق وحاول ان يطأ فتاة صغيرة في الشارع على مرأى من ابيها . اي والله ، لقد ابطأوا في الشروع بالتر ، واستعجلوا الكف عنه . وانا اعرف على الاقل رجلين بحاجة الى الخصي مثله ، وأحدهما لا يبعد عن هنا بأكثر من ميل واحد . ولكن ، لا اظن ان خيراً يرجى حتى من ذلك . وكما اقول ، عاهرة يوماً عاهرة كل يوم . وكل ما اريده هو اربع وعشرون ساعة لا يشير فيها علي اي يهودي لعين من نيويورك بكيفية تُصرف السوق . انا لا اريد صيداً سميناً ، فليوفروا ذلك للضحك على ذقون المغامرين الشاطرين . لا اريد الا فرصة عادلة لاسترجاع نقودي . وحالما احقق ذلك فليأتوا بكل بغايا شارع بيل وكل مجاذيب الدنيا الى هذا البيت وليستَم اثنان منهم في فراشي وليحتل واحد منهم مكاني ايضاً على المائدة .

(١) يقصد بنجي . (المترجم)

نيسان

٨
١٩٢٨

طلع الفجر قاحلاً قارس البرد ، جداراً متحركاً من الضياء الأشهب
تدماً من الشمال الشرقي ، وقد بدا ، عوضاً عن الدوبان رطوبة انه
يتفتت ذرات دقيقة سامة كالغبار، فلما فتحت دلزي باب الكوخ وخرجت،
وتخز بشرتها ورباً ، مستعجلاً تكائف مادة ليست رطوبة بقدر ما هي
شيء يماثل الزيت الرقيق الذي قصّر عن التخثر . كانت تلبس قبعة من
القش الاسود الصلب جثمت على لفافة رأسها ، وعباءة مخملية عنابية
اللون حفافيتها من فرو ممروض مجهول الهوية فوق فستان من الحرير
الارجواني، ووقفت بالباب برهة من الزمن وقد رفعت الى الريح وجهها
المضيم الغضين ويداً ضامرة حشفاء كبطن السمكة، ثم دفعت العباءة جانباً
وتفحصت صدر فستانها .

كان فستانها يسقط ضامراً من على كتفها ، عبر نهديها المتهدلين ،

ثم يشتد على كرشها ويسقط ثانيةً منتفخاً بعض الشيء فوق ثيابها الداخلية التي ستبدأ تنضوها عنها طبقةً طبقةً مع تماثل الربيع والايام الدافئة ، وكلها من ألوان مبهرجة محتضرة . كانت امرأة ضخمة فيما مضى ولكن هيكلها الآن ينتصب ، يكسوه لإهاب واسع غير محشو يشتد ثانية عند بطن يشارف على الحَبَس ، كأن العضل ولقائف اللحم كانت يوماً ما شجاعة او جَلَدَداً أنت عليه الايام والسنون فلم يبق الا الهيكل العظمي الذي لا يقهر منتصباً كالحراثب او بعض المعالم فوق الاحشاء الوسنانة الصماء ، ويعلمو جميع ذلك وجه متداع يوحى للرائي بأن عظامه خارج اللحم ، يرتفع ازاء النهار المتون بتعبير في القسمات قدرى يماثل في الوقت نفسه خيبة الطفل ودهشته ، الى ان استدارت ودخلت البيت ثانية وأغلقت الباب .

كانت الارض بجوار الباب جرداء ، تكسوها قشرة من القِدَم كأنما خلفتها بواطن الاقدام العارية لأجيال خلت ، أشبه بالفضة القديمة او جدران المنازل المكسيكية التي لُبِخت باليد . وقرب البيت شمخت ثلاث من أشجار التوت تظلله ايام الصيف ، واوراقها التي هي الآن كالزغب ستنمو فيما بعد لتصبح عريضة وادعة كالأكف وتنساب مستوية الموج على الهواء الهَطِيل . وقد جاء زُرَيْقان من مكان ما وحوماً في مهب الريح كميزق من القماش او الورق المزوّق ، واستقرّا في الشجر ، حيث راحا يتأرجحان في ضجيج من الرفع والخفض، ويزعقان في الريح التي تمزق منهما الصرخات دفعاً وثنائياً، كميزقٍ من الورق او القماش ، على التوالي . ثم انضم اليهما ثلاثة أخرى من عصافير الزريق وراحت كلها تتأرجح وتعلو وتخط فترة في مهصور الأغصان ، وهي ترعق . وانفتح باب الكوخ وبرزت دلزي ثانية ، مرتديةً هذه المرة قبعةً لباد من قبعات الرجال ومعطفاً من معاطف الجيش ، يتساقط من تحت اطرافه المهترئة فستانها الأزرق الرخيص في فضفضة غير متساوقة منساباً حولها

وهي تعبر فناء الدار وتصعد الدرج الى باب المطبخ .

وبعد لحظات خرجت ، تحمل هذه المرة مظلة مفتوحة ، دفعت بها مائلة قُدُماً تطعن الريح ، وذهبت الى كومة الحطب وانزلت عنها المظلة وهي لما تزل مفتوحة . وسرعان ما مدت يدها اليها وأوقفتها وتشبثت بها برهة ، وهي تتلفت حولها . ثم اغلقتها ووضعها على الأرض وكومت الحطب على ذراعها المعقوفة لصق صدرها ، والتقطت المظلة وفتحتها أخيراً وعادت الى الدرج وأسكت بالحطب في توازن قلق بينما سعت في اغلاق المظلة الى أن اغلقتها واستندتها في الزاوية التي خلف الباب . والقت بالحطب في صندوق وراء الموقد . ثم نزعَت المعطف والقبعة وتناولت وزرة ملوثة من على الحائط ولبستها وأشعلت النار في الموقد . وفيما راحت تفعل ذلك ، تضرب قضبان الأثافي وتططق على الغطاء ، جعلت المسز كمبسن تناديه من أعلى الدرج .

كانت ترتدي «روباً» من الساتان المضرب ، وقد أمسكت بياقته تحت ذقنها ، وفي يدها الأخرى قربة ماء حار من المطاط الأحمر ، ووقفت في اعلى الدرج الخلفي تنادي «دلزي» على فترات نظيمة رتيبة النبرة ، مرسله نداءها نزولاً على السلم الهاجع المنحدر إلى الظلام ، المنفتح ثانية حيث يقع عليه قبس من نافذة شهباء . وراحت تنادي «دلزي» ، دونما توكيد او عجلة او اضطراب نبرة ، كأنها لا تصيح بسمعها لجواب أبداً . «دلزي .»

فأجابتها دلزي وكفت عن طقطقة الموقد ، ولكن قبل ان تنتهي من عبور المطبخ نادتها المسز كمبسن مرة أخرى ، وقبل ان تعبر غرفة الطعام وتبرز رأسها في وسط رشقة النور الشهباء من النافذة ، نادتها مرة أخرى .

قالت دلزي : « طيب ، طيب ، إني هنا . سأملأها حالما اسخن شيئاً من الماء . » وجمعت اطراف ثوبها وارتقت الدرج ، مغطية النور

الأشهب كله . « ضعيها هناك وعودي الى فراشك . »

قالت المسز كمبسن : « لم أقدر ان افهم ما الأمر . فقد بقيت يقظة في فراشي لساعة على الأقل دون ان اسمع اي حسنٍ من المطبخ . »

قالت دلزي : « ضعيها عنك هناك وعودي الى فراشك ، » وهي تكذب بالمر في صعودها الدرج ، لاهثة ، عديمة الشكل . « سترتفع النار في دقيقة ، ويسخن الماء بعد ذلك بدقيقتين . »

قالت المسز كمبسن : « ساعة على الأقل مرت عليّ وانا يقظة في فراشي ، فقلت لعلك تنتظرين مني أنا ان انزل واشعل النار . »

بلغت دلزي أعلى الدرج وتناولت قربة الماء ، وقالت : « سأملأها في دقيقة . ظلّ لستر نائماً هذا الصباح على غير عادته ، لأنه بقي حتى منتصف الليل في ذلك السيرك . سأشعل النار بنفسي . فعودي ، لئلا توقظي الآخرين قبل أن آتياً . »

قالت المسز كمبسن : « كلها أذنتٍ للستر بأمور تتدخل بعمله ، كان عليك انت ان تتحملي العواقب ، ولن يروق ذلك لجاسن إن هو سمع به . وانت تعرفين ذلك . »

فقالت دلزي : « وهل ذهب الى السيرك بنقود جاسن ؟ لا والله ، ما ذهب بنقود جاسن . » واخذت تنزل الدرج ، وعادت المسز كمبسن الى غرفتها . وفيما هي تدخل بين طيات فراشها ثانية بقيت تسمع دلزي وهي تهبط الدرج بذلك البطء الهائل الأليم الذي يبعث السامع على الجنون لولا أنه انقطع بعد قليل على اثر الصفق المتلاشي من باب غرفة المؤن . دخلت المطبخ وأحسنت وقد النار وبدأت تهيب الفطور . وفي وسط ذلك توقفت قليلاً وذهبت الى النافذة وتطلعت منها الى كوخها ، ثم عادت الى الباب وفتحته وصاحت بين ثنايا الريح العاصفة :

« لستر ! » ووقفت تتسمع ، مشيخة بوجهها عن الريح . « أنت ، يا لستر ! » وتسمعت ، واوشكت ان تصيح من جديس غير ان لستر

ظهر قادماً من حول المطبخ .

وقال : « سيدتي ؟ » ببراءة ، بمزيد من البراءة جعل دلزي تتأمله لحظة بلا حراك منها وقد تملكها شيء أكثر من الدهشة المجردة .

وقالت : « اين كنت ؟ »

قال : « هنا . في السرداب . »

— « وماذا كنت تفعل في السرداب ؟ لا تظل واقفاً هناك في المطر

يا غبي . »

— « لم اكن افعل شيئاً . » وصعد الدرج .

— « لاياك ان تدخل هذا الباب دون كومة من الحطب بين ذراعيك .

اترى كيف انني احضرت حطبك واشعلت نارك ؟ الم اقل لك ليلة البارحة الا تترك هذا المكان قبل ان تملأ صندوق الحطب الى حافته ؟ »

فقال لستر : « ولكنني ملأته . »

— « اين هو اذن ؟ »

— « لا أدري . لم أمسّه انا . »

— « حسناً اذن ، املاه الآن . ثم اصعد واعتنِ بينجي . »

ثم اغلقت الباب. وذهب لستر الى كومة الحطب. وراحت طيور الزُّريق الخمسة تحوّم حول المنزل وهي تزقق ثم عادت الى اشجار التوت ، ولستر يرقبها . فالتقط حجراً ورماها به قائلاً : « هووو ... عودي

الى الجحيم ، مقرّك اللعين ! ليس اليوم الاثنين ، بعد . »

حمل نفسه تلاً من الحطب ، حتى ما عاد يستطيع الرؤية من فوقه ،

وراح يترنح في مشيته الى الدرج ، وصعده ، وخبط الباب كالأعشى

موقعاً بعض الأخشاب ، ففتحت دلزي الباب له وعبر المطبخ مترنحاً

بحملة ، وصاحت به دلزي : « انت يا لستر ! » غير انه كان قد

قذف بالحطب في الصندوق بنخطة مدوية . وقال « هه ! »

قالت دلزي : « أتحاول ان توقظ كل من في البيت ؟ » وصفعته

على قفاه . « هيا اصعد الى فوق وألبس بنجي ثيابه . »

فقال : « نعم يا سيدتي . » واتجه نحو الباب .

قالت دلزي : « الى اين ؟ »

- « فكرتُ ان الافضل ان اخرج وأدور حول البيت وادخل من

الباب الامامي ، لكي لا اوقظ السيدة كارولان والآخرين . »

- « اصعد من ذلك الدرج الخلفي كما قلت لك ، وألبس بنجي

ثيابه . هيا ، اذهب . »

قال لستر : « أمرك ! » ورجع وغادر المكان عن طريق باب غرفة

الطعام . بعد قليل كف الباب عن الصفق . واخذت دلزي تنهياً لصنع

بعض الفطائر . واذا راحت تدير المنخل على رسلها فوق خشبة الخبز ،

طفقت تغني ، لنفسها بادىء الأمر ، شيئاً بغير كلمات او نغم معين ،

حزيناً مفعماً بالترداد والرثاء والشجن ، وهي تنخل هَمَماً وثيئاً من

الطحين على خشبة الخبز . وكان الموقد قد بدأ يُدفئ الغرفة ويملاؤها

بهمهمات النار الآسية ، واذا بصوتها يرتفع بالغناء كأنما الدفء المتزايد

قد أذاب جموده ، وعند ذلك صاحت المسز كمبسن باسمها ثانية من

داخل المنزل . فرفعت دلزي وجهها كأن عينيها تحترقان الجدران والسقف

لتبصرا بالعجوز وقد تذررت بروبها المضرب عند اعلى الدرج ، وهي

تنادىها برتابة آلية .

فقالت دلزي : « يا إلهي . » ووضعت عنها المنخل ورفعت حاشية

وزرتها لتمسح بها يديها وامسكت بالقربة من على الكرسي حيث كانت قد

وضعتها وجمعت وزرتها على مقبض الابريق الذي جعل ينفث القليل من

البخار ، وصاحت قائلة : « دقيقة ! لم يسخن الماء الا هذه اللحظة ! »

ولكن ما تريده المسز كمبسن ليس قربة الماء ، فذهبت دلزي الى

أسفل الدرج ممسكة بالقربة كمن يمسك بدجاجة ميتة ونظرت الى الأعلى.

وقالت : « أليس لستر فوق ، معه ؟ »

« لم يدخل لستر البيت . كنت في فراشي اصغي متوقعة مجيئه .
كنت اعرف انه سيتأخر ، ولكنني رجوت الا يتأخر اكثر مما ينبغي ،
لكي يمنع بنجامين من اقلاق راحة جاسن في اليوم الوحيد الذي يتاح له
ان ينام فيه في الصباح . »

قالت دلزي : « لست أدري كيف تتوقعين ان ينام احد ، وانت
واقفة في البهو تصرخين على الناس من اول طاول الفجر . » وبدأت
تصعد الدرج في لأي ومشقة . « لقد أرسلت ذلك الولد الى فوق منذ
نصف ساعة . »

وجعلت المسز كمبسن ترقبها وهي تمسك بياقة روبا تحت ذقنها ،
وقالت : « ما الذي تريدين ان تفعله ؟ »
« اريد ان ألبس بنجي وانزله الى المطبخ ، فلا يوقظ جاسن
وكونتن . »

« الم تبدأي بتهيئة الفطور ؟ »
« سأعنى بذلك أيضاً . فخير لك ان تعودي الى فراشك الى أن
يوقد لستر لك ناراً . إنه صباح بارد . »
فقالت المسز كمبسن : « أعرف . قدماي كالثلج . وقد استيقظت
على بردهما . » وبقيت ترقب دلزي تصعد الدرج ، واستغرقتها ذلك
طويلاً . « أنت أدري بعصية جاسن عندما يتأخر الفطور . »
قالت دلزي : « لا أقدر ان افعل اكثر من شيء واحد في الوقت
الواحد ، فاذهي الى فراشك ، لأنني ارى انك مسؤولة أخرى القيت
علي عاتقي هذا الصباح . »

« ان كنت ستصرفين عن كل شيء لتلبسي بنجي ثيابه ، فالأفضل
ان انزل واهي الفطور . فانت تعرفين كما أعرف أنا كيف يتصرف
جاسن اذا تأخر الفطور . »

« أخبريني . » قالت دلزي : « ومن سيأكل ما تخربطين ؟ هيّا ، »

قالتا وهي تكدح في صعودها . والمسز كمبسن ترقبها وهي ترتقي الدرج ،
مسندة نفسها على الحائط بيد ، ورافعة أطراف فستانها بالآخرى .

وقالت : « اتريدين ايقاظه لمجرد لإلباسه ثيابه ؟ »
فتوقفت دلزي ، ومكثت مكانها وقد رفعت قدماً الى الدرجة التالية ،
ويدها على الحائط ورشقة النور الشهباء من النافذة وراءها ، ووقفت لا
حرك ولا شكل .

وقالت : « ألم يستيقظ اذن ؟ »
- « لم يكن استيقظ عندما أطلت من الباب . ولكن مواعده قد
فات . فليس من عادته ابداً ان ينام الى ما بعد الساعة والذصف . وأنت
تعرفين ذلك . »

لم تقل دلزي شيئاً ، ولم تأت بحركة أخرى ، غير ان المسز كمبسن
أدركت ، وإن لم تستطع رؤيتها ، إلا شكلاً مكوراً لا عمق له ، أنها
خفضت وجهها بعض الشيء ووقفت أشبه ببقرة في المطر ، وقد أمسكت
بقربة الماء الفارغة من عنقها .

قالت المسز كمبسن : « لم يفرض عليك أنت ان تتحملي كل هذا ،
فالمسؤولية ليست مسؤوليتك . بإمكانك ان ترحلي إن شئت . فلست انت
التي عليك ان تتحملي العبء الثقيل يوماً بعد يوم . ولا أنت بمدينة بشيء
لهم ، او للذكرى المرحوم زوجي . وأنا اعلم انك ما عطفت يوماً على
جاسن ، ولم تحاولي قط ان تخفي ذلك عني . »

لم تقل دلزي شيئاً . استدارت ببطء ونزلت الدرج ، هابطة بجسمها
من درجة الى درجة ، كما يفعل الطفل ، ويدها على الحائط . وقالت :
« اذهبي واتركيه وشأنه . ولا تدخلي عليه ثانية . حالماً أجد لستر سأسرله
الى فوق . فاتركيه . »

ولما عادت الى المطبخ ، تأملت الموقد ، ثم نزع زرتها وارتدت
المعطف وفتحت الباب الخارجي وارسلت بصرها في أرجاء الفناء . جعل

المطر يضرب جسدها ، دقيقتاً عاتياً ، ولكن المشهد فيما عدا ذلك كان قفراً من كل ما يتحرك . فنزلت الدرج بما يشبه الحذر كأنها تبغي الحفاظ على الصمت ، وانعطفت حول المطبخ . وفي الحال برز لستر بسرعة وبراءة من باب السرداب .

فوقفت دلزي وقالت : « ماذا تفعل ؟ »

فقال لستر : « لا شيء . فقد طلب إليّ السيد جاسن أن اجد من اين يخرّ الماء في السرداب . »

— « ومتى طلب اليك ذلك ؟ يوم رأس السنة الأخير ، أليس كذلك ؟ »

قال لستر : « خطر لي أن القي نظرة وهم بعد نيام ، » وتقدمت دلزي من باب السرداب ، فوقف جانباً فيما راحت تتأمل في العتمة الفواحة برطوبة الأرض والعفن والمطاط .

وقالت : « هه . » ونظرت الى لستر ثانية . فقابل تحديقها بعينين ملؤهما الدعة والبراءة والصراحة . « لست ادري ما الذي أنت فيه ، ولكن عليك ان تمتنع عنه . يظهر أنك انت ايضاً تستنفد صبري هذا الصباح ، لأن الآخرين يستنفدون صبري . فاصعد في الحال واعتنِ ببنجي ، أسمع ؟ »

قال لستر : « أمرك » ، وأسرع الى درجات المطبخ .

فقال دلزي : « اسمع ، ما دمت هنا فجئني بكمية اخرى من الحطب . »

فقال : « أمرك » ، ومر بها على الدرج ومضى الى كومة الحطب . ولما عاد يتخبط بالباب بعد برهة ، وقد اختفى وعشبي وراء وجوده الحطبي ، فتحت له دلزي الباب واقتادته عبر المطبخ بيد ثابتة .

وقالت : « اياك ان تهوي بها على ذلك الصندوق مرة اخرى . اياك . »

فقال لستر لاهثاً : « كيف اذن ؟ لا يستطيع ان انزلها على اي نحو آخر . »

قالت دلزي : « قف مكانك وامسك بها . » وأخذت تنزل عنه الحمل حطبة حطبة . « ماذا دهالك هذا الصباح ؟ كلما أرسلتلك لاحضار الحطب لم تأتني بأكثر من ست قطع ، حتى هذا اليوم . فما الذي نويت ان تستأذنني به اليوم ؟ ألم يغادر ذلك السيرك البلدة ؟ »
- « بلى . لقد غادرها . »

ولما وضعت آخر حطبة في الصندوق ، قالت : « والآن ، اصعد الى بنجي ، كما قلت لك من قبل . ولا اريد ان يصيح بي أحد من أعلى الدرج حتى أدقّ الجرس . أسمع ؟ »
قال لستر : « أمرك . » واختفى خلال الباب الرفراف . فألقت دلزي الموقد مزيداً من الحطب ، وعادت الى خشبة الحيز . ثم طفقت تغني من جديد .

وازدادت الغرفة دفئاً . وسرعان ما اكتست بشرة دلزي التماعة غنية بعد ان بدت وكأنها وبشرة لستر قد اكتست بما يشبه ذروراً خفيفاً من رماد الحطب ، اذ راحت دلزي تجمع مواد الطعام الخام حولها وتنسق وجبة الفطور . وقد علّقت على الحائط فوق إحدى الخزائن ساعة تدقق لا ترى الا في الليل ، بضوء المصباح ، فتوحي عندها بعمق من الغوامض والاحاجي لأن ليس فيها الا عقرب واحد ، واذا ذاك مهدت لنفسها بصوت كأنما هي تتنحج ، ودقّت خمس مرات .

قالت دلزي : « الساعة الثامنة . » وكفت عما هي فيه ورفعت رأسها ، وأصاحت السمع . ولكن لم يكن ثمة من صوت عدا صوت الساعة والنار . ففتحت الفرن ونظرت الى طبق الحيز ، واذا انحنّت توقفت وهي تسمع أحدهم ينزل الدرج . وسمعت الاقدام تعبر غرفة الطعام ، ثم انفتح الباب الرفراف ودخل لستر يتبعه رجل ضخّم الجثة

يبدو كأنه قد صيغ من مادة عجزت جزئياتها عن التماسك فيما بينها او بالهيكل الذي يحملها . بشرته من غير شعر وتبدو ميتة ، مَرَضِيّ الحَبَن ، يمشي شحطاً كالذبّ الممرن . أما شعره فناغم فاقع اللون ، وقد مُشَّط على جبينه مُسَبَّلاً كشعر الاطفال في الصور الفوتوغرافية القديمة . وكانت عيناه صافيتين ، بلون زهرة القمح الزرقاء الفاقعة العذبة ، وشفاته الصفيقتان منفرجتين ، تريلان قليلاً .

قالت دلزي : « أهو بردان ؟ » ومسحت يديها على وزرتها ومست يده .

قال لستر : « ان لم يكن هو بردان ، فأنا بردان . موسم الفصح بارد دائماً . لا أذكره جاءنا مرة والطقس دافئ . تقول الست كارولان اذا لم تجدي الوقت للماء قربتها بالماء الحار ، فلا بأس . »

قالت دلزي : « يا إلهي . » وجرت كرسياً الى الزاوية التي بين صندوق الحطب والموقد ، فجلس الرجل عليه منصاعاً . وقالت : « انظر في غرفة الطعام وجيداً اين تركت تلك القربة . » فجاء لستر بالقربة من غرفة الطعام ، فلأقتها دلزي وناولته اياها ، وقالت : « اصعد بسرعة . وانظر ان كان جاسن قد استيقظ . وقل لهم كل شيء جاهز . »

خرج لستر ، وقد جلس بن قرب الموقد جلسة رخوة ، دونما اي حركة سوى من رأسه الذي كان يهتز علواً بغير انقطاع وهو يرقب حركات دلزي بنظرات مبهمة عذبة .

ولما عاد لستر قال : « لقد نهض . وتقول الست كارولان ضعيه على المائدة . » ودنا من الموقد وادار راحتيه المفتوحتين الى الاسفل فوق وعاء النار وقال : « لقد نهض ، وعدا ذلك فانه سيضرب بكلتا قدميه هذا الصباح . »

قالت دلزي : « ماذا دهاك الآن ؟ ابتعد عن الموقد . كيف استطيع ان افعل شيئاً وانت منحني عليه ؟ »

- « لاني بردان . »
- « كان الأجدر بك ان تفكر بذلك وانت في أعماق ذلك السرداب .
وجاسن ، ما الذي دهاه ؟ »
- « يقول انني وبنجي قد كسرنا تلك النافذة التي في غرفته . »
- « وهل فيها نافذة مكسورة ؟ »
- « هذا ما يقوله هو . ويقول انني انا الذي كسرتها . »
- « وكيف يمكنك ان تكسرها وهو يبقيا مقفلة في الليل وفي النهار ؟ »
- « يقول انني كسرتها بأن رميتها بالحجارة . »
- « وهل فعلت ذلك ؟ »
- « أبدأ . »
- قالت دلزي : « لا تكذب عليّ ، يا ولد . »
- قال لستر : « لا والله ، اسألني بنجي . لم أقرب تلك النافذة . »
- قالت دلزي : « اذن من يكسرها ؟ » ثم قالت « لأنه يغيظ نفسه ، لا اكثر ، ليوقظ كونتن . » وأخرجت طبق البسكوت من الفرن .
- قال لستر : « أكيد ، طباعهم غريبة ، هؤلاء القوم . أحمد الله انني لست واحداً منهم . »
- « انك لست واحداً ممن ! اسمح لي بأن اقول لك ، ايها الولد الأسود ، ان فيك من إبليسية آل كمبسن بقدر ما في اي واحد منهم .
اواثق انت من انك لم تكسر تلك النافذة ؟ »
- « ولماذا اكسرها ؟ »
- قالت دلزي : « كاحدى إبليسياتك ، تنبه له الآن ، لئلا يحرق يده ثانية ريثما اهبيء المائدة . »
- وذهبت الى غرفة الطعام حيث سمعها تنقل فيها ثم عادت ووضعت طبقاً على مائدة المطبخ وصبت فيه طعاماً . وبين يرقبها ، مريلاً ، وعلى

شفتيه همهمة خافتة من التلهف .

فقال : « طيّب ، طيّب ، يا حبيبي . هـاك فطورك . أحضر كرسيه يا لستر . » فأدنى لستر الكرسي من المائدة وجلس بن عليه ، يثن ويريل . وربطت دلزي فوطه حول عنقه ومسحت فـه بطرفها . « وحاول أن تمنعه من توسيخ ثيابه ولو مرة في عمرك ، » قالت ذلك وناولت لستر ملعقة .

فكفّ بن عن الأئين ، وزاح يرنو الى الملعقة وهي تعلو الى فـه . فكأن التلهف ايضاً فيه مرتبط بالعضل ، والجوع نفسه عاجز عن النطق ، لا يعلم بأنه هو الجوع . ولستر يطعمه بمهارة وانفصال . وبين الحين والحين يعاوده الانتباه وقتاً يتيح له ان يعبث بالملعقة حين يرفعها نحو فـم بن ليجعله يطبق شفتيه على الهواء ، ولكنه كان فيما يبدو شارد الذهن . وقد استقرت يده الاخرى على ظهر الكرسي وراحت تتحرك على السطح الأملس ، رهيفة باحثة ، كأنه يستخرج من الفراغ الميت نغماً غير مسموع ، ومرة نسي حتى معاينة بن بالملعقة بينما أغرت اصابعه الخشب الذييح باتيان نغم ركوض معقد لا صوت له الى ان استعاده بن الى وعيه بالولولة من جديد .

أما دلزي فقد كانت تروح وتجيء في غرفة الطعام ، وسرعان ما قرعت جرساً صغيراً صافي النبرة ، وعندئذ سمع لستر من مكانه في المطبخ المسز كمبسن وجاسن يتزلان ، وصوت جاسن ، فأدار عينيه بياضاً في محجريه وهو يتسمع .

قال جاسن : « لا ريب . اني اعرف انها لم يكسرها . اني اعرف ذلك . لعل تغير الطقس كسرها . »

فقلت المسز كمبسن : « وكيف يكسرها ؟ غرفتك تبقى مقفلة طيلة النهار ، كما تتركها عندما تذهب الى البلدة . وما من احد منا يدخلها سوى يوم الاحد لتنظيفها . لا اريدك ان تظن اني أرضى بأن

اذهب الى مكان لا يكون مرغوباً في ذهابي اليه ، او اني اسمح لأحد غيري بذلك . »

قال جاسن : « وهل قلت انك انت التي كسرتها ؟ »
 قالت المسز كمبسن : « أنا لا اريد دخول غرفتك . اني أحترم شؤون المرء الخاصة . وما كنت لأطأ العتبة حتى ولو كان لدي مفتاح للباب . »
 - « نعم . اعرف ان مفاتيحك لا تصلح . وهذا هو السبب في اني بدلت القفل . أما الذي أريد ان أعرفه ، فهو كيف انكسرت تلك النافذة . »

قالت دلزي : « يقول لستر انه لم يكسرها . »
 قال جاسن : « أعرف ذلك دون ان أسأله . اين كونتن ؟ »
 قالت دلزي : « حيث تكون صباح كل أحد . على كل ، ما الذي أصابك هذه الايام الاخيرة ؟ »
 قال جاسن : « سنغير ذلك كله . إصعدي واخبريها ان الفطور جاهز . »

قالت : « أرجوك ان تدعها وشأنها ، يا جاسن ، انها تنهض لفطورها صباح كل يوم من الاسبوع ، والسيدة كارولان تسمح لها بالبقاء في فراشها كل يوم أحد . وأنت أعلم بذلك . »
 قال جاسن : « لا أستطيع ان امول مطبخاً مليئاً بالزئوج لكي يكونوا في خدمة حضرتها . إذهبي واطلبي اليها ان تنزل للفطور . »
 قالت دلزي : « لا أحد يخدمها . فأنا اترك لها فطورها في المسخنة ، فتأتي هي - »

- « أسمعت ما قلت ؟ »
 - « سمعتك . ولا أحد غيرك ، عندما تكون في البيت . فاذا لم تكن كونتن او امك موضع شجارك ، كان لستر او بنجي . لماذا تسمحين له بالاستمرار على ذلك ، يا ست كارولان ؟ »

فقال المسز كمبسن : « خير لك ان تصدعي بأمره . انه رب البيت الآن . ومن حقه ان يطالبنا باحترام رغباته . وأنا احاول ان احترمها ، فكم بالحري انت . »

قالت دلزي : « أليس من السخف ان يضطرب مراجسه . بحيث يجبر كونتن على النهوض لمجرد ان ذلك يروق له ؟ لعلك تظن انها هي التي كسرت نافذتك ؟ »

قال جاسن : « لو خطر لها ذلك لما ترددت . فاذهبي وافعلي مثلما طلبت اليك . »

« ولو فعلت ذلك لما لمتها قط ، لا والله . » قالت دلزي متجهة نحو الدرج . « وانت تنقّ برأسها كل لحظة من لحظات بقائك في البيت . »

قالت المسز كمبسن : « اسكتي يا دلزي . ليس من مقامك او مقامي ان نوصي جاسن بما يفعل . فأنا في بعض الأحيان اعتقد انه خطيء ، ولكنني احاول ان امثل لرغباته من اجلكم جميعاً . واذا كانت لي القدرة على النزول الى المائدة ، فان لكونتن القدرة على ذلك أيضاً . »

خرجت دلزي ، وسمعوها تصعد الدرج ، وسمعوها تستغرق في صعودها وقتاً طويلاً .

فقال جاسن : « لديك طقم رائع من الخدم . » وصب طعاماً لأمه ثم لنفسه . « هل كان لديك يوماً خادم يستحق القتل ؟ لا ريب انه كان لديك ، ايام كنت طفلاً او قبلها ، فلا اذكره . »

قالت المسز كمبسن : « علي ان اسيرهم . لان علي ان اعتمد عليهم الاعتماد كله . لقد فقدت قوتي وعزمي ، ويا ليتني ما فقدتهما . ليتني استطيع ان اقوم بشؤون المنزل كلها بنفسني . لكنك على الاقل خففت الكثير عن عاتقك . »

قال جاسن: «وَلَتَحَوَّلَ البيت الى حظيرة للخنازير .» ثم صاح قائلاً: «اسرعي يا دلزي !»

— «أنا اعلم انك تلومني لانني اسمح لهم بالذهاب الى الكنيسة اليوم .»

قال جاسن: «بالذهاب الى أين؟ ألم يرحل ذلك السيرك اللعين بعد؟»
قالت المسز كمبسن: «الى الكنيسة ، فالملونون يقيمون صلاة للفصح خاصة . وقد وعدت دلزي منذ اسبوعين بالسماح لهم بالذهاب اليها .»
— «وذلك يعني أننا سنأكل البارد الناشف من الطعام او لا شيء مطلقاً .»

— «اعرف ان ذلك ذنبي ، وانك ستلومني .»

— «وفيم اللوم ؟ أأنت التي بعثت المسيح حياً ؟»

وسمعا دلزي ترتقي الدرجة الأخيرة ، ثم خُطّطاها البطيئة فوق .

وسمعاها تقول : «كونتن .» وحالما نادتها لأول مرة وضع جاسن الشوكة والسكينة من يديه وبدا أنه وأمه ينتظران متقابلين عبر المائدة ، في وضعين متماثلين : الواحد منها قاس خبيث ، ينتهي شعره الكستنائي الملبّد بمعقوفين عنيدين على طرفي جبينه أشبه بساقي البار في الصور الكاريكاتورية ، ولعينيه الكستنائيتين قُرَحَيَّتَانِ كالدحاريج محلّقتان بالسواد ، والأخرى قاسية شكسة ، شيباء الشعر، وعيناها منتفختا الجفنين حائرتان تبدوان لشدة سوادهما كأنهما كلهما يؤبؤ أو قُرَحِيّة .

وقالت دلزي : «كونتن . انهضي يا حبيبتى . انهم في انتظارك

للفطور .»

قالت المسز كمبسن : «لست أفهم كيف كُسّرت تلك النافذة ، اواثق أنت انها كُسّرت أمس ؟ لعلها مكسورة منذ زمن طويل ، ولم تدر بها لدفع الطقس . العارضة العليا ، والستارة مسدلة عليها —»
قال جاسن : «قلت لك للمرة الأخيرة إنها كسرت أمس ،

ألا تعتقدين انني اعرف الغرفة التي أقيم فيها ؟ اعتقدين انني كنت
استطيع العيش فيها اسبوعاً وفي النافذة كسر يستطيع المرء أن يُنفذ فيه
يده - . « وكفّ صوته فجأة ، وانحسر ، وتركه محملاً بأمه بعينين
ظلتا برهة خاليتين من كل شيء . كأن عينيه قد أمسكتا النفس .
وامه تنظر اليه بوجه رخو شكس ، لا يُحمد ، يهيجس بالغيب ، ولكنه
مثلوم الحيس . وفيما هما كذلك ، قالت دلزي :
« كونتن . كفالك لعباً معي ، يا حبيبتي . هيا انزلي للفطور ، يا
حبيبتي . انهم في انتظارك . »

وقالت المسز كمبس : « لست أفهم . كأن أحداً ما حاول ان يقتحم
البيت - » ففزّ جاسن من كرسيه ، وهوى الكرسي الى الورا .
« ماذا - » قالتها المسز كمبس وهي تحماق به إذ انطلق راكضاً ماراً
بها وصاعداً الدرج قفزاً الى حيث التقى بدلزي ، ووجهه في الظل ،
فقالت دلزي :

« لقد حردت . وأملك لم تفتح - » غير أن جاسن مرّ بها راكضاً
في الرواق الى الباب . ولم يناد أحداً . بل أمسك بالمقبض وجربّه ،
ثم وقف والمقبض في يده مطأطء الرأس قليلاً ، كأنه يصغي الى شيء
أنأى بكثير من الغرفة المحدودة الأبعاد خلف الباب ، شيء جعل يطرق
سمعه . لقد كانت وقفة من يأتي بحركة الإصغاء لكي يخادع نفسه بشأن
ما يسمع . وراحت أمه وراءه تصعد الدرج وتناديه . وعندما رأت
دلزي كفت عن مناداته وجعلت تنادي دلزي .

قالت دلزي : « قالت لك انها لم تفتح القفل من ذلك الباب بعد . »
وإذ نطقت التفت وجرى نحوها ، ولكنه قال بصوت هادئ لا تهديج
فيه : « هل تحمل المفتاح معها ؟ أعني أهو معها الآن ، أم انها سوف - »
قالت المسز كمبس من على الدرج . « دلزي . »
فقالت دلزي : « ما هو ؟ لم لا تدعني - »

قال جاسن : « المفتاح ، مفتاح ذلك الباب . هل تحمله معها طيلة الوقت ؟ أمأه . » وعندها رأى أمه فنزل الدرج ليلقأها ، وقال : « اعطني المفتاح . » وجعل يتحسس بفضاظة جيوب ثوبها الاسود الخلق ، وهي تقاوم .

وقالت : « جاسن ، جاسن ! أتحاول ودلزي ان تأخذاني عنوة الى الفراش ثانية ؟ » قالتها وهي تحاول ان تدفع به عنها . « ألن تدعني أمضي حتى يوم الأحد بسلام ؟ »

فقال جاسن وهو يتحسسها بفضاظة : « المفتاح . علي به . » والتفت الى الباب كأنما يتوقع ان ينفجر وينفتح قبل ان يبلغه بالمفتاح الذي لم يحصل عليه بعد .

— « أنت يا دلزي ! » صاحت أمه وهي تمسك بثوبها حولها . وفجأة صرخ جاسن : « اعطني المفتاح ، يا بلهاء ! » وانتشل من جيبيها مجموعة ضخمة من المفاتيح الصدئة نظمت على حلقة من الحديد أشبه بما كان يحمله سجانو القرون الوسطى وعاد يركض في البهو وكلتا المرأتين في إثره .

وقالت أمه : « انت ، يا جاسن ! لن يجد المفتاح الذي يبغيه . دلزي ، أنت تعلمين اني لا أسمح لاحد قطعاً بأن يأخذ مفاتيحي . » وانخرطت في العويل .

فقلت دلزي : « هس . لن يصيبها بأذى . لن أسمح له بذلك . » — « ولكن في بيتي ، وصباح يوم الأحد ! وأنا التي بذلت جهدي لأنشئهم نشأة مسيحية فاضلة . دعني يا جاسن أجد لك المفتاح الذي تريد . » ووضعت يدها على ذراعه ، ثم أخذت تكافحه ، غير انه قذف بها جانباً بضربة من كوعه والتفت لينظر اليها لحظة ، وفي عينيه قسوة وعذاب ، ثم استدار الى الباب ثانية والمفاتيح الضخمة .

قالت دلزي : « هس . وانت ، يا جاسن ! »

قالت المسز كمبسن وهي تُعول من جديد : « أمر رهيب قد حدث . اني أعرف . اسمع يا جاسن . » قالتها وهي تحاول الامساك به مرة أخرى . « يمنعني حتى من ايجاد المفتاح لغرفة في بيتي ! » قالت دلزي : « لا بأس ، لا بأس . اني هنا . ولن أدعه يصيبها بأي أذى . » ثم قالت ، رافعة صوتها : « كونتن ! لا تخافي يا حبيبتي . اني هنا قربك ! »

وانفتح الباب جانحاً الى الداخل . فوقف فيه جاسن برهة ، حاجباً الغرفة ، ثم خطا الى الداخل ، وقال بصوت غليظ خافت : « ادخلا . » فدخلتا . لم تكن تلك غرفة فتاة . بل لم تكن غرفة أحد ، وعطر المساحيق الرخيصة الباهت والأشياء الاثوية القليلة والدلائل الاخرى على المحاولات المستميتة الفجة لتأنيثها ، لم تزد الا في انعدام هويتها ، مضافةً عليها ذلك الجو المكور من سريع العبور والزوال الذي تتصف به الغرف في المنازل السرية . كان الفراش مرتباً لم يمسه . وعلى الأرض لباس داخلي ملوث من الحرير الرخيص زهري اللون ، ومن دُرج خزانة نصف مفتوح تدلّى جورب نسائي واحد . وكانت النافذة مفتوحة ، ترى منها شجرة إجاز مزهرة نمت لصق البيت ، تحتك أغصانها وتصرّ على حائطه ، والهواء الهطيل المندفع برشاشه من النافذة يحمل الى الغرفة شذاً من النوار يفوح بالهجران واليأس .

فقالت دلزي : « أترين ؟ ألم أقل انها بخير ؟ » قالت المسز كمبسن : « بخير ؟ » ولحقت بها دلزي الى داخل الغرفة ولمستها ، وقالت :

« تعالي واضطجعي في فراشك . سأجدها في عشر دقائق . » فدفعته المسز كمبسن عنها وقالت : « ابحثي عن الرسالة . لما فعلها كونتن ترك رسالة . »
- « لا بأس . سأبحث عنها . فتعالي الى غرفتك . »

قالت المسز كمبسن : « لقد علمت حالما سمّوها بكونتن ان هذا سيحدث . » واتجهت نحو خزانة الأدراج وأخذت تقلب الأشياء المتناثرة عليها - زجاجات عطر ، علبة بودرة ، قلم ممضوغ ، مقصّ لإحدى شفرتيه مكسورة مستقر على لفاف مرفوف اكتسى بالبودرة وتلوّث بأحمر الشفاه . وقالت : « انجّني عن الرسالة . »

قالت دلزي : « سأبحث . ولكن تعالي الآن . انا وجاسن سنجدّها .

فهيّا إلى غرفتك . »

- « جاسن ؟ أين هو ؟ » وذهبت الى الباب ، تتبعها دلزي ، ثم الى البهو ، فإلى باب آخر وجدته مغلقاً ، فنادت من خلال الباب : « جاسن . » فلم يأتها اي جواب . فجزّبت المقبض ، ونادت ثانية . ولكن لم يأتها اي جواب ، لأنه كان في الدولاب يقذف الى السوراء بكل ما فيه من ثياب ، وأحذية ، وحقيبة . وبعد ذلك خرج يحمل مقطّعاً منشوراً من لوح 'معشّق' ووضعه على الأرض ودخل الدولاب ثانية ليخرج وبين يديه صندوق معدني ، وضعه على الفراش ووقف ينظر إلى قفله المكسور ربّما أخرج من جيبه حلقة مفاتيح اختار منها مفتاحاً ، ووقف برهة أخرى والمفتاح المختار بيده ، وهو يتأمل القفل المكسور ، ثم اعاد المفاتيح الى جيبه وبحدّر شديد أفرغ محتويات الصندوق على الفراش . وراح بنفس الحذر يفرز الاوراق ويلتقطها واحدة واحدة ويهزّها . ثم ادار الصندوق سافله عاليه وهزّه ايضاً وبيّطه اعاد الاوراق ، ووقف ثانية يتأمل القفل المكسور منحني الرأس ، والصندوق بين يديه . وسمع من خارج النافذة عصافير الزريق تسدوم وتنق مروراً بالبيت ثم تنأى وتعتّقاتها تشطّ مع الريح ، وسيارة تمرق في مكان ما ويتلاشى صوتها ايضاً . ونادته امه مرة أخرى من وراء الباب ، ولكنه لم يتحرك . ثم اعاد الصندوق الى الدولاب وقذف بالثياب فيه . ونزل الدرج إلى التلفون . وفيما كان واقفاً هناك ينتظر والسماعة على أذنه ، نزلت دلزي

الدرج . ونظرت إليه دون ان تقف ، ومضت في سبيلها .
 « فتح الخط ، فقال : « جاسن كمبسن يتكلم . » كان صوته غليظاً
 ناشزاً فاضطر إلى ان يعيد القول : « جاسن كمبسن ، » مسيطراً على
 صوته . وأردف : « هيء سيارة ، مع مفوض ، ان كنت لا تستطيع
 الذهاب ، في عشر دقائق . سأتي بنفسي - ماذا ؟ سرقة . في بيتي .
 أعرف من - سرقة ، اقول لك . هيء سيارة - ماذا ؟ أليست وظيفتك
 تنفيذ القانون ؟ - نعم ، سأكون عندك في خمس دقائق . وهيء السيارة
 للذهاب حالاً . » وإن لم تفعل شكوتك لحاكم الولاية . »

صفق الساعة على موضعها ، وعبر غرفة الطعام ، والفطور الذي
 ما كاد يُتمس قد برّد على المائدة ، ودخل المطبخ . كانت دلزي تملأ
 قربة الماء الحار ، وقد جلس بن ، وادعاً خالياً . وبقربه لستر ، قابلاً
 كالكلب اليقظ ، يأكل شيئاً ما . فمشى جاسن عبر المطبخ .

وقالت دلزي : « ألن تفطر ؟ » فلم يعرها بالاً ، « إذهب يا
 جاسن وتناول فطورك . » غير انه لم يلو على شيء . وصفق الباب
 الخارجي وراءه . ونهض لستر وأسرع الى النافذة ليتطلع منها .
 وقال : « فظاعة ! ما الذي حدث فوق ؟ هل كان يضرب الآنسة
 كونتن ؟ »

قالت دلزي : « اقطع لسانك ، والله إن جعلت بنجي يعول الآن
 اشبعتك ضرباً على رأسك . أبقيه على هدوئه ما استطعت الى ان اعود . »
 واحكمت سدّ القربة وخرجت . وسمعاها تصعد الدرج ، ثم سمعا جاسن
 يمرّ بالبيت في سيارته . وبعد ذلك لم يكن في المطبخ من نائمة سوى
 نشيش الابرقي ودققة الساعة .

قال لستر : « اتدري ما الذي اراهن عليه ؟ اراهن على انه ضربها .
 وانه خبطها على رأسها فذهب لاستدعاء الطبيب . هذا ما اراهن عليه . »
 وراحت الساعة تدق ، تلك تلك ، تلك تلك ، في وقار وعمق ، كأن

ذلك نبض البيت المتداعي نفسه ؛ وبعد قليل ورورت وتنحنحت ودقت ست مرات . فصعد بن بصره اليها ، ثم نظر الى رأس لستر الشبيه بالرصاصة ، شبحي السواد في نور النافذة ، وأخذ يهز رأسه الى الأعلى ثانية وهو يري . ثم جعل يئن .

فقال لستر دون ان يستدير : « اسكت يا معتوه . يظهر انه لن يتاح لنا ان نذهب الى الكنيسة اليوم . » غدير ان بن ما انفك جالسا على الكرسي ، وقد تدلت يداه الكبيرتان الناعمتان بين ركبتيه، وهو يئن انينا خافتا . وفجأة انطلق منه صوت بكاء ، عياطٌ وثيد مستمر عديم المعنى . فقال لستر : « صه . » والتفت اليه ورفع يده قائلاً : « أتريد لي ان اصفحك ؟ » الا ان بن بقي ينظر اليه ، وثيد الصراخ مع كل زفرة من تنفسه . فجاءه لستر وهزه صارخاً به : « اسكت حالاً ! » ثم قال : « هاك . » وجره من على كرسيه ثم جر الكرسي ووضعته لزاء الموقد وفتح باب صندوق النار ودفع بن الى الكرسي . فكانا أشبه بساحبة تنخر ناقلة ثقيلة الحركة في مرسى ضيق . وجلس بن من جديد مواجهاً الباب الوردي ، فهجع . ثم سمعا الساعة ثانية ، ودلزي بطيئة الخُطى على الدرج . وحالما دخلت أخذ يئن مرة أخرى . ثم رفع عقيرته .

قالت دلزي : « ماذا فعلت به ؟ لم لا تتركه وشأنه هذا الصباح من دون كل ايام السنة ؟ »

قال لستر : « لم افعل له شيئاً . لقد أفزعه المستر جاسن . هذا هو السبب . هل قتل الآنسة كوتن ؟ »

قالت دلزي : « صه يا بنجي . » فسكت . وذهبت الى النافذة وتطلعت منها الى الخارج ، وقالت : « هل كف المطر ؟ »

— « نعم ، منذ مدة . »

— « اذن فاخرجنا قليلاً . ما فرغت من تهدة الست كارولان الا

هذه اللحظة . »

— « أنذهب إلى الكنيسة اليوم ؟ »
 — « سأعلمك بذلك في حينه . ابقه بعيداً عن الدار إلى ان اناديك . »
 — « أنذهب إلى المرعى ؟ »
 — « لا بأس . ما دمت تبقيه بعيداً عن الدار لقد تحملت اقصى ما استطيع تحمله . »

— « امرك . اين ذهب المستر جاسن ، يا أماه ؟ »
 — « وهل هذا من شؤونك ؟ » قالت دلزي ذلك واخذت تجاوب المائدة . « هس يا بنجي . سيخرج بك لستر للعب . »
 وقال لستر : « ماما ، ما الذي فعله بالآنسة كونتن ؟ »
 — « لا شيء مطلقاً . هيا اخرجنا من هنا . »
 — « اراهن على انها ليست هنا . »

فحدجته دلزي بنظرة منها وقالت : « كيف تعلم انها ليست هنا ؟ »
 — « رأيناها انا وبنجي تنزلق خارجة من النافذة ليلة البارحة . أليس كذلك يا بنجي ؟ »

قالت دلزي وهي تحدق به : « صحيح ؟ »
 — « رأيناها تفعل ذلك كل ليلة ، تتدلى الى شجرة الإجاص وتنزل عليها . »

— « لا تكذب علي ، يا اسود . »
 — « لست اكذب . أسألي بنجي . »
 — « لم لم تذكر شيئاً عن ذلك اذن ؟ »
 قال لستر : « ليس ذلك من شأني . انا لا اريد ان أقحم نفسي في شؤون القوم البيض . هلم يا بنجي . لنخرج . »
 وخرجوا . ومكثت دلزي واقفة عند المائدة ، ثم ذهبت وغسلت اطباق الافطار وتناولت فطورها ونظفت المطبخ . ثم نزعرت وزرتها وعلقنها

واتجهت صوب اسفل الدرج وانصتت . فلم تسمع اي صوت . فارتدت معطفها وقبعتها ومضت إلى كوخها .

كان المطر قد انقطع . وطفق الهواء يهب الآن من الجنوب الشرقي ، ويتقطع في السماء رقعا زرقاء . وعلى القمة من تل يرى وراء الاشجار وأسطح البلدة وقبابها استقر ضياء الشمس كثوب شاحب ، ثم تلاشى . وحمل الهواء صوت جرس ، واذا اجراس اخرى ، كأنها استجابت لتلك الإشارة ، تعيد ذلك الصوت وتكرره .

انفتح باب الكوخ وبرزت دلزي ، مرة اخرى في عباها العنابية وفستانها الارجواني ، مرتدية قفازين ابيضين ملوئين يمتدان حتى الكوع منها ، ودون لفافة رأسها هذه المرة . ذهبت الى فناء الدار ونادت لستر ، وانتظرت قليلاً ثم اتجهت نحو البيت ودارت حوله الى باب السرداب ، ماشية لصق الحائط ، واجالت نظرها في المدخل . فوجدت بن جالساً على الدرجات ، وامامه لستر مقرفصاً على الأرض الرطبة وقد امسك في يسراه بمنشار ، احدودبت قليلاً بضغط من يده ، وهو يضرب جانبه بمطرقة الخشب المهترئة التي كانت تطرق بها الفطائر لأكثر من ثلاثين سنة خلت . فأطلق المنشار رنة رخوة وحيدة انقطعت بسرعة لا حياة فيها ، تاركة المنشار على شكل منحني رقيق براق بين يد لستر والأرض . وبقي محدودباً مغلق السر ، ولستر يقول :

« هكذا كان يفعلها . وقد وجدت الشيء الصحيح لضربه به . »
فقال دلزي : « أهذا ما تفعله اذن ؟ عليّ بتلك المطرقة حالاً . »
قال لستر : « لم أصبها بأذى . »

— « عليّ بها حالاً . وعد بذلك المنشار الى المكان الذي اخذته منه . »
فوضع المنشار عنه وأتاها بالمطرقة . واذا بن يعول ثانية ، عويلاً مديداً يائساً . لا شيء فيه . مجرد صوت . لعله الزمن والظلم والحزن كلها وقد تحولت صوتاً لبرهة من الزمن باتفاق بين اجرام السماء في

أفلاكها .

قال لستر : « اصغي إليّ ، ما زال على هذه الحال منذ ان أخرجتنا من البيت . لست ادري ما الذي دهاه هذا الصباح . »

قالت دلزي : « احضره هنا . »

قال لستر : « بنجي ، تعال . » ونزل الدرج وأخذ بذراعه . فتبعه مطيعاً ، وهو في عويل كالجئير المتشد الذي تطلقه السفن ، الذي يخيل للمرء انه يبسداً قبل ان ينطلق الصوت نفسه ، ويكف قبل ان ينقطع الصوت نفسه .

قالت دلزي : « اركض وحيء بقبعته . لا تحدث اي صوت قد تسمعه السيدة كارولايين . هيباً ، اسرع . لقد تأخرنا . »
— « ستسمعه على كل حال ، اذا لم توقفه . »

— « سيكف حالماً نغادر المكان . إنه يشمّها . هذا هو السر في عويله . »

— « يشمّ ماذا يا جدتي ؟ »

— « اذهب وحيء بقبعته . » فذهب لستر . ووقف في مدخل السرداب ، وبن اخفض منها بدرجة . وقد انثرت السماء برقع جارية تجر ظلالها السريعة من اعماق الحديقة الشعثاء ، على السياج المحطّم وعبر فناء الدار . فأخذت دلزي تمسّد شعر بن على رسلها ، وتسوي الغرة التي على جبينه ، وهو يعول هادئاً غير مستعجل . وقالت دلزي : « هس . هس . سنذهب بعد دقيقة . هس . » وراح يعول هادئاً على رسله .

وعاد لستر لابساً قبعة قش جديدة محاطة بشريط ملون وحاملاً قبعة من قماش . وبانت القبعة للعيان كأنها تعزل جمجمة لستر ، كما يعزلها ضوء ساطع ، بكل ما فيها من سطوح وزوايا متميزة وفي شكلها من التميز المستقل ما يجعل المرء يتوهم لأول وهلة ان القبعة تجثم على رأس شخص آخر وقف خلف لستر مباشرة . فنظرت دلزي الى القبعة ،

وقالت :

- « لِمَ لم تلبس قبعتك القديمة ؟ »
- « لم استطع ان اجد لها . »
- « لا ريب . ولا ريب انك تدبرت الامر ليلة البارحة لكي لا تجدها اليوم . يظهر انك انتويت اتلاف هذه القبعة . »
- « اوه ، جدتي ، لن ينزل المطر ثانية . »
- « وما أدراك بذلك ؟ هيا احضر قبعتك القديمة واترك هذه . »
- « اوه جدتي . »
- « اذن اذهب واحضر المظلة . »
- « اوه ، جدتي . »
- « اختر لك ما يحلو . إما القبعة القديمة ، او المظلة . ولا يهني أيهما تختار . »

فعاد لستر الى الكوخ ، وبن مستمر في عويله .
وقالت دلزي : « هيا يا بنجي . لهما ان يلحقا بنا : لنذهب ونسمع الترتيل . » ودارا حول البيت ، صوب البوابة . وراحت دلزي تكرر « هس » بين الحين والحين وهما يسيران الى ان بلغا البوابة . ففتحتها دلزي ، ولستر يسير وراءهما ، حاملاً المظلة ، وبرفقته امرأة . « لقد جاء » قالت دلزي . واجتازا البوابة ، وقالت : « والآن — » فكف بن . ولحق بهما لستر وامه . وقد ارتدت فروني فستاناً من الحرير الازرق الزاهي وقبعة مثقلة بالزهور . وهي امرأة نحيلة ، ووجهها مفلطح رائق .

قالت دلزي : « تلتفين بما كلفك شغل ستة أسابيع . ما تفعلين لو أمطرت ؟ »

قالت فروني : « أتبلل ، ما استطعت يوماً ان اوقف المطر . »
قال لستر : « جدتي لا تتحدث إلا عن سقوط المطر . »

- « ان لم اقلق أنا عليكم ، فمن يقلق ؟ » قالت دلزي . « هيا بكم . لقد تأخرنا . »

قالت فروني : « القس شيغوغ سيعظ اليوم . »

- « صحيح ؟ ومن هو ؟ »

قالت فروني : « واعظ مشهور ، من مدينة سان لويس . »

- « هه . ان ما يحتاجون اليه هو رجل يستطيع ان يضع مخافة الله

في قلوب هؤلاء العابثين من الزنوج الشباب . »

- « القس شيغوغ سيعظ اليوم . هكذا يقولون . »

وساروا في الشارع الهادئ ، وعلى طول زرافات من القوم البيض

يتمشون في ملابسهم الزاهية باتجاه الكنيسة ، في عصف من الاجراس ،

تشرق عليهم بين الفينة والأخرى شمس واجفة متقطعة ، والريح تأتيهم

في هبات من الجنوب الشرقي ، ندية قارسة بعد ايام الدئ .

فقال فروني : « ليتك تقلعين عن المجيء به الى الكنيسة يا اماء .

ان القوم ينتقدون . »

فقال دلزي : « اي قوم ؟ »

- « لقد سمعتمهم ينتقدون . »

فقال دلزي : « اعرف القوم الذين تعين . حُقراء البيض .

هؤلاء هم . انهم يعتقدون انه غير لائق بكنيسة البيض ، ولكن كنيسة

السود لا تليق به . »

- « انهم ينتقدون ، مهما قلت . »

- « اذن حوّلهم الي . وقولي لهم ان الله سبحانه وتعالى لا يهمله

ان كان راشداً ام لا . ولا يهم احداً ذلك الا الحُقراء من البيض . »

كان يتفرع عن الشارع شارع آخر في زاوية قائمة، ينحدر ثم يصير

الى طريق غير مرصوف . وعلى كلا الجانبين تهبط الأرض بانحدار

اشدّ : فهي منبسطة فسيح ترقطه اكواخ صغيرة تستوي اسطحها الملوّحة

مع قمة الطريق . وكلها مغروزة في بقع لا عشب فيها تضيح بضروب الحطام ، من قرميد ، وألواح خشب ، وصحون ، وكل ما كان يوماً ما مفيداً نافعاً . والنبت القليل الذي فيها ليس الا الخضرة المهمله ، والاشجار كلها توت وجميز وخرنوب — وهي اشجار تساهم ايضاً في اليباب الدميم المحيط بالبيوت ، اشجار يبدو حتى لإزهارها كأنه بقية حزينه عنيدة من بقايا ايلول ، كأنما الربيع مرّ بها مرّ الكلام ، ليدعها تتغذى على رائحة الزنوج القائمة فيما بينهم ، تلك الرائحة القوية التي لا رائحة مثلها .

ومن مداخل البيوت كان الزنوج يخاطبونهم اذ يمرون بهم ، ولا سيما دلزي :

— « اختي دلزي ، كيف حالك اليوم ؟ »

— « بخير . هل انت بخير ؟ »

— « بخير والحمد لله . »

كانوا يخرجون من اكواخهم ويجهدون في صعود السدة الى الطريق — رجال تراوح ألوانهم بين الاسود والبيّ العميّ ، على صدورهم سلاسل ساعات ذهبية وفي ايديهم احياناً عصي المشي ؛ وشباب تسربلوا بالأزرق العنيف الرخيص او الثياب المقلّمة والقبعات المتبخرة ؛ ونساء يهسهسن واطفال يلبسون ثياباً مستعملة ابتيعت من البيض ، ينظرون الى بن بتخفي حيوانات الليل :

— « اراهن انك لن تدنو منه وتلمسه . »

— « ولم لا ؟ »

— « اراهن انك تخاف منه . »

— « ولكنه لا يؤذي الناس . مجرد معتوه . »

— « وكيف لا يؤذي المعتوه الناس ؟ »

— « هذا المعتوه لا يؤذيهم . وقد لمستّه . »

— « اراهن انك لن تلمسه الآن . »

— « لأن دلزي تراني . »

— « لن تلمسه مهما كان . »

— « لا يؤذي الناس . مجرد معنوه . »

وكانت دلزي كلما خاطبها الكبار ، الا اذا كانوا طاعنين في السن ، تسمح لفروني بالجواب عنها :

— « امي متوعدة هذا الصباح . »

— « شيء مؤسف . ولكن القس شيفوغ سيشفيها . لسوف يمنحها الراحة ويزيح عنها الأعباء . »

ثم جعل الطريق يرتفع ، مفضياً الى مشهد أشبه بمشهد مرسوم على خلفية مسرح . فالطريق هنا يشق رقعة من التراب الأحمر تتوجها اشجار السنديان ، ثم ينتهي فجأة ، كشريط مقطوع . وعلى مقربة منه كنيسة لوحتها الأيام تشمخ بقبتها اللهاء اشبه بكنيسة مرسومة ، والمشهد برمته مسطح بغير منظور ، لا يختلف عن لوحة مرسومة وضعت في الطرف الأقصى من الارض المنبسطة ، إزاء إشراق الفضاء العاصف وشهر نيسان والضحي العارم بالأجراس . وراحوا يتجمعون صوب الكنيسة في تودة الوافدين الى صلاة الأحد . فتدخل النساء والأطفال ، بينما يترث الرجال في الخارج ويتحدثون في جموع مستكنة ، الى ان توقف الجرس عن القرع . واذا ذاك دخل الرجال ايضاً .

كانت الكنيسة قد زُيّنت بزهور شتينة قطفت من شجيرات الأسبجة وحدائق المطابخ ، وبشرائط من ورق « الكريب » الملون . وقد علقت فوق المنبر جرس مطروق من اجراس عيد الميلاد ، يطوى كالأكورديون . وكان المنبر خالياً ، وان يكن المرتلون قد اخذوا أماكنهم ، وهم يروّحون بالمرآح بالرغم من ان الطقس لم يكن حاراً .

تجمعت الأغلبية من النساء على جانب من الغرفة ، وهن يتحدثن .

ثم دق الجرس مرة واحدة فتفرقن الى مقاعدهن، وجلس جمهور المصلين، في توقع وتطلع . ودق الجرس ثانية مرة واحدة . فنهض جوق المرتلين وشرعوا في الترتيل وادار المصلون كلهم الرؤوس دفعة واحدة إذ دخل ستة أطفال — اربع بنات وبضفائر مشدودة ضفرت فيها قطع صغيرة من القماش كالفراشات ، وولدان كسي رأسهما بالزغب — وساروا في وسط الكنيسة تنظمهم معاً زهور وشرايط بيضاء ، يتبعهم رجلان الواحد خلف الآخر . وقد كان الثاني منها رجلاً كبير الجثة ، بلون القهوة الفاقع ، يفعل في انفس مشاهديه بما يرتديه من معطف «فراك» ورباط أبيض . له رأس جليل مهيب ، ورقبة تتثنى على ياقته في ثنيات سخية. غير انه كان مألوفاً لديهم ، فبقيت الرؤوس ملوية حتى بعد مروره ، ولم يدركوا ان الكاهن الزائر قد دخل عليهم الى ان توقف الجوق عن الترتيل ، فلما رأوا الرجل الذي كان يتقدم كاهنهم يصعد المنبر وهو ما زال امامه ارتفع في ارجاء المكان صوت لا يوصف ، تنهدة، صوت يعبر عن الدهشة والخيبة .

كان الزائر قتيلاً ، يلبس معطفاً رثاً اسود ، وقد تجعد وجهه الأسود وتغضن كوجهه قرد صغير عجوز . وفيما راح المرتلون ينشدون مرة اخرى ونهض الاطفال الستة ليرتلوا في همسات رفيعة واجفة عديمة النغم، كان المصلون يرقبون فيما يشبه الحرج هذا الرجل لا يملأ العين وقد جلس كالفلاح القزم لزاء ضخامة الكاهن الجليلة . وما برحوا ينظرون اليه في حرج وغير تصديق حتى نهض الكاهن وقدمه بنبرات عميقة جهورية زادت حلاوتها وبلاغتها في ضالة الزائر .

— « ويأتون بهذا الرجل عبر المسافات الطويلة من سانت لويس ! » همت فروني .

فقالت دلزي : « لقد وجدت ان الله يستخدم وسائط اصغر من ذلك ، جلّت قدرته . » ثم قالت لبن : « هس الآن . سيرتلون ثانية

بعد دقيقة . »

حين نهض الزائر ليخطب بدت لهجته اشبه بلهجة البيض . كان صوته مستوياً بارداً ، يبدو أضخم من ان يصدر عنه ، فأصغوا اليه استطلاعاً اول الامر ، كمن يصغي الى قرد يتكلم . واخذوا يرقبونه كأنهم يرقبون رجلاً يمشي على جبل . ونسوا ضالة شكله لانهما كهم في براعته اذ راح يركض ويتوازن ويرفّ على سلك صوته القرير المتشد ، حتى اذا ما اتى اخيراً بحركة كانزلاقة الطير المسفّ ليحطّ قرب محل القراءة وقد وضع عليه ذراعاً على مستوى كتفه وتجرد جسمه القردى من كل حركة كالموماء او السفينة المفرغة ، تنهد المصلّون كأنهم استيقظوا من حلم جماعي وتلملأوا قليلاً على مقاعدهم . وفيما وراء المنبر استمر المرتلون في الترويح .

ثم قال صوت : « ايها الاخوة . »

لم يكن الواعظ قد تحرك . وذراعه ما زالت ممتدة على المحمل ، وبقي على ذلك الوضع وصوته يتلاشى في أصداء عميقة تتردد بين الجدران ، مختلفاً عن صوته السابق كما يختلف النهار عن الليل ، فيه رنة . حزينّة كرنه البوق الصادح ، تغوص في قلوبهم لتنطق فيها من جديد بعد ان تنتهي الى اصداء متراكمة متلاشية .

وقال مرة اخرى : « ايها الاخوة ايها الاخوات . » وأزاح الواعظ ذراعه واخذ يمشي جيئة وذهاباً امام المحمل ، ويداه مضمومتان وراء ظهره ، قدّاً ضامراً ، محدودباً على نفسه كقد رجل اعتاد منذ امد بعيد ان يقارع الارض التي لا ترحم . « ان في نفسي دم الحَمَل » وذكراه ! واستمر على جيئته وذهابه تحت شرائط الورق المصفور وجرس عيسد الميلاد ، محدودباً ، ويداه مضمومتان وراء ظهره . لقد كان كصخرة

* يرمز به الى السيد المسيح ، « حمل الله الحامل خطايا العالم » .

(المترجم)

صغيرة متأكلة تفيض عليها امواج صوته المتعاقبة . وبدا كأنه يغذو بجسده ذلك الصوت الذي غرز اسنانه في لحمه كشيء من عالم الجن . كما بدا المصانون وكأنهم يرقبونه بأعينهم اذ راح صوته يفترسه ، الى ان غدا لا شيء وغدوا هم لا شيء ولم يبق ثمة من شيء حتى الصوت بل بقيت عوضاً عنه قلوبهم يخاطب بعضها بعضاً انغاماً واهازيج تخطت الحاجة إلى الالفاظ ، فلما آل به الامر إلى الاتكاء على محمل القراءة ، وارتفع وجهه القرديّ وصار في وضع كالصليب الوداع المعذب الذي يسمو على رثائته وضآلته ويجعله غير ذي شأن ، انطلق منهم زفير انين طويل ، وصاحت امرأة بصوت شاهق رفيع : « رحماك، يا يسوع ! » واذ راحت الغيوم تركض في السماء كانت النوافذ العتيقة الهزيلة تتوهج وتخمد في تعاقب واجس . ومرت سيارة في الطريق خسارج الكنيسة ، تكددت في الرمل ، ثم تلاشت . في حين جلست دلزي جلسة منتصبه ، ويدها على ركبة بن . وتندحرجت دمعتان على خديها المهلّمين ، وهما تدخلان وتخرجان من ملايين التجاعيد ، تجاعيد التضحية ونكران الذات والزمن .

— « أيها الإخوة ! » قالها الواعظ بهمس اجش دون ان يتحرك : فقالت المرأة بصوت خفيض : « رحماك ، يا يسوع ! » وجلجل صوته من جديد كالنفير : « أيها الاخوة والاخوات ! » وأزاح ذراعه وانتصب في وقفته ورفع يديه : « ان في نفسي دم الحمل وذكراه ! » ولم يلحظوا كيف ومتى تحولت نغمته ولهجته الى نغمة الزنوج ولهجتهم ، وظلوا جلوساً يترنحون قليلاً في مقاعدهم والصوت يملك عليهم أنفسهم .

— « حين تمر السنون والحقب الباردة الطويلة اقول لكم ، ايها الاخوة ، حين تمر السنون والحقب الباردة الطويلة — ولاني لأرى النور وأرى الكلمة ، أيها الخاطيء المسكين ! لقد انقرضت وزالت في مصر

العربات المتأرجحة ، والاجيال انقضت أثراً بعد عين . كان فيما مضى رجل غني : اين هو ، أيها الاخوة ؟ كان فيما مضى رجل فقير : اين هو ، أيتها الاخوات ؟ آه ، إني اقول لكم ، إن لم يكن في قلوبكم لَبَنُ الخلاص القديم وطَلُّه ونداه حين تمر السنون والحقب الباردة الطويلة ! »

— « رحماك ، يا يسوع ! »

— « لكم أقول ايها الإخوة ، ولكُنْ أقول ايها الأخوات ، سيأتي زمن ، يقول فيه الخاطيء المسكين : لأضع غني ، مع الرب الإله ، لأضع عبثي غني . وما الذي سيقول يسوع عندئذ ، ايها الاخوة ؟ أيتها الاخوات ؟ أفي نفسك دم الحمل وذكراه ؟ لأنني لن أرهق السماء بالاعباء ! »

وبحث في سترته واخرج منديلاً جفّ به وجهه . ومن المصلين ارتفع صوت جماعي خفيض : « م م م م م م م م م م م م م م م م ! » وقال صوت المرأة : « رحماك ، يسوع ! يسوع ! »

— « ايها الاخوة ! انظروا الى اولئكم الاطفال الصغار الجالسين هناك . كان يسوع يوماً ما مثلهم . وقد عانت امه المجد والآلام . ولعلها كانت أحياناً تحتضنه اذا ما ارخى الليل سدوله ، والملائكة تهدهه بأناشيدها لينام . ولعلها نظرت خارج الباب فرأت شرطة الرومان تمر . « ومشي جيئةً وذهاباً ، وهو يحفف وجهه . « اسمعوا ، أيها الاخوة ! اني لأرى ذلك اليوم . وقد جلست مريم بالباب وفي حضنها يسوع ، يسوع الصغير . كأولئك الاطفال ، يسوع الصغير . واني لاسمع الملائكة تترنم بتراتيل السلام والمجد . وأرى العينين المغمضتين ، وأرى مريم تفز فزعمة ، وأرى وجه الجندي وهو يقول : سنقتل ! سنقتل ! سنقتل طفلك الوليد يسوع ! وإني لأسمع نشيجَ الأم ونوحَها بدون خلاص الله وكلمة الله ! »

« إني أرى ، يا يسوع ! رحماك ، إني أرى ! » وتلاه صوت آخر ، دونما كلمات ، كاللقاقيع تنطلق من الماء .

— « إني أراها ، أيها الأخوة ، اني أراها . إني لأرى المشهد المريع الذي يُفقد الأبصار ! إني أرى الجلجلة ، وأشجارها الثلاث المقدسة ، أرى اللص والقاتل وأقل الإثنيين ؛ واسمع التفاخر والتباهي : « ان كنتَ انت المسيح ، ارفع شجرتك وامشِ ! » واسمع ندب النساء والنوح عشية ذلك اليوم ؛ اسمع البكاء والعويل والله مشيحاً بوجهه يقول : لقد قتلوا يسوع ، ابني الحبيب لقد قتلوه ! »

- « م م م م م م م م م م ... يا يسوع ، اني أرى ، يا يسوع ! »
- « ايها الخاطئ الأعشى ! إخوتي ، اقول لكم ، اخواتي اقول لكنّ ، حين يشيح الربّ القدير بوجهه ، ليقول : لن أرهق السماء بالأعباء ! بوسعي ان ارى الله المفجوع يُغلق بابَه ؛ وأرى الفيض العظيم يتلاطم دونه ؛ وارى الظلام والموت الأبدي يحلّان بالأجيال . وإذا ايها الأخوة ، اجل ايها الأخوة ، ما الذي أرى ؟ ما الذي اراه يا أيها الخاطئ المسكين ؟ اني ارى القيامة والنور ؛ ارى يسوع الوديع يقول : « لقد قتلوني لكي تحيا من جديد ؛ لقد متُّ لكي لا يموت ابداً كل من رأى وآمن . » ولاني أيها الاخوة لأرى انبلاج يوم القيامة واسمع ابواق الذهب تصدح بالمجد ، والموتى يُبعثون ممن كان في أنفسهم دم الحمل وذكراه ! »

في خضمّ الأصوات والأيدي ظل بن جالساً ، في نشوة من نظراته العذبة الزرقاء . ودلزي منتصبه الجلسة قربه ، تبكي مستحثةً على رساها متحررة السريرة بدم الحمل وذكراه .

ولما خرجوا وساروا في وهج الظهيرة طوال الطريق الرملي والمصلون

يتفرون ويتحدثون متمهلين ثانية جاعات جاعات ، استمرت دلزي في بكائها ، غير حافلة بما يقوله الناس .

— « واعظ رائع ، يا أماه ! ولكنه لم يملأ العين في البدء . أماه هس ! »

— « لقد رأى السلطان والمجد . »

— « اي نعم . لقد رأهما وجهاً لوجه رأهما . »

لم تنبس دلزي بحس ، ولم يرتعش وجهها والدموع تجري في مجاريها الهابطة الملتوية ، ومشت مرفوعة الرأس دون ان تحاول مسح دموعها .

فقالت فروني : « لماذا لا تكفين عن ذلك يا أماه ؟ وهؤلاء الناس يرقبوننا ؟ بعد لحظات سنمر بالقوم البيض . »

فقالت دلزي : « لقد رأيت البداية والنهاية . لا عليك . »

— « اية بداية واية نهاية ؟ »

فقالت دلزي : « لا عليك . لقد رأيت البداية ، وها أنا الآن

ارى النهاية . »

بيد انها ، قبل بلوغهم الشارع ، وقفت ورفعت تنورتها ومسحت عينيها بحاشية أعلى تنورتها الداخلية . ثم استأنفوا السير ، وبن يشحط قدميه بجانب دلزي ، وهو يرقب لستر يعبث قداهم ، والمظلة في يده وقبعة القش على رأسه مائلة باستهتار في ضوء الشمس ، أشبه بكلب كبير غبي يراقب كلباً صغيراً ماهراً . وحالما وصلوا البوابة واجتازوها ، شرع بن بالأنين ثانية ، فتوقفوا جميعاً برهة وارسلوا أبصارهم الى اقصى المشى ، الى البيت المربع الذي تقشر طلاؤه ومدخله المعمد المتهاافت

وقالت فروني : « ما الذي حدث هناك اليوم ؟ أمر ؟ ما قد حدث . »

قالت دلزي : « لم يحدث شيء ، اعتني بشؤونك ودعي البيض

يعتنون بشؤونهم . »

قالت فروني : « امر ما قد حدث ، وقد سمعته اول ما سمعت هذا

الصباح . ولكن ما لي ولهم ؟ »

قال لستر : « انا اعرف ما حدث . »

قالت دلزي : « انك تعرف اكثر مما هو في صالحك ، ألم تسمع
فروني الآن تقول ما لك ولهم ؟ هيا خذ بنجي خلف البيت وحافظ
على هدوئه الى ان اهبيء الغداء . »

قال لستر : « اني اعرف أين الآنسة كونتن . »

قالت دلزي : « اذن دع معرفتك لنفسك ، وحالما تحتاج كونتن
الى نصيحة منك ، فسأدعك تعرف . هيا اذهبا كلكما والعبوا خلف
البيت . »

— « انت تدرين ما الذي سيفعله بنجي حالما يبدأون اللعب بالكرة

هناك . »

— « لم يحن وقتهم بعد . وإلى ان يحين يكون تي بي قد جاء

ليخرج به في العربة . والآن ، عليّ بتلك القبة الجديدة . »

اعطاها لستر قبعته وذهب بصحبة بن عبر الفناء الخلفي ، وبن ما
زال يثن ، ولكن دون ان يرفع صوته . ومضت دلزي وفروني الى
الكوخ ، وبعد قليل ظهرت دلزي ثانية في فستانها الحائل الرخيص واتجهت
نحو المطبخ . كانت النار قد خمدت ، وليس في البيت نأمة . فلبست
وزرتها وصعدت الى فوق ، وما من نأمة قط . وغرفة كونتن ما تزال
على وضعها كما تركوها . فدخلتها والتقطت اللباس الداخلي وزجت
بالجورب في الدرج وأغلقتة . وكان باب المسز كميسن مغلقاً ايضاً ،
فوقفت قربه ، وانصتت . ثم فتحتة ودخلت ، مقتحمة فوحاً طاغياً من
الكافور . وكانت الستائر مسدلة ، والغرفة شبه مضاعة ، وكذلك السرير ،
فحسبت اول الأمر ان المسز كميسن نائمة وأوشكت ان تغلق الباب ،
واذا الاخرى تتكلم ، وتقول :

« ها ، ما الأمر ؟ »

قالت دلزي : « هذه انا ، أتريدين شيئاً ؟ »
 فلم تجب المسز كمبسن، وبعد قليل قالت دون ان تحرك رأسها أبداً :
 « أين جاسن ؟ »

— « لم يعد بعد . ماذا تريدن ؟ »
 لم تقل المسز كمبسن شيئاً . وكالكثيرين ممن يتصفون بالبرود والحوار،
 فانها ساعة جوبهت بالنكية التي لا تُدحض ولا تُنقض انتبشت من مكان
 ما جلدأ وقوة . وقد استقر في ذهنها اعتقاد راسخ بشأن الحدث الذي
 لما يُسبر غوره . فقالت : « هل وجدتُها ؟ »

— « وجدت ماذا ؟ ما الذي تتحدثين عنه ؟ »
 — « الرسالة . ألم يكن لديها من الاعتبار ما يدفعها على الأقل الى
 ان تترك لنا رسالة ؟ حتى كونتن فعل ذلك . »

قالت دلزي : « ما الذي تتحدثين عنه ؟ ألا تعلمين انها بخير ؟
 أراهنك انها ستدخل من هذا الباب قبل حلول الظلام . »
 — « كلام فارغ . انها في الدم . وفي البنت ما في خالها . او امها .
 ولست أدري أي الشرين أهون . ولا يهمني . »
 — « ما الداعي الى اصرارك على هذا الكلام ؟ وما الذي يجعلها تفعل
 شيئاً من هذا القبيل ؟ »

— « لست أدري . ما الذي جعل كونتن يفعلها ؟ بربك، اي سبب
 في الدنيا حدا به الى ذلك ؟ أعله أراد ان يتحدى مشيقي ويسيء الي ؟
 ليكن الله من يكون ، فانه لن يسمح بذلك . اني سيده من كرام
 الناس . قد لا تصدقين ذلك حين تنظرين الى أولادي . ولكنني سيده
 من كرام الناس . »

قالت دلزي : « انتظري تري . ستكون هنا قبل حلول الليل ،
 ولسوف تكون في فراشها ذاك . » لم تقل المسز كمبسن شيئاً ، والقماشه
 الحضلة بالكافور على جبينها . ورداؤها الاسود عند القدمين من فراشها .

ووقفت دلزي ويدها على مقبض الباب .
 فقالت المسز كمبسن : « ماذا تريدن ؟ أنتوين ان تهيني بعض
 الغداء لجاسن وبنجامين ، ام لا ؟ »
 - « لم يأت جاسن بعد . سأهيه شيئاً . أواثقة أنت من انك لا
 تريدن شيئاً ؟ اما زالت قربتك حارة ؟ »
 - « ناوليني توراتي . »

- « اعطيتك اياها هذا الصباح ، قبل خروجي . »
 - « وضعتها على حافة الفراش . انتوقعين ان تظل هناك طويلاً ؟ »
 فذهبت دلزي الى السرير وبحث في الظلال التي تحت حافته وعثرت
 على التوراة منكفئة على وجهها . فسوّت الصفحات المثنية ووضعت الكتاب
 على الفراش ثانية . والمسز كمبسن ما زالت مغمضة العينين ، وشعرها
 والوسادة من لون واحد ، فبدت تحت الفوطة المشبعة بالدواء اشبه براهبة
 عجوز تصلي . فقالت ، دون ان تفتح عينيها : « لا تضعيها هنا ثانية ،
 حيث وضعتها من قبل . انريدين ان تكرهيني على الخروج من فراشي
 لكي التقطها عن الأرض ؟ »

فأخذت دلزي الكتاب ومدت يدها فوقها ووضعتها على طرف الفراش
 العريض . وقالت : « وكيف تقرأين في هذه العتمة ؟ أرفع لك
 الستارة قليلاً ؟ »

- « لا . دعيها عنك . انزلي وهيئي شيئاً لجاسن يأكله . »
 فخرجت دلزي ، مغلقة الباب وراءها ، وعادت إلى المطبخ . كان
 الموقد خامداً تقريباً . ولذا وقفت على مقربة منه دقت الساعة المعلقة فوق
 الحزانة عشر مرات ، فقالت بصوت مرتفع : « الساعة الواحدة ، لن
 يأتي جاسن . لقد رأيت البداية والنهاية . » قالت وهي تتأمل الموقد
 الخامد ، « رأيت البداية والنهاية . » ووضعت على مائدة قربها
 بعض الاطعمة الباردة . وأخذت وهي تتنقل بين أرجاء المطبخ تنشد
 احدى التراتيل . فأنشدت النغم كله بأن كررت واعادت البيتين الأولين .

ولما انتهت من مد الطعام ذهبت الى الباب ونادت لستر، وبعد برهة جاء لستر وبن ، وبن ما زال يثن بعض الشيء كأنه يثن لنفسه قال لستر : « ما كفف لحظة واحدة . »

قالت دلزي : « تعالوا كلوا . جاسن لن يأتي للغداء . » فجلس لستر وبن الى المائدة . اما بن فكان مستطيعاً ان يدبر امره اذا كان الطعام ناشفاً ، الا ان دلزي ، رغم كون الطعام بارداً ، ربطت فوطة حول عنقه . فراح هو وستر يأكلان ، ودلزي تنتقل في المطبخ وتكرر البيتين اللذين تتذكرهما من الترتيلة . وقالت « لنأكل كلنا . لن يأتي جاسن الى البيت . »

لقد كان جاسن في تلك اللحظة على بعد عشرين ميلاً من البيت . فحالما غادره قاد سيارته بسرعة إلى البلدة، وأدرك جماعات الناس المتهادية في سبيلها إلى الصلاة والاجراس القارعة الآمرة تملأ الجو . فقطع الميدان الخالي وانعطف إلى شارع أضيق بدا فجأة أشد هدوءاً حتى في تلك الساعة ، وأوقف سيارته أمام منزل ذي هيكل خشبي وسار في الممشى المحفوف بالورد إلى سقيفة المدخل .

كان وراء الباب الشبكي أناس يتكلمون . ولما رفع يده ليقرع الباب سمع وقع خطى ، فسحب يده وتقدم رجل يلبس سروالاً قطنياً اسود وقيصاً ابيض مُنَشَّأ الصدر بدون ياقة ، وفتح الباب . كان شعره الأشهب اشعث، عنيف الحيوية وعينه الرماديتان مدورتين براقتين كعيني ولد صغير . فأخذ يد جاسن وسحبه الى الداخل وهو ما زال يهزّها . وقال : « تفضل ، تفضل وادخل . »

قال جاسن : « أمستعد انت للذهاب الآن ؟ »

— « تفضل وادخل ، » قال الآخر ، وهو يدفعه من كوعه الى غرفة جلس فيها رجل وامرأة . « انت تعرف زوج ميرتل ، اليس كذلك ؟ جاسن كمبسن ، فيرنس . »

— « نعم ، » قالها جاسن دون أن ينظر الى الرجل ، ولما جرّ الشريف كرسياً عبر الغرفة ، قال الرجل :

« سنخرج لنترك لكما المجال للكلام . هيتا ، يا ميرتل . »
فقال الشريف : « لا ، لا . لا حاجة الى ذلك . لا احسب الأمر بهذه الخطورة يا جاسن ؟ تفضل واجلس . »

قال جاسن : « سأخبرك ونحن في طريقنا ، البس قبعتك وسترتك . »

قال الرجل ناهضاً على قدميه : « سنخرج نحن . »

قال الشريف : « إبق جالساً سنخرج انا وجاسن الى الشرفة . »
فقال جاسن : « البس قبعتك وسترتك يا هذا . لقد سبقونا باثني عشرة ساعة حتى الآن . » فاقتاده الشريف الى الشرفة ، ومرّ بهما رجل وامرأة وبادراه بالتحية ، فاستجاب لهما بإيماءة بالغة البشّر. وكانت الاجراس ما زالت تدق ، في اتجاه الحي المعروف بنقرة الزنوج . وقال جاسن : « جيء بقبعتك ، يا شريف . » غير ان الشريف هيتاً لهما كرسين ، وقال :

« اجلس وقل لي ما الذي حدث . »

فقال جاسن وهو واقف : « اخبرتك بالتلفون . وقد فعلت ذلك توفيراً للوقت . اريد ان تضطرنني الى اللجوء الى القانون لكي اجبرك على القيام بواجبك الذي أقسمت عليه ؟ »

— « تفضل بالجلوس ، واخبرني . وسأعني بأمرك . »

— « ستعني بأمرني ! اهذا ما تسميه العناية بأمرني ؟ »

— « انت الذي تؤخرنا . تفضل بالجلوس واخبرني . »

فقص عليه جاسن الأمر ، واحساسه بالأذى والعجز يتغذى بصوت ما يقول ، حتى نسي استعجاله بعد مدة في عنف ما تراكم في نفسه من الغضب وتبرير الذات . والشريف يرقبه دونما اضطراب بعينيه المتألفتين الباردتين .

وقال : « ولكنك لا تعرف انهما هما الفاعلان . انه ضرب من التخمين . »

فقال جاسن : « لا اعرف ؟ انا الذي امضيت يومين لعينين في ملاحقتها في الدروب ، محاولاً ابعادها عنه ، بعد ان هددتها بما قد افعله بها ان انا قبضت عليها برفقته ، اتقول لي ان هذه العا - »
قال الشريف : « ارجوك . كاف ، كفاني ما قلت . » وأرسل بصره الى الطرف الآخر من الشارع ويداه في جيبه .

- « وعندما أجيء اليك ، وانت احد ضباط القانون - »

- « سيكون ذلك السيرك في موتسن هذا الاسبوع . »

- « نعم . ولو استطعت ان اجد ضابطاً من ضباط القانون يُبدي اقل الاكتراث بحماية الناس الذين انتخبوه لوظيفته ، لكنت هناك انا ايضاً هذه الساعة . » واعاد سرد القصة ، مكرراً القول بفظاظة ، كأنه يجد لذة حقيقية في غضبه وعجزه . اما الشريف فبدا كأنه لا يصغي اليه مطلقاً .

وقال : « جاسن ، ما الذي كنت تفعله بثلاثة آلاف دولار نخبأه في البيت ؟ »

- « ماذا ؟ ليس من شأنك أين احفظ نقودي . اما شأنك فهو ان تعينني على استردادها . »

- « هل كانت امك تعلم بوجود هذا المبلغ كله لديك في البيت . »

- « اسمع . لقد سُهب بيتي . وانا أعرف الفاعلين كما اعرف مكانهما . وقد جئت بك بصفتك ضابطاً من ضباط القانون ، وها أنا أسألك مرة أخرى : أستحاول ان تسترد لي مالي ، ام لا ؟ »

- « ماذا تنوي ان تصنع بتلك الفتاة ، اذا أمسكت بهما ؟ »

قال جاسن : « لا شيء . لا شيء بالمرّة . لن أدع يدي تمسها . هذه العاهرة التي افقدتني وظيفة كانت فرصتي الوحيدة للتقدم في الحياة ،

والتي قتلت ابي وما زالت تقصّر أجل امي يوماً بعد يوم ، وجعلت اسمي اضحوكة الناس في البلدة . لن أصنع بها شيئاً . ابدأ ، بالمرّة . »
فقال الشريف : « جاسن انت الذي دفعت بها إلى الهرب يا.. »
- « ليس من شأنك كيف اصرفت امور عائلتي . اتريد ان تساعدني ام لا ؟ »

- « لقد دفعت بها الى الهرب من البيت . ولدي بعض الشكوك بشأن صاحب الحقيقي لتلك النقود، الامر الذي لن أعرفه على وجه التأكيد ، لسوء الحظ . »

وقف جاسن مكانه وهو يعصر ببطء حافة قبعته بيديه . وقال بهدوء :
« ألن تبدي اية محاولة للقبض عليهما ؟ »

- « ليس ذلك من شأنني يا جاسن . لو كان لديك اي دليل ، لاضطرت الى اجراء اللازم . اما بدون دليل فلا اظن الامر من شأنني . »

- « اهذا جوابك اذن ؟ فكّر جيداً . »

- « هذا جوابي . »

قال جاسن : « حسناً اذن . » ولبس قبعته . « ستندم والله على هذا . لن اكون عديم الحيلة . ليس هذا البلد بروسيا ، حيث يكون الرجل في حصانة من القانون لمجرد وضعه شارة معدنية صغيرة على صدره . » ونزل الدرج وركب سيارته وشغل محركها . والشريف يرقبه يسوق ، ويستدير ، ويمرّق هادراً بالبيت صوب البلدة .

جعلت الاجراس تقرر ثانية ، عالياً في ضياء الشمس المتراكم في مزق وهاجة غير نظيمة من الصوت . وتوقف عند محطة بتزين لتفحص إطاراته وتعبئة خزان سيارته .

- « أذهب في سفرة ؟ » سأله الزنجي ، فلم يجب . « يبدو ان الجو سيصحو اخيراً . »

فقال جاسن : « سيصحو ، هه ؟ قبل ان تحين الساعة الثانية عشرة ستمطر كما لم تمطر قط من قبل . » ورفع عينيه الى السماء وهو يفكر بالمطر . والطرق الموحلة الزلقة ، وقد انحصر في مكان ما قصي عن البلدة . وقد حمل له هذا الحاطر ما يشبه نشوة الظفر ، قائلاً لنفسه انه لن يكون في البيت للغداء وانه اذا ما شرع في رحلته الآن مستجيباً لرغبته العنيفة في السرعة ، فانه سيصبح عند الظهر على أبعاد مسافة ممكنة من البلدين . فبدا له ان القدر ، بهذا الصدد ، يحالفه ، فقال للزنجي :

« ما الذي تفعله ؟ هل نقدك احد شيئاً لتؤخر شغلك مع هذه السيارة أطول مدة ممكنة ؟ »

— « سيارتك هذه ليس فيها قطرة من الهواء . »

— « اذن ابتعد عنها وناولني ذلك الأنبوب . »

قال الزنجي ناهضاً : « امتلأت الآن . باستطاعتك ان تسوق الآن . » فركب جاسن السيارة وشغل المحرك وانطلق . تحول الى حركة الترس (Gear) الثانية ، والمحرك يلهث وينتفض ، ثم جعل يسرع جداً وهو يتصفق الخناق وحشياً دخولاً وخروجاً . وقال : « ستمطر . دعني ابلغ منتصف الطريق ، ولتمطر كما تشاء . » وانطلق متناثراً عن البلدة ورين اجراسها ، متخيلاً نفسه يكذب سيراً في الأرواح ، باحثاً عن عربة بحصانين . « وما من أحد لعين منهم الا وهو في الكنيسة . » وتصور انه يلقي كنيسة آخر الامر ويأخذ احدى العربات عنوة واذا صاحبها يخرج ويصرخ به ، فيضربه ويوقعه ارضاً ، ويقول : « انا جاسن كمبس . اوقفني ان استطعت . وانتخب ان استطعت ضابطاً يستطيع ان يوقفني . » وتصور نفسه يدخل دار المحكمة ومعه ثلة من الجنود ويجرّ بالشريف الى الخارج . « يظن ان بوسعه ان يجلس مكتوف اليدين ويراني افقد وظيفتي ! سأريه ما معنى الوظيفة . » اما ابنة اخته فلم

يفكر بها قط ، كما لم يفكر بالقيمة الاعتبارية التي قُدرت للنقود . فلا النقود ولا كونهن كانت لها لديه اية هوية او فردية لعشر سنين طوال . انما الاثنان معاً كانتا ترمزان الى الوظيفة التي حرم منها في المصرف ، قبل ان يحظى بها .

اشتد وهج النهار ، ولم تعد رُقع الظلال الجارية عبر الارض دليلاً على اكفهرار السماء ، فبدأ له ان في انقشاع الغيوم ضربةً مأكرة من العدو ، في المعركة الجديدة التي كان في طريقه اليها يحمل جراحات قديمة . وكان بين الحين والحين يمرّ بكنايس ما هي الا مباني خشبية قبابها من صفائح حديدية ، تحيط بها خيول مربوطة وسيارات عتيقة ، فيخيل اليه ان كلاً منها موقع استحكام ترصده منه مؤخرة جيش القدر بنظرات خاطفة . فقال : « حاول انت أيضاً ان توقفني ان استطعت ! » وهو يتصور نفسه، وثلة جنوده مع الشريف المكبل بالقيود في المؤخرة ، يجرّ القدرة الإلهية من على عرشها ، اذا اقتضى الأمر؛ ويتخيل جحافل السماء والجحيم تقتتل وهو يشق طريقه بينها ويضع يديه نهائياً على ابنة اخته الآبقة .

كانت الريح تهب من الجنوب الشرقي على خدّه باستمرار . وقد خيّل اليه انه يستشعر ضربتها المستديمة تنفذ خلال جمجمته ، وفجأة وقد خالجه هاتف قديم خبط على الفرامل ووقف السيارة وجلس في مكانه دونما حراك . ثم رفع يده الى رقبته وبدأ يسبّ ، وبقي جالساً وهو يسب في همس خشن . فقد كان من دأبه كلما اضطر الى السياقة مدة طويلة ان يجهز نفسه بمنديل مشبع بالكافور ، يعقده حول عنقه حالما يبتعد عن البلدة ، وبذلك ينشق بخاره . فخرج ورفع المقعد لعله يكون قد نسي هناك احد هذه المندails . ونظر تحت المقعدين ووقف برهة وهو يشتم ويلعن ، وقد رأى نفسه موضع هزم من انتصاره . فاتكأ على الباب واغمض عينيه . ان بإمكانه ان يعود ويجلب كافوره

المنسيّ ، او ان يستمر في انطلاقه . ورأسه في كلتا الحالتين يكاد ينفلق صداعاً ، الا انه واثق من وجود الكافور في البيت يوم الأحد ان هو عاد ، في حين انه قد لا يجد اي كافور اذا ما استمر في سيره . ولكن سيتأخر - لو هو عاد - ساعة ونصف الساعة في الوصول الى موتسن . فقال : « لعلي استطيع ان اسوق ببطء . لعلي استطيع ان اسوق ببطء شاغلاً فكري بشيء آخر - »

فركب السيارة ، وشغلها . « سأفكر بشيء آخر ، » قال لنفسه ، واخذ يفكر بلورين . فتخيل نفسه في الفراش معها ، غير انه مضطجع قربها وحسب ، يتوسل اليها ان تساعد ، ثم فكّر بالنقود ثانية ، وكيف ان امرأة ، بل فتاة ، غلبت حيلته بحيلتها . وكَمْ تمنى لو يعتقد ان الرجل هو الذي سرق ماله ! اما ان يُسلب الشيء الذي كان يعتبره تعويضاً عن وظيفته المفقودة ، والذي لم يحصل عليه الا بأشق الجهد والمجازفة ، وان يكون الفاعل رمز وظيفته المفقودة بالذات ، بل وأسوأ من ذلك ان يكون الفاعل فتاة عاهرة ... واستمر يسوق، سائراً وجهه من الريح الهابة باستمرار بياقة معطفه .

لقد جعل يرى قوى مصيره وقوى ارادته المتعادية تزحف الآن سراعاً معاً ، نحو ملتقى لا مردّ له . فعزم على الحيلة والدهاء ، قائلاً لنفسه : لا مجال لي للخطأ . فليس ثمة الا شيء صحيح واحد : لا بديل له ، وعليه ان يفعله . وقد بدا له انها سيعرفانه كلاهما حالما يريانه ، وهو يؤمل ان يراها هي اولاً ، الا اذا كان الرجل ما زال مرتدياً رباطه الأحمر . فخيّل اليه ان اضطراره الى الاعتماد على ذلك الرباط الأحمر انما هو خلاصة النكبة التي تتربّص به . انه يكاد يشمّها ، ويحسّها فوق النبض الذي في رأسه .

بلغ القمة من التل الأخير . وفي الوادي دخان ، واسطحة بيوت ، وقبة او اثنتان تعلوان الشجر . فنزل التل ودخل البلدة ، متمهلاً ،

قائلاً لنفسه ان عليه بالحذر ، لكي يجد اولاً مكان خيمة السيرك . ولكنه ما عاد يحسن الرؤية الآن ، وادرك ان النكبة هي التي تستحشه دون انقطاع على الذهاب مباشرة للحصول على شيء يعالج به صداعه . وفي احدى محطات البنزين أخبروه ان الخيمة لم تُنصب بعد ، الا ان سيارات السيرك واقفة على أحد ارصفتي المحطة . فساق سيارته الى هناك . وهناك وجد سيارتي « بولمان » بألوانها الصارخة واقفتين على الخط . فاستطعها قبل النزول من سيارته ، وهو يحاول الا يتنفس عميقاً ، لعل الدم لا ينبض عنيفاً في جمجمته . ثم ترجل ومشى بمحاذاة جدار المحطة ، وهو يرقب السيارتين ، وقد تدلى من نوافذهما بعض الملابس المثنية الرخوة ، كأنها قد غُسلت لتوها . وعلى الأرض قرب الدرجات من احدهما كانت ثلاثة كراسي قماشية . غير انه لم ير ما يدل على اي حياة فيها الى ان ظهر بالباب رجل قدر الوزرة وافرغ قِدرًا من مائه القدر بإمعاء عريضة ، وقد تألق بطن القدر المعدني بشعاع الشمس ، ثم عاد ثانية الى داخل السيارة .

فقال لنفسه ، علي الآن ان افاجئه قبل ان ينذرهما . ولم يخطر له ببال انها قد لا يكونان في داخل السيارة . اما الاً يكونا هناك ، والا تتعلق النتيجة برمتها على رؤيته اياهما او رؤيتهما اياه اولاً ، فأمر يناقض الطبيعة ويعاكس سير الأحداث وايقاعها ! والأكثر من ذلك : عليه ان يراها هو اولاً ، ويسترد النقود ، وعندئذ لن يكون لكل ما قد يفعلانه اي خطر لديه ، وإلا فإن العالم بأسره سيعلم ان جاسن كمبسن قد سلبت ماله عاهرة تدعى كونتن ، هي ابنة اخته .

واستطلع المكان من جديد ، ثم عاد إلى السيارة وصعد درجاتها ، بسرعة وهدوء ، وتريث عند الباب . كان مطبخ السيارة مظلماً يفوح بروائح الطعام البائت . وبدا الرجل اشبه بلطخة بيضاء ، وهو يغني بصوت « تينور » مهزوز مصدع . ففكر : كبير في السن ، واضل

- مني جسماً . ودخل السيارة ، ورفع الرجل نظره اليه .
 - « هه ؟ » قال الرجل ، متوقفاً عن الغناء .
 قال جاسن : « اين هما ؟ بسرعة ! أفي سيارة النوم ؟ »
 - « من هما ؟ »
 قال جاسن : « لا تكذب علي . » وتخبط في العتمة المزدحمة .
 فقال الآخر : « ماذا قلت ؟ من الذي تسميه كاذباً ؟ » وحالما
 أمسك جاسن بكتفه ، هتف صائحاً : « حذار يا رجل ! »
 - « لا تكذب . اين هما ؟ »
 - « يا ابن الحرام ! » قالها الرجل ، وذراعه في قبضة جاسن واهية
 ضامرة . وحاول ان يتخلص من قبضته ، ثم التفت واخذ يخبط بحثاً على
 الطاولة المقدسة وراءه .
 وقال جاسن : « هيا . اين هما ؟ »
 فزق الرجل قائلاً : « سأخبرك اين هما . دعني اجد ساطوري
 أولاً . »
 - « اسمع ، » قال جاسن وهو يحاول ان يمنع الآخر عن الحركة .
 « انه مجرد سؤال أسألك اياه . »
 فزق الآخر وهو يخبط على الطاولة بحثاً : « يا ابن الحرام ! »
 وحاول جاسن الامساك به بكلتا ذراعيه ، وحصّر هياجه القميء . واحس
 بجسم الرجل بارداً ، ناعلاً ، غير انه مشدود بعزم واحد قتال جعل
 جاسن يرى لأول مرة دونما لبس او غموض النكبة التي سعى اليها بظلمه .
 وقال : « كفى ! اسمع ! اسمع ! سأخرج . امهلني قليلاً ،
 فأخرج . »
 والآخر يصيح : « أتمدعوني كاذباً . نحاسي . خلّني لحظة واحدة ،
 لأريك . »
 فجعل جاسن يتلفت حوله مرتعباً ، وهو ممسك بالآخر . كان النهار

في الخارج الآن مشرقاً ساطعاً ، حثيثاً خالياً ، وفكّر بالناس الذين سيذهبون عما قريب وادعين إلى بيوتهم ليتناولوا غداء الأحد ، في أبيه زيناتهم وامرحها ، في حين راح هو يجهد للامساك بالشيخ القمسي المتفجر هياجاً قاتلاً . ولا يجرؤ على اطلاقه برهةً تكفيه للادبار والحرب . وقال : « هل تكفّ وتمهاني حتى اخرج من هنا ؟ تكلم . » غير ان الآخر ظل يكافح ، فأطلق جاسن احدى يديه وضربه على رأسه . ضربة عجيلى غير مسددة ، ولا عاتية ، ولكن الآخر انكفأ فجأة وانهار مقرعاً بين القدور والسطول الى الأرض . ووقف جاسن فوقه لاهثاً ، منصتاً . ثم استدار وهرب من السيارة ، غير انه ضبط نفسه عند الباب ونزل الدرجات في شيء من البطء ووقف هناك ايضاً . وجعل تنفسه يحدث صوتاً هه هه هه ، فوقف مكانه محاولاً ان يكتمه ، ونظراته تطفر هنا وهناك ، حين سمع فحفحة وراءه ، فالتفت ليرى الشيخ الصغير يقفز مترنحاً هائجاً من داخل السيارة ، وقد شهر ساطوراً صدثاً عالياً بيده .

فد أصابعه نحو الساطور ، غير منصدم ولكن مدركاً انه بدأ يقع ارضاً ، ومفكراً لنفسه : اهكذا اذن تأتي النهاية ، وظن انه على وشك الموت حين هوى شيء على مؤخر رأسه وقال لنفسه : كيف اصابني هناك ؟ او لعله قد اصابني منذ زمن ، ولكن ما شعرت بالاصابة الا الآن ، وفكّر : هيا اسرع ، اسرع ، انته منها ، واذا هو يعانني رغبة جامحة في ألا يموت ، فكافح ، وهو يسمع الشيخ يولول ويشتم بصوته المصدع .

وبقي يكافح حين رفعوه رفعاً ليقف على قدميه ، غير انهم أسندوه في وقفته ، فكفّ .

وقال : « أينزف دمي بكثرة ؟ مؤخر رأسي . أينزف دمي ؟ » وبقي يردد ذلك وهو يشعر ان ايدي قوية تدفع به على عجل ، ويسمع

صوت الشيخ الرفيع الهائج يتلاشى وراءه . وقال : « انظر الى رأسي .
انتظر . اني - »

- « انتظر ! » قالها الرجل الممسك به . « ألا تعلم ان هذا الزنبور
الصغير سيقنتك . اركض . لم تُصَبِّ بأذى . »
فقال جاسن : « لقد ضربني . الست أنزف ؟ »

قال الآخر : « اركض ، » واقتاده حول منعطف المحطة ، الى
الرصيف الحالي حيث وقفت شاحنة « اكسبريس » ، حيث نمت
الأعشاب كالحراب في قطعة أرض مخوفة بزهور كالحراب ولافتة كتب
عليها بأصواء كهربائية : عينك على موتسن ، والفجوة تملؤها عين
كهربائية البؤبؤ . ثم أخلى الرجل سبيله .

وقال : « اسمع . خير لك أن تخرج من هنا ولا تعود . ما الذي
كنت تحاول فعله ؟ الانتحار ؟ »

فقال جاسن : « كنت أبحث عن شخصين . وكل ما فعلته هو
اني سألته اين هما . »

- « عمن تبحث ؟ »

- « عن فتاة . ورجل . كان يلبس رباطاً أحمر امس في جفرسن .
مع هذا السيرك . وقد سلباني . »

- « آ ، اذن انت هو - ولكنها ليسا هنا . »

قال جاسن : « هذا ما يبدو ، » واثكأ على الجدار ووضع يده
على مؤخر رأسه ثم تفحص كفته ، وقال : « ظننت انني انزف دماً .
ظننت انه ضربني بذلك الساطور . »

نقال الرجل : « انت الذي صدمت رأسك بالسياج . فخير لك أن
تغادر هذا المكان . فهنا ليسا هنا . »

- « نعم . هذا ما قاله هو أيضاً . فظننته يكذب عليّ . »

- « اتظني اكذب عليك ؟ »

- « كلا . اني اعلم انهما ليسا هنا . »
- « لقد أمرتهما ان يخرججا من هناك ، كلاهما . فأنا لن اسمح بمثل هذه الأمور في سيركي . انني ادير سيركاً محترماً ، وفرقة محترمة . »
- « نعم . ألا تعرف اين ذهبا ؟ »
- « كلا . ولا اريد ان اعرف . فليس في فرقتي من يستطيع أن يأتي فعلة كتلك . هل أنت — اخوها ؟ »
- « كلا . ولكن لا بأس . انا انما اردت ان اراهما . اواثق انت انه لم يصبني ؟ أعني انني لا انزف دمأ ؟ »
- « والله لو لم أصل هناك في تلك اللحظة ، لكان ثمة دم كثير . فابقَ بعيداً عن هنا ، أسمع ؟ والا فان ابن الحرام ذاك سيقنتلك . هل تلك سيارتك ؟ »
- « نعم . »
- « اذن اركبها وعد الى جفرسن . وان وجدتهما ، فلن نجهدهما في فرقتي . انني ادير سيركاً محترماً . أتقول انهما سلباك ؟ »
- قال جاسن : « لا . لا بأس . غير مهم . » وذهب الى السيارة وركبها . وقال لنفسه : ما الذي يجب علي ان افعله ؟ وعندئذ تذكر . فشغل السيارة وساقها على مهل صعداً في الشارع إلى ان وجد حانوتاً . إلا انه كان مقفل الباب . فوقف مكانه برهة ويده على مقبض الباب محني الرأس بعض الشيء . ثم انصرف ، ولما رأى رجلاً قادماً بعد قليل سأله هل في المنطقة حانوت مفتوح ، فجاءه الجواب بالنفي . ثم سأله عن موعد سير قطار الشمال ، فأجابه الرجل في الثانية والنصف . فقطع الرصيف وعاد ادراجه الى السيارة ودخلها وبقي جالساً فيها . وبعد قليل مر اثنان من فتيان الزوج ، فناداهما .
- « هل يستطيع أحداكما ان يسوق سيارة ؟ »
- « نعم ، يا سيدي . »

— « ما الذي تتقاضاه لقاء أخذي بهذه السيارة الى جفرسن في الحال ؟ »

فنظر كلاهما الى الآخر ، مدممين .

قال جاسن : « أعطيك دولاراً . »

فدمدا ثانية ، ثم قال أحدهما : « قايل . »

— « كم تريد ؟ »

قال أحدهما : « أتقدر ان تذهب ؟ »

فأجاب الآخر : « لا والله . لماذا لا تأخذه أنت ؟ لا شغل

لديك . »

— « لا والله مشغول . »

— « لماذا ؟ »

فدمدا مرة أخرى وهما يضحكان .

فقال جاسن : « أعطي أياً منكما دولارين . »

قال الأول : « لا أستطيع الذهاب . »

فقال جاسن : « لا بأس . انصرفا . »

وبقي جالساً مكانه مدة من الزمن . وسمع الساعة تدق النصف ، ثم أخذ الناس يمرّون ، بملابس يوم الأحد وعيد الفصح . وكان البعض يلتفتون اليه اذ يمرون — يلتفتون الى الرجل القابع ساكناً وراء سكران سيارة صغيرة ، وحياته التي لا ترى قد انتكثت وانحلت حوله أشبه بجورب عتيق . وبعد قليل جاءه زنجي يرتدي حلّة عامل .

وقال : « هل أنت الذي تريد الذهاب الى جفرسن ؟ »

قال جاسن : « نعم . كم تريد ؟ »

— « أربعة دولارات . »

— « اعطيك اثنين . »

— « لا أستطيع الذهاب بأقل من اربعة . » وبقي الرجل في السيارة

جالساً دون حراك ، ولم ينظر حتى الى محدثه . فقال الزنجي : « أتقبل أم لا ؟ »

— « طيب . اصعد . »

وتحول من مكانه ، وجلس الزنجي وراء السكتان . وأغمض جاسن عينيه وهو يقول لنفسه : سأجد له دواء في جفرسن ، لا بد ان أجد شيئاً هناك ، وكيف نفسه لاهتزازات السيارة العنيفة . وسارت بهم السيارة في طرق يمشي الناس فيها الهوينا ويدخلون منها آمين الى البيوت وغداً يوم الاحد — الى ان ابتعدت عن البلدة . وفكّر بذلك . لم يفكر بالبيت ، حيث كان بن ولستر يتناولان غداء بارداً على مائدة المطبخ . بل ان شيئاً ما — انعدام الكارثة أو انعدام الوعيد في شيء ما مستديم — سمح له بنسيان جفرسن أو أي مكان آخر رآه من قبل ، حيث لا محيد له عن استئناف حياته .

عندما انتهى بن ولستر، أخرجتهما دلزي الى العراء وقالت : « وحاول ألا تثيره حتى الساعة الرابعة . وعندها سيكون تي بي قد جاء . » قال لستر : « حاضر . » وخرجا . وتناولت دلزي غداءها، ونظفت المطبخ . ثم ذهبت الى أسفل الدرج وأصاحت السمع ، ولكن لم يكن ثمة أي صوت . فعادت من خلال المطبخ وخرجت من الباب الخارجي وتريثت على الدرج . لم تر أثراً لبن ولستر ، غير انها اذ وقفت هناك سمعت رنةً رخوةً باتجاه باب السرداب ، فذهبت الى الباب وشاهدت تكراراً لمشهد الصباح .

قال لستر : « هكذا بالضبط كان يفعلها . » وتأمل المنشار الساكن ، فيما يشبه القنوط والرجاء معاً . وقال : « ليس عندي الشيء الصحيح لطرقه به . »

قالت دلزي : « ولن تجده في سردابك هذا . هيا اخرجته الى الشمس حالاً ، قبل ان تصابا بذات الرئة على تلك الأرض المبللة . »

وتريثت وهي ترقبها يعبران فناء الدار صوب مجموعة من أشجار
الأرز قامت قرب السياج ، ثم يمت شطر كوخها .

قال لستر : « والآن ، إياك ان تبدأ ! لقد سببت لي كفايتي من
المتاعب اليوم . » كانت هناك ارجوحة صنعت من اخشاب البراميل
وقد نظمت كاللحمة في سدى شبكة من الاسلاك ، اضطلع فيها
لستر ، بينما راح بن يحوم دونما وجهة او هدف . ثم طفق يثن ثانية ،
فقال لستر من مضطجعه في الارجوحة : « هس ، أسمع . وإلا
صفعتك . » فتوقف بن عن الحركة ، ولستر ما زال يسمعه يثن ،
فقال : « أتسكت ام لا ؟ » ونهض من مكانه واقتفى اثر بن فألفاه
جالساً القرفصاء لزاء مرتفع صغير من التراب ، على كلا الطرفين منه
غرزت في الارض زجاجة كانت تحتوي يوماً على سُم . كان في
احدهما ساق ذابلة لزهرة « جمسن » ، وقد قبع امامها بن وهو يثن
بصوت وثيد عديم الإفصاح . وبقي يثن عندما بحث حوله دونما تعيين
وعثر على عسلوج دسه في الزجاجة الاخرى . فقال لستر : « لم لا
تسكت ، هه ؟ اتريدني ان اعطيك شيئاً يجعلك تثن عن حق ؟ طيب ،
انظر . » وركع وانتزع الزجاجة فجأة وأخفاها وراءه . فكف بن عن
الأنين ، وبقي جالساً القرفصاء يتأمل المنهبط الذي كانت الزجاجة مغروزة
فيه ، وما كاد يسحب نفساً عميقاً يملأ به رئتيه حتى وضع لستر الزجاجة
ثانية امام ناظريه ، وفح : « هس ! إياك ان تعيط ! إياك . ها هي ،
أتراها ؟ ها هي . إن بقيت هنا ، فستبدأ بالعياط . هيا بنا ، لنذهب
ونرَ إن كانوا قد بدأوا بضرب الكرة . » وأمسك بذرار بن وأنهضه
وذهباً معاً الى السياج حيث وقفوا جنباً الى جنب ، يرسلان النظر من بين
اشجار زهر العسل المتواشجة التي لم تكن بعد قد نورت .

وقال لستر : « ها هم . ها قد جاء بعضهم . اترامهم ؟ »
وراحا يتفرجان على اربعة رجال يلعبون جيئة وذهاباً على الأرض

الخضراء واطرافها ، ويضعون الكرة مكانها ويضربونها . وجعل بن يتفرج وهو يثن ويريل . واذا ما ابتعد اللاعبون لحق بن بهم بمحاذاة السياج ، يثن ورأسه في ارتفاع وانخفاض . وقال احدهم :
« تعال يا كادي . اعطني الكيس . »

قال لستر : « هس يا بنجي ، » بيد ان بن ثابر على جذبه وهو يخبّ ، متشبثاً بالسياج ، وينوح بصوته الأجش اليائس . فاذا ما لعب الرجل دوره ومضى ، سار بن ازاءه بمثل سرعته الى حيث ينعطف السياج في زاوية قائمة ، فتشبث بالسياج وهو يرنو الى الآخرين يتنقلون ويتعدون .

قال لستر : « ألن تسكت الآن ؟ ألن تسكت ؟ » وهز ذراع بن ، وبن متشبث بالسياج ، ينوح على رسله نواحه الأجش . « الن تكف ؟ الن تكف ؟ » وبن يتطلع من خلال السياج . قال لستر « طيب ، اذن ، أتريد شيئاً تعيط وتصرخ بسببه ؟ » وألوى وجهه فوق كتفه ، في اتجاه البيت . ثم همس : « كادي ! اصرخ الآن . كادي ! كادي كادي ! »

وبعد برهة ، في ما يتخلل صراخ بن من فترات صمت متباعدة ، سمع لستر دلزي وهي تنادي . فأخذ بذراع بن وقفلاً عائدين عبر فناء الدار صوب دلزي .

وقال لستر : « ألم أقل لك انه لن يهدأ طويلاً . » فقالت دلزي : « يا نذل ! ما الذي فعلت به ؟ »
— « لم افعل شيئاً . قلت لك انه ، حالما يبدأ هؤلاء الناس باللعب ، يرفع عقيرته . »

— « تعال هنا . هس ، يا بنجي ، هس . » غير انه لم يسكت . فعبروا الفناء مسرعين وذهبوا الى الكوخ ودخاوه . وقالت دلزي :
« اركض واجلب ذلك الحذاء . احترس من ان تزعج الست كارولان . »

واذا قالت شيئاً فقل لها انه معي . هيا انصرف . ولعلك تفعل ذلك
دونما خطأ هذه المرة . » وخرج لستر بينما اقتادت دلزي بن الى السرير
 واجلسته بجانبها واحتضنته وهي تهدده، وتمسح لعاب فمه بخاشية تنورتها،
وتقول وهي تمسّد شعره : « هس . هس . أنت عند دلزي . هس . »
الا انه استمر في ولولته الوئيدة المضميمة دونما دمع - صوت يائس جهم
هو صوت كل بؤس لا صوت له تحت الشمس . ثم عاد لستر يحمل
خفياً ابيض من الساتان ، وقد اصفرّ لونه الآن ، وتشقق وتلوّث ،
فلما وضعه في يد بن ، هجع مدة من الزمن . غير انه ما انكث يثن ،
وسرعان ما ارتفع صراخه من جديد .

فقلت دلزي : « أعتقد انك تستطيع ان تجد تي بي ؟ »
- « قال أمس انه سيذهب اليوم الى سانت جون . وقال انه سيعود
في الرابعة . »

وراحت دلزي تهدد بن وتمسّد شعره .
وقالت : « طال بنا الوقت ، يا يسوع . طال بنا الوقت . »
فقال لستر : « بإمكانني ان اسوق تلك العربة . »
- « ستقتل نفسك وبن ان فعلت . ولن تسوقها الا للشيطنة . أعرف
ان لديك ما يكفي من العقل لذلك . ولكنني لا أستطيع ان اثق بك .
صه ، صه . »

- « لا ، لن أفعل ذلك . وقد سقتها مع تي بي . » ودلزي تهز
بن وهو في حضنها . « تقول الست كارولان اذا عجزت عن تهدئته
فانها ستنزل وتهدئه بنفسها . »

- « هس يا حبيبي ، » قالت دلزي ذلك وهي تمسّد شعر بن . ثم
قالت : « حبيبي لستر ، ان كنت تحب جدتك العجوز فهلا سقت تلك
العربة بعناية وحذر ؟ »

- « أمرك يا جدتي . سأسوقها كتي بي بالضبط . »

وقالت دلزي ، وهي تمسّد شعر بن وتهزه هز الطفل : « يعلم الله انني أفعل كل ما أستطيعه . » ثم نهضت وارتدت : « إذهب واحضرها اذن . » فغاب لستر عن النظر . اما بن ، فبقي ممسكاً بالخلف يبيكي ، ودلزي تقول : « هس ، هس . ذهب لستر ليحضر العربة ويأخذك فيها الى المقبرة . ولن نجازف بجلب قبعتك . » وذهبت الى خزانة ليست الا ستارة من الخام علقت عبر احدى زوايا الغرفة ، وأحضرت قبعة اللباد التي كانت هي تلبسها . وقالت : « لقد أدركتنا حالة اسوأ من هذه ، لو ان الناس يعلمون . ولكنك ، على كل حال ، طفل الرب ، وانا سأكون ايضاً ملك يديه ، عما قريب ، تبارك سبحانه . هاك . » ووضعت القبعة على رأسه وزررت سترته . وهو ما انفك ينوح على رسله . ثم اخذت الخلف منه ووضعتة جانباً ، وخرجت به . وجاء لستر بفرس بيضاء عجوز تجرّ عربة مخلّعة معوجة الجوانب .

قالت : « ستكون شديد الخلد والانتباه يا لستر ؟ »

فقال لستر : « نعم ، جدتي . » واعانت بن على الصعود الى المقعد الخلفي ، وكان قد كف عن البكاء ، غير انه بدأ الآن بالأنين ثانية .

قال لستر : « يريد زهرته . انتظري ، سأتيه بزهرته . »

قالت دلزي : « أما انت فابق مكانك . » ودنت وامكست بجبل اللجام . « هيا ، اسرع ، عليك بزهرة له . » فجرى لستر منعطفاً حول البيت صوب الحديقة . وعاد بنرجسة واحدة .

فقالت دلزي : « هذه مكسورة الساق . لم لم تأته بزهرة سليمة ؟ »

فقال لستر : « انها الوحيدة في الحديقة . لقد اخذتم الزهور كلها يوم الجمعة لتزيين الكنيسة . انتظري سأندبر امرها . » وهكذا ، فيما راحت دلزي تمسك بالحصان ، أضاف لستر عوداً الى ساق النرجسة وربطها معاً بخيط ، وأعطاهها لبن . ثم امتطى العربة وأخذ الرسن . ودلزي

- ما زالت ممسكة باللجام .
- وقالت : « اتعرف الطريق ؟ اصعد الشارع ، ودر حول الميدان ،
فإلى المقبرة ، ثم عد مباشرة الى البيت . »
- « حاضر . كويني ، تحركي ! »
- « ستكون شديد الحذر ، ها ؟ »
- « نعم ، جدتي . » فأفلتت دلزي اللجام .
- وقال لستر : « كويني تحركي ! »
- قالت دلزي : « لحظة ، ناولني ذلك السوط . »
- « اوه يا جدتي . »
- « ناولني اياه » قالت دلزي ودنت من العجلة . فناولها اياه لستر
على مضض .
- وقال : « وكيف اجعل كويني تتحرك الآن ؟ »
- « لا بأس عليك من ذلك . كويني تعلم اكثر منك اين هي
ذاهبة . وما عليك الا ان تبقى في مكانك وتمسك بالرسن . أتعرف
الطريق ؟ »
- « نعم . انه نفس الطريق الذي يذهب فيه تي بي كل احد . »
- « اذن فافعل ما يفعله هو هذا الأحد . »
- « طبعاً . ألم اسق بدلاً من تي بي اكثر من مئة مرة ؟ »
- « اذن ، سق هذه المرة ايضاً . هيا . ولكن ، والله ، ان
آذيت بنجي ، ايها الغلام الاسود ، فلست ادري ما الذي سأفعله بك .
انت مصيرك سلاسل السجن ، ولكنني سأرسلك اليها قبل ان تُتهياً لك
السلاسل . »
- « نعم ، جدتي . هيا يا كويني ، تحركي ! »
- ورفرف بالرسن على ظهر كويني العريض ، فجعلت العربة تتحرك في ترنح .

قالت دلزي : « اسمع يا لستر ! »

قال لستر : « تحركي يا هذه ! » ورفرف بالرسن ثانية ، فراحت كويني تقعقع ببطء في الطريق المؤدية الى الشارع والجوف ، يزمزم بها وفي الشارع استحثها لستر على مشية توحى للناظر بأنها دوماً على وشك الوقوع الى الامام دون ان تقع .

وكف بن عن الأئين ، وجلس في وسط المقعد ممسكاً في قبضته بالزهرة المجبرة ، وعيناه وادعتان مشرقتان يعجز النطق عنها . وكان لستر الجالس أمامه مباشرة يدير رأسه الشبيه بالرصاص الى الخلف باستمرار ، الى ان غاب البيت عن العيان ، فحاد الى جانب الشارع ووقف العربة ونزل منها وبن يرقبه وكسر غصناً من احدى اشجار السياج ، وبينما خفضت كويني رأسها وراحت تقضم الحشائش الى ان صعد لستر وجذب رأسها الى الاعلى وساطها لتحرك من جديد ، ثم رفع كوعيه في زاويتين وأمسك بالغصن والزمام عالياً متخذاً وضعاً من التباهي لا يتناسب في شيء مع قعقة حوافر كويني المسترخية وقرقرة احشائها التي تضاهي الحفيض من اصوات الأرغن . كانت للسيارات تمر بهم ، وكذلك السابلة ، ومرت بهم مرة فنة من احداث الزنوج :

— « ذاك لستر . الى اين يا لستر ؟ الى المقبرة ؟ »

فقال لستر : « مرحباً . أليست المقبرة مصيركم كلكم ؟ تحركي ، يا فيل ! »

ثم اقتربوا من الميدان ، حيث كان الجندي الاتحادي يتطلع بمحجرين خاليين من تحت يده المرمرية الى الريح وتقلبات السماء . وهنا زاد لستر من خيالاته واهوى على كويني الصماء بغصنه مرة اخرى ، وهو يحيل البصر في الميدان . وقال : « تلك سيارة السيد جاسن ، » ثم رأى فنة اخرى من الزنوج . فقال : « لنر هؤلاء الزنوج كيف يتصرف اولاد الدوات ، ما رأيك ؟ » ونظر الى الخلف ، حيث كان بن جالساً

ممسكاً بزهرته في قبضته ، فارغ النظرة رَخيَّتها . وضرب لستر كويني مرة اخرى وانعطف بها الى اليسار صوب نَصَبَ الجندي .

ولبرهة جلس بن مكانه في فراغ مطلق . ثم عاط وارفع صوته صراخاً على صراخ يكاد لا تتخلله فترة للتنفس . وفيه ما يربو على الدهشة بكثير : انه الرعب ، الصدمة ، التمزق لا عين ولا لسان ؛ صوت صِرْف . فدارت عيننا لستر في محجريه هنيهة بيضاء ، وقال : « يا الله ! هس ! هس ! يا الله ! » ودار عنيماً مرة اخرى واهوى على كويني بالغصن ، فانكسر ، فرمى به عنه ، واذ راح صراخ بن يعلو نحو ذروته العجيبة امسك لستر بأطراف الزمام وانحنى الى امام ، وجاسن قادم نحوه يقفز عبر الميدان الى ان ارتقى درجة العربة .

وبضربة من قفا يده قذف بلستر جانباً وامسك بالزمام واستدار بكويني في الحال وشد بالزمام حتى كان نصفه في يده وساطها به على ردفها . واستمر بسوطها مرة بعد مرة الى ان انطلقت حصاراً ، وقد ضج الجو حولهم بتمزق بن الأجنس ، وانعطف بها الى يمين النَّصَب . ثم اهوى بقبضته على يافوخ لستر .

وقال : « كيف يخطر لك ان تأخذها الى اليسار ؟ » ومد يده الى الوراء ولطم بن ، كاسراً ساق الزهرة من جديد . وقال : « أخرس ! ! » ثم سحب لجام كويني بعنف ووقفها ، وقفز الى الارض . « عد به إلى البيت ، لعنك الله . وان انت يوماً عبرت به تلك البوابة ثانية ، قتلُك الله ! »

قال لستر : « نعم ، يا سيدي ! » وامسك بالزمام وضرب كويني بأطرافه . « هيا ، هيا ، تحركي ! بنجي ، ارجوك ، لحاطر الله ! » ظل صوت بن في زئير وهدير . ولما تحركت كويني ثانية جعلت حوافرها تققع على هينتها مرة أخرى ، وفجأة كف بن عن صراخه

وسكت . فنظر لستر بسرعة الى الراء فوق كتفه ، ثم انصرف الى سياقته . وتهدلت الزهرة المكسورة فوق قبضة بن وعادت عيناه الى الفراغ والزرقة والسكينة من جديد اذ راحت الشرفات والواجهات تنساب انسياباً ناعماً مرة اخرى من اليسار الى اليمين، وكذا الاشجار والأعمدة، والنوافذ والمداخل ، واللافتات ، كلٌ في مكانها النظيم .

الجنوب والجنف

«الصحب والعنف» هي في رأي النقاد «رواية الروائيين»، وتركيبها الفني، على صعوبته، معجزة من معجزات الخيال. وغاية فوكز في هذه الرواية هي أن يصور انحلال أسرة آل كمبسن، ضمن الانحلال العام في «الجنوب» الذي يتألف من الولايات المتحدة التي انتعشت على زراعة القطن واستخدمت الزنوج رقيقاً إلى أن اندلعت نيران الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، فحسر الجنوب الحرب، وألغى الرق، وغزا الشمال الجنوب بوسائل شتى وتغيرت معالم الحياة فيه.

وهذا التغير، بما فيه من انحطاط أو سمو، من شهامة أو حقارة، وما سبقه أو تلاه من جرائم وصراع وهتك أعراض، هو موضوع فوكز. «الشرف والإباء» كلمتان تترددان في أكثر كتبه، الشرف والإباء والحب والشجاعة، وقد أحاطت بها قوى الفساد والجريمة والمادية والجشع والخسة. إن فوكز يرى في قصة «الجنوب» مصغراً لما حلّ بالعالم من فوضى خلقية وانحلال اجتماعي، ويرى في ذلك مأساة كونية.

المؤسسة العربية
للدرايات والنشر

بياتر جرج الكارلن، بياتر جرج العنبر، ١٩٧٩
سوقا موكياي بيروت، ١٩٧٩

الشم ٢٤ ل. ل.